مقدمة الطبع

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى جعل التاريخ لأولي الالباب تذكره * وأحل المؤرخين من الافكار مرايا من صحفه المنشره * وقدم الباحثين فيه بالاستحقاق وان تأخرت أيامهم * واختص بالحفظ لآثارهم طروساً أودعتها الحق على شرط الوفاء اقلامهم * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاء بالعجب العجاب * وأنطق ألسنة السيوف بفصل الخطاب * وعلى كافة الانبياء والمرسلين * ومن له من أتباعهم أثر فى العالمين (أما بعد) فان التاريخ لسان يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع * بل أستاذ يقرر دروس الحوادث لبعيها السامع * بل ماشئت من محمود ممدوح * ينفس كروب النفس ويروح الروح * وله من رجاله أئمة فضلاء * وسادة جلة نبلاء • صرفوا فيه من نقود أعمارهم النفيس * حتى كشفوا عن وجهه نقاب التلبيس * فتيسر سبيله * واتضح دليله * وعلمت مجاهله * ووردت مناهله وأصبح صراطاً للمجتاز سوياً * فلم يخش أني سار في جادته هويا *

ولما كانت الحروب الصليبية من أكبر طوارئ الزمان * وأشد مادهى به العالم من طوارق الحدثان * توجهت اليها أفكار مستنبئة * وأنظار لم تكن لغير البحث فيها متهيئة * وكنا ممن عنى بالتدبر فيها * والتنقير عن ظواهرها وخوافيها * لان أقل مايستفاد من ذلك معرفة كيف كان شأن القوم في الاختلاط * وأوربا اذ ذاك في انحطاط * والشرق منبع المعارف * ومنتدى الفضائل والعوارف * حتى انتهى الامر الي اتضاع المرتفع * وارتفاع المتضع * ضرورة أن الزمان أدوار * والظلم تجليها الانوار * فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها * وما ربك بظلام للعبيد ولكن يؤاخذها بجناية يديها * تلك نتيجة مساعي الأمتين الشرقية والغربية * ولا نقول الاسلامية والنصرانية * فان مشاحنتهما أصلها الاساسى * جنسى سياسى * لم يكن منظوراً فيه لدين ولا مذهب * وان زعم غير ذلك اليوم من لم يفرق بين السبب والمسبب *

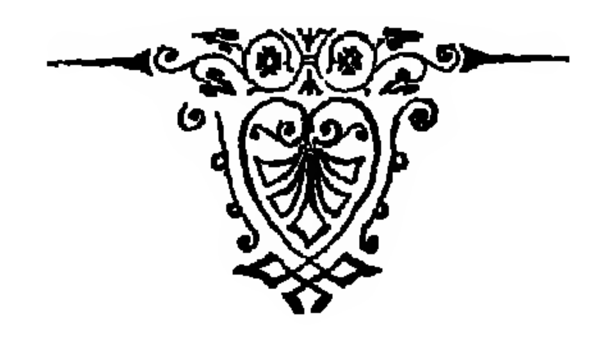
وقد كنا فى أحد أسفارنا منذ نحو ثمانية أعوام * قد اجتمعنا ببعض علماء طرابلس الشام * فتجاذبنا معه أطراف الحديث * وتذاكرنا فى القديم والحديث * فاذا هو في

الفضل آية بينة • غنيت بالعيان عن الشهود والبينة * فلزمنا للطفه معاشرته * واستدمنا في مجاورته محاورته * حتي وقفنا في بعض نوادى التداني • على كتاب الفتح القسى * في الفتح القدسى • لعماد الدين الكاتب الاصفهاني * فاذا فيه المعجب والمطرب * مما يفيد المؤرخ والمتأدب * وقد وصفه مؤلفه بما يغني اذ يقول * « يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول » فادللنا عليه بطلبه علماً برقة طبعه * فأبى على شرط لشر طيه بطبعه * فوعدناه بالوفاء * لاقتران الشرط بالجزاء * ثم لم نتمكن من مباشرة الطبع حالا * لعدم تفرغنا له بالا * حتي دنا الاجل * فحق العمل * هنالك رأينا نسخة قيمة في المكتبة الليدنية * من الممالك الهولنديه * وقد كتبت بعد وفاة المؤلف بأربع سنين وعارضها بأصله بعض المصلحين * فأخذنا في الطبع مقابلين بين النسختين * ومانقله أبوشامة عن العماد فى كتاب الروضتين *

وانما عمدنا فقط الى طبع هذا الكتاب *مع تعدد سواه فيهذا الباب * لاغراض جمه * وأسباب مهمه * منها أن للعماد بين الشرقيين شهرة عمت الآفاق * وكلهم فى فضله على اتفاق * فما من أديب منهم يجهل مقامه * أويحرك لسانه في أدبه بملامه * وهم لم يروا له كتاباً أصلا * وان شئت فقل لم يقرأوا له على التمام فصلا * ونحن نود لهم النفع التام * كما انتفعنا بما آثرناه من اسلافهم الكرام * وان جهل حقيقة الواقع * من لم يتدبر ما جريات الوقائع * ومنها ان العماد قد حضر تلك الملاحم * وهو لصلاح الدين أبداً ملازم * فشاهد اهوالها عياناً * وحدث عنها بياناً * والعيان لاشاهد بعده * خصوصاً من مثل العماد فانه عمده * ومنها ان هذا الكتاب قد اشتمل على حوادث سبعة أعوام * هي أهم ماجرى في تلك الازمنة بلا كلام * لوقوع الحرب فى بعضها بين ملكين كبيرين شهيرين بشدة البأس خطيرين * وهما السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي * صاحب مصر والشام والحجاز واليمن * وريشرد ملك انكلترة الملقب بقلب الاسد عند اهل ذلك الزمن * فقد امتازا بالشجاعة التي لم يصل اليها أحد من القاده * حتى كادت تعد من خوارق العاده * وطالما ضرب بينهما المصاف * ولم ينتصف أحدهما من الآخر كل الانتصاف * ومنها تأدية العهد والوفاء بالوعد * فالمرء أسير لفظه * والحر من راعي وداد لحظه

ونحن نعلم ان مؤرخي العرب في تلك الايام لم ينتبذوا الحق ظهرياً * ولم يأتوا فيما دونوه أمراً فرياً * فيجب علينا التصديق بما قالوا * والميل عما عنه مالوا * ثم لا بأس بعد

ذلك بالتطبيق * رعاية لتمام التحقيق * ومع ذلك فكلنا بتقدم الشرق اذ ذاك مسلم * عالم ان الفضل للمتقدم * فالمرجو من اخواننا الشرقيين ان ينبهوا هممهم * ويوجهوا الى التعاون كلهم * ويساعدونا بما يصل اليه امكانهم * ويقوم به بيانهم جزاهم الله كل خير * ودفع عنهم كل ضير * ما تعاقب الليل والنهار * وابدت حكمها الادوار * آمين



﴿ فهرست كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي على حسب ترتيب المؤلف ﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفة

صحيفة

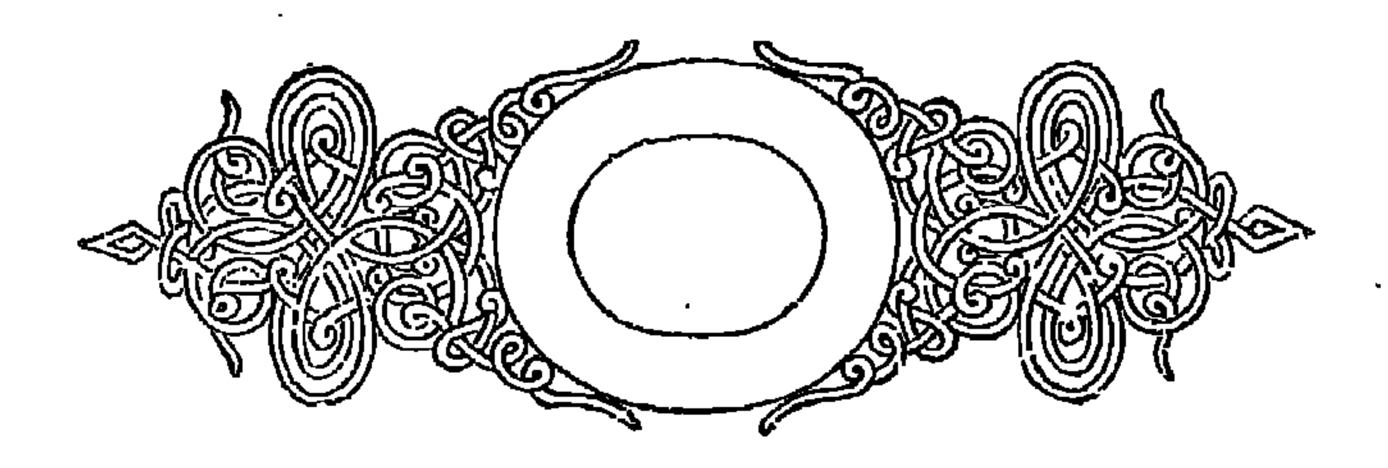
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت



كتاب

الفتح القُسّي في الفتح القدسي

تأليف

الوزير المنشئ البليغ

ابى عبد الله محمّد بن محمّد الشهير

بعماد الدين الكاتب الاصفهانى

طبع على ذمة

مصطفى فهمي الكتبي بجوار الازهر

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)

« لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية »

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد مايبلغ قضاء حقه وإن حقـه العظيم * ومن الرشد ما يكتب سلامة نيّاتنا في الطريق الى كرمه وإنّه لكريم * ونشكر بسرّ القلب وجهر اللسان إحسانيه الينا بانهما حادث وقديم * ولستزيده ونستديه نعمه ولن يخيب على الشكر والرضا مُستزيدومُستديم * ونستعين به على الدهر وقد فعل فاذا وهو الذى بيننا وبينه عداوة كأنه ولى حميم * والحمد لله الذي بدأ بنعمه متطولا * ويمزيده متفضلا * وعلمنا شكر فضله الموفور * وقبل منا عفو خواطرنا المنزور * فلا يكلفنا من الشكر فوق الطاقة * ولا يطلع من النعم الطايمة الا وراءها من المزيد الساقه * وقد وصف المشكورُ منه نفسه بانه شاكر عليم * فرب غافل منا عن الشكر ماغفل عنه فضله العظيم * فلاعدمنا ينتاب متنابه راجياً وداعياً * ومستيقظا وساهيا * وصامتاً ومتقاضياً * لنا منه على كل حال كلّ حال من مواهب ربما عطل عنها * لسان شكرنا وضمير ذكرنا وباتت سارية الينا لاطيفا بل حقيقة على نوم فكرنا * ثم ان الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عيّنا وبليغنا * ومتجرعنا ومسيغنا * فتارة يقبله ضميراً مجمجماً * وتارة يحيط به قولا مترجماً * ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات ضلوعه * ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه بنغمات مسموعه * وكيف لايعلم السر وأخفى من بعينه مسارحه * وكيف لايعلم الغيب من عنده مفاتحه * ونرغب اليه فى ان يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنا لانرضى بعفو استحقاقه من الوصف جهدنا * فنصل اليه صلاتنا ونؤدي اليه ودّنا * ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أدنى * ونشكره على ان فتح علينا الدار التى كانت الى الله طريقه ليلة أسرى به * فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في اقترابه * ما كذب الفؤاد * ولا خاب المراد * ولا صدق المُرّاد * وأين من أخبر عنه انه رآه بالافق الاعلى ممن امتن عليه بانك بالواد * فمن كان في روض القرآن يسرح * فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم نشرح * ونصلى على آله وأصحابه وولاة الحق * وقضاة الحاق * ورتقة الفتق * وغرر السبق * وألسنة الفرق * وفتحة الغرب والشرق *

منه من رد ردة العرب عن اسلامها • ومنهم من استنزل أرجل العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها * وأخمد عبدة نيرانه ان يطعموها حطباً ولو وصلت اليهم لا كلتهم • وأخذ عبدة أوثانه عن ان يقفوا لها سجداً ولو وقفت عليهم لقتلتهم • ومنهم من أنفق في سبيل الله وجهز • ومنهم من قتل اعداء الله فأجهز • ومنهم الاشداء على الكفار • ومنهم الاسداء اذا زاغت الابصار * ومنهم الساجدون الراكعون * ومنهم السابقون ومنهم التابعون * ومنهم نحن أهل الزمن الآخر * وقد سلم علينا سلام الله عليه في ذمنه الحاضر * وسمانا اخواننا * واشتاق الى ان يلقانا * فنحن الآن انما نرد عليه تحيته والبادئ أكرم * وانما نرجو شفاعته بالمودة التي قدمها والفضل الاقدم •

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الغرر المتجلية * وبين المستخبرين الذين يستشرفون الي السير المتحليه * يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول * ويكون حظ المستخبر أن يسمع والاديب ان يقول * فان فيه من الالفاظ ماصار معدنا من معادن الجواهر التى نولدها * ومن غرائب الوقائع ماصار به لساننا من ألسنة العجائب التي نوردها * وانما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلث وثمانين وخمسمائة لان التواريخ معتادها إما ان تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الاولى * وإما مستفتحة بعقب من الدول الاخرى * فلا أمة من الامم ذوات الملل * وذوات الدول * الا ولهم تاريخ يرجعون اليه * ويعولون عليه * ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الايام * وتنصب به معالم الاعلام * ولولا ذلك لانقطعت الوصل • وجهلت الدول • ومات في أيام الأخر ذكر الاول • ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى • وانهم نطف في ظلمات الاصلاب طويلة السرى • وان أعمارهم مبتدأة من العهد الذى تقادم • لآدم • وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم • ذرياتهم • لما أراده من ظهورهم • فليعلم المرء قبل انقضاء عمره • وقبل نزول قبره • ما استبعده أهل الطى من حقيقة النشر • وتقيل فى واحدة من الاطوار شهادة عشر • فقد قطع عمرا بعد عمر • وسار دهراً بعد دهر • وثوى وانشر فى ألف قبر • وانما كان من الظهور في ليل الى ان وصل من العيون الى فجر • ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضله • ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصله • ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها • وجهل ماوراء صعوبة الايام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها • فأرخ بنو

آدم بيومه • وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزع مقام سومه ، ثم أرخ الاولون بالطوفان الذى بلل الارض وأغرقها • ثم بالعام الذي بلبل الالسن وفرقها ، وأرخت الفرس أربعة تواريخ لاربع طبقات من ملوكها أولهم كلشاه ومعني هذا الاسم ملك الطين فاليه ترجع الفرس بأنسابها • وعليه ينسق عقد حسابها • وهي الآن تؤرخ بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذى بزه الاسلام تاج ايوانه • واطفأ نور الله بيت نيرانه ، • وأرخ اليونان من فيلبس أبي الاسكندر والى قلو بطره آخرهم وهؤلاء المسمون بالحنفاء وهم الصابئون ، وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره • وشهرة أثره • وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها • والازياج التي رصدوها ، • وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم • وبعمارة البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وآبائهم • وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمي بقيل • وكانت غسان تؤرخ بعام السد حين أرسل الله عرم السيل • وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه ، وأرخت معد بغلبة جرهم للعماليق واخراجهم عن الحرم ، ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار فنقلوا منها • وافترقوا عنها ، • ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل وهى حرب البسوس ، ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض وهي حرب داحس والغبراء وكانت قبل المبعث بستين سنه * ثم أرخوا بعام الختان قال النابغة الذبياني

فمن يك سائلا عني فاني ... من الفتيان في عام الختان

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام الخانق وعام الذنائب ويوم ذى قار وبحرب الفجار وهي أربع حروب ذكرها المؤرخون * وأسندها الراوون ، وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع وبحلف المطيبين وهو قبل حلف الفضول ، ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ الاسلام * وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الاقلام * وأظهر الله على الاديان الدين القيم * ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم * فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم * وجبت الهجرة ماقبلها جب الانوار للظلم * ودفع الله الناس بعضهم ببعض * واستدار الزمان كهيأته يوم خلق الله السموات والارض * وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من

الاموال والأنفس مايعيده اليهم مضاعفاً من القرض* ووقت هذه الهجرة الوقت الذي أمر به أمر الاسلام*ويومها اليوم الذى ماولدت الليالي مثـله من بنيها الايام * وعامها الخاص بالفضل وكل مابعده يعد من عوام الاعوام

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن أمدها بالقيامة معذوق * وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المـذوق* وهـذه الهجرة هى هجرة الاسلام الى البيت المقدس وقائمها السلطان صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق * وتسفر عن أهلتها دادئ المداد وتنشـق * وهى وان كانت هجرة الاسلام الى القدس ثانيه* فقـد كان اثنى عن وطنـه منها لمـا ثنته يد الكفر ثانيه * وهذه الهجرة أبقى الهجرتين * وهـذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين * فان العرب كانت اذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر* والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر * والعيان يشـهد ان أمنع السورين ماعمر بعد ان ثغر*والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر* فرق يتبـين تبين الخيط الابيض من الخيط الاسـود من الفجر * فان الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد* والوحى ما كاد يتعطل في طريقـه من السماء الى الارض بريد* والعيون التى شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسل سيوفها من أجفانها * والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الفتح منها بعيانها * ورسل عالم الغيب الى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفه * ونجدات السماء الى الارض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردفه * وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم ان الارض زويت له مشارقها ومغاربها * وانه سيبلغ ملك أمته المثوبة المرحومـة ماضمت عليـه جوانبها * والروم حينئذ بغاث ما استنسر * والفرس يومئذ رخم ما استبصر* والحديد ما تنوعت أشكاله الرائعه* ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة * ولا نسجت ثيابه هذه المانعة والبروج لاتعرف الا مشيدة لامجلدة*والمنجنيقات لايتوثب مايتوثب اليوم من خشبهـا المسندة*والاقران لاتتراجم بالنيران المذكاه * والاسوار لاتتناطح بالكباش المشـلاه * وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا * والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون الى المـوقف حفاة غرلا * وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء* وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهـم على لقاء الاعـداء بذلك اللقاء * والشام الآن قد فتح

حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً * وهريق شبابه واستشن أديمه وقد عاد غريباً كما بدأ غريباً * وقد أطلع شرف السنامة وهي للملك المترك * وكثرت معاثره بما نصب الشرك من الشرك * وأخلق الجديدان ثوبه وكان القشيب * وذوى غصنه وكان الرطيب * ونصلت كفه وكانت الخضيب * وطال الامد على القلوب فقست ورانت الفتن على البصائر فطمست * وعرض هذا الادني قد أعمى وأصم حبه * ومتاع هذه الحياة القليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه*والكفار قد خشنت عرائكهم * واتسعت ممالكهم*واستبصروا في الضلال * واستنهضوا للقتال*وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت * ونفروا من وراء البحر يطابون أمامهم من البر ناشية الصوت • وقاتلوا جنداً ورعيه • واستباحوا الانفس متورعين فلا ترى أعجب من أن تري استباحة ورعيه • وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون • وأمدهم في طغيانهم يعمهون • ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح ، واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجهاً الا مزرور الشفاه على القطوب بلا بشر ولا مزح • شقرا كأنما لفحت النار وجوههم وهم فيها كالحون • زرقا كأنما عيونهم من حديد هم فهم بقلوبهم وعيونهم يكالحون • قد نزع الله الرقة من قلوبهم • ونقلها الى غروبهم •وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم . واشتعلت نار جهلهم في فحم ذنوبهم • تستعيذ المردة من مردتهم ويدعي للنار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم . فظاظ غلاظ . جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ . لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة فهم المكني عنهم بوقود جهنم حين قال وقودها الناس والحجارة والا فالحجارة لا تستحق الوقود . الا أن يراد بها القلوب التي هي كالجلمود في الجمود •• ومضت ملوك الاسلام • ومضت أيامهم كالبارق وان لم تخلع الاظلام • وزارت أيامهم الايام خيالا فتنازع الناس طرائف الاحلام • وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين * وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين * اللهم غفراً لكل أجل كتاب وكل يوم هو في شأن ولكل مقدور أجل ولكل ماخلق له تيسير * ولكل ماتقدم الكتاب الموقوت تأخير * والايام تمخض وتمطل بالزبده *والسور تتلى الى أن تأتي بالسجده * والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا

له عده * والعذر على كل لسان لكل قوم مده *

اذا عجزوا قالوا مقادير قدرت   وما العجز الا ما تجر المقادير

وأبى الله من يقبل عذراً صحيحاً*وكفى بلفظة النبوة لوماً صريحاً ، * فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها * وأظهر الآية التي لا أخت لها فنقول هي أكبر من أختها أنفضت الليلة الماطلة الى فجرها * ووصلت الدنيا الحامل الى تمام شهرها * وجاءت بواحدها الذى تضاف اليه الاعداد*ومالكها الذى لهالسماء خيمة والحبك أطناب والارض بساط والجبال أوتاد * والشمس دينار والقطر دراهم والافلاك خدم والنجوم أولاد * صلاح الدنيا والدين ومهما دعونا له فان الله قد سبق اليه كوناً * ورأينا بين منانا وبين كرمه بونا * فهوسبحانه أكرم بالنوال * منا بالسؤال * والكريم بكرم الله مجزي * والساكت عن الدعاءله مكفي * فان قلنا أحسن الله اليه فقد قال(انا لانضيع أجر من أحسن عملا)وان قلناجزاهالله بالاحسان فقد قال(هل جزاء الاحسان الا الاحسان)وان قلنا هداه الله سبيله فقد قال(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)وان قلنا لاضيع الله عمله فقد قال (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل) وان قلنا لاجعل الله لدهر عليه سبيلا فقد قال ماعلى المحسنين من سبيل وان قلنا زاده الله هدى فقد قال (والذين اهتدوا زادهم هدى)

كل مسؤول سائل   في معاليه قد كمل
لايسل فيه سائل   سبق الجود ما سأل
وليصحح تأملا   يجد الله قد فعل

ونعود الى ذكره اعز الله ذكره فجاد الى ان لم يبق مال ولا امل * وجاهد الى ان لم يبق سيف ولاقلل * فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ماهو الا فتحان فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد * فما البلاد التي جمعها فاتحا * بأغرب من البلاد التي فرقها مانحاً * فقد استوعب بأسهاأكثر مما ولدت المعادن جديدا وزاد لانه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها * واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهبا وزاد لانه نقل الى الاعداء ثمن سلع ثم نهبها فوهبها * فكل معادٍ معادًى الا هذا المعاد • وكل مداد يكتب به اسود الاهذا المداد • (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون) أما يرى الناس ماعلى وجه الصدق من قبول القرائح • وما على يدالجود من قبل المدائح •

(الناس أكيس من ان يمدحو ملكا * ولم يروا عنده آثار احسان)

وانا لنرجوا ان نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين آمنوا ان يكونوا معهم • وان نكون قد كتبنا مع المحسنين لانا أحسنا وصف احسان الله الى عباده ولم يقطع بنا ماقطعهم • وانا وان كنا رعاياه لنرى انفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقه • وان القلم في أيدينا ليهتز طرباً لذكره كانه جان وكأن السيف يشنع بانه فروقه • ولسنا نسميه قصيراً وان جدع انفه • ولكنا نركبه كما ركب قصير العصا الى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه * ونقول للقلم اذافاخره السيف ان شانئك هوالابتر * ونريد اذا أوردناه وصف مولانا بانا اعطيناك الكوثر * على ان هذا القلم يلزم الادب لذكره اعلاه الله فينكس رأسه * ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الارض قرطاسه * ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر * وتشييد هذه المآثر * من رجال الطعن والضرب الذين فتحوا بين يديه* واوجبوا الحق عليه * بل حقي من حقوقهم اوجه واوجب * وقلمي من سيوفهم اضرى واضرب * ومن رماحهم اخطى واخطب * ومن سهامهم انجي وانجب * ومن قسيهم اكسى وأكسب * ومن جيادهم أسرى واسرب * ومدادى من نقعهم اغلى واغلب * وقرطاسى من راياتهم اجلى واجلب * وسيوفهم قد أغمدت وجردت منه مالا يغمداولا يعمد * وآثار السيف من الجراح قد رقأ دمها و آثارى من الذكر لاتحمل ولا تخمد *

وما السيف اسوي ضربة من لسانيا

فكل اثر خبَّر به غيري يموت الخبر بموته وينقطع صيت الاثر بانقطاع صوته * والذى اخبر انا به عنه روض يزهو اذا اقلعت الايام سحبا * ونجم يبدو اذا افاض الشفق على فضة النجوم ذهبا • فهو قول يذكر وينسي كل فعل وفاعله • لاقول يؤثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لاياتي في غد الا جاهله فهذه الكتب تهب الاعمار الثانية • وتفاخر الالسنة القائلة بها الايدى الكاتبة البانية • فانظروا الى ايوان كسرى وسينية البحترى في وصفه تجدوا الايوان قد خرَّت شعفاته • وعفرت شرفاته • وتجدوا سينية البحترى قد بقى بهااسم كسرى في ديوانه • أضعاف مابقى شخصه في ايوانه • وانما نراوح بين الاوصاف الغاديه • ونناوب بين السمات السامية • للاشارة الى من ينبه على مسماه • وينوه بسماه • فامامن يقول الله لاسمه أنت من معقبات حمدى • ويقول الدهر لذكره انت الباقي من بعدى فانما يلزم الادب بوصف فضله العظيم • ويرفع قدر القول بفضل وصفه الكريم

ويسر الله هذه الفتوح • وأنزل بها الملائكة والروح • في أيام سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس أحمد ابن الامام المستضيء بالله ابي محمد الحسن ابن الامام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الامام المقتفي لامر الله أبي عبد الله محمد ابن الامام المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن الامام المقتدي بالله عبد الله ابن الذخيرة محمد ابن الامام القائم بامر الله عبد الله ابن الامام القادر بالله ابي العباس احمد بن الامير اسحق ابن الامام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ابن الامام المعتضد بالله ابي العباس احمد ابن الموفق بالله أبي احمد طلحة ابن الامام المتوكل على الله ابي الفضل جعفر ابن الامام المعتصم بالله أبي اسحق محمد ابن الامام الرشيد بالله ابي جعفر هرون ابن الامام المهدى بالله ابي عبد لله محمد ابن الامام المنصور ابي جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين * وهي الايام التي زواهر ايامها ذواه ومضاء مضاربها للقضاء مضاه * فما اجلها فضلا وأفضلها جلالا * واقبلها جدا واجدها قبالا وأقربها ندًى ونوالا * وأبعدها مدًى ومنالا * وما اعلى سني مجدها * وأحلى جنى رفدها * وأفغم ريا رياض فضائلها * وأنعم حيا حياض فواضلها * واسح سماء سماحها امطارا * واصح جناح نجاحها مطارا * والسلطان صلاح الدنيا والدين ابو المظفر يوسف بن أيوب ناصر دعوته * وداعي نصرته * ووليه الطائع * وسيفه القاطع والمحكم بامره * والمؤمن بحكمه * فرأيت ابداء ميامن هذه الايام الغر على الآباد بغرر الآداب * وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد معاليها بهذا الكتاب * واودعته من فوائد الكلام والفرائد الفذ والتؤام درالسحاب ودر السخاب * وسميته الفتح القدسى تنبيها على جلالة قدره * وتنويها بدلالة فخره * وعرضته على القاضي الاجل الفاضل * وهو الذى في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل * فقال لى سمه (الفتح القسى فى الفتح القدسى) فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قس وبلاغته * وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو القدرة فى البيان عن صياغته * ولما كان هذا الفتح فى سنة ثلث وثمانين وخمسمائة بدأت بها * وانشأت رياض بسحبها * وما شهدت الا بما شاهدته وشهدته * وما استمطرت الاعهاد العهد الذى عهدته * وما عنيت الايراد ماعاينته ولا بنيت القاعدة الا على أس ما تبينته فبينته وما توخيت الا الصدق وما انتهيت الا الحق * ولا ذكرت كلمة تسقط * ولا اعتمدت الا مايرضى الله ولا يسخط * وبالله التوفيق والعصمة * وله الحمد ومنه النعمه

دخلت سنة ثلث وثمانين وخمسمائة وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الى الاقطار والبلاد * يستدعي من جميع الجهات جموع الجهاد * وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد * واستحضر الغزو * من الحضر والبدو * وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استجاد الجنود * واستحشاد الحشود * واصحار الاسود * واحضار البيض والسود * مضيء العز ماضي العزم * صائب السهم ثاقب الفهم * ثابت السعود * كابت الحسود * وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج اليد القصري * وأقام علي ارتقاب اقتراب الحجاج * وقد رتب الفرنج من الارصاد افواجاً على تلك الفجاج * لاسيما ابرنس الكرك * فانه كان حريصاً على الدرك * ناصباً شر الشرك نصب الشرك * فلما شم ذلك الذئب رائحة الاسد * عاود دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد * ووصل الحاج في أول صفر وقد قضوا حاجهم * ورضوا منهاجهم * وخرجوا عن فرضهم * ودخلوا الى أرضهم * وفرغ القلب من شغلهم * وخف مالزم من ثقلهم * وانتظر السلطان وصول العسكر المصرى المستدعي * ورعي منه حصول العدد المسترعي * فأبطأ عليه وروده * واختلفت في الاسراع وعوده * فأمر ولده الاكبر الملك الافضل نور الدين عليا * ولم يزل مكانه عنده عليا * ان يقيم على رأس الامراء برأس الماء * وتجتمع العساكر الواصلة منه تحت اللواء * وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه * الى الكرك وضياعه * فاقام عليها يرهق ويزهق * ويحرب * ويحرق * ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتي ألحق الموجود بالمعدوم * وأتي بالقطع على البساتين والكروم * ورعي الزروع وعرى الضروع * واستأصل الاصول والفروع * حتي أقوت من الاقوات * واستمرت الغلة بغلاء سعر الغلات * وحلت آجال الارزاق * وانحلت عرا الارماق * واقفر بلد الشرك * وامتلأ من الكرد والترك * وسار الي الشوبك فأسار به شوبا * وألحفه من عريه ثوبا * واخلاه من زرع ونبات * وفرغه من أقوات وقوات * وأذهب ضياء تلك الضياع * وأزال بقاء تلك البقاع * وجاس الخلال * وداس الغلال * وقشر الثرى وبشره * وحشر الردى ونشره * وسلب قرار القري وسكون مسكونها * وفجع الفرنج بكرمها وزيتونها * فقد عدم ليلها المصباح * وصباحها الاصباح * ووصل عسكر مصر فتلقاه بالقريتين * وفرقه على اعمال القلعتين * وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين * والملك الافضل ولده مقيم برأس الماء * في جمع عظيم من العظماء * وعنده

الجحافل الحافله • والحواصل الواصله والعساكر الكاسره • والقساور القاسره • والبواتر الواتره • والخضرم الضرم • والعرمرم العـرم • واللهـام الملتهم • والجيش الجائش * والترك والاكادش * والجنود والبنود * والاسود السود * والفيالق الموالق * والبيارق البوارق * وبنات الاغماد قد برزن من خدورها حباً لمعانقة العدى * ظامئات الى ورد الوريد وما أحسن حلي تجميع الكفر على عرائس الهـدى * والعزم يستنهضه والعـز يحرضه * والدين يستبطيه * والنصر يستعطي * والقدر يحركه * والظفر يدركه * والكفر قد مات من ذعره * والاسلام قد مت بعذره * وهو ينتظر امرامن أبيه يأتيه بما يأتيه * ويكتب اليه ويقتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه * ولما استمر تأخر الامر استمر التأخير * وقدم في الاقدام التبكير والتكبير * وانتهز الفرصة واحرز الحصـة * وانتخي وانتخب الاجناد الانجاد * وجرد الجرد واستجاد الجياد * وسرى السرية السريه * وأمرهـا بالغارة على الغرة باعمـال طبريه * ومظفر الدين بن زين الدين على كوجك المقـدم المقدام * والهمام الهمام * والاسد الاسد * والارشد الاشدّ * وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي وعلى عسكر حلب دلدرم الياروقي فسـاروا مدججين * وسروا مـدلجين * وصبحوا صفورية وسـاء صباح المنذرين * فخرج اليهـم الفرنج في جمع شـاك * وجمر ذاك * وقنطاريات طائرات * وسابريات سـابغات وللداوى دوى وللاسبتارى هوى * والباروني يقدم على البوار والتركبولي يلقى نفسه على النـار * وقد ثاروا والثـار قدوقد والنجو قد عقد * وقد انصدع زجاج الزجاج * وارتجز عجاج العجاج * وانفض الفضـاء وانقض القضـاء * وكادوا يفلون الجمع ويجمعون الفل * ويحلون العقد ويعقدون ما انحل * فثبت قايمـاز النجمي في صدورهم • واشرع الاسنة الي نحورهم • وروى اللهـاذم من ثامورهم • وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم • ولا يكترث بكثرتهم ويستقلّهم • ولقيهم دلدرم بالوجه الابيض • والعزم الانهض • والجد الاجد • والحد الاحـد • وانجلى الغبـار • وقد عم الفرنج القتل والاسـار • وفجع بقتل مقدمهم الاسبتار • وافلت مقدم الداوية وله حصاص • ووقع الباقون ولم يكن لهـم من الهلاك محـاص • واخلفت رنة السراء انة الاسراء • وكانت هذه النوبة بلا نبوة • والهبّة بلا هَبْوَة • وسكنت القلوب بهذه الحركة • وركنت النفوس الى هذه البركة • وسارت البشري وسرت • ودارت النعمى ودرت • وعد ذلك من اقبال الملك الافضل • وفضل الملك المقبل • وحسنت السنة بالنصر

وأحسنت الالسنة في الشكر • هذاوالعساكر في كل يوم يفدون ويفيدون • وفيما يجدون الطريق اليه من النكاية في العدو يجدون ويجيدون • وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك • فايقنت الآمال بالنجح والدرك • وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل السير بالسرى وخيم بعشترا فغصت بسيول الخيول الوهاد والذرى • واجتمع به ولده • وقر عيناً بشبل العرين اسده وما رأيت عسكراً أبرك منه ولا أكبر • ولا أكرث للكفر ولا أكثر • وكان يوم عرضه مذكراً بيوم العرض • وما شاهده الامن تلا (ولله جنود السموات والارض) • في ألوية كأنما عقدتها حور الجنان بخمرها • وبيارق كأنما حبتها أنف الرياض بزهرها • ويوم كالليل عجاجا * وليل كاليوم ابتلاجا * ومناصل بالمنى صلت * وقساطل بالقسي طلت * وفيلق لهام اللهام يفاق * وقلوب يمانية رقاق في صدور الاغماد تقلق * وطيور سهام من أوتار الحنايا الى أوكار المنايا تمرق * وسوابغ مفاضه * وسوابق مرتاضه * وهضاب راسيات * وهواضب ساريات * ولما تم العرض * حم الفرض * وتعين الجهاد * وتبين الاجتهاد * واضطربت السهول والوعوث * وانبعثت الهمم وهمت البعوث * وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجم * وزخرة اليم الخضم * وبروز التوحيد الى التثليث * وانتهاض الطيب لادحاض الخبيث * نخافوا وخابوا * وهبوا وهابوا * وعرفوا ان حزبهم مخذول * وان غربهم مفلول * وان حدهم مثلوم * وان جندهم مهزوم * وانه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله * وان الايمان كله برز الى الشرك كله * وقد كان بينهم حينئذ خلف منبعث * وحلف منتكث * ووقوع نفار بين الانفار * ووقود شرار بين الشرار * ولما استدنوا حين حينهم * سعوا في اصلاح ذات بينهم * ودخل الملك على القومص * ليتقمص له بالود الاخلص * ورمى عليه بنفسه * واستبدله وحشته بانسه * فاصطحبا بعد ما اصطلحا * وأصحبا بعد ما جمحا * وتزاور الفرنج وتوازروا * وتآمروا ما بينهم وتشاوروا * وقالوا هذا دين متى دنا منه الوها هوى * وعود اذا عاده الاذى ذوي * فالمسيح لنا * والصليب معنا * والمعمودية عمدتنا * والنصرانية نصرتنا * ورماحنا مراحنا • وصحافنا صفاحنا • وفي لوائنا اللأواء • ومع أودائنا الداوية الأدواء • وطوارقنا الطوارق • وبيارقنا البوائق • وسيف الاسبتار بتار • ولقرن البارونى من مقارنته بوار • ومعنا الدلاص والصلاد • والصعاب والصعاد • وفي كل قنطارى قنطار • ولكل سابرى من اسنتنا مسبار • وقد عم بحرنا الساحل •

وشددنا به المعاقد والمعاقل • وهذه الارض تسعنا نيفاً وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنه . وارماحنا الى هذه الغاية من الاسواء اسوار هذه البقاع والامكنة • وسلاطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا الينا ويسالمونا • ويبذلوا لنا القطائع ويقاطعونا • وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادنونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم • فقال القومص وكان محربا مجربا . متدبر متدربا . هذا صلاح الدين لا يقاس باحد من السلاطين لتسلطه • واقدامه على المخاوف وتورطه • وان كسركم مرة فلا يصح لكم الجبر • وليس الا المراوغه والمغاورة والصبر • والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه • ولا نخالفه ونقبل شرائطه • فقال له الملك انت قد قلبتك الآفه • وفي قلبك المخافه • وانت للخور رخو • وللخشية حشو • وانا لابد أن أصدمه وأصده • وأكدمه وأكده • وأرادده حتي أرده • وأقيم صليب الصلبوت فلا يقعد عنه من أهل الاحد أحد • وأمد يد الايد لجمعي فلا تمتد لاهل الجمعة يد فقبل القومص قوله على مضض وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض • ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق • وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق • اشتغلوا بالحشد والحشر والطي والنشر

﴿ ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلاف ﴾

لما هلك الملك أماري بن فلك في آخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة خلف ولداً مجذوما وكان مع الوجود معدوما • قد أعضل داؤه • وأيس شفاؤه • وسقطت أعضاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع أمراضه بأمراسه • ونفخوا في ضرمه • وتسمنوا بورمه • وصحوا بسقمه • ورقوا في سلمه • ورضوا بتقدمه • وأكبروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجذا ملكهم هذا ولا يكترثون بجذامه • ويحمون حماه ان يحم حلول حمامه • وبقي بينهم زهاء عشر سنين بملكا مطاعا • معارا من أشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما أحس بهلاكه • وسكون حراكه • احضر البطرك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التطاول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص يكفله مدة سني صغره • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الآن لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القومص الوصيه • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقصيه . وسكن بطبرية

فان صاحبتها كانت تزوجت به . وطمعت فى قوته وقربه . وهلك الملك المجذوم . وظهر السر المكتوم . وطمع القومص فى الملك استقلالا لعدم موافقة الداوية . وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصيه فكفل بالامر وهو مغلوب وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب ورغب فى مقاربة السلطان صلاح الدنيا والدين ليقوي بجانبه . ويحظي من مواهبه . فاشتد أزره واستدأمره واستقل بنفسه واستولى على جنسه * حتى مات الملك الصغير فانتقل الملك منه الى أمه * وبطل ما كان في عزم القومص برغمه * وانتقل الملك اليها * واجتمع الفرنج عليها * فقالت لهم زوجي اقدر * وهو أحق بالملك واجدر * وأخذت التاج من رأسها فوضعته على رأسه * وعاش رجاءه بعد يأسه * وراش غناه بعد افلاسه * وانتاش إبليسه بعدا بلاسه . وقامت قيامة القومص باجلاسه * وطالبه الملك الجديد بحساب ماتولاه * فما أجاب دعوته ولا لباه * واستنصر عليه بسلطاننا الملك الناصر * وأقام بطبرية في زى المتطاول المتقاصر * وضم اليه من الافرنجية من استرغبه * بما اسماحه من سلطاننا واستوهبه * وحث العزم السلطاني على قصدهم ليرد اليه الملك * ويجد له في نظم أمره السلك * فلما اجتمعت العساكر الاسلامية * وتألفت منها الجزرية والديار بكرية والمصرية والشامية * جاء الملك الى القومص بنفسه وفتح له ماوجده من وحشته وعدمه من أنسه * وقال أصحاب القومص له ان لم تنصره فنحن مانخذل الدين * ولا نكون بأيدينا مسلمين الى المسلمين * وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاه * وزالت المنافرة والمنافاه *

﴿ ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر الى ديار الفرنج ﴾

أصبح بالخيم عارضاً من العسكر لعارض شجاج * وبحر بالعجاج عجاج * وخضم بالصواهل السوابح والمناصل والصفائح ذى أمواج * وقد رتب ابطاله واطلابه * وسحب على وجه الارض سحابه * ونقل به من الثري الى الثريا ترابه * وأطار الى النسر الواقع من الغبار غرابه * وقد فض الفضاء ختام القتام * وشدت للشدائد كتب الكتب على حم الحمام . وحنت ضلوع الحنايا على أجنة السهام . وتكفلت العوجاء بالمتعدلة . وضمت المنفلتة الى المنفتله . ووفت الاوتار بالاوتار . وثار كل طلب لطلب الثار . ووقف السلطان يوم العرض يرتب العسكر ترتيباً . ويبوبه تبويباً . ويعبيه بعيداً وقريباً وقرر لكل أمير أمراً . ولكل مقدام مقاما . ولكل موفق موقفاً . ولكل كمين

مكانا . ولكل قرن قرانا . ولكل جمر مطفئاً . ولكل جمع مكفئاً . ولكل زند موريا . ولكل حد مهيا . ولكل قضيمة حكما . ولكل حنية سهما . ولكل يمين مقضبا . ولكل يمان مقبضا . ولكل ضامر مضمارا . ولكل مغوار مغارا . ولكل رام مرمى . ولكل نام منتمى . ولكل سام مسمى . ولكل اسم مسمى وعين لكل أمير موقفا في الميمنة والميسرة لاينتقل عنه . ولا يغيب جمعه ولا يبرح أحد منه . واخرج الجاليشية الرماة الكماة من كل طلب . ووصى كل حزب بما يقربه من حزب . وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هيأة عساكرنا . وصورة مواردنا ومصادرنا . ومواضع أطلابنا . ومطالع أبطالنا . ومصارع اسنتنا . وشوارع اعنتنا . وميادين جردنا . وبساتين وردنا . ومواقف صروفنا . ومصارف وقوفنا . ومرامى مرامنا . ومجالى مجالنا . وقوى الآمال بما بذله من الاموال . وحقق فى انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال . وجمع العدد . وفرق العدد . ووهب الجياد وأجاد المواهب . ورغب في العطايا واعطى الرغائب . ونثر الخزائن . ونثل الكنائن . وانفق الذخائر . واستنفد كرائمها والاخاير وقسم أحمال النشاب * فتفرق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب * وأجرى الجرد وأجني الاجناد * وأذكى المذاكي وأشهد الاشهاد * وأذال . مناقب المقانب * واستمال معاطف المعاطب * وقوى القواطع * وروى الروائع . وعاد الى المخيم مسروراً محبورا مقبولا مبرورا * موفورا مشكورا * وقد رتب وربت وقنب وكتب وثبت ونبت . قد بر عمله وأبر أمله وفاح نشره ولاح بشره وتأرج رياه وتبلج محياه وأيقن بالظفر وظفر باليقين وأمن الى الدعوة المستدعية للتأمين وتيمن بأوضاح عرابه الميامين وايضاح اعرابه في اقتضاء دين الدين وأنس ببهجة الخيل ولهجة الخير * وسر سره بما سرى له من وجه السير وشد حزم الحزم وجد في العزم الجزم وقدم الاسراج للاسراء وألجم العراب للعراء ورحل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر والتوفيق مسايره والتأييد موازره والتمكين مضافره والسعد مظاهره والجد مكاثره واليمن محاضره والعز مسامره والظفر مجاوره والاسلام شاكره والله عز وجل ناصره وسار على الهيأة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبه والكتائب المكتبة والمراتب المرتبة والمذاهب المهذبة والسلاهب المجنبه والصوائب المجعبه والقواضب المقربه، والثعالب المذربه والاهاذم الهاذمه والصلادم اللازمه والضراغم الضاغمة وخيم على

خسفين وقد أدنى الله الخسف بالعدو وخسوفه وكسف الكفر وكسوفه وباتت والوجوه سافره والعيون في سبيل الله ساهره والايدى لسيوف الأيد شاهره والالسن لانعم الله شاكره والقلوب بالاخلاص عامره والانفس للانس مسامره والاقدام بالاقدار متضافرة متظاهرة ثم أصبح سائراً ونزل على الاردن بثغر الاقحوانة بعزم الصيال وعن الصيانة وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط وبرزت الارض في قشب أثوابها وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من أبوابها ورست سفن المضارب على تلك الاثباج وطمت الاطلاب امواجا على امواج وانعقدت سماء العجاج وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج واعاد الاقحوانة رياضا نضرة وحدائق مزهرة من فرس رد وفارس كالاسد الورد ومشرفيات كطاقات الرياحين ويزنيات كاشجار البساتين ورايات صفر تخفق بعذابات الياسمين وألوية حمر كشقائق النعمان • وموضونة زغف كالغدران * ومصقولة بيض كالخلجان ومريشة زرق كالاطيار ومحنية عوج كالافنان• وبيض تلمع كثغور الاقحوان • وحبب ترائك على بحور الدارعين . وعقبان صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين والفرنج قد صفوا راياتهم بصفوريه ولووا الالوية ومدوا على مدود الضوامر الزواخر قناطر القنطاريات وأوقدوا فى ظلام القتام الثائر سروج السريجيات وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات اليزنيات وأحاطوا حول مراكزهم بدوائرهم وحاطوا بواترهم بواترهم وجمعوا الاوشاب والاوباش ورتبوا الجيش وثبتوا الجاش وحشدوا الفارس والراجل والرامح والنابل ونشروا ذوائب الذوابل وحشروا ابطال الباطل ورفعوا صليب الصلبوت فاجتمع اليه عباد الطاغوت . وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا فى نوادى اقاليم اهل الاقانيم وصلبوا الصليب الاعظم بالتعظيم وما عصاهم من له عصا وخرجوا عن العد والاحصا وكانوا عدد الحصي وصاروا في زهاء خمسين الفاً أو يزيدون ويكيدون ما يكيدون قد توافوا على صعيد ووافوا من قريب وبعيد وهم هناك مقيمون لايرومون حركة ولايريمون والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم ويشرف عليهم ويراميهم وينكى فيهم ويتعرض لهم ليتعرضوا له ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله فربضوا وما نبضوا وقعدوا وما نهضوا فلو برزوا لبرز اليهم القتل في مضاجعهم وعاينوا مقام صارعهم في سوقهم الى مصارعهم وفزعوا مما فيه وقعوا وجبنوا عما له تشجعوا فرأي السلطان ان

يطيب ريه * من طبرية ويشرف على خطها بالخطية والمشرفية * ويحوز حوزتها ويملك مملكتها * لجر على الاردن أردان الردينيات . وأطلع النقع المثار من البحر بحوافي الاعوجيات * واستسهل عاما ولم يستوعر بيات العربيات * فامر عساكره * وامراء جيشه وأكابره . أن يقيموا قبلة لفرنج * ويضيقوا عليهم واسع النهج * فان خرجوا للمصاف بادروا الى الانتقام منهم والانتصاف * وان تحركوا الى بعض الجوانب * وثبوا بهم وثب الاسود بالارانب * وان قصدوا طبرية لصونها وان يكونوا في عونها * عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام

﴿ ذكر فتح طبريه ﴾

ونزل على طبرية في خواصه * وذوي استخلاصه * واحضر الجاندارية والنقابين * والخراسانية * والحجارين * واطاف بسورها * وشرع في هدم معمورها * وصدقها القتال * وما صدف عنها النزال * وكان ذلك يوم الخميس * وهو يؤم الخميس * واخذ النقابون النقب في برج فهدوه وهدموه * وتسلقوا فيه وتسلموه * ودخل الليل وصباح الفتح مسفر * وليل الويل على العدو معتكر * وامتنعت القلعة بمن فيها * من القومصية ست طبرية وبنيها * ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده * سقط في يده * وخرج عن جلده جلده * وسمح للفرنج بسبده ولبده * وقال لهم لاقعود بعد اليوم * ولا بد لنا من وقم القوم * واذا اخذت طبرية اخذت البلاد * وذهبت الطراف والتلاد * وما بقي لي صبر * وما بعد هذا الكسر لي جبر * وكان الملك قد حالفه * فما خالفه * ووافقه . فما نافقه * وماحضه فما ماذقه * ووادده فما رادده * وواعده فما عاوده * ورحل بجمعه * وبصره وسمعه * وثعابينه وشياطينه * وسراحيبه وسراحينه * واتباع غيه * واشياع بغيه * فمادت الارض بحركته * وغامت السماء من غبرته * ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا * وثابوا عن ثباتهم ووثبوا * وعبوا وعبوا * ودبوا حتي يدبوا * وشبوا النار * ولبوا الثار * وقدموا للنزول بالدار البدار * وذلك في يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الآخر فما كذب السلطان الخبر حتي صدق عزمه * عما سبق به حكمه * وسر حين احاط بسيرهم علمه * وقال قد حصل المطلوب * وكمل الخطوب * وجاءنا ما نريد * ولنا بحمد الله الجد الجديد * والحد الحديد *

والبأس الشـديد * والنصر العتيد * واذا صحت كسرتهم * وقتلت واسرت اسرتهـم * فطبرية وجميع الساحل مادونها مانع * ولا عن فتحها وازع * واستخار الله وسار * وعدم القرار * وجاء يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الآخر والفرنج سائرون الى طبرية بقضهم وقضيضهم * وكأنهم على اليفاع فى حضيضهم * وقـد ماجت خضارمهم* وهاجت ضراغمهم * وطارت قشاعمهم * وثارت غماغمهم وسدت الآفاق غمائمهم * وشاقت ضاريها جماجمهـم * وهم كالجبال السائره * وكالبحار الزاخره * أمواجها ملتطمه *وافواجها مزدحمه *وفجاجها محتدمه * واعلاجها مصطلمه * وقد جوى الجو * وضوي الضو * ودوى الدو * والفضاء منقض * والقضاء منقض * والثريا قـد استزار الثرى * وجر ذيل الخيـل قد برى الـبرى * والحوافر الحوافز للارض حوافر * والفوارس اللوابس في البيض سوافر *وذئاب الذياد واجلاد الجلاد قد حملوا كل عده * وكملوا كل عده فرتب السلطان في مقابلتهم اطلابه * وقصر على مقاتلتهم آرابه * وحصل بعسكره قدامهم * ورقب على الحملة إقدامهم * وحجز بينهم و بين الماء * ومنع ذمامهم على الدماء * وحلأهم عن الورد *وصدعهم بالصد * ذاك واليوم قيظ * وللقوم غيظ * وقد وقدت الهاجره * فوقدتها غير هاجره * وشربت ما كان في إداوتها فهى على الظما غير صابره * وحجز الليل بين الفريقـين * وحجرت الخيـل على الطريقين * وبات الاسلام للكفر مقابلا * والتوحيد للتثليث مقاتلا * والهدى للضلال مراقباً * والايمان للشرك محاربا * وهيئت دركات النـيران * وهنئت درجات الجنـان * وانتظر مالك واستبشر رضوان * حتي اذا أسفر الصباح * وسفر الصباح *وفجّر الفجر انهار النهار * ونفّر النفير غراب الغبار * وانتبهت في الجفون الصوارم * والتهبت في الضوامر الضوارم * وتيقظت الاوتار * وتغيظت النار * وسـل الغرار * وسـلب القرار خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال أهل النار * ورنت القسى وغنت الاوتار * ورقصت مران المراد * لجلاء عرائس الجـلاد * وبرزت البيض من مـلائها في الملأ عاريه * ورتعت السمر لكلئها من الكلى راعيه * فرجا الفرنج فرجا * وطلب طالبهم المحرج مخرجا * فكلما خرجوا جرحوا * وبرح بهم حر الحرب فما برحوا * وحمـلوا وهم ظماء * وما لهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء * فشوتهـم نار السهام وأشوتهم * وصممت عليهـم قلوب القسى القاسية وأصمتهم * وأعجزوا وأزعجوا * وأحرجوا وأخرجوا * وكلما حملوا

ردوا وأردوا • وكلما ساروا وشـدوا أسروا وشدوا . وما دبت منهم نمله • ولا ذبت عنهم حمله • واضطرموا واضطربوا • والتهفوا والتهبوا • وناشبهم النشاب فعادت أسودهم قنافذ • وضايقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ • فآووا الى جبل حطين يعصمهم من طوفان الدمار • فأحاطت بحطين بوارق البوار • ورشـقتهم الظبا • وفرشتهم على الربا • ورشقتهم الحنايا • وقشرتهم المنايا • وقرشتهم البلايا • ورقشتهم الرزايا • وصاروا للردى درايا • وللقضايا رمايا • ولمـا أحس القومص بالكسره • حسر عن ذراع الحسره • واقتال من العزيمه • واحتال في الهزيمه • وكان ذلك قبـل اضطراب الجمع واضطرام الجمر • واحتداد الحرب واحتدام الحر • فخرج بطلبه يطلب الخروج • واعوج الى الوادى وما ود ان يعوج • ومضى كومض الـبرق • ووسع خطا خرقه قبـل اتساع الخرق • وافلت في عدة معدوده • ولم يلتفت الى ردة مردوده • وغاب حالة حضور الوغي • ونابه الرعب الذى نوى الهزيمـة به وما ونى • ثم استجرت الحرب • واشتجر الطعن والضرب * وأحيط بالفرنج من حواليهم بما حووا اليهم * ودارت دائرة الدوائر عليهم * وشرعوا فى ضرب خيامهم * وضم نظامهم * فخطوا على حطين مضاربهم * وفلت حدود الرماة الكماة مضاربهم * وأعجلوا عن نصب الخيم ورفعها * وشغلوا عن أصل الحياة وفـرعها * وترجوا خيراً فترجلوا عن الخيل * وتجلدوا وتجالدوا فجرفهم السيف جرف السيل * وأحاط بهم العسكر احاطة النار بأهلها * ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حزامهم الطُبيَين من سهلها * وأسر الشيطان وجنوده * وملك الملك وكنوده * وجلس السلطان لعرض أكابر الاسارى * وهم يتهادون في القيود تهادى السكارى * فقدم بدائه مقدم الدوايه * ومعـه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتاريه * واحضر الملك كى وأخوه جفرى * وأوك صاحب جبيل وهنفرى * والابرنس ارناط صاحب الكرك * وهو أول من وقع في الشرك * وكان السلطان نذر دمه * وقال لاعجلن عند وجـدانه عدمه * فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه * وقرعه على غـدره وذكره بذنبه * وقال له كم تحلف وتحنث * وتعهد وتنكث * وتـبرم الميثاق وتنقض * وتقبل على الوفاق ثم تعـرض * فقال الترجمان عنه أن يقول قـد جرت بذلك عادة الملوك * وما سلكت غـير السنن المسلوك * وكان الملك يلهث ظمياً * ويميل من سكرة الرعب منتشيا * فآنسه السلطان وحاوره * وفثأ سورة الوجل الذى ساوره * وسكن

رعبه * وأمن قلبه * وأتي بمـاء مثـلوج أزال لهثه * وأزاح من العطش ما كرثه * وناوله الابرنس ايخمد أيضاً لهبه * فأخذه من يده وشربه * فقال السلطان للملك لم تأخذ مني في سقيه أذناً * فلايوجب ذلك له مني أمنا * ثم ركب وخلاهما * وبنار الوهل اصـلاهما * ولم ينزل الى ان ضرب سرادقه * وركزت أعلامه وبيارقه * وعادت عن الحومـة الى الحمي فيلقه * فلما دخل سرادقة * استحضر الابرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه * وحين صرع * أمر برأسه فقطع * وجر برجله قدام الملك حين أخرج * فارتاع وانزعج * فعرف السلطان انه خامره الفزع . وساوره الهلع وسامره الجزع * فاستدعاه واستدناه وأمنه وطمنه * ومكنه من قربه وسكنه * وقال له ذاك رداءته أودته * وغـدرته كما تراه غادرته . وقـد هلك بغيّه وبغيه * ونبازند حياته ووردها عن وريه وريّه * وصحت هذه الكسرة وتمت هذه النصرة يوم السبت وضربت ذلة أهل السبت على أهل الاحد * وكانوا اسودا فعادوا من النقد * فمـا أفلت من تلك الآلاف الا آحاد * وما نجامن أولئك الاعداء الا أعداد * وامتلأ الملأ بالاسرى والقتلى * وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذى تجلي * وقيدت الاسارى في الحبال واجبـة القلوب * وفرشت القتلي في الوهاد والجبال واجبة الجنوب * وحطت حطين تلك الجيف عن متنها * وطاب نشر النصر بنتنها * وعـبرت بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى ملقاه * بالعـراء عراه * ممزقة بالمـازق * مفصلة المفاصـل مفرقة المرافق * مفلقة المفارق * محـذوفة الرقاب * مقصوفة الاصلاب * مقطعة الهام * موزعة الاقـدام * مجدوعـة الآناف * منزوعة الاطراف * معضاة الاعضاء * مجـزأة الاجزاء * مفقوءة العيون * مبعوجة البطون * مخضوبة الضفائر * معضوبة المرائر * مبرية البنان * مفرية اللبان * مقصومـة الاضالع * مفصومة الاشاجع * مرضوضـة الصدور * مفضوضة النحور * منصفة الاجساد * مقصفة الاعضاد * مقلصة الشفاه * مخلصة الجباه * قانية الذوائب * دامية الترائب * مشكوكة الاضلع * مفكوكة الاذرع * مكسورة العظام * محسورة اللثام * بائدة الوجوه * بادية المكروه * مبشورة الابشار * معشورة الاعشار * منشورة الشعور * مقشورة الظهور * مهدومة البنيان * مهتومة الاسنان * مهرقة الدماء * مرهقة الدماء * هاوية الذرى * واهية العرى * سائلة الاحداق * مائلة الاعناق * مفتوتة الافلاذ * مبتوتة الانخاذ * مشدوخة الهامات * مسلوخة اللبـات * عديـمة

الارواح . هشيمة الاشباح * كالاحجار بين الاحجار * عبرة لاولي الابصار * وصارت تلك المعركة بالدماء أدماء * وعادت الغبرة حمراء وجرت انهار الدم المنهر * وسفر بتلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر . فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث * وما الهب عذابات العذاب فى تلك الجثث * وما احسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث * وما اجزأ صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث * هذا حساب من قتل فقد حصرت السنة الامم عن حصره وعده * وأما من اسر فلم تكف اطناب الخيم لقيده وشده * ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس * وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس * وهنالك العتاة عناه * والعداة عراه * وذوو الإسرة أسرى واولوا الاثرة عثري * والقوامص قنائص * والفوارس فرائس وغوالي الارواح رخائص * ووجوه الداوية الداوية عوابس * والرؤوس تحت الاخامص * ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والخ اص فكم أصيد صيد * وقائد قيد وقيد * ومشرك مكشر وكافر مفكر * ومثلث منصف * ومكيف مكتف * وجارح مجروح * وقارح مقروح * وملك مملوك * وهاتك مهتوك * ومتبر مبتور * ومحسر محسور * وكاب في الكبول * ومغتال في الغلول * وحر في الرق * ومبطل في يد المحق *

﴿ ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف ﴾

ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت * وأهلك دونه أهل الطاغوت * وهو الذى اذا نصب وأقيم ورفع * سجد له كل نصراني وركع * وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها معبودهم . فهو معبودهم ومسجودهم . وقد غلفوه بالذهب الاحمر . وكللوه بالدر والجوهر . واعدوه ليوم الروع المشهود . ولموسم عيدهم الموعود فاذا أخرجته القسوس . وحملته الرؤوس . تبادروا اليه . وانثالوا عليه ولا يسع لاحدهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف . واخذه أعظم عندهم من اسر الملك وهو أشد مصاب لهم في ذلك المعترك فان الصليب السليب ماله عوض . ولا لهم في سواه غرض . والتأله له عليهم مفترض . فهو الههم وتعفر له جباههم . وتسبح له افواههم . يتغاشون عند احضاره * ويتماشون لابصاره . ويتلاشون لاظهاره . ويتغاضون اذا شاهدوه . ويتواجدون اذا وجدوه . ويبذلون دونه المهج . ويطلبون به الفرج

بل صاغوا على مثاله صلباناً يعبدونها • ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها • فلما أخذ هذا الصليب الاعظم عظم مصابهم * ووهت اصلابهم • وكان الجمع المكسور عظيما • والموقف المنصور كريماً * فكأنهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب • لم يتخلف أحد من يومهم العصيب • فهلكوا قتلا واسراً * وملكوا قهرا وقسرا • ونزل السلطان على صحراء طبرية كالاسد المصحر • والقمر المبدر •

* ذكر فتح حصن طبريه *

وندب الي حصنها من تسلمه أماناً . واسكنه بعد الكفر ايماناً • وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته . ونقلت اليه كل ماملكته وحوته * فأمنها على اصحابها وأموالها * وخرجت بنسائها ورجالها ورحالها * وسارت الي طرابلس بلد زوجها القومص بها لها وحالها . وغادت طبرية اهلة آمنة باهل الايمان • وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي وهو من الاكابر الاعيان * هذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية • وقد طب البريه وعسكره طبق البريه *

* ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم *

فلما اصبح يوم الاثنين سابع عشرى شهر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين * طلب الاسارى من الداوية والاسبتاريه وقال انا أطهر الارض من الجنسين النجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيراً خمسين . فاحضر العسكر في الحال مئين . وامر بضرب اعناقهم • واختار قتلهم على استرقاقهم • وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف • وعدة من ذوي التعفف والتعيف • فسأل كل واحد في قتل واحد • وسل سيفه • وحسر عن ساعد • والسلطان جالس • ووجهه باشر والكفر عابس • والعساكر صفوف • والامراء في السماطين وقوف • فمنهم من فري وبرى وشكر • ومنهم من أبي ونبا وعذر • ومنهم من يضحك منه • وينوب سواه عنه • وشاهدت هناك الضحوك القتال • ورأيت منه القوال الفعال • فكم وعد انجزه • وحمد احرزه • وأجر استدامه بدم اجراه وبر أعنق اليه بعنق براه • ونصل خضبه • لنصر خطبه • وأسل اعتقله • لاسد عقله • وداء داواه لداوى أدواه وقوة أهداها لهداة قواها • ولواء نشره للاواء طواها • وكفر أماته لاسلام احياه • وشرك هدمه لتوحيد بناه • وعزمة مضاها • لامة ارضاها • وعدو قصمه • لولى عصمه • وسير

ملك الفرنج وأخاه وهنفرى وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا السجون * وتستبدل حركاتهم السكون . وتفرقت العساكر بما حوته أيديهم من السبي ايدى سبا * وخمد جمر جمع الكفر وخبا

﴿ ذكر فتح عكاء ﴾

ورحل السلطان ظهر يوم الثلثاء ظاهرا على اهل التثليث مسديلا للطيب متزيلا للخبث . وسار عسكره . وثار عثيره . وظهرت راياته . وبهرت آياته . ونعرت كوساته . وصاحت بوقاته . وجالت خيوله . وسالت سيوله * وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصانه وقلعت قلائع تلك الجبال جياد فرسانه . وحفرت حوافر الصلادم اصلاب الصلاد الصلاب * وفصحت باعراب الحماحم صواهل الجياد العراب . والاسنة مشرعه . والاعنة مسرعه * وبحور السوابح متموجه * وغدران السوابغ مترجرجه * وبوارق البيارق متبوجه * وأوضاح الجرد وغررها كاوضاح النصر وغرره متبلجه * ونزل عشية بأرض لوبية لداعي الفتح ملبيا * ولجيش النصر معبيا * ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا . وبات بها معرساً بانياً على عروس الظفر البكر * جانياً ثمار الاماني من غروس البيض والسمر . وأصبح وقد أصحب جماح الدهر . وصح نجاح الامر . وحص جناح الكفر . واسفر فجر الفرج . وسفر وجه البهج . وسار ساراً سره بارا بأرباب الدين بره . زائرة أسوده . طائرة بنوده . ظاهرة جنوده . زاهرة جدوده . سامية أضواؤه . هامية أنواؤه . رائعة مواكبه . رائقة مراكبه . مجنبة عتاقه . مذربة رقاقه . وكان أمير المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها في موكبه . فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سير للفقير الي نصرته من يبشرى به من يثر به . وهذا الامير عز الدين أبو فليتة القاسم بن المهني الحسيني قد وفد في تلك السنة او ان عود الحاج * وهو ذو شيبة تقد كالسراج . وما برح مع الملك الناصر . مأثور المآثر . ميمون الصحبه . مأمون المحبه . مبارك الطلعه . مشاركا في الوقعه . فما تم فتح في تلك السنين الا بحضوره . ولا أشرق مطلع من النصر الا بنوره . فرأيته ذلك اليوم للسلطان مسايرا . ورأيت السلطان له مشاورا محاورا . وانا أسير معهما . وقد دنوت منهما ليسمعاني وأسمعهما . ولاحت أعلام عكا . وكأن بيارق الفرنج المركوزة عليها ألسنة من الخوف تتشكى . وكأن عذبات النيران تصاعدت لعذاب

أهلها • وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من وعرها وسهلها • فلما قرب منها خيم وراء تلها • وآذنت عروش معاشر الشرك بثلها • وعقود معاقدى الكفر بحلها • وأصبح يوم الخميس وركب في خميسه • ووقف كالاسد في عريسه • فخرج أهل البلد يطلبون الامان • ويبذلون الاذعان • فامنهم وخيرهم بين المقام والانتقال • ووهب لهم عصمة الانفس والاموال • وكان في ظنهم انه يستبيح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونساءهم • وأمهلهم أياما حتى ينتقل من يختار النقله • واغتنموا تلك المهله • وفتح الباب للخاصه • واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوى الخصاصه • فان القوم ماصدقوا من الخوف المزعج • والفرج المحرج • كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم انهم اذا نجوا بأنفسهم انهم يغنمون • فترك معظمهم المدينه • وعندهم انه ما كسب السكينه • الا من ركب السفينه • وذلك ان الجند لما دخلوها • استولوا على الدور ونزلوها • وركز كل منهم بيرقه على دار • وقال صاحبها كيف يصح المقام مع الاسد في غابة ولا مقام على زار • وكان السلطان جعل للفقيه عيسى الهكارى كل مايتعلق بالداوية من منازل وضياع • ومواضع ورباع • فأخذها بما فيها من غلال ومتاع • ووهب عكاء لولده الملك الافضل • فاجراها من نظره على الاحسن الاجمل • ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى فاقمنا بها الجمعه • ووصلنا فريضتها المنقطعه • وأعدنا الكنيسة العظمى مسجدا جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا وحضر القاضى الاجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمنبر • وتبسم بميامنه للاسلام بعد الاظلام سني الصبح المسفر • وخطب جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب السهروردى فانه تولى بها القضاء والخطابه • وملأنا بعد الذئاب بالآساد السادة تلك الغابه • وخلى سكان البلد دورهم • ومخزونهم ومذخورهم • وتركوها لمن أخذها • ونبذوا ماحووه لمن حواها وما نبذها • وافتقر من الفرنج أغنياء • واستغني من أجنادنا فقراء • ولو ذخرت تلك الحواصل وحصلت تلك الذخائر • وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر • لكان عدة ليوم الشدائد • وعمدة لنجح المقاصد • فرتعت في خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروح الاطماع • وطال لمستجليها ومستحليها الامتاع بذلك المتاع • وأقام السلطان بباب عكاء على التل مخيما • وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما • ولمملكتها متمماً • وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر وهو بمصر • بما أتاحه الله من النصر • وقيضه له من افتضاض الفتح

البكر • فوصلت البشرى بوصوله باشرا • وللواء الحمد ناشرا • ولاستفتاح مافي طريقه من الحصون مباشرا • وانه فتح حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوه • واغتنمها غزوة • وتسلمها حظوه • فقصده من عساكرنا القصاد • ووفد اليه من عندنا الوفاد • فحباهم بالحباء من السبايا • وآتاهم المرباع والصفايا • وخصهم من الحاصل بالنقود ووعدهم مما سيحصل بالنسايا • وشرع يستضيف حصناً فحصنا • ويستفيض حسني وحسنا • ويستزيد بلدا • ويستزير مددا • ويستزيل من الكفر يدا • ويستميل الى الهدى هدى • والدين بسيف سيفه منصور والاسلام بنصر ناصره مسرور • والملك العادل مالك بعدله • سالك نهج النجح بفضله • فائز العزيمه • حائز الغنيمه • ماضي الضريبه • قاضي الكتيبه • ميمون النقيبه • مامول الرغبه

﴿ذكر فتح عدة من البلاد﴾

وأقام السلطان بمخيمه • ظافرا بمغنمه ظاهراً بكرمه • شاكرا صرام عرمرمه • ملهبا ضرام مخذمه • مرويا أوام لهذمه • وأمر أمراءه بقصد البلاد المجاوره • وأمدهم بالضراغم المراوغة المغاوره

﴿فتح الناصرة وصفورية﴾

فسار مظفر الدين كوكبورى الى الناصرة فاستباح حماها • واستبى دماها • وحلها واستحلها وازالها وأزلها وخف اليها واستخفها • واستشفها وشفها • وشافهها بشفار البواتر • فشفه منها موارد الذخائر • واجتلى عرائسها • واجتنى مغارسها • وجمع نفائسها ونزع ملابسها • واستدر طبها • واسترد سبها • واستقل منها بما استقل به من كل قانية عانية ورقيقة رقيقة ومصابة مصبيه • ومسبية مصبيه • ومجلوة مجلوبه * وسالبة مسلوبه * ودمية دامية * وجارية لطيفة بالعنف جاريه • وأسيرة من أسره • وحامرة عن حسره * وثاكلة لواحدها • وآكلة لساعدها • وعاضة على يديها * وفاضة ختم الدمع على خديها • وناهدة متنهدة * وفريدة متفرده * وناعمة شقيه * وقينة نقيه * وعذراء مفترعه * وحسناء منتزعه * ومخطوفة مختطفه * وقوية مستضعفه • وعزيزة ذليله • وصحيحة عليله * وساجية عبرى * وصاحية سكرى * وغريرة غراء * وظبية ظمياء * وغضيضة غضه * وفضة منفضه * وخمارة مخمور * وسحارة مسحوره • ومخدرة مهتوكه وموقرة منهوكه * وجاؤا بالاسارى بين يديه مقرنين في الاصفاد * مقودين في الاقياد • مسوقين الى السوق • والحديد منهم في الاعناق والسوق

وصفرت صفرية من سكانها فلم يوجد بها صافر • وكان بها من الذخائر مبالغ وافر •

﴿ فتح قيسارية ﴾

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قايج وجماعة من الامراء الى قيساريه فافتتحوها بالسيف • وسلطوا على الانفس والنفائس بها حاكمي الحتف والحيف • وسبوا • وحبوا وسلبوا • وجلبوا • وجالوا • ونالوا • ووقذوا • وأخذوا • وحتووا وارتووا • وربطوا • وضبطوا واستفادوا • واستقادوا • وفرسوا الفوارس • وكنسوا الكنائس • واستبوا الابكار العرائس • والعون العوانس • وتسلمت بعدها حيفا وارسوف * واستولى على تلك الشموس والاقمار الكسوف والخسوف •

﴿ فتح نابلس ﴾

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس حاميا بحسامه داء الشرك • مالئاً بسهام الفتك جعاب الترك • تالياً آى الفتح • جالياً رأى النجح • ووصل الى سمسطية فتسلمها • وتعجل مغنمها • ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة • وأعادوها بالصور والآلات النفيسة أنيسه • فاستخرج المصونات والمصوغات • واستوعب العدد والآلات • وأعاده مشهداً • ورده مسجداً • ووضع فيه من بره بالاسلام منبراً • وأصبح الدين به مثريا والكفر مقتراً • ثم أناخ على نابلس وناب حده غير ناب • وطرف جده غير كاب • وحد بأسه طرير • وناظر الدولة به قرير • وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون • وأيقنوا انهم ان أقاموا الايأمنون المنون • فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في مواطنهم • فأجفلوا من مساكنهم • وانتقلوا من أماكنهم • وخلوا دورهم وأخلوها • وتسللوا منها وسلوها • وتحول الاقوياء الى قلعتها • وتحصنوا بتلعتها • ونازلها حسام الدين وحاصرها • وطال عليه حصرها وصابرها • ولم يزل عليها مقيما • ولقتالها مديماً • الى أن وثقوا بأمانه • وعلقوا باحسانه • وسلموا وسلموا • واستأمنوا وأمنوا • وخلصت له نابلس وأعمالها • وحليت به أحوالها • ولكون معظم أهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين • لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الاأن يكونوا لحصنهم مسلمين • فامحى بالسعود وسم النحوس • ونزعنا عنها لبوس البوس • واستبشرت وجوه أهلها بعد العبوس • وقام جاه الآذان

وانكسر ناموس الناقوس

﴿ فتح الفولة وغيرها ﴾

وكانت الفولة أحسن قلعة وأحصنها . وأملأها بالرجال والعدد وأشحنها . وهي للداوية حصن حصين . ومكان مكين وركن ركين . ولهم بها منبع منيع . ومربع مريع ومسند مشيد . ومهاد مهيد . وفيها مشتاهم ومصيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم . ومجر ذيولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع اخوانهم . ومشرع شيطانهم . وموضع صلبانهم . ومورد جمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . وأيقنوا بأن الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا وأسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طلول الفوله . بجدود أهلها المفلوله . ودماء داويتها المطلوله . ولم يجتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة . ولم يبق بها الا رعايا رعاع . وغلمان وأتباع . واشياع شماع . فعدموا امكان حماية المكان . ووجدوا أمنهم في الاستئمان . فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان * وكانت فيه أخاير الذخائر * ونفائس الاعلاق . فوثقوا بما أحكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . ودخلوا في الذمام لاجين . وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور واللجون . وبيسان والقيمون . وجميع الطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا والبعنة واسكندرونة ومنوات .

﴿ فتح تبنين ﴾

ولما خلصت تلك الممالك والاعمال . وقلصت من الضلال تلك الظلال . وصفت المسالك * ووفت المدارك * أوعز السلطان الى ابن أخيه الملك المظفر عمر بن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن تبنين * وان يتوكل على الله فيه ويستعين * فالقى عليه جران باسه * والقى بالتذليل حران ناسه * وأخذ في مضايقته بأنفاسه * ولمح مالمع من قبس فتحه فشغف باقتباسه * وسنح له قنصه فاشرأب باقتناصه وافتراسه * وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول اليه بعسكره * والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره * فضرب الكوس * وسمت النفوس * وأنارت في ظلام القتام من الترك والترائك الاقمار والشموس * واشتعلت من شيب البيارق في شعاع تلك البوارق الرؤوس * وتحرك السواد كمهيل النقاء واشتبك على الآساد غيل القناء وسالت

الاودية بالسابحات العتاق * وطالت على السير أعناق الاعناق • ومالت الى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر رقاب الرقاق • وجرت الفجاج • وتموجت الافواج وتفوجت الامواج وتحركت غدران السوابغ * من رياح السوابق * وتدركت ضوامن الضوامر بالارفاد في أرداف الحق اللاحق وأسفر من بريق البيض والبيض فلق الفيالق * وترنمت الصواهل * وترنحت الذوابل وساح الساحل * وراح الراحل * ووصلنا الى تبنين في ثلاث مراحل * فرمينا أهل التثليث فيها بثالثة الاثافي * وأوطأناهم بشفاه الشفار على حدود الاشافي * ونزلنا عليها بالنوازل * وبسطنا من المجانيق عليها أيدي الغوائل * فتبلدوا من الرعب * وتجلدوا على الحرب * ثم خاروا وحاروا * وجأروا وجاروا * ورغبوا ورهبوا * وصحوا من سكر الجماح واصحبوا * وعجزوا فجزعوا * وفزهم الحصر وفزعوا * وشكوا الندوب وندبوا فدانوا ودنوا * وأذعنوا اذعنوا * واعتذروا مما جنوا * وراسلوا السلطان * وسألوا الامان * واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا بأموالهم فامهلوا * وبذلوا رهائن من مقدميهم ووفوا بما بذلوا * واقلع من بالقلعة عن الجهله * وتعلق لبت العلق بالمهله * وتقربوا باطلاق الاسارى المسلمين * وترقبوا انقضاء المهلة لسلامة المسلمين * فخرج المأسورون مسرورين * واصبح الصحب المكسورون مجبورين * محبوين بالفرج بعد الشدة محبورين * ومر بهم السلطان وسربهم * وأقرهم وقربهم * وكساهم وحباهم * وآتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم * وهذا دأبه في كل بلد يفتحه وملك يربحه * أنه يبدأ بالاسارى فيفك قيودها * ويعيد بعد عدمها وجودها * ويحيي بعد اليأس آمالها * ويوسع أرزاقها بعدما أجال عليها ضيق الاسر آجالها * فخلص تلك السنة من الاسر أكثر من عشرين ألف أسير للقيود الف * ووقع في أسرنا من الكفار مائة الف * ولما خلوا القلعه * واخلوا البقعه * سيرهم ومعهم من العسكر المنصور * من أوصلهم الي صور * ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدووى * فأرشد به ذلك الصقع الغوى * فان أعمال جبل عامله مجبولة على الشر * وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا لاهل الكفر * فوصى سنقر بتأنيس النافر * وتعكيس الكافر * وتأليف الجافل * وتعريف الجاهل * وقال له تبني بتبنين ماهدم بالمنجنيق • وتجد لسورها وخندقها كل مايمكن من التوثيق والتعميق • ورحل ومعه رفيق التوفيق • وكان النزول على تبنين يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه •

﴿ فتح صيداء ﴾

يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى يوم النزول عليها
وسنحت له صيداء فتصدى اصيدها • وكانت همته في قيدها • وبادرها اشفاقاً من مكر العداة وكيدها • وسرنا وسرنا مرتاح • ونصرنا متاح • والجد جديد والمزاح مزاح والعزم جزم • والحكم حتم • ونفحات الفتوح لمناشق أهل الهدى تفوح • ونفحات الردى لاعين العدى تلوح • ونص النصر قد تنزل • وقصد الصدق قد تعدل • وفكر الكفر قد توزع • وشرك الشرك قد تقطع وتقلع • وظل الظفر ضاف • وسر السرور غير خاف • والقدر عون والمعين قادر • والنظر سعيد والسعد ناظر • وأوجهنا وأوجه البشائر باشره • ونيوب النوائب في أوجه المشركين كاشره • والالسن لحديث الفتح الحديث ناشره • وقد جفت أجفانها البواتر الواتره • وجلت دياجير النقع من لمعان الحديد السوافر الوافره • واتصلت للمالك من الملائك أمداد النصرة المتواتية المتواتره • ووصلنا في يومين الى صيداء الى منهل فتحها صادين • وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل صادّين • ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ماتوعر • وصفا من الامر ما ظن انه تكدر • فصرفنا الاعنة الى صرفند • وأسمنا في مسارحها الجند • وهي مدينة لطيفة على الساحل • موروده المناهل • ذات بساتين • وأزهار ورياحين • وأشجار النارنج والاترنج • تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج فجسنا خلالها • وكل قلب مشغول خلالها • وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحليه • وقرتنا بما اشتهينا من فواكهها تلك القريه • ولم نعرج عليها حتى خيمنا على صيداء وقد حصلنا على صيدها • وخلصنا من كيدها • وانطلقت هممنا من قيدها • فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها • واذهبنا ظلماتها من العزائم الغر بمصابيحها • وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها • وجلت غياهب تلك المذاهب بنورها • وفتحت أبوابها • وأنجحت آرابها • وعز مسلموها • وذل مشركوها • وسكن ساكنوها • وهلك أهلوها • وعادت معالمها مأهوله • بعد ان كانت مقفرة مجهوله • وصدح منبرها • وصدق مفخرها • وربح متجرها • ووضح منظرها • وأقيمت بها الجمعة والجماعه • واستدعيت بها بعد العصيان لله الطاعه •

﴿ فتح بيروت ﴾

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشري جمادى الاولى وتسلمها يوم
الخميس التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيداء وتبنين . وجمع لهما التحصين والتحسين . قال لعصمة الله شيدى مابصيداء وتبنين تبنين . والحفيهما رداء الحماية فما يضيع ما تحفظين ولا يطرق ماتحمين . ثم صرف عنانه . وارهف سنانه * ورحل على سمت بيروت . مالئاً بعسكره الآكام والمروت . وسار على الساحل . بتلك الجحافل . بحر على البحر مائج . وبحر بجر الى الهياج هائج . ونقد من عقد الجد رائج . وعزم على صدق القصد عائج . ووصل اليها ونزل عليها . وبنيت القباب . وطفا على خضم العسكر من الخيم الحباب . وزحف الى الاعداء الاحباب . وضويق البلد . وفورق الجلد . وأحاط الرجال بأرجائه . ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال في سمائه . وانقضت نجوم السهام من ابراجه . وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أفواجه . وترجل دونه الناس . وتعجل نحوه الباس . واصطفت التراس . واشتد المراس . واحتد القتال . واحتدم النزال . وامتد المصاع والمصال . واتصل خروج الجروح للجروح . ودام احتراق الروح على اقتراح القروح . ومدت الجفاني . كأنها أعناق البخاتي . وأتي العاتي وعتا الآتي . وأحمد النصر الموافي المواتي . ودارت كؤس المنايا للارواح بخذى وهاتي . وطارت القوارير . وثارت المساعير . واشتعل النفط . واشتغل الرهط . والتهم الزراق والتهب الحراق . ومرق الشهم الكمي . مروق السهم من الرمي . وأتي الوادي فطم على القرى . ودبت الدبابة بليوث الرجال . وصبت الصبابة غيوث النبال . وارتجزت رواعد الابطال . وانجزت مواعد الآجال . وجالت في الضمائر ضوامر الاوجال . وهالت بالنوازل نوازي الاهوال . ورعدت بوارق البوار . وأسعدت الاقدار بالاقدار . وشغلت الرقاب . قواضي القواضب . وحملت العددالنوا كب على المناكب . وخفت للاثقال اكتاف الفتاك . وهتكت ستائر السور فوهت أشراك الاشراك . ودام القتال أياماً . يتضاعف اصطلاءً واصطلاماً . ويتظاهر اضطرابا واضطراماً . وبنات الحنايا هائجه . وأمات المنايا ناتجه . ورجمت بشهب النفاطات شياطين الداوية المرده .

وتعادت الاسود العادية • على أولئك القرده • حتى خرق الخندق وطرق . وعلق النقاب بالسور فنقب وعلق • وكاد النقب يتسع • والبرج يقع • والجدار ينقض • والحجار بالحجار تنفض وترفض • وسوار السور ينكسر • وقناع النقع لا ينحسر • خرج من البلد رجال • الى الموت عجل • وقفوا دون الباشورة مباشرين • ولمعاشر أصحابنا بمعاطاة كؤوس المنون معاشرين • فتلاقوا بسلام السلام • وكلام الكلام • وتصافحوا بالصفائح • وتجازوا بالجرائح • وتواصلوا بالقواطع • وتعانقوا بالمقامع • وتصارعوا على المصارع • وتجلدوا وتجالدوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا • والبيض يقد • والبيض تقد • والباسل يرد • والباس يرد • والصقيل الصادى يصدأ بالدم ويروى • وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى • ثم انحصروا في البلد • وانحشروا على اللدد • وضافهم الرعب • وضاق بهم الرحب • وذلوا وخاروا • وضلوا وحاروا • ولما خام المقاتلة وخذلوا • ظن أهل بيروت ان المسلمين دخلوا • فاجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم • اذ ركبوا سفينتهم • ويخلوا مدينتهم • فخرج أحد المقدمين يستدعي الامان • ويستمدي الايمان • ويطلب مثالا يعصمهم • وذماما يحرمهم • وعهداً يسلمون به ويسلمهم • وعقداً في عقد الامن ينظمهم • وكنت يومئذ في مرض قد ازعجني واعجزني • ومضض اخفاني ولعيون العواد ابرزني • وانقطعت عن الحضور عند السلطان • وضعفت عن تحرير كتاب الامان • فطلب السلطان كل كاتب في ديوانه • وكل من يمسك قلماً من أفاضل الملك وأعيانه • فلم يرضه ما كتبوه • ولم يكفه ما رتبوه فجاءني في تلك الحالة من استملاه مني ومرضت اذهان الاصحاء ولم يمرض ذهني • فتسلم بيروت بخطي وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطي . وكان الناس قد أنسوا بما أسطره وأزبره • وأنسوا سوى ما أذكره واحبره • وألفوا الصحة فيه فالفوه • ولقوا السقم في غيره فأنفوه • فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق • بل كله بتوفيق من الله توثيق • فما فتح فتح الا بمفتاحه • ولا رتق فتق الا باصلاحه • ولا جلي ظلام الا باصباحه • ولا ورى زند الا باقتداحه • وكانت يومئذ جمرة الحر متوهجه • ووقدة القيظ متأججه • وضرم مرضى ملتهباً • وروح روحي منتهباً • وبقيت مضطر امضطربا • ولقيت من ذلك الوصب نصباً • وحصلت من الاقامة أو السفر • على الخطر أو الحذر • وتعذر المقام لعذر السقام • واشتغلت عن آلاء شغلي بالآلام • وحملني اختلالي بنصبي • على إخلالي بمنصبي • وعزمت

عليّ مفارقة السلطان · وهو باعزازي على مواصلة الاحسان · فقضيت على مضض · وانصرفت بحضرة ومرض . وحملت الى دمشق في محفه . وحصلت بفضل الله من طيب هوائها بعد الثقل بخفه · فتفضل الله بالشفاء · وبدل الكدر بالصفاء · وعدت الى السلطان يوم فتح القدس · وانتهت الوحشة الى الانس . وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى مطالع الامر . مشاع النصر · مذاع السر في تضوع النشر وتوضح البشر · مستفيض السياده · مستضيف الزياده · ناجح الاراده · راجح المباده · رابح المتجر . واضح المفخر · قد شب غرب الهدى · وجب غارب العدي · واستجدى من من الله منحاً · واستجد باستفتاحه فتحاً · واستفاد ملكاً · واستزاد ملكاً · وبر بيروت اذ برت · وانبرى لبري قوسها فأبرت · وقرر مصالحها ومناجحها فاستقرت · وحفلت له اخلاف الفتوحات فدرت · واستمري صوب الصواب من عزائمه وصرائمه فاستمرت

﴿ فتح جبيل ﴾

يوم الثلاثاء سابع عشرى جمادى الاولى

ووصل كتاب الصفي ابن القابض · وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي الناهض · يتضمن ان أوك صاحب جبيل أسر اليه في أسره * واستشاره في أمره · وقال له ان قنع مني بتسليم جبيل سلمت وسامت · وأبحتها لكم وحرمت · واخرجتها من عصمتي وخرجت واعتصمت · فأنا أطلقها ان أطاقت · وأزيلها من وثاقي اذا وثقت · فأجيب باحترازه من كيده · واحضاره في قيده · فأحضر في صفده وسمح ببلده · فخلص ناجياً وملص راجياً . وملكت مدينة جبيل · وجرت عليها الفتوح الذيل · ونحن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون · ولاعداء الله مصارون مكابرون · وكان معظم اهل صيداء وبيروت وجبيل مسلمين · مساكين لمساكنة الفرنج مستسلمين · فذاقوا العزة بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القله . وصدقت البشائر · وصدحت المنابر · وترنمت المحاريب · وترنحت المطاريب · وتليت الآيات · وجليت الغيابات . وخربت الكنائس · وعمرت المدارس وظهر عيب البيع . وشهر جميع الجمع · وقرئ القرآن · واستشاط الشيطان · وانطفت الاعواد . ومحقت الاعياد . وخرست النواقيس . وبطلت النواميس . ورفع المسلمون

رؤسهم * وعرفوا نفوسهم *وانتعشوا من شكاة عثارهم* وانتقشوا من شوكة عارهم* وقروا في ديارهم * وقروا أبصارا بأنصارهم * وكان كل من استأمن من الكفار * يمضى الى صور محمى الذمار * وصارت صور عش غشهم * ووكر مكرهم * وملجأ طريدهم * ومنجا شريدهم * ومأمن خاشيهم * ومكمن عاشيهم * وهى التي فر القومص اليها يوم كسرتهم * بل يوم حسرتهم *

﴿ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور﴾

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها * وآوى الى طرابلس وثواها * فما متع بما ملك * وكان مما قيل

راح يبغي نجوة   من هلاك فهلك

فما أنجاه الفرار من القضاء * وفر من البلاء الى بلاده فوقع فى البلاء * وظن ان صور خلت * وان مجانيها حلت * وان جماحها أذعن * وان كفاحها أمكن * وان فرصتها انتهزت * وان حصتها أحرزت * وان قيادها أطاع * وان مرتادها استطاع * لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس * كما يتعوض عن الشيطان بابليس * فادرك ذماء الكفر بعد ماأشفى * وأيقظ روع الروع بعد ماأغفى * وضبط صور بمن فيها * من مهزومى الفرنج وبمنفيها * وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر وأغوى شياطينه * واضرى سراحينه * وأخبث ذئابه * وأنجس كلابه * وأنهش صلاله * واخش ضلاله * وأعوى اعوانه * وأخون اخوانه * وأبغى بغاته * وأجفى جفاته * وأرعي حماته * واحمى رماته * وشر شراره * وانكر نكاره * وأفجر فجاره * وأروغ ثعالبه * وألسب عقاربه * وأحنث معاهديه * وانكث معاقديه * وهو الطاغية الداهيه * الذي خلقت له ولأمثاله الهاويه * ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام * ولا خالف مقدمى الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام * واتفق وصوله الى مينا عكاء وهو بفتحها جاهل * وعمن فيها من المسلمين ذاهل * فعزم على ارساء الشيني بالمينا * ثم تعجب وقال مانرى أحدا من أهلها يلتقينا * ورأى زى الناس غير الزى الذى يعرفه * فارتاب وارتاع وحدث عن الدخول توقفه * وبان تندمه * وتأخر تقدمه * وسأل عن الحال فأخبر بها * ففكر في النجاة وكيف يتعلق بسببها * ثم وقف بالقرب * فابث على الرعب *

والهواء راكد * والقضاء عنه راقد * فانه لو خرج اليه مركب لأخذه * ولو وقف له قاصد لوقذه * فاحتال كيف يخرج بسفينته * ولا يدخل مع فقد سكينته * وانتظر هبوب الريح الموافقة له فلم تهب * وما تم له الافلات على ما أحب * فسأل عن البلد ومن اليه أمره * ومن بيده نفعه وضره * فقيل هو الملك الافضل * والملك الاكمل * فقال خذوا لي منه امانا حتى أدخل * وأرفع اليكم ما معي من المتاع وانقل * فجيء اليه بالامان * وقيل هذا بعلامة السلطان * فقال ما اثق الا بخط يده * ولا انزل الا بعهده الى بلده * فما زال يردد الرسل * ويدبر الحيل * حتى وافقته الريح فاقلع * وافلت من الشرك بعد ما وقع * وصار في صور * فزم الامور وام الجمهور * وجرأ الكفر بعد خوره * وبصّر الشيطان بعد عماه وعوره * فاستعلى بالخزى * واستولى بالبغي والبغى * وأرسل رسله الى الجزائر * وذوى الجرائر * يستعدى ويستدعي * ويستودع ملة الصليب عباده ويسترعى * ويستثير . ويستزير . ويستنفر . ويستنصر . وثبت في صور وثبت * وجمع اليه من الفرنج من تشتت * وما فتح بلد بالامان * الا سار أهله في حفظ السلطان * حتى يصيروا في صور * ويأمنوا المحذور * فاجتمع اليها أهل البلاد المفتوحه * بالقلوب المقفلة المغلقة المقروحه * فامتلأت وكانت خاليه * وانتشأت وكانت باليه * وتملت وكانت معتله * وتعقدت وكانت منحله • وتسددت وكانت مختله • ولم يحتفل بها فأخر فتحها • وما ظن بها الضن حتى علم شحها • فاستجدت رمقا بالمهله • وتصعبت بعد مقادتها السهله • فقضى امهالها باهمالها • وعادت عيونها الى الاغفاء باغفالها • وألهى عن طلبها طلب ما هو أشرف • والعزم بفتحه اشغف • وهو البيت المقدس • فان فتحه من كل فتح أنفس • والمركيس في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكمه • ويعقد المؤثقه ويبرمه • ويجمع المفرق وينظمه • وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته • وما فات من فرصة الامكان في دفع آفاته •

﴿ ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها ﴾

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل • ثنى عنانه يجر ويجرى من العسكر والعشير على السماء والارض الذيل والسيل • وعاد عابراً على صيداء وصرفند • وقد أورى فيهما باقتداح

اقتراحه الزند • وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها • غير مكترث بأمرها • ولا متحدث فى حصرها • ولا معتقد في تعقدها • ولا متئد في توردها • وعلم أيضاً انها ممتنعه • وعن سومها مرتفعه • فعمل بالحزم • وعمد الى العزم • ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب • ومزاولتها تتعب • وليس بالساحل بلد منها أحصن • فعطف الاعنة الى ماهو منها أهون • وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداويه • وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبليه • متى تمكن باعانتهما من البلاد البقيه • وعبر والعيون صُوّر الى صور • والمركيس ماشك انه بها محسور محصور • فلما أرخى من وثاقه • واتسع ضيق خناقه • حاق في مطار أوطاره • وحرك لغواته اوتار أوتاره • واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل • واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل • وحل معاقد المعاقل • وسل قواصم القواصل • ونزل على عسقلان • وشديدها قد لان • وقد آتاها الله الخذلان • فتجلد من بها على الحصار • وتحوفت أسودها الخادرة من الاصحار • وتربصوا وتصبروا • وتترسوا وتستروا • وحاصوا وصاحوا • وحانوا وناحوا • وأبلسوا واسبلوا • وأعولوا لما عليه عولوا • وشبوا وشابوا • وخبوا وخابوا • لكنهم استقبلوا الموت واستقتلوا • وتعقدوا على الفتح وما تحللوا • وأحزنوا في الاباء وما أسهلوا • وجهدوا وجهلوا • فأقام السلطان عليها مجانيق مجت نيقها • وفرجت بالحجارة طريقها • ورجت بالتفريق فريقها • ووسعت بالتضييق ضيقها • وأضعفت بالتوثيق وثوقها • وجمعت شمل الحجارة بالنار التي وقودها الناس والحجارة • ولفحتهم نيرانها وتوالت عليهم بعدالشرارة الشراره • وخربت منهم العماره • ووجبت بالجسارة منا لهم الخساره • وتهدمت الصخور بالصخور • ولزم عبث بورهم بالثبور • وجسر النقاب فخسر النقاب • وباشر الباشورة فرفع الحجاب • واشتد القتال • واحتد المصال • وراسلهم عند ذلك الملك المأسور • وقال قد بان عذركم حين نقب السور • وجرت حالات • وتكررت حوالات • وترددت رسالات • وقال لهم الملك الاسير • لا تخالفوا مابه أشير • واطيعوني مااستطعتم • واسمعوا مني اذا سمعتم • واحفظوا رأسي فهو رأس مالكم • وحلية حالكم • ولا تخطروا غيري ببالكم • فاني اذا تخلصت خلصت • واذا استنقذت استنقذت • وخرج مقدمون وشاوروا الملك • ونهجوا في التسليم نهجا سلك • وسلموا عسقلان على خروجهم بأموالهم سالمين • واستوفوا بذلك الميثاق واليمين * وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخره • وتلألأت

السعود في أوجها بالاوجه السافره * وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو أول أمير افتتح بالشهاده * واختتم بالسعاده * وكان السلطان قد أخذ في طريقه اليها الرملة ويبني وبيت لحم والخليل * واقام بها حتى تسلم حصون الداوية غزة والنطرون وبيت جبريل * وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلهم أطلقه • فسلم هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقه * واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان * على عسقلان • بشارة وبشاره * وراية وآيه * وهيأة وهيبه * وثروة وثروه * وهزة وعزه * وعدة وعده * وجدة وجده * وشد وشده * وحد وحده * وضوء وضوغه. ورروعه * ونخوه • وسطوه. وصوت وصيت • ومصاعيب ومصاليت • ومساعير • ومغاوير • ودهم • ودهم. وشهب وكمت وصلاب وصلاد • وانجاب وانجاد. وجلب ولجب. وبيض ويلب. وبيض وسود. وأساود وأسود. وجرد • ومرد • وكهول • وفحول • ورقاق • وعتاق • وقود • وقيدود. واطلاب وابطال • وفوارس ورجال • وخفاف وثقال • وعراب واعاريب • وسراحين وسراحيب. وحد لا يكل • وجد لا يمل • وجمر يتقى • وجمع لا يلتقى • ومعه رماة الاحداق كماة الاتراك • وهداة التوحيد عداة الاشراك • فقرت عينه بولده. واعتضد بعضده • ووضع يده بتأييد الله. في يده • وكان قد استدعى الاساطيل المنصورة فوافت كالفتخ الكواسر. بالفلك المواخر. وجاءت كأنها أمواجا تلاطم امواجا. وافواج تزاحم افواجا. تدب على البحر عقاربها. وتخب كقطع الليل سحائبها. وتجر بالذوابل ذوائبها. وتزاحم مناكب الاطواد مناكبها. والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدامها. وضرغام غابها وهمامها. فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب. ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه * ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه. ويظهر في وقائعه حسن موقعه •

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالباً. وبالعزم غالباً • وللنصر مصاحباً • ولذيل العز ساحباً • قد أصحب ريض مناه • واخصب روض غناه. واصبح رائج الرجاء • أرج الارجاء • سيب العرف • طيب العرف • ظاهر اليد • قاهر الايد • سني عسكره قد فاض

بالفضاء فضاء · وملأ الملأ فأفاض الآلاء · وقد بسط عثير فيلقه ملاءته على الفلق وكانما اعاد العجاج رأد الضحي جنح الغسق . فالارض شاكية من اجحاف الجحافل · والسماء حاظية باقساط القساطل · وسار سارا بالاحوال الحوالي · مروية احاديث قوجه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناججه على ما تنشره الآمال من الامالي · وقد حلت وعلت من مغارس النصر ومطالعه المجاني والمجالى · والاسلام يخطب من القدس عروسا · ويبذل لها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعمى ليحمل عنها بوسى · ويهدى بشرا ليذهب عبوسا · ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لاعدائها على أعدائها . واجابة دعائها · وتلبية ندائها · وإطلاع زهر المصابيح في سمائها . واعادة الايمان الغريب منها الى وطنه . ورده الى سكونه وسكنه · وإقصاء الذين اقصاهم الله بلعنته من الاقصى · وجذب قياد فتحه الذي استعصى . وإسكات الناقوس منه باطلاق الاذان · وكف كف الكفر عنه بايمان الايمان * وتطهيره من انجاس تلك الاجناس · وادناس أدني الناس · واخام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى القدس فطارت قلوب من به رعباً وطاشت · وخفقت افئدتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها ماعاشت · وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الاعظم · ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم . فاشتغل بال باليان · واشتعل بالنيران · وخمدت نار بطر البطرك . وضاقت بالقوم منازلهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك · وقاموا بالتدبير في مقام الادبار · وتقسمت افكار الكفار · وأيس الفرنج من الفرج · واجمعوا على بذل المهج ·

﴿ ذكر كنيسة قمامة ﴾

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس · ونسبك النفوس . ونسفك الدماء · ونهلك الدهماء · ونصبر على اقتراح القروح واجتراح الجروح · ونسمح بالارواح شحاً بمحل الروح · فهذه قمامتنا فيها مقامتنا · ومنها تقوم قيامتنا · وتصيح هامتنا . وتصح ندامتنا · وتسيح علامتنا . وتسح غمامتنا · وبها غرامنا . وعليها غرامتنا · وبا كرامها كرامتنا · وبسلامتها سلامتنا · وباستقامتها استقامتنا · وفي استدامتها استدامتنا · وان تخلينا عنها لزمت لامتنا · ووجبت ملامتنا · ففيها المصلب والمطلب · والمذبح والمقرب · والمجمع والمعبد · والمهبط

والمصمد . والمرقي والمرقب . والمشرب والملعب . والمموه والمذهب . والمطلع والمقطع .
والمربي والمربع . والمرخم والمخرم . والحلال والمحرم . والصور والاشكال . والانظار
والامثال . والآساد والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام
والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في اخبارهم . والرهابين
في صوامعهم . والاقساء في مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخيالها . ومثال
السيدة والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والحوت . والمنعوت والمنحوت . والتلميذ
والمعلم . والمهد والصبي المتكلم . وصورة الكبش والحمار . والجنة والنار .
والنواقيس . والنواميس . قالوا وفيها صلب المسيح . وقرب الذبيح . وتجسد اللاهوت .
وتأله الناسوت * واستقام التركيب * وقام الصليب * ونزل النور * وزل الديجور *
وازدوجت الطبيعة بالاقنوم * وامتزج الموجود بالمعدوم * وعمدت معمودية المعبود *
ومخضت البتول بالمولود * وأضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات * ماضلوا فيه بالشبه
عن نهج الدلالات * وقالوا دون مقبرة ربنا نموت * وعلى خوف فوتها منا نفوت *
وعنها ندافع * وعليها نقارع * وما لنا لانقاتل * وكيف لانتازع ولا ننازل * ولاي معنى
نتركهم حتى يأخذوا * وندعهم حتى يستخلصوا مااستخلصناه منهم ويستنقذوا *
وتأهبوا وتباهوا * وما انتهوا بل تناهوا * ونصبوا المجانيق أمات الاسواء على الاسوار *
وستروا بظلمات الستائر وجوه الانوار * واستشاطت شياطينهم * وسرحت سراحينهم *
وطغت طواغيتهم * وأصلتت مصاليتهم * وانشرت طواميرهم * وتسعرت مساعيرهم * وهاج
هائجهم . وماج مائجهم * ودعت دواعيهم * وعدت عواديهم * وسعت افاعيهم * وحضتهم
قسوسهم * وحرضتهم رؤوسهم * وحركتهم نفوسهم * وجاءتهم بجوي السوء جواسيسهم
واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية منصورة الجنود * منشورة البنود * موصولة القواطع
بالاشاجع مهجورة الغمود * مشهورة القواضب * مشهودة الكتائب * مقودة الضوامر
الى نار العدى * موقدة الضمائر بنار الهدى * مشبوبة المزائم * مجنوبة الصلادم *
مسلولة الظبا * مطلولة الربا * مجنونة أجنة اغمادها * مسنونة أسنة صعادها * مطلقة
أعنة جيادها * محققة مظنة طرادها * قد سالت الوهاد بأكامها * وجالت الاعلام في
أعلامها * وسدت الفجاج افواجها * ومدت العجاج امواجها * وحجبت الغزالة
عقبانها * والهبت الذبالة خرصانها * وجرت بالجبال رياحها * وجرت كالجبال رماحها

واشتمل على الضراغم غيلها * واقبل بالمظائم قبيلها * ووافي كل واف بعهد ربه * كاف الكف خطبه * شاف لهم قلبه * ضاف بفيض شربه * خاف في لبوسه * ناف لبوسه * باسل بباسه * عاسل بأمراسه * ناسل بنت الغمد من جفنه * غاسل نبت الحد بدم قرنه * واصل بيض الهند بسواعده * فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعده حاد بجده * جاد بجسده • وكل شاب لنار الحرب شاب • ورب دين لدين الرب راب • وكل جيش كالبحر عبّاب • وكل سال ذي ذباب عن الهدى ذاب . وكل قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال * سائل من الله الشهادة عن حب البقاء سال * مائل في سبيل الله الي انفاق مال • واقبل السلطان باقبال سلطانه • وابطال شجعانه * واقبال أولاده واخوانه * وأشبال ممالكه وغلمانه • وكرام امرائه * وعظام اوليائه • في مقانب بالمناقب مقنبه • وكتائب بالمواكب مكتبه • وذوابل بالكواكب منصله * وجحافل بعضاء المضارب محفله * وألوية صفر للاواء بني الاصفر * وبيض وسمر ترزق زرق العدى من الموت الاحمر * وقبائل * وقنا وقنابل * وصوافن وصواهل * وعوامل وعواسل * وفوارس فوارس * وكل من يبذل للشح بدينه النفوس والنفائس * وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه الادنى وفريقه الاسنى * ويذكر مافتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى •

﴿ وصف البيت المقدس ﴾

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا * وأي يدله عندنا اذا أيدنا * فانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين سنه * لم يتقبل الله فيه من عابد حسنه * ودامت همم الملوك دونه متوسنه * وخلت القرون عنه متخليه * وحلت الفرج به متوليه * فما ادّخر الله فضيلة فتحه الا لآل ايوب . ليجمع لهم بالقبول القلوب وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار * ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الامصار * وكيف لايهتم بافتتاح البيت المقدس الاقوى * والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى * وهو مقام الانبياء * وموقف الاولياء * ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الارض وملائكة السماء * ومنه المحشر والمنشر * ويتوافد اليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر • وفيه الصخرة التي صينت جدة ابهاجها من الانهاج * ومنها منهاج المعراج * ولها القبة الشماء التي على رأسها كالتاج * وفيه ومض البارق ومضي البراق

وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق * ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الي الجنة بالدخول الخلود * وفيه كرسي سليمان ومحراب داود * وله عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود • وهوأول القبلتين • وثاني البيتين • وثالث الحرمين وهو أحد المساجد الثلثة التي جاء في الخبر النبوى انها تشد اليها الرحال • ويعقد الرجاء بها الرجال • ولعل الله يعيده بنا الى أحسن صوره • كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في أول سوره • وقال عز من قائل سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى • وله فضائل ومناقب لاتحصى * واليه ومنه كان الاسراء * ولارضه فتحت السماء * وعنه تؤثر أنباء الانبياء وآلاء الاولياء * ومشاهد الشهداء * وكرامات الكرماء * وعلامات العلماء * وفيه مبارك المبار * ومسارح المسار * وصخرته الطولي * القبلة الاولى * ومنها تعالت القدم النبوية * وتوالت البركة العلويه * وعندها صلي نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبيين * وصحب الروح الامين * وصعدمنها الى اعلى عليين * وفيه محراب مريم عليها السلام الذى قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا * ولنهاره التعبد ولليله المحيا • وهو الذى أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان * ولاجل اجلاله انزل الله سبحان * وهو الذى افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة من الفرقان • فما أجله وأعظمه • وأشرفه وأفخمه • وأعلاه واجلاه • واسماه واسناه • وأيمن بركاته وأبرك ميامنه • واحسن حالاته واحلى محاسنه • وأزين مباهجه وأبهج مزاينه • وقد أظهر الله طوله وطوله • بقوله الذى باركنا حوله • وكم فيه من الآيات التي أراها الله نبيه • وجعل مسموعنا من فضائله مرئيه • ووصف السلطان من خصائصه ومزاياه • ما وثق على استعادة آلائه مواثيقه والاياه • وأقسم لايبرح حتى يبر قسمه • ويرفع بأعلاه علمه • ويخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه * ويصغى الى صرخة الصخرة * ويبغي بالبشرى بشر أسرة الاسره • وسار واثقاً بكمال النصرة وزوال العسره • وحسر الفرنج قناع الحسره • ونزل على غربي القدس يوم الاحد خامس عشر رجب • وقلب الكفر قدوجب • وحزب الشرك قد شارف الشجي والشجب • والقدر قد أظهر العجب • وكان في القدس حينئذ من الفرنج ستون ألف مقاتلٍ * من سائف ونابل * وبطل للباطل * وعاس عاسل بالعاسل • قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون * ويماجزون ويناجزون • ويرمون ويدمون * ويحمون

ويحمون • ويحتدون ويحتـدمون * ويضطربون ويضطرمون * ويذودون ويذبون *
ويشبون ويسبون• ويصرخون ويحرضون * ويلهثون ويتغوثون * ويلوذون ويلوبون
ويجولون ويجوبون • ويقدمون ويحجمون• ويتململون ويألمون*ويتماوون•ويتضاعون
* ويحترقون للبلايا • ويقترحون المنايا * وقاتلوا أشدقتال* وناضلوا أحد نضال• ونازلوا
أجد نزال • وطافوا بصحاف الصفاح * لارواء الظبا الظماء من ماء الارواح * وجالوا
بالأوجال • وأجالوا قداح الآجال • وصالوا لقطع الاوصال * والتهمـوا * والتهبوا •
وتأشبوا ونشبوا * واستهدفوا للسهام * واستوقفوا للحمام * وقالوا كل واحـد منـا
بمشرين * وكل عشرة بمئين * ودون القمامة تقوم القيامة * ولحب سلامتها تقلى السلامة
ودامت الحرب • واستمر الطعن والضرب * فانتقل السلطان يوم الجمعـة العشرين من
رجب الى الجانب الشمالي وخيم هنالك • وضيق على الفرنج المسالك * ووسع عليهم المهالك
ونصب المجانيق * ومري من آفاتها الافاويق • وأصرخ الصخرة بالصخور • وحشر
حشر السوء منهم وراء السور • فما عادوا يخرجون من السور الرؤوس • الا ويلقون
البوس • واليوم العبوس * ويلقون على الردى النفوس • فللداوية دوي • والبارونيـة
من البوار في الهاوية هوي • وللاسبتار تبار * وما للفررية من الموت فرار * وما بين
الحجار المحلقة وبين المرمي اليهم حجاب • وفي كل قلب من الفئتين من نار حرصه التهاب •
اذ الوجوه لقبل النصال مكشوفه • والقلوب للوجد بالقتال ملهوفه * والايدى على قوائم
السيوف المفتوحة مضمومة * والنفوس لاستبطاء الهمم في الاهتمام مهمومه • وقواعـد
السور ونواجذ شرار يفه بالاحجار الخارجة من الكفات مهدومـة مهتومـة • فكأن
المجانيق مجانين يرامون • ومناجيد لا يرامون • وجبال تجذبها حبال • ورجال تجـدها
رجال • وأمات الدواهي والمنايا • وحوامل تلد البلايا * لاحجر عليها في حجر • ولا أمن
عندها من حذر • ولا تخطر سهامها الا بالخطر • ولا خطر مرورها الا مرارات ذوي
الفطر • فكم نجم من سمائها ينقض • وصخر من أرضها يرفض * وجمر من شرارها
ينفض * وماشي كآفات كفاتها * وآيات نكاياتها • ودركات ادراكاتها * ولفتات فلتاتها
وجذبات عذباتها • فما زالت تقلع بمقالعها • وتقرع بمقارعها وتمتح بأشطانها * وتمرح
في أرسانها • وتصدم • وتهدم • وتصرع • وتصدع • وتهز بدلائها * وتجهز ببـلائها *
وتحل تركيب الجلاميد بأفراد جلاميدها . وتفل شمل المباني بتفريقها وتبديدها • وتقوض

القواعد بضربها من أساسها . وتنقض المعاقد بجذبها في أمراسها • وتشفه الموارد بشربها من كأسها * حتى تركت السور سورا * وجعلت الذاب عنه محسورا • وعاد العدو من نظمه المبثور متبورا * وخرق الخندق وحفر الزحف • وظهر للاسلام الفتح وللكفر الحتف * وأخذ النقب • وسهل الصعب * وبذل المجهود * وحصل المقصود * وكل المراد * وكلم المراد • وثغر الثغر • وأمر الامر • وأربى الارب * واستتب السبب وخاف القوم الوقم • واستعاضوا من الصحة السقم • وأسلم البلد وقطع زنار خندقه * وبرزابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الامان لقومه • وتمنع السلطان وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان • وما هو الا أن نديم لكم الهوان • وغدا نملككم قسرا * ونوسعكم قتلا وأسرا • ونسفك من الرجال الدماء • ونسلط على الذرية والنساء السباء * وأبى في تأمينهم الا الاباء * فتعرضوا للتضرع •وتخوفوا وخوفوا عاقبة التسرع وقالوا اذا آيسنا من أمانكم • وخفنا من سلطانكم • وخبنا من احسانكم • وأيقنا أنه لانجاة ولا نجاح • ولا صلح ولا صلاح • ولا سلم ولا سلامه • ولا نعمة ولا كرامة • فانا نستقتل فنقاتل قتال الدم • ونقابل الوجود بالعدم • ونقدم إقدام المستشرى بالشر • ونقتحم اقتحام المستضري من الضر • ونلقى أنفسنا على النار • ولا نلقي بأيدينا الى التهلكة والعار • ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشره • ولا تضمنا يد الفتك حتى ترى أيدينا بالفتك منتشرة • وانا نحرق الدور ونخرب القبه • ونترك عليكم في سبينا السبه • ونقلع الصخرة • ونوجدكم عليها الحسرة • ونقتل كل من عندنا من أسارى المسلمين وهم ألوف • وقد عرف ان كلا منا من الذل عزوف وللعز ألوف * وأما الاموال فانا نعطيها ولا نعطيها • وأما الدرارى فانا نسارع الى اعدامها ولا نستبطيها • فأية فائدة لكم في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا الربح • ورب خيبة جاءت من رجاء النجح • ولا يصلح السوء سوي الصلح • ورب مدلج أضله ظلام الليل قبل أسفار الصبح فعقد السلطان محضراً للمشوره • وأحضر كبراء عسا كره المنصوره • وشاورهم في الامر • وحاورهم في السر والجهر • واستطلع خبايا ضمائرهم • واستكشف خفايا سرائرهم • واستورى زندهم * واستعلم ما عندهم * وراوضهم على المصلحة المترجحة • وفاوضهم في المصالحة المربحة * وقال ان الفرصة قد أمكنت فنحرص في انتهازها * وان الحصة قد حصلت ونستخير الله في احرازها * وان فاتت لا نستدرك * وان افلتت لا تملك * فقالوا قد

خصك الله بالسعادة * واخلصك لهذه العبادة • ورأيك راشد * وعزمك لضالة النصر ناشد * وأمرك لاشتات المناجح وأسباب المناجح حاشد * وكنا لك في اغتنام فتح هـذا الموضع الشريف مناشد * واستقر بعد مراودات ومعاودات • ومفاوضات وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات * على قطيعة تكمل بها الغبطة * وتحصل منها الحوطه * اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهـم * على انه من عجز بعد أربعين يوما عما لزمه * أو امتنع منه وما سلمه * ضرب عليه الرق * وثبت في تملكه لنا الحق * وهو عن كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسةوكل صغير أوصغيرة ديناران * ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والاسبتار في الضمان * وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء * وقام بالاداء ولم ينكل عن الوفاء * فمن سلم خرج من بيته آمناً*ولم يعد اليه ساكناً * وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة * وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة * وكان فيـه أكثر من مائه ألف انسان • من رجال ونساء وصبيان * فأغلقت دونهم الابواب * ورتب لعرضهم واستخراج مايلزمهم النواب *ووكل بكل باب امير *ومقدم كبير * يحصر الخارجين ويحصي الوالجين فمن استخرج منه خرج * ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج * ولو حفظ هذا المال حق حفظه * لفاز منه بيت المال باوفر حظه * لـكنما تم التفريط * وعم التخليط * فكل من رشا مشى وتنكب الامناء نهج الرشد بالرشا * فمنهم من أدلي من السور بالحبال * ومنهم من حمل مخفياً في الرحال * ومنهم من غيرت لبسته فخرج بزي الجند * ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد * وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة * في عبادة الصليب متصلبة * وعلى مصابها به متلهبة * وفي التمسك بملتهـا متعصبة متعصبة * انفاسها متصاعدة للحزن * وعبراتها متحدرةتحدر القطرات من المزن ولها حال ومال رأشياء وأشياع ومتاع وأتباع * فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج • واذن في اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج • فراحت فرحى • وان كانت من شجنها قرحى • وكانت زوجة الملك المأسور ابنـة الملك اماري • مقيمة في جوار القدس مع ما لها من الخـدم والخول والجواري • فخلصت هي بمن معها ومن تبعها • ومن ادعي انه ممن صحبهـا وشيعها • وكذلك الابرلساسـة ابنة فليب أم هنفري أعفيت من الوزن • وتوفر مالها عليها في الخزن • واستطاق صاحب البيرة زهاء خمسمائة

ارمني ذكر انهم من بلده • وان الواصل منهم الى القدس لاجل متعبده • وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء الف ارمني ادعي انهم من الرها • فاجراه السلطان من اطلاقهم له على ما اشتهى * وكان السلطان قد رتب عدة دوارين • في كل ديوان منها عدة من النواب من المصريين ومنهم من الشاميين • فمن أخذ من أحد الداواوين خطاً بالاداء انطلق مع الطلقاء • بعد عرض خط• على من بالباب من الامناء والوكلاء • فذكر لي من لا اشك في مقاله • انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله • فربما كتبوا خطاً لمن نقده في كيسهم • ويلبس امر تلبيسهم • فكانوا شركاء بيت المال لا امناءه • وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناه • ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة الف دينار • وبقى من بقي تحت رق واسار • ينتظر به انقضاء المدة المضروبه • والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبه •

﴿ ذكر يوم الفتح وهو سابع عشرى رجب ﴾

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه المعراج • وتم بها وضح من منهاج النصر الابتهاج * وزاد من الالسنة بالدعاء والابتهال الالتهاج * وجلس السلطان للهناء * للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء * وهو جالس على هيأة التواضع وهيبه الوقار * بين الفقهاء وأهل العلم جلساته الابرار * ووجهه بنور البشر سافر * وأمله بعز النجح ظافر * وبابه مفتوح ورفده ممنوح * وحجابه مرفوع وخطابه مسموع * ونشاطه مقبل * وبساطه مقبل * ومحياه يلوح * ورياه يفوح * ومحبته تروق ومهابته تروع * وآفاقه تضئ وأخلاقه تضوع * ويده لفيض أمواه السخاء * وفض أفواه العطاء * ظاهرها قبلة القبل * وباطنها كعبة الامل * قد حلت له حالة الظافر * وكان دسته به هالة القمر * والقراء جلوس يقرأون ويرشدون * والشعراء وقوف ينشدون وينشدون * والاعلام تبرز لتنشر * والاقلام تزبر لتبشر • والعيون من فرط المسرة تدمع * والقلوب للفرح بالنصرة تخشع * والالسنة بالابتهال الى الله تضرع * والكاتب ينشي ويوشي ويوشع * والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع * فما شبهت قلمي الا بشار أري البشار * ولا وجهت كلمي الا لطائف وجي اللطائف • وما ارسلت يراعي الا ليراعى الرسائل • ويشيع الفواضل • ويشبع القول * ويسبغ الطول

ويطول بالحجة وان كان في حجمه قصر * ويصول باللهجة وان كان في هجمه حصر ويسمي الملك به وهو نحيف * ويثقل الجيش به وهو خفيف * ويبدي بياض الغرة من سواد الدهمه · ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمه · ويجري بالآجال والارزاق * والمنع والاطلاق * والخلف والوفاق * والارقاق والاعتاق * والعدة والانجاز * والجدة والاعواز والفتق والرتق * والرقع والخرق * وهو الذي يجمع الجيوش * ويرفع العروش * ويوحش المستأنس ويؤنس المستوحش * وينعش العاثر ويعثر المتنعش * يجري بالاعداء على الاعداء وبالآلاء للاولياء * فبشرت باقلامي اقاليم البشر * وعبرت باعاجيبي عن عجائب العبر * وملأت البروج بالدراري والدروج بالدرر * ورويت تلك البشري حتى أطابت ريا الري وسمر سمرقند * وأطربت وحلت حتى فاقت القنديد والقند * وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت * وشرحت فضيلتها وبينت * وأديت فريضة زيارتها وتعينت

﴿ ذكر حالي في العود الى الخدمة ﴾

وكنت قد انقطعت من الصحبه * لما عرض لي في المرض من النوبه * فأقمت بدمشق اداوي مزاجي * وأداري منهاجي * وأعالج تدبيري وأدبر علاجي * الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس * فوجدت خفة في النفس * وأنست بابلالي بعض الانس * وأمنت لوثوقي بالصحة والاستقامة من النكس * فأوجهت الى تلك الجهة * وسرت بطاعة النفس المتنزهة * وعصيان الطبيعة المتكرهة * واخترت تعب السفر على راحة الاقامة * ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة * ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح · بالسعد واليمن والنجح · فوصلني السلطان عند وصولي بأجلى بشاشة وأحلى هشاشه · وسرى عنه وسر · وأبر وبر · وقال أين كنت ولم أبطأت · وحيث أصبت في المجئ فما أخطأت · وقد كنا في انتظارك · والسؤال عن اخبارك · وهذا اوان احسانك · فأين احسان أوانك · فأجر بنانك بجراة بيانك · وأجر في ميدانك · وما للبشائر الا واصفها · وللفرائد الا راصفها · وللفصاحة الا قسها · وللحصافة الا قيسها · وكان قد جمع أمس كتاب دواوينه على انشاء كتب ما ارتضاها · واقتضاب معان ما اقتضاها · وكانوا سألوه في كتاب الديوان العزيز فقال هذا من هو اقوم به وعناني فلما رآني ناداني واستدناني فصرفت الى امتثال أمره عناني · وسلم الى الكتب التي

كتبوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال

غيرها . ولا تسيرها . وغرضه انى أعدل معوجها . وأبدل مثبجها . وأفترع المعنى البكر للفتح البكر . وأوشح ذكر آيانه بآيات الذكر . فاستجديتها فما استجدتها . واستلمحتها فما استملحتها . وشممها وبها سهك . وكشفتها وسترها هتك . وكانوا قد تعاونوا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في اقتضاض الابكار . واقتضاء الافكار . واقتراح القريحة . واقتراء رحاب الكلم الفصيحة الفسيحة . وافتتحت في بشرى الفتح بكتاب الديوان العزيز . وأوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز * ووشحت ووشعت * وشعبت وأشبعت . وأطلت وأطبت . وصبت وأصبت . وأعجزت وأعجبت . وأطربت وأطربت . وأبعدت وأبدعت ورصعت وصرعت . وطابقت وجانست . ووافقت وآنست . وبينت فضل عصر الامام الناصر على الاعصار السابقة . بالابصار الصادقه . وان هذا الفتح ادخره الله لزمانه ومكن منه لمكانه وسلط عليه بسلطانه وحسنه لنا باحسانه فقد عبرت القرون الماضية على حسرته وظفر وهو وأشياعه بنصرته وما حصل لنا الا ببركة أيامه وحركة اعتزامه وذكرت من هذا كل ماراق وشاق ونور الآفاق وان هذه الفتوح تفوح بأرج نشره وتحي بحيا بره فما أيمن أيامنا بأيامه . وما أسعد آمالنا بانعامه وكتبت الى كل ذى طرف بمعنى طريف ولفظ فصيح حصيف وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلى . وحليت المعالى وقرحت المعادي وفرحت الموالى وسارت شواردى الى المشرق والمغرب . معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر المذهب وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت شرع لكم من الدين ماوصى وهنأت الحجر الاسود بالصخرة البيضاء ومنزل الوحي بمحل الاسراء ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء ومقام ابراهيم بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم أجمعين. وأدام أهل الاسلام بشرف بيتيه مستمتعين وتسامع الناس بهذا النصر الكريم والفتح العظيم فوفدوا لزيارة من كل فج عميق وسلكوا اليه في كل طريق وأحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق

﴿ ذكر ماجرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس ﴾

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعه وباعوا بالمجان في

سوق الهوان • وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بأرخص الأثمان • وباعوا بأقل من دينار كل مايساوي اكثر من عشرة • وجدوا في ضم ماوجدوا من أمور لهم منتشره • وكنسوا كنائسهم • وأخذوا منها نفائسهم • ونقلوا منها الذهبيات والفضيات • من الاواني والقناديل والحريريات والمذهبات • من الستور والمناديل • ونقضوا من الكنائس الكنائن • واستخرجوا من الخزائن الدفائن • وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر • من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين • وجمع ما كان في قمامة من الجنسين والنسجين • فقلت للسلطان هذه اموال وافره • وأحوال ظاهرة • تبلغ مائتي ألف دينار • والامان على أموالهم لا أموال الكنائس والأديار • فلاتتركها في أيدى هؤلاء الفجار فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولانتركهم يرمون أهل الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان فتركوا ماثقل وحملوا ما عز وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانتقل معظمهم الى صور • وكتفوا بالديجور الديجور وبقي منهم زهاء خمسة عشر ألفا امتنعوا من مشروع الحق فاختصوا بشروط الرق فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فانهم الفوا ذلا لم يكونوا له بالآف • فاقتسمتهم أيدى السبي أيدي سبا • وتفرق الغانمون بجمعهم في الوهاد والرباء وأحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمه • عادت بيننا مقتسمه • وأصبحت ببكائها وجوه الدولة مبتسمه • فكم محجوبة هتكت • ومالكة ملكت • وعزباء نكحت • وعزيزة منحت • وبخيلة نسمحت • وخبية توقحت • ومجدة مزحت • ومصونة ابتذلت • وفارغة شغلت • وعقيلة امتهنت • وجميلة امتحنت • وعذراء افترعت • وشماء فرعت • ولمياء رشفت • وظمياء فرشت • وريضة أصحبت • ورضية أصحبت • فكم تسرى منهن سرى • وتجرأ عليهن جرى • وقضى وطره عزب • ونفى نهمه سغب • وفثأ سورته شغب • وكم غانية استخلصت • وغالية استرخصت • ووالية اعتزلت • وعالية استنزلت • ووحشية صيدت • وعرشية قيدت • ولما تقدس القدس من رجس الفرنج أهل الرجز • وخلع لباس الذل ولبس خلع العز • أبى النصارى بعد أداء القطيعة ان يخرجوا • وتضرعوا في ان يسكنوا ولا يزعجوا • وبذلوا خدما وخدموا ببذول • وقابلوا كل ما ألزموا به بالتزام وقبول • وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • وشحت أفواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون • ودخلوا في الذمه • وخرجوا الى

العصمه · وشغلوا بالخدمه · واستعملوا في المهنه · وعدوا المنحة في تلك المحنه ·

﴿ذكر ماأظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات﴾

ولما تسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب · وحتم به أمر الايجاب · وكان الداوية قد بنوا في وجهه جداراً وتركوه للغلة هريا . وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغياً . وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسيعه · وكنيسة رفيعه · فأوعز برفع ذلك الحجاب · وكشف النقاب · عن عروس المحراب · وهدم ماقدامه من الابنيه · وتنظيف ماحوله من الافنيه · بحيث يجتمع الناس في الجمعه · في العرصة المتسعه · ونصب المنبر وأظهر المحراب المطهر * ونقض ما احدثوه بين السوارى · وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبوارى · وعلقت القناديل · وتلي التنزيل · وحق الحق وبطلت الاباطيل · وتولى الفرقان وعزل الانجيل · وصفت السجادات · وصفت العبادات · وأقيمت الصلوات · وأديت الدعوات · وتجلت البركات · وانجلت الكربات * وانجابت الغيابات · وانتابت الهدايات · وتليت الآيات · واعليت الرايات · ونطق الاذان وخرس الناقوس · وحضر المؤذنون وغاب القسوس · وزال العبوس والبوس · وطابت الانفاس والنفوس · واقبلت السعود وأدبرت النحوس · وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه · وطلب الفضل من معدنه · وورد القراء وقرئ الاوراد · واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاوتاد · وعبد الواحد ووحد العابد · وتوافد الراكع والساجد · والخاشع والواجد · والزاهي والزاهد · والحاكم والشاهد · والجاهد والمجاهد · والقائم والقاعد · والمتهجد الساهد · والزائر والوافد · وصدح المنبر وصدع المذكر · وانبعث المعشر . وذكر البعث والحشر · وأملى الحفاظ · واسلى الوعاظ · وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث الرواة · وروى المحدثون · وتحنف الهداة وهدى المتحنفون · وأخلص الداعون ودعا المخلصون · وأخذ بالعزيمة المترخصون · ولخص المفسرون وفسر الملخصون · وانتدى الفضلاء وانتدب الخطباء · وكثر المترشحون للخطابه · المتوشحون بالاصابه · المعروفون بالفصاحه الموصوفون بالحصافه فما فيهم الا من خطب الرتبه ورتب الخطبه وأنشأ معنى شائقاً ووشى لفظاً رائقاً وسوى كلاما بالموضع لائقاً وروى مبتكرا من البلاغة فائقاً وفيهم من عرض على خطبته وطلب مني نصبته

وتمني ان ترجح فضيلته • وتنجح وسيلته • وتسبق منيته فيها أمنيته • وكلهم طال الى الالتهاء بها عنقه • وسال من الالتهاب عليها عرقه • وما منهم الا من يتأهب ويترقب • ويتوسل ويتقرب * وفيهم من يتعرض ويتضرع * ويتشوف ويتشفع * وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه * وضرب في أخماسه أسداسه * ورفع لهذه الرياسة راسه * والسلطان لا يعين * ولا يبين * ولا يخص * ولا ينص * ومنهم من يقول ليتني خطبت في الجمعة الاولى * وفزت باليد الطولى * واذا ظفرت بطالع سعدي * فما أبالي بمن يخطب بعدى * فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان * أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان * وامتلأ الجامع * واحتفلت المجامع * وتوجست الابصار والمسامع * وفاضت لرقة القلوب المدامع * وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع * وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور الشوائع * وغصت بالسابقين اليها المواضع * وتوسمت العيون * وتقسمت الظنون * وقال الناس هذا يوم كريم * وفضل عميم * وموسم عظيم * هذا يوم تجاب فيه الدعوات * وتصب البركات * وتسال العبرات * وتقال العثرات * ويتيقظ الغافلون * ويتعظ العاملون * وطوبى لمن عاش * حتى حضر هذا اليوم الذى فيه انتعش الاسلام وارتاش * وما أفضل هذه الطائفة الحاضره * والعصبة الطاهره * والامة الظاهره * وما اكرم هذه النصرة الناصريه * والاسرة الاماميه * والدعوة العباسيه * والمملكة الايوبيه * والدولة الصلاحيه * وهل في بلاد الاسلام أشرف من هذه الجماعه * التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعه * وتكلموا فيمن يخطب * ولمن يكون المنصب * وتفاوضوا في التفويض * وتحدثوا بالتصريح والتعريض * والاعلام تعلى * والمنبر يكسى ويجلى * والاصوات ترتفع * والجماعات تجتمع * والافواج تزدحم * والامواج تلتطم * وللعارفين من الضجيج * ما في عرفات للحجيج * حتى حان الزوال * وزال الاعتدال * وخيعل الداعي * وانجل الساعي * فنصب السلطان الخطيب بنصه * وابان عن اختياره بعد فحصه * وأوعز الى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بأن يرقى ذلك المرقي * وترك جباه الباقين بتقديمه عرقى • فأعرته من عندى أهبة سوداء من تشريف الخلافه • حتى تكمل له شرف الافاضه والاضافه • فرقي العود • ولقى السعود • واهتزت اعطاف المنبر • واعتزت اطراف المعشر • وخطب وانصتوا • ونطق وسكتوا • وافصح واعرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •

واوجز واسهب • ووعظ في خطبتيه • وخطب بموعظتيه • وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه • والمسجد الاقصى من أول تأسيسه • وتطهيره بعد تنجيسه • واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا للخليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان • ونزل وصلى في المحراب • وافتتح بسم الله من أم الكتاب • فائتم بتلك الامة • وتم نزول الرحمه • وكمل وصول النعمه • ولما قضيت الصلاة انتشر الناس • واشتهر الايناس • وانعقد الاجماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين أبو الحسن عليّ بن نجا • فذكر من خاف ومن رجا • ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجا • وخوف بالحجة ذوى الحجا • وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات مادجا • وأتى بكل عظه • للراقدين موقظه • وللظالمين محفظه • ولاولياء الله مرققة ولاعداء الله مغلظه • وضج المتباكون • وعج المتشاكون • ورقت القلوب • وخفت الكروب • وتصاعدت الزفرات • وتحدرت العبرات • وتاب المذنبون • واناب المتحوبون • وصاح التوابون • وناح الاوابون • وجرت خالات جلت • وجلوات حلت • ودعوات علت • وضراعات قبلت • وفرص من الولاية الالهية انتهزت • وحصص من العناية الربانية أحرزت • وصلى السلطان فى قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله • والامة الى الله بدوام نصره مبتهله • والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبله • والايدى الى الله مرفوعه • والدعوات له مسموعه • ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته •

﴿ وصف الصخرة المعظمة عمرها الله ﴾

وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحاً • ولم يتركوا فيها للايدى المتبركة ولا للعيون المدركة ماسماً ولا مطمحاً • وقد زينوها بالصور والتماثيل • وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل • وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل • وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبه • بأعمدة الرخام منصبه • وقالوا محل قدم المسيح • وهو مقام التقديس والتسبيح • وكانت فيها صور الانعام • مثبتة في الرخام • ورأيت فى تلك التصاوير • أشباه الخنازير • والصخرة المقصودة المزوره • بما عليها من الابنية مستوره •

وبتلك الكنيسة المعمورة مغموره . فامر السلطان بكشف نقابها . ورفع حجابها . وحسر لثامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها ونقض بنائها . وفض غطائها . وابرازها للزائرين . واظهارها للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . واخراج درها من الصدف . واطلاع بدرها من السدف . وهدم سجنها . وفك رهنها . واراءة حسنها . واضاءة عينها . وابداء وجهها الصبيح . وجلاء شرفها الصريح . وردها الى الحالة الحاليه . والقيمة الغاليه . والرتبه العاليه . وهي التي حليها عطل وعطلها حلى . وعريها كسوة وكسوتها عري . فعادت كما كانت في الزمن القديم . وشهدت حين شوهدت بحسبها الكريم . وسيم بهاء حسنها الوسيم * وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها * قد أساء أهل الكفر في نحتها . وظهرت الآن أحسن ظهور . وسفرت ايمن سفور . وأشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد . والاعتناء بها الى الآن كل يوم في مزيد . ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما من أحسن القراء تلاوه . وأزينهم طلاوه . وانداهم صوتا . وأسماهم في الديانة صيتاً . وأعرفهم بالقرآآت السبع بل العشر . وأطيبهم في العرف والنشر . وأغناه وأقناه . وأولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وأرضا وبستانا . وأسدى اليه معروفا داراً واحساناً . وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات . وربعات معظمات . لاتزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعه . وعلى اسرتها موضوعه . ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامه * قومة لشمل مصالحها ضامه * فما ترتب الا العارفون العاكفون . القائمون بالعبادة الواقفون * فما أبهج ليلها وقد حضرت الجموع * وزهرت الشموع * وبان الخشوع . ودان الخضوع . ودرت من المتقين الدموع * واستعرت من العارفين الضلوع . فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره . وكل اشعث أغبر لايوبه له لو أقسم على الله لأبره * وهناك كل من يحيي الليل ويقومه * ويسمو بالحق ويسومه * وهناك كل من يختم القرآن ويرتله . ويطرد الشيطان ويبطله * ومن عرفته لمعرفته الاسحار * ومن ألفته لتهجده الاوراد والاذكار . وما أسعد نهارها * حين تستقبل الملائكة زوارها * وتلتحف الشمس أنوارها * وتحمل القلوب اليها أسرارها * وتضع الجناة عندها أوزارها * وتستهدى صبيحة كل يوم منها اسفارها * وما أظهر من تولى اطهارها * واطهر من باشر إظهارها * وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحملوا منها الى

قسطنطينيه • ونقلوا منها الى صقليه • وقيل باعوها بوزنها ذهباً • واتخذوا ذلك مكسباً • ولما ظهرت ظهرت مواضعها . وقطعت القلوب لما بانت مقاطعها • فهي الآن مبرزة للعيون بحزها • باقية على الايام بعزها • مصونة للاسلام في خدرها وحرزها • وهذا كله ثم بعد انفصال السلطان • والشروع في العمران * وأمر بترخيم محراب الاقصى • وان يبالغ فيه ويستقصى • وتنافس ملوك بني أيوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنه • وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنه . فما منهم الا من أجمل وأحسن • وفعل ماأمكن • وجلى وبين وحلى وزين • وأشفق وأنفق • وأغنى وأقنى • واعتنى وابتنى • ووفى وأوفى • وأصفى وأضفى • وأتى الملك العادل سيف الدين أبو بكر • بكل صنع بكر • موجب لكل شكر • وكل فعل جميل • ورفد جزيل • ومن جلي ومنح جليل • ومكرمة حميده • ومحمدة كريمه . وفضيلة بها ترجح • ووسيلة بها نجح • وأتى الملك المظفر تقي الدين عمر • بكل ماعم به العرف وغمر • ونهى وأمر • وبنى وعمر • ومن جملة أفعاله المشكوره • ومكرماته المشهوره . انه حضر يوما في قبة الصخره . مع جماعة من السراة الاسره • ومعه من ماء الورد احمال • ولاجل الصدقة والرفد مال • فانتهز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراص • وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص • ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت • ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت • وكذلك طهر حيطانها • وغسل جدرانها • ثم أتى بمجامر الطيب فتبخرت • وتضوعت وتعرفت • وفغمت مناشق أهل الهدي • وأرغمت آناف العدى • وما زال مع قومه • في تطهير البقعة المباركة طول يومه • حتى تيقنت طهارتها • وبينت عمارتها • وراقت نضارتها * ووقفت عليها الاستحسان نظارتها * ثم فرق ذلك المال فيها على ذوي الاستحقاق * وافتخر بان فاق الكرام بالانفاق • وجاء الملك الافضل نور الدين علي * بكل نور جلي * وكرم ملي * واحسان سني * وانعام هني * وعرف زكي * وعرف ذكي * وعطاء مبتدع * وسخاء مخترع * وجود مبتكر * ورفد معتبر * وأتي بكل ما خلد الأثر الحسن * وانطق بحمده الالسن * وبسط بها الصنيعة * وفرش فيها البسط الرفيعة * وهدي واهدى * واعاد بعد ماابدى * وانار وأسدى * وأفاض الندى * وفض الجدا * ونفض الاكياس * حتى خلنا به الانفاض والافلاس * وسيأتي ذكر ما اعتمده من بناء اسوار القدس وحفر خنادقه * واعجز بما أعجب من سوابق

معروفه ولواحقه * مالم يشق أحـد فيه غبـاره * ولا ملك سابق فيه مضماره * وأما الملك العزيز عـثمان * فانه أتى بالاحسان الذي استظهر به الايمـان * وذلك انه لما عاد الى مصر * وقد شاهد الفتح والنصر * ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها * ولم يربعد حصولها به نقلها * وكانت احمالا بأموال * واثقالا كجبال * وذخائر وافيـه * وعـددا واقيه * ودروعا سوابغ * ونصـولا دوامغ * وخوذا وترائك * ورماحات ونيازك * وقنا وقنابل * وصواقل وذوابل * وجروخا وقسيا * ويمانيا وهنديا ويزنيا * ورديتيا ومشرفيا * وجفاتي وجنويات * وطوارق وقنطاريات * ورانات حديد وزانات * وآلات وزيارات وزرافات * ونفاطات وقطاعات * وعدد النقوب * وجميع أدوات الحروب * فاستظهرت بها المدينة * وتوثقت بها عراها المتينة . وكان من جملة ماشرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم . ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون في أداء القطيعة مدتهم * فتوفرت بذلك عدد البلد * واستغني بذلك عما يصل من المدد *

ذكر محراب داود عليه السلام . وغيره من المشاهد الكرام وتبطيل الكنائس . وانشاء المدارس

وأما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع * وموضع عال رفيع * وهو الحصن الذى يقيم به الوالى * فاعتنى السلطان بأحواله الحوالى * ورتب له اماما * ومؤذنين وقواما * وهو مثابة الصالحين . ومزار الغادين والرائحين * فاحياه وجدده * ونهج لقاصديه جدده * وأمر بعمارة جميع المساجد * وصون المشاهد وانجاح المقاصد . واصفاء الموارد للقاصد والوارد * وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السـلام * وكان يتنابهما فيها الانام . وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون * وأجناده على بابها مخيمون * وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء الابرار * والاتقياء الاخيار * في مدرسة للفقهاء الشافعية * ورباط للصلحاء الصوفية * فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة عنـد باب أسباط * وعين دار البطرك وهى بقرب كنيسة قمامة للرباط * ووقف عليهما وقوفا . واسـدى بذلك الى الطائفتين معروفا * وارتاد أيضا مـدارس للطوائف * ليضيفها الى ما اولاه من العوارف * وأمر باغلاق ابواب كنيسة قمامه * وحرم على النصارى زيارتها ولا الالمـامه * وتفاوض الناس عنده فيها *

فمنهم من أشار بهدم مبانيها • وتعفية آثارها • وتعمية نهج مزارها • وازالة تماثيلها • وازاحة أباطيلها • واطفاء قناديلها • واعفاء أناجيلها * واذهاب تساويلها . واكذاب اقاويلها • وقالوا اذا هدمت مبانيها . وألحقت بأسافلها أعاليها • ونبشت المقبرة وعفيت • وأخمدت نيرانها وأطفيت • ومحيت رسومها ونفيت • وحرثت أرضها • ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد الزوار • وانحسمت عن قصدها مواد اطماع أهل النار • ومهما استمرت العماره • استمرت الزياره • وقال أكثر الناس لافائدة في هدمها ولا هـدها • ولا يؤذن بصد أبواب الزيارة عن الكفرة وسـدها • فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لاما يشاهد من البناء • ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولو نسفت ارضها في السماء • ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان • ولم يأمرهم بهدم البنيان •

ومما كتبته الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس

مع الرسول ضياء الدين الشهرزوري من رسالة

• قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم • والنصر العميم • والعرف الجسيم . والفضل الوسيم • واليوم الاغر الاعز الكريم • والشرف الذي ذخره الله لهذا العصر ليفضله • على الاعصار • وأراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار • فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته • واقتضاض عذرته • وخص من اجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته • وأعاد به القدس الى قدسه • وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه • وقد رجع الاسلام الغريب منه الداره • وخرج قمر الهدى به من سراره • وذهبت ظلم الضلالة بأنواره • وعادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس • وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ التعريس • وقد أقصى عن المسجد الاقصى الاقصون من الله الابعدون • وتوافد اليه المصطفون الاقربون • والملائكة المقربون • وخرس الناقوس بزجل المسبحين • وخرج المفسدون بدخول المصلحين • وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا . وشمل جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ماجمع للاسلام فيه شملا • ورفعت الاعلام العباسية على منبره فأخذت من بره اوفى نصيب • وتلت بألسنة عذبها نصر من الله وفتح قريب • وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين • وبعد أهـل

الاحد من قربها بقرب الموحدين • فذكر بهاما كاد ينسي من عهد المعراج النبوي • وقامت بدلائلها براهين الاعجاز المحمدي • وصافحت الايدي منها موضع القدم • وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم • فهو ثاني المسجدين • بل ثالث الحرمين • فليهن البيت الحرام خلاص اخيه البيت المقدس من الاسر • واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر • وتطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من ادناس الارجاس • وتضوع ارج الرجاء في ارجائه بعد الياس • فالحمد لله الذى ابدل الايحاش بالايناس • ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس • وجعل عصر مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه على الاعصر مفضلا • وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين والدنيا به مكملا • ويسر ببركات ايامه فتح البلاد الساحلية بأسرها • وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها واسرها • ولقد حل الكفر عروة عروه • وهد ذروة ذروه * وعادت حباله رثاثاً * وعقوده أنكاثاً * ومساكنه اجداثاً • وصار حديثاً بعد ان شوهد أهل الذمة أحداثاً • فالرتاج مستفتح • والرجاء مستنجح • والبلاد مستخلصه • والقيم الغوالى منها بسوم الموالي مسترخصه • والعقائل مقتضه * والمعاقل منفضة • ومناهل المنى بمياه النجاح مرفضه • ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف أهل الايمان منقضه • والثغور مبتسمه • والامور منتظمه • والحصون متسلمه * والخصوم مذعنة مستسلمه • وأرض الكفر ينقصها الاسلام كل يوم من اطرافها • بل يستولى على أوساطها واكنافها ويعيد الى الطاعة كرها مذهب خلافها • ولقد اينع زرعها وثمرها من رؤس المشركين وهذا اوان حصادها وقطافها • والنعمة بحمد الله عظيمه * والموهبه وان خصت هذا الاقليم فهي فى جميع اقاليم المسلمين عميمه * ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ودلالة المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى • قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * والقاضي ضياء الدين القسم الشهرزورى قد توجه لهذه النعمة واصفا • وعند ما يأمر به من انهاء البشرى بها واقفا • واولى من وصف العرف من كان باوصافه عارفا • واحق من شرح الحق والحقيقة من تلقى بشرح الصدور مصادر شرحه • ويفتح على الاسلام أبواب الهناء بانهاء ماتسني من فتحه * ويحدث وهو الضياء باسفار صبحه

﴿ عاد الحديث الى ماجرى بعد فتح القدس ﴾

وإقام السلطان على القدس حتي تسلم مابقربها من حصون • واستباح كل ما الكفر بها من مصون • ورحل ولده الملك الافضل قبله الى عكاء عائدا • وعن حوزتها بباسه وجوده ذائداً • ثم تبعه الملك المظفر فرحل * وسار الى عكاء وبها نزل • ثم عمد السلطان الي ماجمعه ففرقه • وأخرجه في ذوى الاستحقاق وأنفقه * وفرضه بعوارفه * وفضه في مصارفه * فسد خلة المعيل * واسهم منه ابن السبيل * وحمل به عن الغارم • واحيي به سنن المكارم * ووضعه في أهله * وأحله في محله * وصرفه في حله * وقدم التوسعة على ذوى الاضاقه * والانفاق في أهل الفاقه * واجني الاجناد منه مقاطف • وجعل للمجاهدين منه وظائف • وابقاه بافنائه زخرا للآخره * وكسبا للمحامد الفاخره • فأكثروا عذله على بذله * واستكثروا مافضه بفضله * فقال كيف أمنع الحق مستحقيه • وهذا الذى أنفقه هو الذى ابقيه * واذا قبله مني المستحق فالمنة له على فيه * فانه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها * فان الذى في يدى وديعة احفظها لذوى استحقاقها • فما عاد الوفد الا بوفر ودثر * والافاضة في نظم من حمده ونثر * وحاز كل ذى فضيلة منه فضلا * وتفيأ كل فئة من فيئه ظلا • وكثر السائلون بالفضائل والقائلون بالوسائل * والقاصدون بالقصائد * والوافدون بالفوائد • والواردون بالفوارد * والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق • والسالكون للطرائق * والمالكون للحقائق * فماترى الا قارئاً باللسان الفصيح • وراوياً للكتاب الصحيح * ومتكلماً في مسأله • ومتفحصاً عن مشكله وموردا لحديث نبوى • وذاكرا لحكم مذهبي • وسائلاً عن لفظ لغوى • ومعني نحوى أو مقرضاً بقريض • اومعرضا بتصريح أو مصرحا بتعريض أو جالبا لمدحه • أوطالبا لمنحه • او مستضعفاً بفاقه • او مستسعفا بافاقه • أوناشدا بنشيد • أومسمعا بتغريب وتغريد • وما فيهم الا من أحظى بسهم • أوأرضى بقسم • وأصيب بنصيب وأجيب • واجيز بتقرير وتقريب • فقيل له لوذخرت هذا المال للمآل • لشفيت به مايقع من الاعتلال • وكفيت بالحقيقة ما يسنح من الاختلال • فقال املي قوي من الله الكافل بنجح الامال وجمع الاسراء المطلقين • وكانوا الوفا من المسلمين • فكساهم وأساهم • وواساهم واذهب أساهم • فانطلق كل منهم الى وطنه ووطره • ناجياً من ضرره

ووضره ومكث السلطان عليه مقيما • للنظر في مصالحه مستديما • فقيل ما قعودك عن صور • فانهض اليها عسكرك المنصور • وأنت تدخلها يوم وصولك وتحظي منها بمرادك وسؤلك • فأنو السير • واحو الخير • واحصر الخير • واحظر التأخير • وفي تعجيل النهضه * تحصيلها في القبضه • وفي بدار الامام بدارها * بشرى أهلة الفتوح المقمرة بابدارها • فأسر بالعسكر وأسرع * واقطع عن الكفر تلك الاعمال وأقطع • وأكثر من كان يستحثه • وعلى النهوض يبعثه • الامير علي ابو أحمد المعروف بالمشطوب * وكان من اكابر الامراء الكافين للخطوب * الكافين في الحروب • وكانت معه صيداء وبيروت • وهما بقرب صور وقد اشفق ان فتحها يفوت • فرأى الحظ في الحض • وحرض على الفرض • ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل اليها وانه يشق في هذا الوقت النزول عليها • وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس بأحكام صور مشتغلا • وعلى الاستهتار بتحصينها مشتملا • وقد استجد قدامها من البحر الي البحر خندقا • وجعل الطريق اليها مضيقا * واحكم أسباب الاحكام • وأخذ بالحزم في الاهتمام •

﴿ ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور ﴾

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان • وقد عنا لامره كل قاص ودان ودان * وودعه ولده عزيز مصر في أول منزله • وسايره لكراهية فراقه مقدار مرحله * ثم اوصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه • مستظهرا بأخائه • مستبشرا بآلائه • مستبصرا بأرائه • مستنصرا بمضائه مستغنيا بغنائه • موفيا بوفائه • وهو بعقده يعقد وبحله يحل * وبشده يشد وبحلوله يحل * والمساكر بالفضاء فائضه * وللخطوب الريضة رائضه • والى استنهاض النصر لانصارها ناهضه * ومن هواها انها في دأماء الدماء من أهل الكفر خائضه * فوصل الى عكاء في أول شهر رمضان فخيم بظاهرها ظاهراً بخيمه * باهراً بتأخيره وتقديمه * قاهراً بشباه المبير * زاهراً بسناه المنير * جاهراً بسره * ظاهراً في بحره * واقام اياما يتفكر ويتدبر * ويستشير ويستخبر * والمشطوب يستعجله * ولا يمهله * ويحرض بالبعث * ويحذر من المكث * ويقول الفرصة تدرك بالحث * وتفوت باللبث * فسار لندائه مليا * ولجيش النصر معبيا * ولرأيه مقلدا * وبالله عز وجل متأيدا * فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعه * بالجحافل المحتفلة والجموع

المجتمعه * فنزل بعيداً من سورها * سعيداً في ترتيب أمورها * مضروبة قبابه * مجنوبة عرابه * محجوبة بالبنود والجنود أرضــه وسماؤه * منشورة راياته منصورة آراؤه * خافقة على الاعداء عذبات عذابه * دافقة في ثرى النجح في الانحاء ثرّاتُ صوب صوابه قد كست خيامه عري العراء * وفضت أشعة بيضه وسمره الفضــة بالفضاء * واحتوت مضاربه المضيئة بآلائه وآرائه على مضارب المضاء * وباحت استباحــة حمى المشركين للموحدين بسمر السمراء * فمكث أياما حتى تواصل المدد * وتكامل العدد * واستحضر آلات الحصار * واستكثر من المجانيق الصغار والكبار * ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس * في خميس يسير في الوشيج كالاسد في الخيس * ونزلت النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس * فوقع فى الدرديبس * والعذاب البئيس * فكأنما نفخ في صور صور * فخشر أهــل جهنم وملؤا الســور * واتصلت زيارة الزيارات للجروح بالجروخ * وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ * وأرسلت الحجارات حاجرة حاجزه * وألسنة أهل الرجس والرجز بالفحشاء راجزه * وكانت صور على السوء مستويه * وعلى كل من خرج من القدس وبلاد الساحــل محتويه * فضجوا وارتجوا * وعاجوا وعجوا * ولجؤا ولجوا * ونصبوا على كل نيق منجنيقا * وشدوا من كل جانب ركنا وثيقا * وشدوا في الحبال * ومدوا في الحبال * ورموا من الشرافات * بالشرور والآفات * وسلب الحجار حجاها * وأمت الامة وجاءها وجاها * فكم من رؤس اطارت * ونفوس ابارت * وبر خسفت * وبدر كسفت * وبحر نزفت * وطود نسفت * فحول السلطان الى قربها له خيمة صــغيره * وأنهض بنات الحنايا بالمنايا عليها مغيره * وصف الجفاني * فصدف أتيها الآتي * وعارض بحرها بعرض بحره * ورد كيد الكفر من المنجنيق بمــا نصبه من المنجنيق في نحره * فأحبط أعمالهم بأعمــاله * وأهبط رجالهم برجاله * وقابل الابراج بالابراج * وحاول بالردى عــلاج الاعلاج * ووالاها حجارات وصخورا * حتى جعلت سور صور سورا * وجد في أمرها * وأجاد في حصرها . ووصل اليه في تلك الايام * من قوى به ظهر الاسلام . ولده الملك الظاهر غياث الدين غازى * وهو الذى جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازى . فقدم مبارك القدم * متدارك النعم . عالى الهمم * غالي القيم . ومعه عسكر مجر لجب جلبه من حلب * قد استصحب البيض والسمر والبيض واليلب * فظهر من الملك الظاهر ما ملك

به قبول القلوب . واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب . ورأى نصب خيمته وراء خيمة أبيه المنصوبه . وجد في استرجاع مدينة الاسلام المغصوبه . وقدم بين يديه كل حجار راجح . وكل نقاب ناجح . لصم الصفاح مصافح . وكل جاندار جان در الردى للكفار . وكل زراق رزق الجسارة على أهل النار بالنار . وكل منجنيقي من جنانه تقتبس ذبالة البساله . وكل چرخي رخي البال بالهدى لاصماء أهل الضلاله . وكل رام رام النجم في الافق فراماه . وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه . وكل مقدام قرنه دام . وكل ضرغام صريعه في رغام * وكل قمقام ضارب بصمصام . وكل حام شارب بكأس حمام . وكل ذمر مشيح * لذمار الكفر مبيح . ولروح الجد مريح . ولدماء المزاح مزيح * وكل فاتك لحبل الوريد باتك . ولستر الحياة هاتك . ولدم العداة سافك * وكل شجاع الى الموت داع . والى المجد ساع . والاسلام راع . وللاشراك ناع * وكل فارس للفوارس فارس . وللذوابل في النحور غارس . وفي اليوم العابس غير عابس وكل راجل لقهر العدو راج * وبسر البأس مناج . ومن شر الناس بشجاعته ناج * وبراغت المنون لمن يلاقيه شاج . وكل عتال عات . ونجار ونشار ونحات * وحدادوقين * وكل زائر للعدى بحين . فاجتمعوا وزحفوا * وجفوا على القوم ورجفوا . وأصموا وصمموا * وأوقدوا نارا وأضرموا * وأطاروا من اعشاش الاقواس الى أوكار الاحداق أفراخا . واستصرخوا الاقدار لاقدارهم فجبتهم حين أحبتهم اصراخا . وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق . وأولوا الشقاء لاولي الشقاق . وتساعدوا وتناصروا . وتطاولوا وما تقاصروا . وما فيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والان الشديد * وأعان السديد . وأفلح ففلح الحديد بالحديد * وجد الجديد . ومد المديد . وصور مرتجة أبوابها . مرتجة أربابها . مغتصة جوانبها . مرتصة عصائبها . مشحونة أبراجها . مسجونه أعلاجها . محصورة كلابها * محسورة ذئابها . محشورة ثمالبها . محشودة كتائبها والمركيس بها متجهم * وابليس عليه متحكم * وقد سقط في يده * وسخط لبلده * وارتبط بجلده . واختلط بكمده . وغلت مراجل غلوائه . وعدت غوائل عدوانه * وطاش وجاش . وأوحش الأوباش والاوخاش . وتوشح بالشر وتوحش * وترشح للردى وتحرش * واشتعل بجمره * وبعل بأمره . وضري بضره * وجال بوجله في مكر مكره * وكر في وكره . وعشا

عشه * وغشى غشه * وثبت على لجاجه * ونبت في أجاجه * وتسعر وتعسر * وتربص وتصبر * والسلطان مصيب حكمه * صائب سهمه * ماض عزمه * قاض حزمـه * بار حده * جار جده * وار زنده * سار وفده * بائك غربه * فائك ضربه * قاطع شـبا بأسه * ساطع سني إيناسه * قد اتسقت أسـبابه * واتسعت رحابه * واجتمع أصحابه * فازدحم على بابه وحـول قبابه كل مبارز بار * وكل ضارب ضار * وكل حجار جار * وكل رامح ورام * وكل حامل سلاح وحام * وكل سائف حائف * وكل عاصف قاصف * وكل آكل للحرب شارب * وكل طالع بالضرب غارب * وكل هاجم هائج * وكل راجم رائج * وكل معتقل متقلد * وكل مجرب مجرد * وكل ذكر مذكور * وكل غضنفر مشكور * وكل ليث ملاث * وكل غيث غياث * وكل سفاك لدم الكفر سفاح * وكل جراد لسيف الفتك جراح * وكل مكتتم فى درعه * مكتمن في نقعه * ملثم بزغفه * متلثم بحرفه * مقنع بلامه * ملفع بقتامه * سابح فى بحر الموت بسابحه * سامع في الصباح صوت صائحه * فجمع اليه أمراءه * واستحضر عظماء ملكه وكبراءه * وقالوا هذا بلد حصين * ومكانه من الارض مكين * في البحر ثلاثة أرباعه * وفي السماء ارتفاع يفاعه * وطريقه الذى يسلك من البر اليه * قد أحاط به البحر من جانبيه * وقد قطعوه بخندق في عرضه * وعمقـوه ونزلوا في أرضـه * وكان من احكام الحزم * واتمـام العزم * تكميل الآلات وتتميمها * وتحصيل المنجنيقات وتقديمها * وتركيب الابراج والدبابات وتأليفها * وتقريب الجفاتى والجنويات وتصفيفها * وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها * وتنحية أثقال العسكر وتخفيفها * وتخية نخب الرجال وتصريفها * وتسنية الاسـباب * وتهيئة الاخشاب * واستحضار كل مايراد للحصار * واستنفار كل من يرام من الانصار * فاذا حضرت هذه الاشياء والاشـياع * وتيسرت وتوفرت الاصول والاتباع * رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع * واذا حالت الاحوال وضاعت الاوضاع * اختل واعتل النزال والنزاع * وأمر السلطان بازاحة العلل * وازالة الخلل * وشـغل الصناع بالعمل * ونقل الامل الى طريق الاجل * وتقدم بقطع أشجار الغياض * وحمل مابتلك النواحى من الانقاض * فاجتمع هنالك كل آلة وآله * وذباب وذباله * وقضيب ومقضب * ومجرب ومحرب * وسهم وشهم * وشهب ودهـم * وأحمال * وأثقال * ونظمت الســتائر من القضيب * وصـفت من سور صور بالمكان القريب * وكمت من

وراثها الكماه * واستترت بالجفاتي قدامها الرماه • واشتغل كل صانع بصنعه * وكل جامع بجمعه • وكل دافع مانع بمنعه ودفعه * فمن جان بمنجنيق • ودان الى نيق * وداب بدبابه • وذاب بذبابه • ونازع في حنيه * وناز بمنيه * وقاذف بشراره * وحاذف بحجاره * وهاتك من ستاره • وفاتك بجساره * وجاذب في حبال • وجالب لوبال • ومرو فى قلع ومسو لمقلاع * ومدبر بايجاف ومدمر بايجاع . ولم تزل المنجنيقات ترمى * والحجارات تدمر وتدمى * والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروخ * واطباق البرج تبني وتغطي بالسلوخ * حتى امتد الزمان * واشتد الحران * وضاق الحصر • واعتاق النصر * وكان العسكر قد ألف تيسر الفتح * وتسرع النجح • فصعب عليه حين صعب * وتبع هواه لما تعب * ولم يألف الناس الا ارواء ظمائهم بنهله • والحصول على أكساب سهله * وفتح مايقصدونه من البلاد بغير مهله • فلما توقف هذا الفتح توقفوا • وملوا وضجروا وتأففوا * والسلطان مع ذلك يزداد في حده حده • وفي شده شده • وفي جده جده • يثبتهم بحثه ويحثهم على الثبات * ويقويهم بجوده ويوجدهم القوات • ويقول ان الله أمر بالمصابره ولا مصابرة الا بالمثابره • فاصبروا تفلحوا • وصابروا تفتحوا •

﴿ ذكر ماتم على الاسطول ﴾

وكان السلطان قد نفذ من صور * واحضر اليها من عكاء ما كان بها من مراكب الاسطول المنصور * فوصلت منها عشر شوان * على العدى جوان وللردي لهم جوان • فعمرها بالرجال * وجهزها للقتال * واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل * فاستشعر المركيس وأشياعه منها الويل * وعمروا لهم مراكب * ورفعوا بها مناكب * وسفننا بالساحل عندنا مربوطه * وبحفظنا مضبوطة محوطة * ودامت تدب عقاربها * وتذب سواريها * وتجرى سواريها وتسري جواريها * وتطير للقنص بزاتها * وتغير للفرس غزاتها * وتكسر بكواسرها * وتدور بدوائرها * وتلاطم الامواج بأمواجها * وتزاحم الاثباج بأثباجها * وترفع شرع الهداة بشراعها * وتقلع عرش الغواة باقلاعها • وتنقض على شياطين الكفر شهبها * وترفض بشآبيب الذعر سحبها • فكأنها الاساود السود • وكيتها الاسود • من كل افعوان يحمله افعوان . وشجاع امتطته شجعان : وغرابه بشتات العدى ناعق • وسحاب بوميض الهدي بارق • فيالها من اغربة دارت بعقبان

واجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار . وغواز بغوار . وقد ملئت برمات الحدق . وحماة الحلق . وزراقي النار . وطراقى الثار * والخاطفين بالخطاطيف . والقاذفين بالمقاذيف . والكالمين بالكلاليب . والسالبين بالاساليب . والحاربين بالمحاريب . والراجمين بالرجام . والمعلمين على الاعلام . فانشقت مرائر الفرنج . وأزاحت سفنها عن النهج . وقرنصت بزاة البيزانية . وتقلصت جناة الجنويه * وكرثت أدواء الداويه . وكثرت اسواء الاسبتاريه . وزادت آلام الالمانيه . وعادت اسقام الافرنسيسيه . وصارت مراكبهم في المينا لاتبين . وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقد بطوا عندهم السفن . فلو خرجت كانت جبالا نسفن . وأنس اصحابنا بعلو الامر . وخلو البحر . وأمنوا من الخوف . وأدمنوا على الطوف . ودام تطوافهم . واستقام ايجافهم . واغتروا بالسلامة . وسروا بالاستقامة . وباتت لنا شوان خمس . لها بزوال الوحشة أنس . وربطت بقرب مينا صور راصده * ولاخذ مايخرج من شوانيها قاصده * والدياجي مدلهمه . والدواهي ملتمه . وعيون الزهر راقده . وعيون الكفر ساهده . وللمكايد مصايد . وللعوادي عوائد . وللغوائل طوائل . وللمسائل دلائل . وللمقادير مقاد . ولاولئك المراد مراد . فحفظ أصحابنا الى السحر الحرس . وسهروا الى ان شارفوا الغلس وكل منهم لما استأنس نعس . وغاص في النوم وما تنفس . فما انتبهوا الا وسفن الفرنج بهم محدقه . ونيرانهم محرقه . فولجوا فى البحر والتجوا . وتطافروا الي الماء لينجوا . وعدت العداة . وأخذت تلك الشوانى الشناه . وأسروا منها عده . ولقى الباقون شده . فاغتم السلطان بسبب هذه النكبة . وفرح الكفار بتلك الضربة . وكانت تلك أولى حادثة كرثت . وكارثة حدثت . ونائبة رابت . ورائبة نابت . فضاقت القلوب . وضافت الكروب . وحصلت تجربة الغارين . واتصلت حركة القارين . واستيقظ الناعس واستوحش الآنس . وهب الراقد . ودب الراكد . وذاب الجامد . وشب الخامد . وهاج الزائر . وماج الزاخر . وتحرك الساكن . وتورك الراكن . وعقل من غفل . وذهن من ذهل . وتيقظ من غفا . وتحفظ من هفا . وتقبض من انبسط . وتقيد من نشط . وهم من عف . وألم من كف . ورجفت الآفاق بالمرجفين . وطالت ألسنة المعنفين . فمنهم من يؤنب ويذنب . ومنهم من يقول ويطنب . والعاقل يجنب ويقيم العذر لمن يذنب . ويقول هذه من الله موعظه . وآية لنا موقظه . وأشار

الناس بانفاذ الشواني البواقي • وقطعوا بان هذه القطع لاتكفي لملاقاة من يلاقي • فجهزوها نهاراً • وصيروا سيرها جهارا • وأمروا بتسييرها الى بيروت • ورجوا ان تسبق وتفوت • وركب العسكر في الساحل يباريها • وهي بالقرب تجاريه في البحر وهو في البر يجاريها • فابصر ملاّحوها شواني الفرنج لبارزتها مبرزه • وللاجهاز وراءها مجهزه • وكانوا رجالا من بحرية مصر مجمعه • وأصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مروّعه • فتواقعوا الى الماء • وخافوا على دمائهم في الدماء • وخرجوا الى البر على وجوههم • وخافوا مكرهم في مكروههم • وفروا وفاروا • وطاروا وناروا • ولم يلفت أحد منهم ليتا • ولم يردهم دعاؤهم الى التجمع الا تشتيتا • فظهر بهذه النوبة الواقعه • والنبوة الرائعه • ان نوّاب مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال • ولم يرتب فيه على مايراد رجال • وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفه • ومستضعفة غير آلفة ولا مألوفه • فلا جرم لما شاهدوا الروع ارتاعوا • ولما الزموا بالطاعة مااستطاعوا • وكان في جملة شوانينا قطعة يتولاها رئيس جبيل كانها جبيل • وفيها بحرية من ذوى التجربة والتجرى والتجرية ماالها جبن ولا ميل • فطال بأسلحة الدفاع * وطار بأجنحة الشراع • وفاز بالسبق وفات • وهيهات ان يدرك هيهات • فنجا النجباء • وآب بهم الاباء • فبقيت المراكب الباقيه • وقد أخلاها حماتها الواقيه • فرفعناها الى البر * ورأينا الصحة منها في الكسر • وفرغنا من شغل المراكب في البحر . هذا والمنجنيقات ترميهم . والمفوقات الموفقات تصميهم وتصميهم . والقتال قائم • والنزال دائم • والصخور تفلق • والصدور تقلق • والاحجار تقلقل • والاسوار تحلحل • والاطواد تضعضع • والابراج القيام تسجد وتركع • والاصلاد تقدح * والاجلاد تقرح • والالواح تصدع • والارواح تودع • والخدود بشفاه الشفار ملثومه • والحدود بضراب الاضراب مثلومه • والجروح بين أكفاء الكفاح مقسومه • والقروح بها قوارح القوارع موسومه • والحنايا واترة موتره • والمنايا مأثورة • مؤثره • وظماء الضغائن تحدى بصليل البواتر . وصهيل الضوامر وحقوق الحقود تقتضى بألسنة الاسنة وعنت الاعنة من الغريم الكافر • والاوداج شاخبة كالعيون البواكي • والابشار دامية من الزنبوركات والناوكات النواكي • وهناك العقل معزول بالتهور • والرأى مشغول عن التدبر • والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه والجرخي يبتدئ ببسم الله • والمنجنيقيّ يختم بلااله الا الله • والزراق بالنار يطيب

القاروره • ويحرق الساتوره . والسباق الى المضمار يساور السور ويباشر الباشوره •

﴿ ذكر خروج الفرنج للقتال ﴾

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة • ظنوا فينا الفتور لاجل تلك الفتره * وقالوا مراكبهم انحل تركيبها • وكتائبهم اختل ترتيبها • وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجريبها * وهم الآن على صوت لهم مخيف * وفوت بهم مطيف * فلا معنى لتقاعدنا عنهم • ولا وجه لتباعدنا منهم . فلو خرجنا صدمناهم . وأقدمنا عليهم وهزمناهم * وخرجوا يوماً قبل العصر • في عدة كالليل خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلأموا وانضموا وانتظموا وتقدموا • وأقدموا للطوارق حاملين، وللجمالات مطرقين. وعلى الفرق مجتمعين وللجماعات مفرقين • وبالرهق جادين • وبالجد مرهقين * وللعقود حالين * ومن الغمود سالين • وللمناصل منتضين * وللطوائل مقتضين * وللسيوف مجردين * وللسيول مجرين * وبالزغف ملتثمين . وفي الحتف مقتحمين • وبالقنطاريات طائرين * وبالزيارات زائرين * من كل مغوار وار * ومحضار ضار، وفجار جار ، وجبار بار، وعدو عنود • وكند كنود. وداوى ذى دوى . وباروني غوي، ومن كل مصمم اذا وتر، مصمم اذا أوتر، مصماذا نمر ، مصر اذا ذمر. هائج اذا استعر • مائج اذا ذخر، متنمر اذا زأر • متذمر اذا زحر • فتناوبوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا • ودنوا من متارس المنجنيقات ، وجزوا من مغارس الخنويات ، وبنوا أمرهم على ان الناس ناسون غارون • وان اهل البأس فى خيمهم هاجعون قارون • فتلقاهم منا كل ضارب للهام • ضار بالحمام • جار الى الاقدام • ملب للصوت • محب للموت • مشتهر بالغناء • مشتهٍ للقاء . مستهتر بالبلاء • ماض بالمواضي . متقاض بالقواضب القواضي وكل أبيض بالبيض ضراب وللبيض رضاض . وأغلب المغاب قضقاض والى الحرب نهاض، وكل معتقل رماحه • معتقد مرحه • منتقد مراحه • مهتز لطرب الشهادة . معتز بأرب السعاده • متمن للمنون • متجن على الخنون • مضرم نار الحديد في ماء الوريد • مغرم في تفريق العدى بجمع العديد • مفرغ ماء الظباء على نار التجميع • مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع • قد تلثم باللام • وتلفع باللثام • وتقنع بالزرد • وتدرع بالجلد • وتجوشن بالصبر • وتخشن بالزبر • وصال بالقضب • وجال بالهضب • وطال بالهندى

على الفرنجي • وخاض من دم الشرك في البحر اللجي • فلم يسمع الا أنين الحنيه • لحنين المنيه • ورنين الاوتار • من كنين الاوتار • وهفيف السهام • لذفيف اللهام • وصليل بنات الغمود • من غليل أبناء الحقود • وهمهمة الابطال • وغمغمة الأقتال • وزئير الضرغام • وزفير الضرام • وقرع الظبا بالظبا • ووقع الشبا على الشبا • وضجة الحديد من الحديد • وعجة الشديد من الشديد * وجعجعة رحى الحرب • وقعقعة أداة الطعن والضرب • وجرجرة الفحول * وزمجرة الذحول • وهديل حمام الحمام • وهدير قروم الاقدام * ووعوعة ذئاب الوغي • ومعمعة الهاب اللاظي * ودعدعة صاع المصاع • وجلجلة سباع القراع • وصلصلة الزبر • وولولة الزمر * وحيعلة دعاة النصر * وهيضلة رعاة الكفر * ورفرفة المريشات الراشقه * وهسهسة الطعنات الفاهقه • وهزهزة أعطاف المران * وزهزهة أصوات الشجعان * ونعير الغالبين • وصخب السالبين * ولجب الجالبين • وزحير الطالبين • ونهيت الأسود * وقصيف الرعود • وهدة الاركان * ودهدهة الرعان • وقهقهة الأقران * وقرقرة كوم الكماه • وصرصرة بزاة الغزاه * وكتيش صلال الضلال • ونشيش مراجل الرجال * وهزيز ريح الباس * وهزيم رعد المراس * وارنان المعاجس • وارزام القناعس • وهيعة الصارخ • وصيحة النافخ * وزعقة المستفزع * ولعقة المستنزع • وشمشمة الخرصان • وزهزمة النيران * وهينمة الاجل • وجمجمة الزجل * وتكبير المؤمنين • وتهليل المؤمنين • وصرير أبواب الجنان للشهداء * وصريف أنياب الجنان للاعداء • والدعاء الى اللقاء • والنداء الى الارداء • وارتفعت الاصوات * واشتبهت الاحياء والاموات * ووقع أصحابنا فيهم وقوع النار في الحطب * وأروهم في مرايا البيض وجوه العطب * وولوا مدبرين * بعد ماتولوا مدبرين • وجنودنا تشلهم * وحدودنا تفلهم * ولتوتنا ترضهم * ولبوتنا تقضهم • وعادوا الى البلد * عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نوادب • وأيدي الردي بهم لواعب ومنهم لواغب * ودخل الليل • وعمهم الويل • وأسرنا منهم مقدمين • ثبتوا على الموت مقدمين * وممن أسر خمر قومص عظيم • بل شيطان رجيم * فترك في قيد الاسار * ليكشف عن حاله بالنهار • وكان الملك الظاهر غازي • لم يحضر فيما تقدم من المغازي • فرأى أن يحقق اسمه بقتله * فضرب عنقه بحد نصله • وكان للمركيس شبيهاً * وفي الفرنج وجيهاً • فظنوا أنه هو للشبه • وبات أهل الكفر بالعمى والعمه • ثم

عرف أن المركيس في نفسه لم ينكأ ولم ينكب * ولما عطب أشياعه لم يعطب * وندم على مقدم • ومن تقدم على غرة تندم

﴿ ذكر مادبروه من الرأى ورأوه من التدبير ﴾

ولما امتنع البلد • وارتدع الجلد • وارتتج العدو ولج * ضجر العسكر وضج • واجتمع أمراء يحبون الافلات • ولا يكرهون الفوات • وقالوا مطاولة ما نقصر عنه تتعب • ومزاولة مالايزول تصعب • ومحاولة الممتنع محال • ومطال غريم هذا الفتح مطال • وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال • وهذا السلطان جلد على المصابره • مجد في المكابره • لايكترث بالكارث • ولا يدخل سمعه حديث الحادث • ولا يبالي بمن بلى • ولا يفكر فيمن ولي أو ولى * ولاراحة له الا في التعب *ولا يعلم له نصيب سلامة الا من النصب • وكل ماجرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم يردعه • وقد قيل اذا لم تستطع شيئاً فدعه * فكيف السبيل الى استعطافه • وما التدبير في استسعافه • وبم نتوسل ونتوصل * واذا عرفناه ان الداء يعضل والخطب يشكل لعله يحتوى الاقامة ويرحل • فاطلع على ما أسروه • ومر به ما أمروه * وهمه مابه هموا • وآلمه مابه ألموا * فراسلهم بالهبات • وواصلهم بالصلات * ورغبهم فيما عندالله من الزلفي * ووعدهم بكل ما على أملهم أوفي • وقال لهم كيف نخلى هذا المكان • وما استفرغنا في شغله الامكان * وما استفدنا في مضايقته الوسع * ولا أحسنا بعد في محاصرته الصنع • ولا زحف اليه الجمع • ولا حفز منه المنع * ولا أصابنا من مكر أهله مكروه • ولا ورد الصبر منه بشفاه شفاهه مشفوه * وكيف تجرى بنا الخيل عنه قبل التجريب * وهذا الارب مايخطر بخاطر الاريب • وما عذرنا الى الله والى المسلمين اذا تركناه • وكيف نقول فاتنا هذا القنص وما أدركناه • والفرصة اذا فاتت لاتدرك • والبغية اذا وأتت فحققها تملك * ونواظر الناس الى ماسيكون منا في صور صور • وهذه الظلمة المدلهمه لايجلوها الا نور • ومن لايتعب لايستريح • ومن لايحترق من الوجد لايقترح • وان تجدوا تجدوا * وان تردوا عن المنهل العدى تردوا * وان تصبروا تصيبوا • فارجعوا الى الله وأنيبوا • وهذا الراجل متواصل • والغرض به حاصل * ونحن نقسمه على المجانيق ونوبها • ونلزم كلا منهم ملازمة البقعه التي هو بها • وهذا البرج قد ارتفع •

والوسع قد اتسع • وقد امتلأت بالرجال طبقاته • وتوالت منها في الكفر رشقاته • والنصر قد آن أن تطيب نشقاته • والمركيس أبعده الله قد قرب أن تخونه ثقاته * ورأيناطول الارواح * لا التطاول الى الرواح * وفي التثبت على المقام * التوثب على المرام . ثم أخرج المال وصبه من أكياسه . وفرقه على ناسه • وانفقه في أهل باسه ، وواصل البذل . وهجر العذل . وملأ الايدى بالغني • وروج للرجاء نجح المني • وأمر فامتثل وقال فقبل * ونادى فسمع . وحشر فجمع • وعادت عادة الحصار • وأسعدت سعادة الانصار *

﴿ ذكر فتح حصن هونين ﴾

وورد الخبر عن هونين أنها هانت • ودنا أمرها ودانت • وان طريق فتحهابانت وأنها عنت فان ألطاف الله أعانت * وانها بذلت ماصانت * ولم تبق للكفر على ماكانت وان شدتها لانت • وكان السلطان قد وكل بها بعض أمرائه • وأمده بمددي جنده وعطائه * فلبث الي هذه الغاية . يصميها بسهام النكايه * حتى طلب أهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولا يشتطون ، فأول ماقالوا أمهلونا حتي نعلم ما يكون من صور . ونكشف هذه الامور ، فان أخذتموها اخذتم هذه ، وشفعنا أمر السلطان بنفاذه • وان خليتموها فياهوان هونين ، ونحن نجمل على هذا عدة من الاصحاب من هونين ، فندب السلطان بدر الدين دلدرم الياروقي وهو من أكابر عظمائه ، وأكارم أمرائه ، وأمره باستنزالهم واستزلالهم ، والامان لنسائهم ورجالهم ، فمضى ورغبهم في الامن والسلامه ، وخوفهم عقبي الحسرة والندامه ، وقال لهم أنتم بين حصنين هما تبنين وبانياس، وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان الياس، واذا أبيتم التسليم عدمتم سلامتكم، وأقمتم قيامتكم • واستباحكم السلطان واستبا كم • وكرهكم وأباكم • وحل بالقتل حبا كم • وفل شبا كم • فما زال يرغب ويرهب حتي رغبوا ورهبوا •. وأخذوا الامان على ان يذهبوا • • ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم • ولمقاتلة أهلها مستديم * والى ماعند الله من نصرة مستنيم • وتسلمت هونين بما فيهامن عدة وذخيره • وقوة وميره • وآلات وأدوات كثيره • وتسلمها بيرم أخو صاحب بانياس • واستشعر الفرنج منها الياس • وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها • وبرح بالقلوب برحها

من عمل صيداء قلعة أبي الحسن وشقيف أرنون • ومن عمل طبرية والغور صفد وكوكب وهما من أحكم الحصون. وقد وكل بهما أميرين • من خواصه كبيرين • وقد ضيقا على من بهما من العلوج • ومنعا من الدخول والخروج • وأقام السلطان على صور محاصرا • وللدين الحنيف ناصرا • وليد الشرك بمطاولته قاصرا • يقاتلها بكل سلاح • ويقابلها بكل كفاح • حتى كادت تستكين • وشدتها تلين • وأيدتها تدين • وسريرها يبين • وكان قد دخل كانون • وظهر من سر الشتاء المكنون • وقبض البرد الأيدى عن الانبساط • واعدم الهمم دواعى النشاط • وعادت العزائم المتوهجة تبرد • والصرائم المتأججة تخدم • والنخوات المتحركة تجمد • والحميات المتيقظة ترقد • والضرام المحتدم يخبو • والحسام المخذم ينبو • والطباع تتكره • والسباع تتأوه • ومناوبة القتال تختل • ومعاقدة النزال تحل • فلحاهم السلطان على مالاح • وعرفهم ان في الصبر الفلاح • وأمرهم بالمقام والاستقامة على الامر • وانه لاظفر الا مع الصبر • وان الظلم تجلى عند تجلي الفجر • وكان في الامراء جماعة منتخبون منتخون • أبت أماناتهم في حمية الدين ان تخون • مقيمون على الكريهة ولا كراهة منهم للمقام • ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثرون بأنفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان • وعصيان الشيطان في مفارقة المكان • فاذا أرجف بالرحيل رجفوا • وسخفوا رأي المشير به وضعفوا • واضطربوا واضطرموا وتذمروا وتلوموا • وقالوا كيف نترك ماحويناه • ونعوج ماسويناه • وننشر كفرا طويناه ونهجر خيرا نويناه • وندوى توحيداً شفيناه • ونشقي اشرا كا أدويناه • وما للراحة اليوم طالب • الا وهو غدا بالتعب مطلوب • ومن أمسى وهو الآن غالب • يوشك اذا ولي ان يصبح وهو مغلوب • وهذه صورة صور قد تشوهت • وموارد قوتها شفهت • واذا تخلينا عنها وخليناها ترفهت واستفرهت • واذا حلمنا عنها سفهت • وهبت من غشية خشيتها وتنبهت • وتارك المصابرة مصاب • والآخذ بالمثابرة مثاب • فنهم الامير طمان بن غازي ماالطمأن يوماً في الغزو ولا سكن • وعز الدين جرديك النوري كم جرد على اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن • وهما هامان مقدمان مقداما • من عادتهما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولا يريمان • وجماعة أخر بهما يتشبهون • وبالكريهة لايتكرهون • وأما الباقون فانهم أحبوا البقاء • وابغضوا اللقاء • واتقوا الاتقاء • وأبوا الا الاباء • وقالوا قد لغبنا • وما بلغنا • وجرحنا • وما رجحنا • فلورحنا

استرحنا • ثم عجنا ورجعنا • وما نحن بأول واضع للاصر • راجع عن الحصر • معتف للعقل • مستنف من الثقل • عامل بمحض الحزم • عالم بوقت العزم • هذا وقد علم ماعرا من ضروب الكروب • وثلم مابرى من غروب الحروب • وبقدر ماهدم من مباني البلد هدم أكثر منه من مباني الجلد • فقال السلطان بل نجد في القتال أياماً • ونقدم بأساً واقدام • وتزحف بجميع رجالنا • ونصدقهم في نزالنا • ونقاتلهم من جميع النواحي • فان تعذر لاح العذر للاحي • واصبح العسكر وقد استعد • وامتد قبالة البلد من البحر الى البحر والنصر استمد • وركب الامراء باجنادهم ووقفوا • وأثمر لهم ورق الحديد الاخضر فقطفوا • وتناوبوا في الزحف • وتعاقبوا على الحتف • وكلما ترجلت طائفة قاتلت ثم رجعت • وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وصدعت • وقارعت وقرعت • وصارعت وصرعت • فلم ير أشد من ذلك اليوم • في وقم القوم • واجترأ أصحابنا • وراض جماحهم إصحابنا • وخاضت خيلنا في البحر خلف منهزميهم • وأقدم من أحجم منا لاحجام مقدميهم • فحينئذ طارت للحين من السهام زنابيرها • وأسعرت الحرب بضرام الضراب مساعيرها • وامتلأت السعير بقتلاهم وقالت هل من مزيد • وفتحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد • وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة • وملت الاجنحة • وانهاضت قوادم الانهاض • وانفضت الجموع من افواء القوى والانفاض • وبات الناس على ضجر وضجاج • ولجب ولجاج • فلو عاودنا البلد بمثل ذلك اليوم أياماً • لنلنا من فتحه مراما لكنهم أصبحوا على سأم • وألموا بابداء ألم • وقالوا قلت كثرتنا • فلو أقيلت عثرتنا لانجبرت كسرتنا • وفينا الجريح والطليح • وحتى متى لا نستريح • وقد توالت الامطار فلا مطار • وعلينا هذا الحصار صار • وكانت الجراحات كثيره • والاجتياحات بها مثيره • ومنع البرد من العمل • وامتنع سد الحلة وتسديد الخلل • وما زالوا يراسلون السلطان ويشيرون بالرحيل • ويقولون لاتتعب على تحصيل المستحيل • ولا تذهب الايام في ابرام السحيل • ودعنا نستجد دعه • ونسترد قوى عند لطف الله مودعه • ونشتغل بفتح الايسر وهو أكثر • ونؤخر التشاغل بما لعله يتعسر • وكان السلطان في تلك المدة • أنفق أموالا كثيرة على تلك الالة والعدة • وما أمكن نقلها • ولا امكن من نقلها ثقلها • ولو أبقاها لقوى بها الكفر • واشتغل بسببها الفكر • فرأى نقضها • وفك بعضها • وأحرق منها ماتعذر حملها • وشتت بعد التجمع شملها • وحمل بعضها

الى صيداء وبعضها الي عكا . وجرت أعاجيب ماتكاد تحكى . وسر ذلك الرحيل قوماً وساء قوماً فأضحك وأبكى . وتأخر السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة الاولى . ويد أيده على جميع الاحوال طولي . فشرع العسكر فى الانصراف . وتزود للانفكاك والانكفاف . وأخذ الجمع فى الافتراق . وانتشر في الآفاق . وذهب من ذهب على مواعدة في المعاوده . ومسارعة في الرجوع الي المساعده . وودع الملك المظفر تقى الدين من هناك . وأوعد بوعد عوده الاشراك . وسار على طريق هونين الى دمشق مغذا . وفارق الغزو وكان له ذلك المغزى مغذى . وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وديار بكر . وكل طير منهم اشتاق الى وكر * وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعباً كثيراً * وان هذا العدو الذى مالوا اليه يصير لحيث حركتهم مثيراً * وبقى السلطان يتلهف على ما تركه * ويتأسف على الفتح الذى ماأدركه * والذين أشاروا بهذا الرأى يسهلون الصعب * ويهونون الخطب * ويقولون نمضى ونعود * وتساعدنا السعود * وتجددنا الجنود * وتجدد الجدود * ويورق العود * وتصدق الوعود * واذا أبقل الربيع * أقبل الجميع * وطاب الزمان * ووفي الضمان * وأمكن الاسعاد وساعد الامكان * وما زالوا بنا حتي رحلنا * وعلى الرأي الرائب منهم أحلنا * ولو أقمنا لقمنا * وقمنا العدو ووقمنا * لكن الله قدر وقدره محتوم * وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم * وأراد ولا مرد لمراده * وقضى ولا محيد لما قضاه في عباده * ان تبقى صور فى تلك الحالة للكفر وكرا * وللمكر مكرا * وللشرك شركا * وللنار جهنم دركا * وقدمنا عن صور الارتحال * آخر شوال * غرة كانون الثانى وعم البرد فى القاصى والدانى * وتوحمت السماء من حوامل السحائب * وتوحلت الارض من سوائل المذانب * والنكب الرياح عواصف عواسف * قواصم قواصف * والسحب الدلاح هوامل هوامس رواعد رواعف * والبرد قارص قارس * والماء جامد جامس * والشتاء شتات بتات * وما مع مقامه وثباته مقام وثبات * وسرنا عباديد في لبابيد . وبين جليد وجلاميد * على الناقورة وطريقها * والاثقال قد ازدحمت في مضيقها * والاحمال تتواقع * والاجمال تتقاطع * والسبل تنسد * والسابلة ترتد * وسلكت الخيل الجبل * وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصل * وتأخر الثقل الى ان تخلص * وتقدم من سبق وتملص * ووصلنا الى عكاء في ثلث مراحل * وقد غطي بحر عسكرنا الساحل * وخيم السلطان على باب

البلد بجانب التل * سامي المحل * نامي الفضل * دائم الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر * واثقاً من الله بانجاز عدة النصر *

﴿ ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه ﴾

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود أخو جاولي * وكان من جملة الامراء أعف ولي ولي * وعاش مجاهداً زاهداً وعيشه زهيد * وقضى صابراً مصابراً وهو سعيد شهيد * وسبب ذلك ان السلطان لعلمه بديانته وأمانته * وبأسه وبسالته * ويقظته ونهضته وحزامته * وكله بحصن كوكب الذى على الغور * وكانت فيها جمرة الاسبتارية القريبة الجور البعيدة الغور * وقد تمنعوا بشدتهم * واشتدوا بمنعتهم * وهو حصن لا يرام * وركن لا يضام * ومعقل لا يسامى ولا يسام * وذروة لا تفرع * ومروة لا تقرع * وعقيلة لا تفترع * وبكر لا تخطب * وقلعة لا تطلب * ولما ملك الساحل * وهلك الباطل * ونظمت الحصون في سلك الحصول * وظفر الاسلام بالفتح المأمون المأمول * وافتتحت طبرية وأعمالها * وتملكت أغوار تلك البلاد وجبالها * تمنعت قلعتا صفد بالداويه * وكوكب بالاسبتاريه * وتعذر فتحهما * وتعسر منحهما * ووقف أمرهما * وأعدى البلاد ضرهما * فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصريه * من أهل الابية والنخوة والحميه * ومقدمهم مسعود الصلتي أصلتت سعادته منه سيفاً إصليتا * لا يلفت عن لقاء العدو ليتا * ورتب على كوكب هذا محمودا * وكان بهما أمر الحفظ محمودا * وذلك بعد الكسره * وصحة النصره * فأحاطا بالحصنين واحتاطا * وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى * وكان الحفظ مستمرا * والاحتياط مستقرا * حتى أنس محمود بضعف أهل الحصن * وظن انهم في غاية الوهن * وسكن الى سكونهم * وأغمضت عينه لتوهم اغماض عيونهم * واسترسل فيما حزب * واستسهل ما صعب * وأخل بالحزم * وخلا من العزم * واحتقر عدوه * وحسب من العجز هدوه * وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفربلا * قد أقام به جاماً جامعاً فيه ما أمر وحلا * وكان ذا دين متين * ومكان من النسك مكين * وهو يسهر أكثر ليله متهجداً * وقد جعل منزله مسجدا * وأصحابه من حوله * يحفظونه بقوة الله وحوله * فلما كان آخر ليلة من شوال * وهي ليلة ذات أهوال * مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة * ليلاء قتماء * باردة

مقشعره * أنوارها بائده * وأنواؤها جائده * وهزايم جنحها دجوجي * وهزيم ودقها لجي * وسحبها سحم * وأقطارها دهم * وصبيرها صيب * وصنبرها مشيب * لايفرق فيها السماء من الارض * ظلمات بعضها فوق بعض * خرج أهل كوكب وقت السحر * ومضوا اليه وقد رقد بعد طول السهر * والناس رقود * والحراس هجود * والجنود جود * والانفاس خمود * والهمم ركود * والسيوف أسرار * أضمرتها الغمود * والعدم قد دنا منه الوجود * فما أحس محمود المحمود * وأصحابه الهمود * الا بالفرنج وقد سلكوا اليهم * وبركوا عليهم * فقصروا عن الامتناع * ولم يقدروا على الدفاع * فجاءتهم السعاده * وفجأتهم الشهاده * وبقي الامير حتى استشهد محصورا * وكان أمر الله قدراً مقدورا * ونقلوا الى القلعة ماوجدوه من سلاح ومتاع * وخيل وكراع * فلما عرف السلطان ماأصابهم * احتسب عند الله مصابهم * وأحمد الى الجنة مآبهم * فندب الي كوكب صارم الدين قايماز النجمي الصارم المخدم * والحازم المقدم * والعضب البتار * والندب المغوار * والاسد الاسد * والاحمى الاحمد * في خمسمائة فارس من ذوي النجده * والبأس والشده * فسد الطريق عضايقها عنها * ومنع من الدخول اليها والخروج منها * ولم يزل عليها مقيما * ولحصرها مستديماً * الى ان يسر الله فتحها * وسهل للآمال فيها نجحها * وسنذكر ذلك في موضعه * وكيف أشرق صبح النصر من مطلعه *

﴿ ذكر ماجرى بعد نزول السلطان على عكاء بعد عوده من صور ﴾

استأذن الملك الظاهر والده في العود الى حلب فأذن له وودعه * بعدما أمره بكل مايجب تقديمه من الاستعداد فامتثله واتبعه * وودع الملك العادل وأوجه الى مصر * مستقبل الظفر والنصر * وأقام الملك الافضل بعكاء مستقلا بالآراء * مستهلا بالآلاء * مستبداً بتدبير أسباب الهدي * مستعداً لتدمير أحزاب العدى * وأقمنا بالمخيم لخدمة السلطان ملازمين * ولاقامة شرائطها مداومين * وكل يطلب اذنا في الانصراف * ويستقيم على نهج الانحراف * حتى خف من عندنا من الجند * وثقل علينا عب البرد وتناوحت الهوج * وتراوحت الثلوج * ورجت الدروج * ونحت النؤوج * وارتجز عجاج الودق * وارتجس نجاح البرق * وجفت الحرجف * وطفح الاوطف * وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد * وتجللت بأبراد الجليد من البرد الاكام والوهاد * ومال بل وقع

عمود السرادق • ودام تواصل البوارح والبوارق • ودخل السلطان الى المدينه • وسكن بها في كنف السكينه • مستقيما على الحجة المستبينه • مقيما للحجة المتينه • وشرع في اعداد العدد • واستمداد المدد وابرام معاقد الحل والعقد • واحكام قواعد الدين والمجد • واحياء سنة السماح والفضل • واعلاء سناء الاحسان والعدل • وافادة الكرام واكرام الوفود • واعادة مابدأ به من افاضة الجود • واجازة الراجين • واجارة اللاجين • واسعاف العافين • وايماد العادين • وادناء أهل العلم • واغناء ذوى العدم • وانجاح المقاصد • وانجاز المواعد •

﴿ ذكر رسل وردوا فى هذا التاريخ ﴾

وكانت رسل الآفاق • من الروم وخراسان والعراق • عاكفين على بابه • قاطفين جني جنابه * واقفين لرفع حجابه • مستسعفين لنعمائه • مستعطفين لآلائه * متعرضين لثوابه • متضرعين في خطابه • وكلهم يهنئه بما أفرده الله بفضيلته • وخصه بنجح وسيلته • وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك • وهداه الي سبيله وقد تعذر بهم اليه السلوك • وهو فتح القدس الذى درج على حسرته القرون الاولى • وتقاصرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولي • فما منهم الا من يعترف بيمنه ويغترف من يمه • ويقر بحكم التنزيل له وينزل على حكمه • ويخطب الصداقة ويخاطب في الصدق • ويحقق المظاهرة لاظهار الحق • ويتقرب بالوفاء والوفاق • ويتباعد عن الشقاء والشقاق • ومن جملتهم رسول صاحب الرى قتلغ أينانج بن بهلوان • ورسول قزل أرسلان المستولي على ممالك همذان وأذربيجان وأران • وهو عز الدين الطالبي الطالب للعز • الراغب فى الفوز • فما من يوم يمضى • وشهر ينقضى • الا ويصل منهم رسول • ويتصل به سول • وتجلي غمه * وتجلى نعمه • وتجيء بشرى وتستبشر وجوه • ويكشف مكر ويكفى مكروه • ونظر في أحوال عكاء فرتبها • وفي أمورها فهذبها • وفي مضارها فاذهبها • وفي منافعها فقربها • وولي عز الدين جرديك بها واليا • وأعاد عطلها بفضل ولده الملك الافضل حاليا • ووقف بها وقوفا • وأجنى المستحقين منها قطوفا • وأسدى معروفا • وأعطي ألوفا • وأرغم من الاعداء أنوفا • وكانت فتوحه لهم حتوفا • ووقف نصف دار الاسبتار رباطا للمتصوفه • وللوافدين من أهل الطريقه والمعرفه • ونصفها مدرسة للمتفقهه • وللطلبة

المتعففة المتنزهه . فجمع بين العلم والعمل . والنجح والامل . وكتب الرزق لهم الي كتاب الاجل واتخذ لطلب مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضي . وأتي بكل مايحبه الله وبه يرضى * فلم يبق سنة الا خلدها * ولا منة الا قلدها * ولا أجرا الا أجراه * ولا هدي الا أهداه * ولا أمرا الا أمره * ولا درا الا أدره * ولافريضة الا أداها * ولا فضيلة الا أتاها * ولا فرصة صواب الا انتهزها * ولا حصة ثواب الا أحرزها * ولا رمم فواضل الا أنشرها ونشرها * ولا أمم فضائل الا حشدها وحشرها . وماترك قارئا الا قراه * ولا راويا الا أشبعه وأرواه * ولا حافظ حديث الا حفظه من الحدثان * ولا محسن صنعة الا اصطنعه بالاحسان * ولا ناظم مدائح * الا نظم له المنائح * ولا موافيا بقريض الا وفي قروضه * وأعجز عن القيام بحملي حمده نهوضه * وتقدم الى الوالي بالتردد في الاعمال * وتفقد الاحوال * وسد الخلة وتسديد الاختلال * وتعليل السقيم وتسقيم المعتل * وتحليل العقد وتعقيد المنحل * فاستقرت بولايته الولايه . واستمرت لرعيته الرعايه . ودرت أفاويق الآفاق . ودارت أسواق الارزاق .

﴿ ذكر وصول أخي تاج الدين ابى بكر حامد من دار الخلافة للرسالة في العتب على احداث نقلت * وأحاديث نقلت * ووشايات أثرت وأرثت * وسعايات في السلطان عثت * في الاحوال وشعثت وذلك في شوال * ونحن على حصار صور ونزاع ونزال

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾*

لما تم الفتح الاكبر . وخص وعم النجح الاظهر . وقطع دابر المشركين . وحط اقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بحطين . أمرني السلطان بانشاء كتب البشائر الى الآفاق . وتقديم البشرى به الى العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . وملك عقيم . وسمو وسيم . فلا يجب أن يكون مبشر دار الخلافه . بما أنزله الله لنا الرحمه والرآفه . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم وأعلى . وأجمع لفنون الفضائل . وأعرف بأداء الرسائل . فلا توجه بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولا تنبه لهذه

المقامة الا القويم النبيه • ولا ترفع العظيم الا بالعظيم الرفيع • فان الشريف يتضع شرفه بمقارنة الوضيع • فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت • وموهبة ميسرة بدرت وندرت • فنحن نعجل بها بشيرا • ونؤخر الاجلال كما ذكرت سفيراً • وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد • قد هاجر للاسترفاد • وتوجه بعد وصوله • ونبه بعد خموله • فسأل في البشارة الى بغداد • وزعم انه يداوم اليها الاغذاذ • وشفع له جماعة من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر • فقلت هذا لايحصل له وقع • ولا يصل اليه نفع • والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير • وفي هذه النصرة الكبرى كبير • فان الرسول من يندب للتفهيم والتفخيم • ويرتب في الامر العظيم للتعظيم • ثم سار المندوب • وشغلت عن ارسال سواه الفتوح والحروب • ولما فتح البيت المقدس أرسل ببشارته نجاب • ونفذ بها كتاب • ووصل البشير الجندي • فلم تجل به على كفؤ الجلالة من الهدى الهدى • وحقروه • وما وقروه • فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به من الرقة والهين • ونقم على السلطان ارسال مثله • وانه لم يعصب المنصب في تلك الرسالة بأهله • وتسمح المندوب بكلام أخذ عليه • وبدرت منه أحاديث نسبت اليه • وقال في سكره وحالة نكره • مايعرض عن ذكره • فخيل وموه • وتنكر وتكره • وظن ان لكلامه أصلا • ولقطعه منا وصلا • وأنهيت الى العرض الاشرف مقالاته • وعلمت جهالاته • وتجنى على السلطان بارساله • وطرق الى هداه ماأنكروه من مقال المذكور وضلاله • ووجد الاعداء حينئذ الى السعاية طريقاً • وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقاً • واختلقوا أضاليل • ولفقوا أباطيل • وقالوا هذا يزعم انه يقلب الدوله • ويغلب الصوله • وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام الناصر • ويدل بما له من القوة والعساكر • فأشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه • وبرز الامر المطاع بارسال أخي وانفاذه • وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد • يكفل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان أخاه هناك مطلع على الاسرار • وهو منتظم في سلك الاولياء الابرار • وعول عليه الديوان العزيز في السفاره • ورد معه جواب البشاره • وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب • ومكدرات موارد القرب • والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه • والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لينه • ونشر الاعتاب في طي العتاب • وروح الارضاء في شخص الاغضاب • وبرد الموهبة في برد المهابه • يرد ظن الخطإ الى يقين

الاصابه • وشرف من الديوان الاخ • فسار وهو يبذخ • وقد أصحب خيلا • وأسحب
من التشريف والانعام ذيلا • والحف من نور الاهبة العباسية نهاراً وليلا • فوصل
السير بالسرى • وقطع الوهاد والذرا • وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائعه •
واشارة وادعه • وشعار مهيب • وشرع مصيب • وهيبة روعة اماميه • وهيأة عصمة
عصاميه • وفرند نبوى لاينبو • وزند وري لايكبو • ولسان في الصرامة جرى • وجنان
بالشهامة حرى • وبلاغة بابلاغ • ماليس بلاغ • وثقة وافيه • وصيغة بصياغة كل غريبة
قول • ورغبية طول • كافلة كافيه • وسني نور وقار يستعير منه سنير • وثبات خلق
يخالق به ثبير • وكان قد عاد المندوب نادبا عاديا • جاحداً للنعمة شاكياً • ذاكرا انه عدم
الحفاظ • ووجد الاحفاظ • وأكثر الكلام • فما حرك شمام • وقال أخو العماد قد
وصل بكل عتب ممض • وخطاب مقض • وغضب منض • ولفظ فظ • وحض على غير
حظ • ومعه الملامات المؤلمات • والظلامات المظلمات • فقلت له اسكت واصمت • ويمالك
من وسم الوصم مت • ولا تدخل هذا الباب واخرج • وليس هذا بعشك فادرج •
وقلت للسلطان سمعاً وطاعة لامر الديوان • فان اظهار سر العتب لك من غاية الاحسان •
فقال نعم ماقلت • وقد طلت بارسال أخيك وطلت • وما أسعدني اذا شرفت بالعتاب •
وأسعفت بالخطاب • والمملوك ينفعه التأديب • ويزعه التهذيب • على اننا لم نأت الا بكل
ماقوى الهدى • وأضعف المدى • وكف الكفر وأدني الدين • وما زلنا في طاعة أمير
المؤمنين مجدين • أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت • أما استأنفنا بها
تاريخ الدولة العباسية بعد أن كانت سنين بسواها أرخت • اما استخلصت اليمن وللدعي بها
داع • وللهدى فيها ناع وللضلال منها راع • أما أرحت من رق الشرك الساحل • اما
أزحت عن حق الملك الباطل • اما فتحت البيت المقدس والحقته بالبيت الحرام • وألحقته
رداء الاكرام • واعدت الى الوطن منه غريب الاسلام • اما رعت الغرب بغرب عزمي
ووزعت الشرق بشرع حكمي • وما تعبدت الا بالعبودية للدار العزيزه • وهذه الفطرة
متمكنة مني في الغريزه • فأهلا وسهلا بالرسول وبالسول • وحباً ومرحبا بالاقبال
والقبول • وما أتى الا بالحب والحبور • ولاسرار الامور ولاظهار سر السرور • والبارق
يشام اذا رعد • والصادق يرام اذا وعد • وما أسرنا بالواصل وأوصلنا بالمسره • وأبرنا
بالجد واجدنا بالمبره • وسمعت منه كل ماهدى سمعي • وابدى لمى وجمع شملي وشمل

بالعز جمى • ولما قرب أخي • أصبحت لقدومه انخى . فأمر السلطان الامراء على مراتبهم باستقباله * وتقدم الجلالة قدومه باجلاله • ثم ركب وتلقاه بنفسه • وخصه من تقريبه بأنسه • ولم يزل حتي أراه مواضع الحصار • ومصار الكفار ، ومواطئ أقدام ذوي الاقدام . ومواطن بسالة أهل الاسلام • ثم نزل وانزله بالقرب • وعقد له بالحباء حبي الحب • وسفر وجهه لوجاهة السفير • وأحل محل التوقير والتوفير • وتباج له صبح التبجيل • وتأمل منه نجح التأميل • ثم حضر عنده • وقد أخلي مجلسه لي وله وحده فادى الامانة في مشافهته • ووجه مقاصده في مواجهته • واحضر التذكره • وقد جمعت المعرفة والنكره • فقرأتها عليه بفصولها ونصوصها • وألزمته حكمي عمومها وخصوصها ووقفته على ظواهرها ونصوصها • وكانت في الكتب غلطة عدت من الكاتب غلطه • وخيلت سقطه • وجلبت سخطه • وقال ان الامام أجل ان يأمر بهذه الالفاظ الفظاظ والاسجاع الغلاظ • فقد أمكن ايداع هذه المعاني في أرق منها لفظاً وارفق • وأوفي منها فضلا واوفق • ومعاذ الله ان يحبط عملي • ويهبط أملي • وامتعض وارتمض • ثم أعرض عما عرض • ورجع الى الاستعطاف وانجح بارق الاستسعاف ، وقال اما ماتمحله الاعداء وعدا به المتمحلون • وتنفق به المتقولون وتسوق المبطلون • فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفه • وما هززت منذ اعتززت أعطاف العز الا لما يعزني من العاطفة • وان شرفي بالنعمة السالفة • يوجب أنفي من هذه الآنفه • وأما النعت الذى أنكر • ونبه على موضع الخطاء فيه وذكر • فهذا من عهد الامام المستضيء رضوان الله عليه وجري لتحققه مني على الالسنة • ومتي عدى سيئة ماعد من الحسنة • والآن كل مايشرفني به أمير المؤمنين من السمة فانه أسمي الذى هو أسمي وأشرف • وأطرأ وأطرف • وأرفع وأعرف • وما زاده ذلك العتب الاخلوص ولاء • وخصوص اعتزاز واعتزاء . ثم قال كل ماعتمده من نصرة الدين وقهر اعداء امير المؤمنين • فانما طلبت به وجه الله ورضاه ما تعبدت به سواه • فاني أفترض الطاعة الامامية للدين لا للدنيا • وما اتقوى فيها الا بالتقوى • وما في عزمي الا استكمال الفتوح لامير المؤمنين . وقطع دابر المنافقين والمشركين • واذا عادت عواطفه عطفت على في الحسن العوائد • وقطفت الفوائد . وصفت الموارد • ووفت المقاصد • وبعد الاباعد • وبعد الحاسد الحاشد • وهجر هجر الساعي . وأجرى أجر الداعي وعلم جهل الواشي * وعذر ذعر الخاشي وجرب غش الغاشي وخرب عش

العاثي وذوت هموم ذوي الهمم • واوليت كرامة اولي الكرم • ومازال السلطان مدة مقام أخي عنده • يوري في اعظامه زنده • ويأمر بأكرامه جنده • فكنت اشفق من تكدر ذات البين • بعود الانس والوصلة الي الوحشة والبين • وان جماعة من الاكابر اجتمعوا بالسلطان • وقالوا له قد نسب حقك الى البطلان • ورميت بالبهتان • ولمحت طاعتك بعين العصيان • فكيف خفت وما عفت • والفت وما انفت • ورغت وما غرت • وصبرت وما سبرت • واغضيت لما اغضبت • واعتبت لما عوتبت • وراقبت وما روقبت • فقال تذللي للديوان العزيز تعزز به ادين • وتوسلي الي مرضاته توصل بالله فيه استعين • فتواضعي ترفع • وتخشعي تورع • وحبل حبي متين • ومكان قربي مكين • ومما قلت له واوضحت له سبله • انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول • ونزاول بها الملوك وعنها لا نزول * وهذه فضيلتنا التي رجحت • ووسيلتنا التي نجحت • وكنا بها مسعودين • وعليها محسودين • وقد شملت بها بركاتها • وكملت حسناتها • وصفت مشارع يمنها • وضفت مدارع حسنها • فلا تلتفت الى من يلفتك • ولا تنثبت لمن لا يثبتك • واعرض عمن تعرض لمذهب الخلاف • وانهض لمن ينهضك للائتلاف * فقال هذا ديني وديدني • وبه اعني واعتني • ولنوره ولنوره اجتلي واجتني • ثم ندب مع اخي من سار في خدمته لزيارة القدس • وامر بان يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من اهل الرجز والرجس • ثم ودعه واودعه من شفاهه كل مافي النفس • وبالغ في ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشي والتخشع • وانشأت عنه الى الديوان كتبا معه وبعده ضمنتها كل ماحلا وجلا جدة وجده • وكل مايبطل سوق المتنفقين • ويعطل نفق المتسوقين • ويهجن خلق المختلقين • ويزيل تلفيق الساعين ويزيح سعاية الملفقين • ويتمرف الي العوارف الغزر بالشكر • ويستعطف العواطف الغر بالعذر • ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار • وينفض عن وجه البشر ما عليه من الغبار • وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضا • ومضى مامضى • وقضى القدر من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى •

وفي هذه السنه استشهد الامير شمس الدين بن المقدم بالموقف في عرفه لابداعه رسما ماعرفه • فذهب غلطاً • وعطب فرطاً • وذلك ان امير الحاج طاشتكين • انكر عليه ضرب الطبل فامتنع • فندب اليه من به وبأصحابه اوقع • فتمت من هذه الفتنة فتره • ونمت نفره • ولما نمي الخبر الى السلطان • لم يبد منه سوى الاذعان • وقال لاشك ان

طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الايحاش ، وعد الديوان العزيز هــذا من ذنوب طاشتكين ، حتى عزله واعتقله بجرائمه بعد سنين ،

﴿ نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الايمن أنشأتها الى سيف الاسلام آخي السلطان باليمن ﴾

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاءه ، وظاهر آلاءه ، وضافر نعماءه ، وأظفر بالنجح رجاءه ، وأضعف حساده واعز أولياءه ، وأذل أعداءه ، ولا زالت أيامه بالايامن مسفره ، ولياليه بالمحاسن مقمره ، ومكارمه بالمحامد مثمره ، وعهود مواليــه بشكر النعم محكمة ومعاهــد معاديه بقهر النقم مقفره ، دالة على البشرى بالفتح الاكبر ، والنجح الازهر ، والنصر الاشــهر ، والمصر الابهر ، والفضــل الاكثر ، والافضال الاوفر ، واليوم الانور ، واليمن الانضر ، والفجر الاسفر ، والفخر الاظهر والجد الاشم الاشمخ ، والمجد الابلج الابلخ والعز الاسمق الاسمى ، والنور الانم الانمى ، والظفر الاجل الاجــلى ، والوطر الاحــل الاحلى ، والشرف الاسنم الاسنى ، والعزم الاغنم الاغنى ، والسعد الاجد الاجــدى ، والصيت الابدى الابدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهــاب الفتوح ، وتبوح بسر روحـــه وملكه سرائر المــلائكة والروح ، وتروح وتغدو غوادى النعم وروائحها الي روض الهدى المروح ، وتلوح تباشير بشراه في لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالوجه السافر والصدر المشروح ، وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للاسى على قتيلها وأسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس الذى غلق نيفاً وتسعين سنة مع الكفر رهنه ، وطال في أسره سجنه واستحكم وهنه ، وقوى نكره وضعف ركنه ، وزاد حزنه ، وزال حسنه ، وأجدبت من الهدى أرضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوفه وفارقه أمنه ، واشتغل خاطر الاسلام السليه وساء ظنه ، وذكر فيه الواحد الاحد ، الذى تعالي عن الولد ، أن المسيح ابنــه ، وأربع فيــه التثليث فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنــه التوحيد فكاد يهي متنه ، ودرج الملوك الاقدمون على تمني استنقاذه ، فأبى الشيطان غــير استيلائه واستحواذه ، وكان في بغيب الالهى أن معاده في الآخرة الي معاذه ، وان نفاذيل الشرك باســفار صبح أمرنا واشراق مطالع نفاذه ، وذخر الله هذه الفضيلة لنا ولهذا العصر ، وأنزل على أصلنا نص

النصر واطلع الليل عن منا فجر الفخر ، ووفقنا لوصل أسباب الاسلام وقطع دابر الكفر ، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع أهل التثليث ، وأصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا من دمشق في المحرم ؛ في العزم المصمم ؛ والرعب المجهز الى الكفر والبأس المقدم ، وكنا أشفقنا على طريق الحج ، من قصد الفرنج ؛ فشغلناهم عن القصد بقصدهم ! وتصدينا لجهادهم بردهم عن المراد وصدهم ، وأقمنا بظاهر بصري مخيمين على سمت الكرك ؟ وقدمنا الطلائع الى المناهل ونظمنا سلك امدادهم في ذلك المسلك ؛ حتى وصل الحاج سالماً ، وذل الكفر عن قصده راغماً ، ولما فرغ القلب من شغله . وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا الى الكرك في الامراء والمفردين الخواص ، وشفعنا للجهاد في سبيل الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات ، وترقبنا توافيهم للميقات ، وأمرنا ولدنا الملك الافضل أن يقيم برأس الماء ؛ ويكون في خدمته جميع الامراء ، وسرنا الى الكرك والشوبك فاخر بنا عماراتها ، وأحرقنا غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا آمنيها ، وأجلينا عنها فلاحيها ، وأقمنا النوائح عليها في نواحيها ؛ ووصل الينا ونحن بالقريتين العسكر المستدعى من الديار المصرية ، فقويت به قلوب الامة المحمدية . واجتمع بالمخيم الافضلي برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجزرية والموصلية والديار بكرية ، فانتهز ولدنا هناك فرصة الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من أهل الايمان ، فساروا سارين ، وأغاروا غارين ، وأخذوا ونهبوا ، وسبوا وسلبوا فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، وأخذت دون خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح العواصف ، وشرعوا الى عرانين الكفر أسنة الرماح القواصف ، وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين بن زين الدين ومعه مملوكنا قايماز النجمي صارم الدين فلقيا بصدريهما صدور العوامل ، وحملا في عسكرنا على الفارس والراجل ، وحصل الفرنج منهم في دائرة الردي ؛ وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من الفرنج القتلى والاسرى ، وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والمسرة الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشرى ، وشكرنا الله على نصرته الاولى وقلنا هذه مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد ووفينا باحراق اقوات اهل النار بالنار حق الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر ، وتناصرت لدينا دلائل الظهور

وتظاهرت أمارات النصر • عدنا الى الشام • وقد تكاملت به جموع الاسلام• وزخر بحر الفضاء بأمواج الاعلام، وطفا على اتباع لجه حباب الخيام وقدفض العضاء ختام القتام * وعلق بالفاق من ذلك الفيلق غرام الرغام • فخيمنا بعشتراشهرا • وقد أعدنا بشهر بنات الغمود سرها جهرا • وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنابذل المهج لها مهرا • وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا • ونادوا في بلادهم فاسمعوا • واجتمعوا على صفورية من صفر * وحشروا في تلك الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر * وأخرجوا صليب الصلبوت • وقائد أهل الجبروت ، فتهافت الى شعلة ناره فراشهم * وتوافي الى ظلة ضلاله خشاشهم• وقاموا وقيامة رعبهم قائمه • وسوابح جردهم في بحر العجاج عائمه • وطلائعهم سارية وسراياهم طالعه • ومقدمات رعبهم منا السائرة لجنوبهم وقلوبهم مقضّة خالعة ، فلما تكامل منا الجمع ، وأخذ بعجاجه وعجيجه على الآفاق البصر والسمع • عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم العرض • ويتلو مشاهده لتنزل الملائكة ولله جنود السموات والارض • في رايات خافقة كقلوب الاعداء • عالية كهمم الاولياء وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء • وسار في كتائبها نازل القضاء • وسحب ذيل الارض بنثار نقعها • على السماء • وقطعنا الأُرْدُنّ . وتأييد الله مواصل .وقدره باقدارنا على الاعداء كافل ، فما ألممنا بطبرية حتي فتحناها بالسيف * ودخلناها دخول المغير لا دخول الضيف ، وتسلمنا المدينه ، ونازلنا قلعتها البكر الحصينه • وذلك يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يوم الخميس • وأسد الوغى قد اتخذت من وشيجها العريس • هذا والملك العادل عنا غائب • ومعه ايضا بمصر كتائب • وتوفيق الله له مصاحب • وكنا عزمنا قبل قصد طبريه • ان نلاقي الفرنج على صفورية • في مركزهم ومجتمعهم • ونلابسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثغر بالا خوانه * وتمسكنا من الله بالاستنجاد والاستعانة • ركبنا قبل قصد طبرية الي الفرنج في مجمعهم • واشرفنا عليهم في موضعهم • فما برحوا من مكانهم • ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم * وارتدنا في صحراء لوبية موضعاً للمصاف واسعاً • وفضاء لمأزق الجمعين جامعاً • وبتنا هناك باطلاب الابطال ميمنة وميسرة * ووجدنا بتأييد الله أسباب الظهور ميسره • وجئنا في خواصنا والجاندارية * ونزلنا في العدة المجرده على طبريه • وأخذ النقابون ساعة النزول في النقب • فصرع قائم سورها للجنب • ودخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليله مدلهمة

معتمه • وارجاء المدينة مظلمه • فأشعلوا وأوقدا • ودخلوا الدور وتفقدوا مالم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت وكتان علقت بها النار * فاحترقت تلك المساكن والديار * وتحصن أهلها بقلعتها • وتمنعوا بمنعتها • فأصبحنا على حصرها • وسلكنا جدد الجد في أمرها • فجاءت رسل الامراء • ان الفرنج قد تحركت • وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملكت • وأدركهم الندم كيف تركت وما أدركت • وانها قد عبت جنودها * وشبت وقودها * ولبت نداء جموعها * وصبت عليها ماء دروعها • وغاضت في غدران سوابغها السابريه • وفاضت بحار سوابحها الاعوجية • وان جمرهم قد استعر • وان بحرهم قد زخر • وانهم قد أتوا في عددهم وعديدهم • وحدهم وحديدهم • وخيلهم ورجلهم • وطلهم ووبلهم • وفارسهم وراجلهم * وأحزاب ضلالهم وأبطال باطلهم • وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبريه • وسبقنا بفضيلة فتحها البرية • غاروا على العقيلة السبيه • وأشعلت نخواتهم نار الحميه • وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنيه • ولما عرفنا قربهم • قصدنا حربهم • وزحفنا اليهم • وأشرفنا عليهم • والاجب السارى كالجبل الراسى * وقد أفاض الحديد من قلبه على الحجر القاسى • ولمعت بوارق بيارقه • وراعت طوارق طوارقه • وبرقت قوانس قوامصه • وارتعدت فرائص فرافصه • وأمكنت فرائس فوارسه • وباح الحديد على عوابسه بوساوسه • وماجت بحار سلاهبه • واشتعلت نيران قواضبه • وشدت الاجادل دون صوار صوارمه • وسدت بعرض أفواجه فجاج مخارمه • وقرنت الالفات بلاماته • وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته • فاغتنمنا الفرصه فى اللقاء • وهجنا الى الهيجاء • وأسرعت الأعنه • وأشرعت الاسنه • ونقع النقع أوام الجو • وأجاب الصدى دوي الدو • وجال الجاليش • وطار السهم المريش • وعصفت رياح السوابق • واستعبرت عيون البوارق • ولقيناهم في عرمرم عارم • ومجر جارم * وعوامل جوازم • وصواهل صلادم • وضراغم ضوار • وجوارح جوار • وأسود قد أعتقلت أساود • وجياد قد حملت أجاود • وسوابح قد أقلت بحورا • وصقور قد ركبت صقورا • واوقفناهم • نهار يوم الجمعه وسا كنهم لايتحرك • وبازلهم لايبرك • وصفهم لاينفض وجدارهم لاينقض وبنيانهم مرصوص • وطائرهم عن الطيران محصوص • حتي دخل الليل • وقر في الوادى ذلك السيل • وبات الفريقان على تعبيتهما • واجابة داعي الموت بتلبيتهما • وأصبحنا يوم السبت وأهل الاحد على حالهم • لم يريموا موضع قتالهم • وما زالت الحملات تتناوب •

والاسلات تتواثب وتتاوب * والسواعد بقرع الظبي سواع • والرواعف في زرع الطلى رواع • والمنايا تـئن • والحنايا تحن ، والبيض تصافح البيض صفاحها ، والذكور لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عنـد اللقاء لقاحها والذوابل في أشاجع الشجعان ذواب • والصوارم لجوامح النيران شواب * وضمائر الغمود قدباحت باسرارها . ونواظر الجفون قد تخلت عن غرارها • ولما أحسوا بأسنا ، وإمرار أمراسنا ، والهجير يتلظى وقد وقد عليهم بناره ، والاوام يتـوقد ولا يتوقي احراقهم بأواره * مالوا الى طلب الماء * وأخـذوا طريق البحـيرة للارتواء • فأخـذنا قدامهم • ووقفنا أمامهم • وحلأناهم عن الورد . والجأناهم الى الردى بالرد • فاعتصموا بتل حطين ، وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضى القواضب • ونشبت من النشاب بهم نيوب النوائب • وكان جمعهم جمراً وقد وقد • فصب عليهم السيف نهرالخمد • وفضوابالفضاء وفرشوا بالعراء • وعب دأماء الدماء • وغصت الفجاج بالقتلى والاسراء ، وأسر الملك وأخوه • والابرنس الكركى ومواررُوه • ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية واعوانه ، وصاحب جبيـل وأعيانه • وهنفرى بن هنفرى وابن صاحب اسكندرونة وصاحب مرقيه ، ولم يفلت الا ابن بارزان والقومص • وتم لهما من الورطة المخلص • وكان كلاهما ملهماً عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتيال • فاما القومص فانه لما مر بطرابلس أدركه الموت في برجه المشيد • ونقله القدر المبيد الى عذابه المؤبد • وذل ذلك اليوم أهل الجبروت • وحيز صليب الصلبوت • وبار وباد أولياء الطاغوت •وهلك عبدة الناسوت واللاهوت • وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت • وقدمنا الابرنس وضربنا رقبته وفاء بالنذر • وعجلنا به الى النار مأوى أهل الغدر • والحقنا به الداوية والاسبتاريه • وأدرنا عليهم صبرا كؤوس المنيه • وروينا ظماء الظبي من نجيعهم • وقرينا سيد الفـلا من صريعهم . وعدنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها • وحللنا عقدتها . وقرعنا ذروتها • وافترعنا عذرتها • ثم سرنا الى عكاء ففتحناها بالامان • واعلنا بهاشعار الايمـان • واستقرينا بعدها البلاد الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها امتنعت بسورها • ولم يبق في كأس الكفر غـير سورها • وانها وجدت فسحة في أيام أشتغالنا بفتح أخواتها • وكثفت من عدد المحاصرة آلاتها • وكنا لما فتحنا عسقلان بدأنا بالنزول على القدس وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب • فرجف

بها قلب الكفر ووجب • وظن أهلها انهـم يعتصمون • وانهم من بأسنا يسلمون • فنصبنا عليهم منجنيقات هدت أحجار السور بسورة أحجارها • وآذن ركوعها بسجود الابراج في إجبارها • ووفت الصخور باصراخ الصخره • وعثرت تلك القلل لاقالة مادام بها من العـثره • وكشف النقب ونقب الاسوار • ورمت الجنادل جوانب ذلك الجدار • وعلم الكفار لمن عقبي الدار • وأيقنوا بالقتل والآسار • فخرج مقدموهم متذللين بالاذعان • مبتهلين في طلب الامان • فأبينا كل الاباء • الا سفك الدماء من الرجال وسبي الذراري والنساء • فخوفوا بقتل الاسراء • واخـراب العمران وهدم البناء • فأمناهم على قطيعة موازنة لاثمانهم لو أسروا أو سبوا • فأمنوا • من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا • ومن وفى منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق • ومن وعجز عن أدائه دخـل تحت الرق • وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من التقوى الى تأسيسه • وزال ناموس ناقوسـه * وبطل بنص النصر قياس قسيسه • وفتح باب الرحمـة لاهلها • ودخلت قبة الصخرة لفضلها • وباشرت الجباه بها مواضع سجودها • وصافحت أيدي الاولياء آثار القدم النبوية بتجديد عهودها وشوهد مقام المعراج وموطئ براقه • ورئي نور الاسراء ومطلع اشراقه • ودنا المسجد الاقصى للراكع والساجد • وامتلأ ذلك الفضاء بالاتقياء الاماجد • وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحـديث وذكر الدروس • وجليت هدي الهدي من الصخرة المقدسة جـلوة العروس • وزارها شهر رمضان مضيفاً لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح • وشفى الله بسقيا هـذا الفتح ما كان دهم القلوب لاجلها من تبار التباريح • فالبيت الحـرام مساو للبيت المقـدس • مفدى مناكلاهما من المهج والانفس بالانفس • وانه من المساجد الثلثة التي تشد اليها الرحال الرجال • ويضيق عن وصف شرفها فى حلبة البيان المجال • وهو للحرمين ثالث ولا تثليث في حرم توحيـده • فتجدد جد الاسلام بتجديده • ولما فرغ البال من تدبيره • وقضينا حق تقديسه وتطهيره • صرنا الى صور • ونازلناها بعسكرنا المنصور • وفى صور سور الكفر وبقيته • وقد تحصن بسورها ومنعته شر ذمته • وهي مدينة حصينه • متوسطة في البحر كأنها سفينه • وقد نصبنا عليها المنجنيقات فنكأت فيها • ورمت من أعاليها وهدمت من مبانيها • ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشابها • وان جمحت علينا فنصرة الله وعوائد تأييـده لنا توذن

بأصحابها • واذا تسلمناها تسلمنا بإذن الله كل بلد للفـرنج باق • ومالهم من عذاب الله الواقع بهم واق • ثم رأينا ان حصار صور يطول • وان مسئلة بيكار العسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت • وله وقته الموعود ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر وملّ واعيا وكل • وقـد دخل الشتاء • وبرد الهواء • وجادت السماء وتواترت الانواء * وتواصلت الانداء • ولا بد من استئناف جمع العساكر في أيام الربيع • واستمداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع • ورحلنا عنها بعـد ان رتبنا حولهـا • في الثغور المجـاورة لها . من يديم شن الغارات عليها • ويواظب على النهـوض اليها • وفسحنا لاجنادنافى الاستراحةمدة شهرين الى النيروز • فان في تلك الايام تتوفر العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواعدة على المعاوده . والمعاقدة للمعاضده • والمعاهدة للمساعده • فليس في الفرنج من يقاتل الآن على الخيل • والنهار عليهم في اظلام الليل • والعز متقلص الظل عنهم والذل ضافي الذيل * وقـد حزب حزبهم من حربنا مثـير للحرب والويل * وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينه * والمعاقل المبينه * وهي طـبرية عكاء * الزيب • معليا • اسكندرونة • تبنـين • هونين • الناصرة . الطور • صفورية • الفولة • جينـين • زرعـين . دبورية • عفربلا . بيسان . سمسطية . نابلس اللجون . ريحا • سنجيل .• البيرة • يافا . أرسوف • قيسارية • حيفا • صرفند• صيداء • قلعة أبي الحسن• جبل جليل • بيروت . جبيل مجدل يابا • مجدل حباب • الداروم • غزة • عسقلان . تل الصافية . التل الاحمر • الاطرون • بيت جبريل • جبل الخليـل • بيت لحم . لد • الرملة • قرتيا • القدس . صوبا • هرمس • السلع • عفرا . الشقيف . ولم نذكـر ماتخللها من القرى والضياع * والابراج الحصينة الجارية مجرى الحصون والقلاع* ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع * وأماكن ومواضع * قد جلس المسلمون خلالها * واسترعوا ثمـارها وغلالهـا * وقد كنا عند قصدنا البلاد *وعرضنا للجهاد الاجناد * كاتبنا أخانا الملك العادل سيف الدين ان يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب * وينتظر كتابنا بنصر هذه الكتائب *فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا * والظفر الذى أضحك الاولياء وازعج الاعداء وأبكى *وتلى عليه قد أفلح المؤمنون. وقد أفلح من تزكى * كان وصل الى السوادة في سواده وبياضه * وبحار جيشه وبراضه، وورد من مورد النصر الى حياضه * فجاش بجيوشه * وجاز العريش بعريشه * وزار

داو الداروم بدمورها * وأجفلت قدامه البلاد في كل من اعتمد عليه بامورها * ووصل الي يافا ففتحها عنوه * ونال العسكر منها بالنهب والسباء حظوه * ثم حضر مجدل يابا وحصرها * وطلبت منه الامان فأنظرها * وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك الجانب * ماضي العزائم قاضي القواضب * وان يستفتح من البلاد مايتعجل فتحه * ويقدم من الرجاء مايتيسر نجحه * الي ان نفتح مافي جانبنا من البلاد ونتسلمه * وننتهز فرصة الامكان فيما نحن بصدده ونغتنمه * وقد كنا انهضنا الى كل بلد من الناصرة وصفوريه * وحيفا وقيساريه * من يتولى افتتاحه * ويستقبل من مهب النصر أرواحه * فنصرهم الله على الناصرة وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما * ورأى من كان فيها سلامته غنما * ورضي بالغرم رغما * وتسلمنا نحن تبنين وبيروت بالأمان * بعد ان قاتلنا أهلهما قتالا شديداً الجأهم الي الاذعان * فاما صيداء فان صاحبها أذعن الى التسليم * بعد ان نات منا بليلة السليم * واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر * ورأي ربح خلاصه فيما تعجله من الخسر * وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان * وهان لنا كل مااستصعب منها ودان * وظهر لنا منها وجه الفتح وبان * وأمكن كل ماتعذر واشتد ولان * وزاحمنا مناكب أبراجها من المنجنيقات بمناكب * وأصبنا فوائدها لما رميناها بعصائب * وأصمينا مقاتل الاسوار بسهام قسيها * وعاقبناها بحبالها وعصيها * واقتدنا بخزائم الكره أنف الطاعة من عصيها * وصافحنا ببيض الصفائح يد الرضا من أبيها * وباشرت سهام المجانيق بسواكها ثنايا الشرافات فهتمتها * ونهضت أحجار الرماه الى أحجار البناء فهدتها وهدمتها * وغنى فيها معول النقاب * فرقصت للاضطراب لا للاطراب * وعادت الحجارة الى أصلها من التراب * ولما أيقن أهلها بالعطب * لاذوا بالضراعة والطلب * وخرجوا مسلمين مستسلمين * وانقادوا مستكينين مذعنين * وأسلم البلد وأسلم * وجدع أنف الكفر وأرغم * وعاد منه الاعيان الغريب الى وطنه * وقر منه الاسلام القريب في مسكنه * وعند ذلك تسلمنا غزه * وأعدنا اليها العزه * وأتينا على الرملة ولد والنطرون * وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون * ثم ختمنا فتوحات هذه السنة بفتح الارض المقدسه * والحمد لله على نعمه المفرجة للمكروب والطافه المنفسه * وقد جعلنا هذه البشارة القدسيه * بما هناه الله من الموهبة السنيه * وسناه من المنحة الهنيه * لمملوكنا حسام الدين سنقر الخلاطي وأمرناه ان يسير

فيها من أصحابه • من يقوم فيها بحق منابه • والمجلس السامي يشيع ميامنها ببلاد اليمن * ويجلو عروسها البكر في حسنها الحالي وحليها الحسن * ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعمت الامه * ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم النعمه * لازال المجلس مشكور الشمه * عالى الهمه * منصور العزمه * ان شاء الله *

* ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة *

والسلطان مقيم بعكاء وربيب الربيع رضيع * ووشي الروض وشيع * وصنيع القدر نصيع * وشمل الظفر جميع * وفضاء الفضائل وسيع * ومراد المراد مريع * ونسيم الاسحار لاسرار الازهار مذيع * وأريج الجو العليل في شفاء غليل الجوى شفيع * والدهر قد نمل وافاق * والزهر قد شمل الآفاق * وللسحاب مهاب * وفي الشعاب اعشاب * وخدود الشقائق محمره * وثغور الاقاحي مفتره * وعيون النرجس مصفره * وشفاه المنابع مخضره * وأحداق الحدائق الناضرة ناظره * ووجنات الجنات الزاهية زاهره * وعذبات المنابت متموجه * وحافات المناهل متدبجه * وجباه الغدران متغضنه * وجفون النوار متوسنه * والافنان مورقة والورق متفننه * وخد الخيرى مورد * وحد العرار مجرد * وعرف البهار قد تأرج * ووجه الجلنار قد تضرج * وعذار البنفسج قد بقل * وعذر الزمان قد قبل • وشارب النبت قد طر • وهارب البرد قد فر • وسر الصيف قد سرى وسر • وطي الطيب قد حفل ودر • وتقاضى السلطان غريم عزمه بدين الدين • وآن ان يصحر ليث بأسه الخادر من العرين • فابرز مضاربه • وجهز كتائبه • وضرب سرادقه • وعرض فيالقه • ونشر بيارقه • وحشر رواعده وبوارقه • وأنفق خزائنه • وأنفد دفائنه • وبذل في صون الدين ديناره • وأشعل في حفظ ماء الهدى على العدى ناره • وسار على سمت حصن كوكب • وعن قصده ماتنكب • ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم • وما منا الا من له بقتال العدو فيه لهج المحب المغرم • ولعزمه وهج اللهيب المضرم • ووجدنا كوكب في سمائها كأنها الكوكب • وظن الفرنج انها لاتنكأ ولا تنكب • وهي من المصاعيب التي لاتبرك ولا تركب • فأحطنا بالحصن وخيمنا حوله • واستمددنا قوة الله وحوله • وزحف اليه الرجال • وتناوب عليه القتال • وركب اليه السلطان ورازه • واستصعب احتيازه • ورأى ان مقاتلته تطول • وان

مسألته تعول • وان محاولته في مطاولته • ومصابه في مصابرته • واضاقته في مضايقته •
وان مافي هذه الحال اقتضى تعذر اقتضاض عذرته • ولا مطمع الآن في قرع ذروته •
ولا قرع مروته • وكان في خواصه • وأهل استخلاصه • لم تجمع عساكره • ولم تموج
زواخره • فاقام هناك بالتدبير مشتغلا وللاشغال مدبرا • وبالاستظهار متأيداً وبتأييد الله
مستظهراً • حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة فارس • من كل مجرّب للحرب ممارس •
وسلمهم الى طغرل الجاندار • لمرابطتها بالليل والنهار • ووكل بكوكب قايماز النجمي
في خمسمائة مقاتل • من كل ناصر للحق وللباطل خاذل • وكان سعد الدين كمشبه الاسدي
بقلعة الكرك موكلا • وبحفظها مكفلا •

﴿ ذكر حال الكرك من أول الفتح ﴾

وقد مضى ذكر وقوع ابرنس الكرك في الشرك • بمعتكر يومه في المعترك • وافتتاح
الفتح بحتفه • وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه • وانه أخذ راسه • وقطعت انفاسه
وقامت أساسه • وكانت زوجته ابنة فليب صاحبة الكرك بالقدس مقيمه • ولحفظ
معاقلها مستديمه • وحصل ولدها هنفرى بن هنفرى في قبض الاسار وقيد الخسار •
وغمه الانكساف والانكسار • فلما يسر الله فتح البيت المقدس • وأصبح الاسلام عالى
اليد والكفر راغم المعطس • خرجت صاحبة الكرك متعرضة للخضوع • متضرعة
بالخشوع وبرزت مسكينة مستكينه • مستعطفة مراحم السلطان مستلينة • رافعة عقيرتها •
بالابتهال • شافعة في فك ولدها من الاعتقال • معفرة خدا من شأنه التصعر • مسفرة
عن وجه من عادته التخدر • حاسرة حسرى • باسرة لحزنها بأسرى • والدة تنشد ولدها
والهة دخل الرعب خلدها • مطلقة ميسورها • مستطلقة مأسورها • ثانية عطف العطف
لواحدها • رانية بعين الذل في خلاص ساعدها • سائلة في فلذة كبدها • جائلة بجذوة
كمدها • باسطة يدها لقبض يدها • ناثرة خرزات دموعها • عاثرة بجزازات ولوعها •
خافضة جناح استعطافها • ناهضة في نجاح استسعافها • راجزة بنوحها • عاجزة عن
بوحها • وخرجت معها زوجة ابنها ابنة الملك • كانها من بنات الفلك • باديا صبح
بوجهها اليقق في ليل شعرها الحلك • مشرقة من اوجها • مشفقة على زوجها • محترقة
على فداء الخليل • مقترحة به شفاء الغليل • خادرة قد اصفرت من مطالعها واصحرت •

حادرة عبرة في مدامعها طحرت • ناهدة متنهده • واجدة متوجده • معتزة متذلله • مهتزه متململه • باكية متلهفه • شاكية متأسفه • مستدعيه مستمديه • عاطية مستمطيه. ساكبة عبراتها • راكبة عثراتها • خامشة وجناتها • خادشة بشراتها • وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة • ولقرمها الندب نادبه • قد أذعنت وعنت لفكاك عانيها • وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانيها • فاكرم السلطان وفادتهن • ووفر افادتهن • وقرب ارادتهن • وقرر زيادتهن • ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعه • ووصلهن بصلاته الرفيعه • وخصهن بعلاق بكرمه من حسن الصنيعه • ووثقهن بنجح الذريعه وأما الملكة فانه مكن محلها • وجمع بالملك شملها • وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك • ودخولهما في معاقلنا وخروج أصحابهما منهما في الدرك • فاستحضر ابنها هنفري من دمشق اليها واقر برؤيته عينيها • وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل • ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك المقاتل فمضت اليها مع ولدها • حسنه الظن باهل بلدها. فلما وصلت قاطعوها • ودافعوها عن حصونها ومانعوها • واخلفوا ظنها وخالفوها • حيث ما ألفوها كا ألفوها • وجنحوا وجمحوا • واجترأوا عليها واجترحوا • وعصوها وأقصوها • وعددوا عليها الذنوب وأحصوها • وأخشوا لها في خطأ الخطاب • وأوحشوها بالتنحي عن صوب الصواب • وسبعوها وسبوها • والى موافقه الاسلام نسبوها • وكلما لاينتهم خاشنوها • وكلما قاربتهم باينوها فوجدت نبوة نوابها • وعدمت إصحاب أصحابها • وذكرتهم بحقوقها • وحذرتهم من عقوقها • ولاطفتهم فغلظوا • واسترضتهم فأحفظوا • واسترعتهم العهد فما حفظوا • ونبهتهم لامرها فما استيقظوا • وانفصلت عنهم خائبه مخفقه • هائبه مشفقه • تخشى من رد ولدها الى السجن • وعودها من الاصحاء الى الدجن ومضت الى الحصن الاخر • فحصلت منه على صفقه الخاسر • فانها لما المت بالشوبك ألمت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها • ولقيت من نوابها نوائب • وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب • فأبت بالامل الخائب والعمل العائب • والخوف الصادق والرجاء الكاذب • فلما رجعت قبل السلطان عذرها • وازال ذعرها • وأعلمها بان ولدها محفوظ • وبالرعاية ملحوظ • وبالعناية به محظوظ • وهو في حصن السلامه الى ان تتسلم الحصون • واذا بذل مصونها بذلنا لك منه المصون • فسكنت الى الوعد • وسكنت

بعكاء في ظل الرفد والرفد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكاء الى صور واستودعت السلطان ابنها المأسور • وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعدونه في الحفظ واليزك . فأقام على كل قلعه من يكفي لمحاصرتها • ويفي بمصابرتها • ويلبث في مقابلتها • ولا يعبث بمقاتلتها . فأنها تبقى على قوتها مالم تقو من قوتها • وتدوم على طغيانها مالم يذل عز طاغوتها . فلما رتب السلطان هذه المراتب • ورب هذه المأرب • أقام حتى وثق باستمرارها وتحقق حق استقرارها •

﴿ ذكر مادبره في عمارة عكاء ﴾

اختلفت الآراء في امر عكاء فانها كانت مدينة متخرقه . وبيوتها متفرقه • وسورها غير معمور • ومعظمها بلا سور • ورأوا ان في ابقائها خطرا • وان في اخلائها ضررا فمن اصحابنا من أشار بخرابها وحفظ الحصون • وبناء قلعة القيمون • ومنهم من قال اذا صينت عكاء ملك البحر • وهلك الكفر • وكانت على البلاد الساحليه قفلا • وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بابقاء برج الداوية لحفظ ميناها • ومن قائل نختصرها من ادناها • ومن قائل نجدد سورها • ونحكم أمورها • ونبقيها بحالها • ونعمرها بكمالها • على ان أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح أقفالها • واجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها • ويحلي عواطلها • ويتوحد بتدبيرها • ويتفرد بتعميرها • ويجتهد في تسويرها •

﴿ ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكاء ﴾

فقال السلطان ما أرى لكفاية الامر المهم • وكف الخطب الملم • غير الشهم الماضي السهم • المضيء الفهم • الهمام المجرب • النقاب المجرب • المهذب اللوذعي • المرجب الالمعي • الراجح الرأي • الناجح السعي • الكافي الكافل بتذليل الجوامح • وتعديل الجوانح • وهو الثبت الذي لا يتزلزل • والطود الذي لا يتحلحل • بهاء الدين قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا تتكفل به الجيوش • وهو الذي ادار السور على مصر والقاهرة وفات وفاق الفحول بآثار مساعيه الظاهره • فنأمره ان يستنيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العماره • ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والاماره • وكوتب بالحضور لتولي الامور • وعمارة السور • فوصل متكفلا بالشغل • متحملا للثقل منشرح الصدر

بالعمل ، منفسح السر والامل ، مبتهجاً بالامر ، ملتهجاً بالشكر ، وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة وآلاتها وأدويتها وأدواتها ، وانفارها وابقارها ، ورجالها وعمالها وعمارها ، ومهندسيها وماسيها ، وحجاريها ومعماريها ، والاسارى والصناع ، والنحات والقطاع والمال الكثير للنفقه *والذهب الابريز والرقه ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب ، وحضر الموكب وشرف بأسني الخلع وأعطى الملبس والمركب *وفوض اليه وقلده* واسعفه من عنده وأسعده*وقوى جانبه *وأعذب مشاربه واوضح مذاهبه * وانجح مآربه *وأيد يده *واجد جدده وكثر مدده *ووفر عدده وعدده* وخصه بعطاياه* واستخلصه لوصاياه *فتوجه الي عكاء وشغله متوجه * وعزمه متنبه وسره مترفه* وفكره في رياض الهدي متنزه * وامره ماض وحكمه قاض * والله عنه راض * وقام بما أقيم له * ونهض بالعبء وحمله * ومشى بكفايته عمله * وشرع في التمصير والتسوير * وتسوية الامور بحسن التدبير * وسيأتي شرح ماجرى بعد ذلك في مكانه * وما ظهر من حسن ايالته واحسانه

﴿ذكر وصول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره من الرسل﴾

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد ، واستعلائه في الجهاد ، وتأرجت الارجاء بعرف عرفه ، وأرخت السير بمحاسن وصفه ، عنت الامصار لمصره ، وأذعنت الاملاك لملكه وانقادت الامراء القاده لامره ، وعادت مهاب المحاب تفوح بما له من الفتوح ، وشروح ايراده واصداره تحل في صدر الزمان المشروح ، فتهيبه بالضراعة كل عظيم ، وتأهب له بالطاعة كل اقليم ، ورهبه ملوك الاطراف ، وتعلق باستزادة الشرف منه أمل الاشراف ، فكاتبوه مستسعفين ، وخاطبوه مستعطفين ، وراسلوه بالتحايا ، وواصلوه بالهدايا ، ورغبوا في امتراء خلف الامتزاج ، والانتشاح والالتحاف بحلف الاتشاج ، وخطبوا الوصله ، وطلبوا الصله ، وكل يطلب لبلده منه أمانا ، وليده وقدمه من تمكينه وتأييده امكانا ومكانا ، ويتوصل ويتوسل ، ويتلطف ويتطفل ، ويرسله ويسترسل ، ويترجي مواهبه ، ويخشى عواقبه ، ويديم التردد للتودد ، والقصد لبلوغ المقصد ، فما يعود رسوله الا بسوله ، ولا يقبل عليه منه الا بقبوله ، ومن جملة الملوك المتقربين بالوداد ، المتسببين الى حصول الاتحاد ، سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود

ابن قلج ارسلان • فانه بذل الاذعان • وسأل الاحسان • وأدى في المودة الامانه • وأبدى للرغبة الاستكانه • واستنهض فى سفارته السفير الاب • وندب الندب • وأنفذ أكبر أمرائه • وأعظم سفرائه • وهو اختيار الدين حسن بن غفراس وكان في دولته مقدما • وفي مملكته محكما • وعند أهل ولايته معظماً • وقد استعلى عليه واستولى • واستبد بالتدبير عليه كأنه بملكه أولى • ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه • ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه • فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد • وتشييد المقاصد • وتجديد العهود . وتأكيد العقود • وقدم مكرما وأكرم قادماً • وخدم حاضرا وحضر خادماً • وقبل البساط وبسط وجه القبول • وتمثل له الشرف فتشرف بالمثول • وحيا تحية المماليك للملوك • وحفظ الادب ولم يتنكب فيه عن النهج المسلوك • فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب • والبر والتقريب • وأعزه بنزوله في ذراه • وأوعز بنزله وقراه • ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله • وواصله من الجميل بما راقت تفاصيله وجمله • وشفع رسالته بالاصغاء • ورفع مقالته عن الالغاء • وسمع ماجاء به وأجابه • وابعد بادنائه ماربه ماربه • وشافهه بشفائه • وأرواه بروائه • وأولاه لولائه • وعرفه بالتعرف الى آلائه • ونصبت له خيمة مسردقه • شهادات الاقبال الناصري لها مصدقه • ووجوه الكرامات بها محدقه • وسحب المبرات لها مغدقه • فأقام أياماً بأيامن مقيمه • ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه • فلما استقام أمره استقل • واستدر له بارق البر من سماء السماح واستهل • وما رام حتى نال مارام • ووثق لاحكام المواثيق الاحكام • ووصل في تلك المدة أيضاً الصلاح قُتْلُغْ أبه وهو أتابك قطب الدين سكمان ابن محمد بن قرا ارسلان * وافيا موافيا باحسان الخطبة وخطبة الاحسان * راغباً فى تتميم الوصله * وتعميم الصله * آخذاً لصاحبه ملك ديار بكر عهداً محكما * وعقداً من الميثاق مبرما * وقد أحضر قضاة بلاده شهودا * واقتضى لصاحبهم بحضورهم عهوداً * وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل * ومت بكثرة الشوافع والوسائل * وكان خائفاً على آمد فانها من فتوح السلطان * ووهبها لابيه نور الدين ابن قر ارسلان * فأشفق من استرجاعها بالحق بعد وفاة والده • ورأى الامن عليها وعلى جميع بلاده من أكبر مقاصده • ورغب في المصاهرة للمظاهره • وان يفتح بها باب المزاورة للموازره • فآواه الملك العادل الى ظل هذه المواشجه • وثبت بعقد المزاوجه

حكم الممازجه ، فتم أمنه ، وعم يمنه ، وزاد قربه ، وزال رعبه ، وجلس السلطان ، وحضر عنده الاماثل والاعيان ، ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب ، في انشاء العقد مع وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه ، اعتضد ملك ديار بكر بمكانه . وسار صاحبه بالمسار مصحوباً . وعاد ذيله بالفخار مسحوباً ، وقال له قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركنك فالى سواه لا تركن ، وما من كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه . لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

﴿ ذكر رحيل السلطان صوب دمشق ﴾

وأقمنا على كوكب الى آخر صفر ، ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم رأينا انه يطول حصرها ، ولا يفوت أمرها * وان الفتح يبطي ، وان كان السهم لايخطي ، فأمر الامراء الموكلين بها وبغيرها من الحصون ، بالمقام عليها وابتذال سرها المصون . ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمه ظاهر العزيمه . سامي اللواء . هامي الانواء نامي الانوار في مطالع المضاء . ودخل اليها يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول . بالصدر الارحب والباع الاطول ، وتلقاه أهل البلد بوجوه لاقباله متهللة ، وألسنة بالدعاء له مبتهله ، وعيون لانواره مجتليه * وقلوب بولائه ممتليه . وأسماع لامره مستمعه ، وأيد الى الله في نصره مرتفعه ، وصدور بايامه منشرحه ، وآمال في انعامه منفسحه ، ونفوس على طاعة الله فى طاعته مجبوله * واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبوله . ودخل المدينه . وأدخل اليها السكينه * فوجدت الروح بسلطانها ، وعادت الروح الى جثمانها * وقرت به عيون أعيانها . وأقرت له بحسنها واحسانها ، وابتدأ بالجلوس فى دار العدل . وبحضرة القضاة والعلماء من أهل الفضل . واسترفع قصص المتظلمين ، واستمع غصص المتألمين . وكشف الظلامات المظلمه ، وفصل الحكومات المستحكمه * وقرأ كل قصه ، وقرأها بكل حصه . وحقق الحقوق . ورتق الفتوق * وأقام للشرع السوق . وأتم الرجال الرجاء بعدله الوثوق . وحل بانصافه كل مشكله ، وطب باسعافه كل معضله . وأصحت سماء السماح ، وأصحب جماح النجاح * وأعدى المستعدى * وأروى الصدي ، وحيا الحيي وأردي الردى ، ومجد المجدي ومهد الحق حتى قيل هو المهدى ؛ فما انقضى ذلك اليوم ؛ وانفض اولئك القوم * الا عن مظلوم اجير بالحق ، ومعلوم اجري من

الرزق وعالم أعين ، وظالم أهين . وهاد زين ، وعاد شين ، ومختل سدد*ومنحـل عقد ومعتل شفي * ومعتر كفي * وما حل جيد * وآمل زيد * وركن حق شد وشـيد * وخدن باطل أبير وأبيد * وراج أدني فوزه ؛ ولاج أسـني عزه* وجلس يوما آخر للاكابر والاماثل،والاكارم والافاضل ، فأضاء النادى وفاضت الايادى*وغدق الندى وصدق الهدى.وكر الكرم .وفر العدم . وحفل الدر ودر الحفل.وشمل النظام وانتظم الشمل * وصان العلماء بالبذل ، واعان بافضاله اعيان اهل الفضل ،وفاز بالحمـد وحاز الثناء،وأجاز الشعراء وا كرم الكرماء ، وروّج الرجاء ، واولى النعماء،وانعم الاولياء؟ وتقاضاه عزمه بالحركة لاستفاضة البركه ، واستضافة المملكة الى المملكة ؛ فلم تستقر بهدار ولم يدر بهقرار.ولم يثبت فى جفنيه غرار،ولم يبت الا وبين جنبيه لحب لقاء العـدى اهل النار نار ، وكان الصفي ابن القابض قد استجد للسلطان على بعض ابراج القلعة دارا،واذهب فيه نضار تهاذهبا ونضارا.وهي متطاولة بين البروج.مطلة على المروج،،مشرفة على موازاة الشرفين، كاشفة غطاء النظر عن الغوطتـين ، صحيحة البناء ، فسيحة الفناء ، بهية البهو ، شهية الزهو ، مجدة لاهل الجد ذكرى اللهو ، فرشها بمـاء الورد ، وفرشها بالورد ، وبسط بسطها وعلق ستورها ، وأعلى نورها . وحـبر حبورها . وسرى سرورها ، وسـنى أنواع نمـارقها ، وأسمى أنوار مشارقها ، وتوصل الي حضور السلطان بها وجلوسه ، وذهبت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . وأحضره كل مقرظ بقريض ، وكل مؤمل بتصريح وتعريض ، وكل ناشد ضالة رجائه بنشيد ، وكل قاصد جلالة اوجائه بقصيد ، وكل مغرد مغرب ، وكل مطر مطرب ، وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والحاله ، وتلك الجلوة والجلاله . وتلك البقعة المؤسسه . وتلك الرقعة المقدسه ، وذلك المشرف العالى . وذلك المشرف الحالي ، وانتظر نظر استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه ، فمـا أعاره لحظا ، ولا ازاره حظاً . ولا لمحه بطرف استطراف ، ولا منحه حرف استعطاف ، بل أعرض بنظره عن تلك النضاره . وأغضى عن تلك الغضاره ، وغض عن تلك الغضاضـه ، واشتغل عن تلك الرياض بالرياضـه . فالعاقل من لايتخذ في دار الدوائر معقلا ، ولا يجد فى منازل النوازل منزلا ، ولا يركن الى فناء الفناء لبيب ، ولا يسكن في غار الغرور اريب ، وكيف يبني العمران والعمر الى الهـدم ، والغنم في الدنيا الدنيئة عين الغرم . وقال السعيد من يبني دار الآخره،ويجو من أمواج الدنيا الزاخره .

ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه • وأبقاه في شغل الخزانة على مكانه •وسمعته يقول في بعض محافله • وقد أجرى له حديث من يفرح بمنازله * كان من ذنوب الصفي عندى انه بني لي تلك البنيه • فدل على أنه لم يوافق منـه الامنيه • وقال مايعمل بالدار من يتوقع المنيه • وما خلقنا الا للعباده • والسعي للسعاده • وما يخطر لنا فى هذه الدار خلود بالخلد • وما لنا وللمقام في البلاء والبلد • وما جئنا لنقيم • وما نروم (الا)ان لانريم • وما تحركنا الا للسكون • وما أسهلنا الا للعود الي الحزون • فما يجنى ثمر الراحةالا من مغرس التعب • وما يجبى نصيب المغنم الا من مغرم النصب • فأين الاين • الذي تقر به العين • وما يحصـل السكون في المسكن • ولا يكمل الوطر في الوطن • لاسيما والدين يطالبنا بدينه • والكفر يستقرب منا حين حينه • والبلاد سائبه • وللبلاء هائبه • فلا تفوح الفتوح الا بهبوبنا • ولا ينزل النصر الا بركوبنا • وغـدا للحزم متمما • وللعزم مصمما • ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق بالغرب الماضى • والحد القاضى • والجمع الوافر الوافد • والجمر اللافح الواقد • وان عمـاد الدين زنكي بن مودود بن زنكى قد أقبل بقبيله • ووصل برعيله • وقدم بجده • وأقدم بجده • وانه حـل بحلب ثم سار عنها مسارعاً • وجاء معه الجيش للنجدة والجدة جامعاً • فأرهف العزم السلطاني خبر وصوله • وحل بالشد للرحيل عقد حلوله • وكان القاضى الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل • والنباهة والنبل • متأخراً في بيتـه بدمشق لشكاة أقام في غبرها • واستقام مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال أثرها • والسلطان ينجح سعيه متبرك * وبنصح رايه متمسك * وبطوله طالم وبقوله عامل * وبعبارته قائل ولاشارته قابل * فأراد السلطان ان يقـدم بلقائه الاجتماع • وبرأيه الانتفاع * ويستنير بنوره * ويستشيره في أموره * ويفاوضه في تفويضاته * ويقلده في تقليداته • ويتبرك بميامنه ويتيمن ببركاته * فانه طالمـا اجتلى سنى السعاده من مطالعـه * واجتنى جني الارادة من صنائعه * وافتتح الاقاليم بمفاتح أقلامه * وأحكم المملكة بثبوت أحكامه * ووافاه بأمـداد السؤدد الوافي سواد مداده * وجاءه بالوجاهة في دينه ودنياه باسعافه واسعاده * وكان قد خرج الي جوسق بالشرف الغربي الاعلى * ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى * فأصبح السلطان بكرة يوم الثلثاء حادي عشر ربيع الاول على الرحيـل * فقصده لابرام ماوجده في مملكته من الامر السحيل * وأقام عنده في الجوسق الى الظهر * مستظهرا به على الدهر * حتى كشف

مهمات مهماته * ورشف شفاه مشافهاته * وانجى معه في الآراء والآراب * واتجع لربه من رأيه صوب الصواب * وارتجع وديعة سر الغيب ممن عنده علم من الكتاب * ثم استودعه الله وودعه * ودعا له الاجل الفاضل وشيعه * وبات تلك الليلة مخيماً بالعراده * محتما بالسعادة راجح السيادة ناجح الارادة * ثم سلك في جبل بيوس الى عين الجر الى الدهمية على البقاع * وهو مطيع امر الخالق ومتبعه والخلق تابع امره المطاع * واتى بعلبك المحروسه * وخيم بمرج عدوسه * وأقام حتى امر امرها * وادر درها * وقسم لها من عدله * وعدل بها من قسمه * وحكم فيها بفضله * وأفضل عليها بحكمه * وكشف الظلم والمظالم * وصرف المكاره * وصرف المكارم * ورفع من المعالي المعالم * وأجري رسوم الاجر والمراسم * وامر الرعاة برعاية امر الرعيه * وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهه الشرعيه المرعيه * ثم رحل على سمت اللبوه * معصوم النوبة من النبوه * مصون الكتيبة من الكبة والكبوه * ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر قد توجه * وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه ، وقد حل عثير العسكر طرف الجو الامره ، وقد آن لعين الشمس الراقده من الهبوة ان تعاود الهبةوتنبه ، وزرع بالزراعة من السمر المركوزة والبيض المهزوزه نبات الحظ وقتاد الخرط وضاق ذلك الفضاء الواسع بحط رحال الرهط

﴿ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به﴾

ووصل الخبر بأن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع من الاداني والاقاصي ، ونزل طائعاً على العاصي وخيم على قدس وخيمه قد تقدس ، والدين بدنوه تأنس ، والكفر بقدومه تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه على قهر الشرك ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهار نهاره ، وسرنا بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب مقبلا ، ولما رآه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ، ونزلا فتعانقا ثم ركبا وتواقفا وتساوقا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجثمنا عند مجثمه ، وحططنا هناك رحالنا ، وخلطنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجندان ، وسعد الجدان وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع النظمان واتحدت الكلم واتأدت الهمم ، وسأل السلطان ان يوازره ويزوره ، ويحضره بحضوره حبوره ، فساق معه الى

وارتفع فى صدره • ورفع من قدره • وصار السكران مختلطين • وجلسا منبسطين • ووقف الامراء والعظماء سماطين كالسمطين . وقرأ القراء وأورد الشعراء • وتجاذب بينهم أطراف الطرف والآداب الفضلاء والعلماء • وكان مع عماد الدين شاعره السنجارى ابن الهائم • ومن عادته ايراد المدائح في مثل تلك المواسم . فأنشد مدحاً . ونشد منحاً ثم بسط السماط • وسمط البساط . ومدت الموائد • وعادت العوائد • ونضد الخوان • وكونت الالوان • ولونت الاكوان • وصفت الجفان • وأحضر الطهاة من كل حاجة وباجه • وخروف ودجاجه • وحلو حامت وحامز وحامض • وتفه وقابض • ومطبوخ ومشوى • ومصنوع ومقلى • ماطاب مـذاق مذقه ومحضه • وطالت الايدى في بسطه وقبضه . فلما رفع من ناديه القرى . وفـرع بأياديه الذرى • قـدم ما أعده للهدايا • والتحف السنايا . من الجياد المقربه • والثياب المـذهبه . والعدد المعجبه . والاسلحة المذربه • وكل مابروق ويروع • ويضئ ويضوع • ثم انفض النادي عن ندي منفض • وسدى لبكر الشكر مقتض • وعـين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده • وانه يستضيف فيه خواصه وأمرائه وجنـده • فوسع سرادقه . ووشع نمـارقه • وضرب بيت الخشب له لحسب بيته • وأسميت الحسني بحسن سمته وسمته • واحتفل بحفله • وأجل لاجله • وأرجت أرجاء النادى بالند • وراق مد النواظر النواضر في ذلك الرواق الممتد . وبسط على البسط ماحضر من الياسمين والورد . وفاح النشر • ولاح البشر • وفـرش الثرى • وشرف البرى • ورفع الحجاب • وأشرعت القبـاب • وتوجهت الاسـباب • وتنزهت الالباب • وتضوعت نوافح النوافج • ووضحت مناهج المباهج • ووضعت المطارح والمسـاند • والاسرة والوسائد • وجاء عماد الدين فى خواصه وأمرائه وصحبه • فتلقاه السلطان برحبـه . وقرب له السرير وسر بقربه . وأجلسه الى جنبه • وحباه بحبه . وأقبـل عليه بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالجلوس رسمه • وسما في الرؤوس اسمه • ووقف الامراء والحجاب ، والعظماء والاصحاب • على مراتبهـم في مواقفهم • ودب للاعتزاز الاهتزاز في معاطفهم • وكان النادى مهيأ • والندي محييا • والذرا رحيباً • والقرى قريباً • والظل ممدودا • والفضل موروداً • والحفل حافلا • والشمل شامـلا • والبساط مقبلا . والنشاط مقبلا • والمرئى حاليا . والمروي عاليا • والمسموع مطربا • والمجموع مغربا • والمنظر والمخـبر جليلا جميلا • والمطلع والمطلب

منيرا منيلا • والمكان عليا • والزمان جليا • والربيع فى انتهائه • والصيف في اشتهائه •
والمصيف في ابتدائه • والمضيف في انتدائه والنعيم في نضرته • والكريم في نصرته • والاريب
فى أربه • والطروب فى طربه • والضريب من الخلق الحسن فى ضربه • وكانت أيام المشمش
وقدوصلت من دمشق احمالها • وحلت في تلك الحالة حالها * وأقدم الجذل قدومها •
وطلعت فى أبراج الاطباق نجومها • كأنها كرات من التبر مصوغه • أو بالورس مصبوغه
صفر كأنها ثمـار الرايات الناصرية حلاذوقا • وأحلى شوقا • ولو نظم جوهره لكان
طوقا • وهو أحلى من السكر * واعبق من العبهر • وأحسن هيأة من النارنج الاحمر •
والليمون المركب المدور • وقد زفت عروسه فى الثوب المعصفر • والخمار المزعفر • كأنما
خرط من الصندل • وخلط بالمنـدل • وجمد من الثلج والعسل • فهو الذي يضرب
بضربه مثل الشمل • ويقضب من قضيه لقب القبل • ولظر منـه مانضر • وما حظر ما
حضر ورئى هناك لقطوفه قطاف • ولطوافيره طواف • ولعقوده مصارف • ولنقوده
صيارف • فكأنها وجوه العشاق اكتست اصفرارا • أو جمرات تشتعل نارا وتبدي
شرارا • وقد أعاد لجينها صواغ القدرة الالهية نضارا • بل هي احداق الحدائق • وقلوب
البوارق • ووجنات الجنات صبغها بلونه البرق وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده
الودق • لابل اصفرت من مهابة الجنات الجناه • وانتظمت من جواهر الحيا للحياه •
واضطرمت لهاها شوقا الى فتح اللهاه • ثم صرفت الاطباق • ونظفت الآفاق • وبسط
المكان * وسمط الخـوان • ونبهت أجفان الجفان للقدور الرقود • وشبهت المراجـل
لغليانها بصدور ذوى الحقود • وتزيد مقال المقالى النشاشـه • وتزينت مقار المقـاري
بالبشاسه * ومادت أعطاف الموائد بالالطاف • وتهادت أكناف السرادق بوشي الافواف •
وهناك المسموط والمسلوخ • والمخطوب المطبوخ • والمقـلو المقلوب • والمحبو المحبوب •
والاغذية واللحمان • والاشوية والحملان • والالبان والالوان • والجوابي والروابي •
والصوانى • والاوانى • وقدصفت البوارد • وصفت الموارد • وتنوقت الطهاه • وتنوعت
المشتهاه • وحلت الاطعمه * وعلت الاسنمه • وجاش جاش الجاشنكير الرابط • وعاش
اخوان الخوانسـلار الغابط • وتداولوا وتناولوا النوالات والحـوالات • والحلاوات
والحالات • وكان يوما مشهودا • وخوضا موردا • وروضا ممهودا • ورواقا ممدودا
ورواء مودودا • وجمعا مسفودا • وصنعا محمودا • ولما فرغت الموائد • وبلغت المقاصد

أحضر السلطان لعماد الدين هــداياه • وحباه بأحسن من تحاياه • من خيل صفون * وحصن كحصون • وعراب جياد من طوائف الطريفيات • وسوابق سوابح من العتاق الاعوجيات • والمــذا كي المنسوبات • من كل مطهم مطهر الخــيم • وكريم من نسل الكريم • وصافن صافي الاديم • ومعرب مقرب • ومجنب مكرب * وسكب مشذب * وفيض سلهب * وبحر جموم * وطرف طموم * وسرحوب شيظم • ويعبوب صلدم * واجرد قؤود * وضامر قيــدود * واقب نهد * وجواد ورد * ومسح رفل طمر * وأشــق أمق غمر * ومفرع طموح * وعتيق غير جموح * وهيكل طال * وعنجوج ذيال * فاختار منها كل طرف * قد حط من قدره اذا قوم بألف * من كل اشهب قرطاسي * واشعل سوسني * وأغر صنابي * وادهم غيهبي * واحم احوى* واشــقر مدمى * وابرش مدنر * وكميت مضمر * واخضر وادبس * وسمند أغبس * ثم أحضر له ماينا سبها من التحف اللائقه * والطرف الرائقه * والعدد الرائعه * والاسلحة المانعه والسابريات السابغات * والدروع والزرديات * والرؤوس والرانات * والخوذ والتراتك والبواتر البواتك * والدلاص الموضونه * والنصال المسنونه * ومن المستعملات المصريه الذهبية والحريريه * والملحم والدبيقي * والمصمت والمغربي والعراقي * ومن نسج تونة وتنيس * كل ثمين ونفيس * وما شاكله من أنواع الطيب * على النمط والترتيب * ثم انصرف وعَرْف حمده متضوع * وعُرْف جده متنوع * وشدو شكره وعطف نحره مترنم مترنح *وامره متحبر متربح . ووده مترج مترجح •ودعاؤه صالح •وثناؤه صادح • ولسانه داع • وجنانه واع • وعهده راع • وسعده ساع • وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجــلوس • والتناجي بمــا في النفوس • والتدبر فيما يقدم ويؤخر * ويقرب ونقرر * ويورد ويصدر * وتكررت المشاورة في الموضع الذى يبتدأ بقصده * ويوفي العزم فيها الجهاد حق جهده * واتفقوا على عرقا وعرقها وعقرها * والنزول بعقرها . وانها اذا ملكت طرابلس • واسفر عن صبح فتحها الغلس * وأقام العسكر أياما على قدس * وبقبس النصر قد تأنس * ولسناء الظفر قد توجس * وأتي العرب •وواتي الارب . واجتمعت الجيوش وجاشت الجموع • وآن لليل العــزم المدلج من صبح النجح الطلوع * ونبعت الفيوض من النعم وفاض الينبوع * وأينعت ثمار المبار وطابت الينوع • ثم رحلنا أول شهر ربيع الآخر الى البقيعة تحت حصن الاكراد *وخيمنا على الربا والوهاد •

وصوتنا الى الجهاد هوادى الجياد * وأدينا قطاف الطاف الله لاجتناء الاجناد * وكانت الاعشاب بالشعاب واصيه * والشوائب من المشارب قاصيه * والقضب للقرب في طاعة الله عاصيه * وطار الرعب * وثار العجم والعرب * وخاف الكفر * وطاف الذعر * وقال نفر الشرك نفر * ولا نستقر * وتشوروا وتشاوروا * وحاروا وتحاوروا * كأنهم في قبور حصونهم أموات * لا ترتفع لهم من الوهل والوله أصوات * وأجمعنا على دخول بلد الساحل على التجريد للتجريب * وجوس خلال البعيد والقريب * ثم تجرد العسكر عن الأثقال * وتجرأ على أخذ أهبة القتال * وسار السلطان ومعه عماد الدين زنكي * وسيفه بصقاله يضحك وبدم الكفر يبكي * ومظفر الدين كوكبوري • وهو الذي حين يواري صارمه المشهور في تحييع العدى لزند الظفر يوري * وصحبه من فرسان العرب كل فارس معرب • ومن شجعان الاكراد كل فاتك محرب • ومن فتاك الاتراك كل قسور قاسر • ومن صيد الصناديد كل كسروي كاسر • وكل كمى كميش • واكديش على اكديش • وقارح على قارح • وخضم على سابح • وجري جار جارح • وبهمة وبطل • وجبل على جبل • وفحل على فحل • وذمر نكل • وورد على ورد • ومرد على جرد • وحلس وحلبس • وباشر بالموت معبس • واهيس اليس وأحمى أحمس • وغشمشم هام • وأيهم مقدام • وباسل ذي باس • وعاسل عاس • ورئبال على رئبال • ومشتمل على شمال • وبحر على بحر • وصقر على صقر • وركبوا سلاهبهم • وجنبوا جنائبهم • وجروا على الساحل سيولا • وجروا بالذوابل ذيولا • وطار ابليس طرابلس بخوافي الخوف • ودام الجوي في رعب أهلها بدم الجوف • وما سار الا من خف في نهضته • ونهض بخفته • وأحس حصن الاكراد بالاكدار • وصفت على صافيثا بوارق البوار • وقطع عرق عرقا وعقرت • وتعرمت العريمة وتعرقت • ومزعت تلك الاعمال ومزقت • وأرهقت وأزهقت • ونفرت أنفارها • وبقرت أبقارها • وملئت بالدوائر ديارها • وسيقت مواشيها • وحشيت بالنيران أوساطها وحواشيها • ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدروا يحمونه • وابتذل مصونه واستخرج مكنونه • وفتحه ومتحه • ومساه بالدمار وصبحه • وأقام في تلك الديار عشرة أيام يجوسها ويدوسها • وقد حيزت له نفائسها ونفوسها • ثم رحل بغنمه • وقفل الى مخيمه • وعاد العسكر مسروراً منصوراً • مجبوراً موفوراً • قد اطلع من تلك البلاد على العورات • واضطلع

بالغنائم من تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار والعمارات • وانقضى شهر ربيع الآخر • وذلك المرج يموج بالعساكر موج البحر الزاخر • وقد وصل قاضي جبلة يحث على قصدها • ويحض على انجاز وعدها • ويحرض على إعذاب وردها • ويحقق ان الظفر في هذه السنة يبتدىء من عندها • ويقول ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها • وكثرة ناسها • وتدرعها بلباس باسها • واستعدادها للحصار • وتجنبها عن الاصحار • يذهب الزمان • ويفوت الامكان • وهذه جبلة وما وراءها من المعاقل • قنيصة للحابل • وفرصة للمتناول • ولهنة للآكل • ونغبة للناهل • وأمنية للعاقل • فما دونها مانع ، ولا عنها مدافع • وهي على غرتها وغرورها • وغفلتها وفتورها • لم يفترع عذرة أمنها ذعر . ولم يفثأ سورة نفعها ضر • ولم يقرع باب يسرها عسر • فان سلكنا سبيلها . ملكنا سلسبيلها • وان جزنا ساحتها • حزنا راحتها • وان استقدنا ملكها ملكنا قيادها • وان اعتددنا حواءها حوينا عتادها • وان افتتحنا بها فتحناها والمسلمون بجبلة مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم منكم بالنعيم • فعرفناه بصحة نصحه . ورفعناه بحجة نجحه . واصغي السلطان الى قوله • واصفى له وردطوله • واقبل عليه وقبله • واجزل له العطاء واكمله • وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا • فوفر لهم رواتبهم واجرى • وخلع عليهم وشرفهم • واسعدهم بالمواهب واسعفهم • فندبوا الى أتباعهم • وكتبوا الى أشياعهم • وأجمع السلطان على دخول الساحل • بتلك العساكر والجحافل • ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الاول • حافل الجحفل سامي القسطال • ماضي المنصل • فسرنا في آجام مؤتشبه • وآكام معشبه • وحزون وسهول • وشعاب وتلول • ومعالم ومجاهل • ورواب وهواجل • ومغايض وغياض • وارتفاع وانخفاض • حتى خرجنا الى ساحة الساحل • ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك النواحي المواحل • ومعنا احمال واوساق • وأثقال وأسواق • وأزواد وأمداد • وعدد واعداد • والخيل عرمرم • والسيل عرم • والمجر لجب . والفيل أشب • والاسد في عريس من الاسل العراص • والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص • وقد انشأ العجاج كعجاج النشاص • فانحلت بحلولنا معاقد المعاقل • واعتلت باستيلاء حولنا عقائد العقائل • وحلت لخطبة سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل • ونحن في استباحة واستباء • واصطلام واصطلاء . وارتياد وارتياء • وفتك باعداء . وسفك لدماء • وبتك لرقاب

ذوى الفجور • وهتك لحجاب ذوات الخدور . ننال من العدو كل نيل • وندير عليه في داره دائرة كل ويل . فما نقطع الا واديا يغيظ الكفار . ولا نحضر الا ناديا نزيدهم به الدمار • وسرنا الساحل الساحل • في ثلث مراحل * حتى وصلنا الى أنطرطوس يوم الاحد سادس الشهر . فاحدقنا بها من البحر الى البحر • وزحف اليها الناس . وحفز عليها الباس • وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس ، وقاتلناها ساعه • فلم يجد أهلها للدفاع استطاعه • ودخلت من جوانبها ، وتخللت من مذاهبها . واصابتها نوائبها • ونابتها مصائبها • وفل غربها وجب غاربها . وقتل من لحق من رجالها . ونهب ماوجد من أموالها ، ونقل ماصودف من غلالها • وسبي من أخذ من نسائها وأطفالها • واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع . وهما هناك من أحكم القلاع . وفي أحدها الداوية جمرة الكفر . ومعهم مقدمهم الذى أطلق من الاسر *وفي البرج الآخر المنهزمون الناجون . والفارون اليه اللاجون . فنزل على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين • فأبدى لمن استتر فيه وجه التأمين • وحركهم الى الخروج بالتسكين • ووثقوا بأمانه • وأمنوا بميثاقه ومكن كل منهم لسلامته من تسلم مكانه . فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهده • وحل من احكامه ماالكفر شده * وركب النقب على ركنه العالى * ونكبه في ذلك اليوم بما نكبت عنه نواكب الليالي . وخرب الى اساسه سوره • ورمي الى البحر صخوره • وامتنع برج الداوية بدائها الدوي . واتبع مردتهم في التمرد هوي طاغوتهم الغوى * وأقام العسكر حتى نقض أسوار انطرطوس وقوضها • وربضنا بها الى ان عفينا ربضها • ولما امتنع البرج تركناه • وما كانت فيه فرصة لو ادركناه • وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد • وللفرص أوقات هي لها بالمرصاد • ومن يسلك الجدد اللاحب لايعرج على بنيات الطرق * ولا يستغنى مدلج الليل بالدراري عن الفلق * ورحلنا عنها رابع عشر الشهر * شاهرين على الاعداء سيوف القهر * ونزلنا على مرقية وقد خلت من أهلها وتخلت • وتشعثت عمارتها واختلت * وكان جوازنا الي جبلة على الساحل تحت حصن المرقب * وهو معقل للاسبتاريه عالى المنكب • سامي المرقي والمرقب • ضيق المذهب • عسر المطلب • فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق * وسلوك تلك الطريق * وقد صفت الفرنج في البحر المراكب • وسدوا المذاهب • وردوا الراجل والراكب • وفوقوا الجرخ للجرح • وسددوا الزنبورك للقرح والطرح • فعسر العبور •

وكثر العثور • وامتنع الجواز * ووجب الاحتراز * وأعوز الظهوز وظهر الاعواز *
وذلك ان صاحب صقليه * رام ان يكشف عن الفرنج البليه • فجهز أسطولا بجهازه
مستطيلا * وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبءا ثقيلا ، واتفق وصوله في تلك
الايام في ستين قطعه . تحسب كل واحدة منها قلعة أو تلعه . من كل شيي من شانه شن
الغاره ، ومن عادته العادية تشعيث العماره • مع طاغية يقال له المرغريط ، قد عرف
منه التوريط ، من أرجس الطواغيت ، وأنجس العفاريت ، فوصل الى طرابلس بطوله
واسطوله ، وصولة وصوله ، فما أحلى ولا أمر ، ولا نفع ولا ضر ، ولا استقل ولا
استقر ، ولا نقض ولا أمر ، بل صار على الفرنج وبالا ، وأحدث لهم بما يسومهم من
مؤونته احالا ، وما خفف عنهم بل زادهم على الثقل أثقالا ، ووجد الكفر في أوان
توانيه ، فلم ينتفع ولم يرتفع شان شوانيه • وصار الى صور ثم رجع الى طرابلس ،
وتردد في البحر وتلدد وأبلس ، وتفرقت جماعته ، وتجبنت شجاعته ، واضطرب في
البحر أشهرا ، لايظهر له رأي ولا يرى له مظهرا ، فتقطعت أقطاعه ، وتتابعت في
الفرار أتباعه ، حتي عاد في عدة يسيره ، وشدة عسيره ، وكان هذا الطاغية قد حضر
يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جوانبه ، قد ضيق الطريق ،
ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصفيفها ، والستائر وتأليفها ،
والتراس وترصيفها ، واقعد من ورائها ، على مقابلة سفن القوم وإزائها ، الكماة النخبه ،
والرماة الجرخيه ، حتى تباعدت تلك السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت علينا المحن ،
وأنحت الاحن ، ورحل العسكر فعبر آمناً وأمن عابراً ، وسار ظاهراً وظهر سائرا ،
وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس ، وقد أجفل عنها ، الناس ، ونزلنا فى أرضها ،
وخيمنا فى طولها وعرضها ، وأنسنا بنهرها وزهرها في الارواء والرواء • وحبسنا على
نواضر رياضها نواظر الارتضاء • وبتنا ونفحات النادى مريضه • وجنبات الوادي
مريضه • والنسيم العليل بليل • والعزم الصحيح دليل • ورسم العدو محيل • ولقدح
الفوز من تأييد الله لنا مجيل • واصبحنا على الرحيل مبكرين • فساء صباح المنذرين •
وسرنا وسرنا في سرور • وسفرنا فى سفور وجمعنا فى اجتماع • وجدنا في ارتفاع • ونهجنا
في اتساع • وركننا في امتناع • وعارضنا نهر عريض عميق • مافيه طريق . وهو مطرد
من الجبل الى البحر • فازدحم العسكر عند ذلك النهر • وتوافقت الاحمال والاثقال

عند العبر • وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر • وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر • واستتبع من عسكره بعد الزمر الزمر • ونزل عشية الخميس على بلده • وعانت الاثقال في تخلصها من الشـدة الشده • وتكاملوا نزولها حين انتصف الليل • ووصل الى القرار السيل • وهذه بلدة كاسمها بلدة على شاطئ هذا النهر • وساحل البحر • حصينة البناء • مصونة الفناء • قد حصنها الاستتار • وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سـلوك الطرق • بتعميق ذلك النهر المخترق • وألفينا بلدة أيضاً خاوية على العروش • حاوية للوحوش • خالية من الانس والانس • كأن لم تغن بالامس • وقد انزعج أهلها • وتشتت شملها • وتخوف آمنوها • وعدم السكون ساكنوها.

﴿ ذكر فتح جبلة ﴾

وأشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر • وقد اشتهر موسم النصر • واشتد على الكفر رهق القهر • وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمه • واقدم على قصدها بالعزيمة المصممه • فلما بصر منسلمو البـلد • بما وضح في الجد من الجدد وسنح من الظفر المتضافر المدد • خرجوا مستسلمين مسلمين • مستمسكين بعز الاسلام معتصمين • وعلت على السور الرايات الناصريه المنصوره • والتهجت بحمد الله الالسن الشاكرة وابتهجت القلوب المحبوره • وتحصن الكفرة من الحين • والجؤا في التحين الى الحصنين • فمن لاذ بالحصن الذي على المينا • قال انه بحصانته ومنعته يحمينا • وعاد معظمهم الاكثر • بحصن البلد وهو المعقل الاكبر • وتوسط لهم قاضي جبلة في أخذ الامان بعـد قبض الرهائن على ان يعيدوا من استرهنوه في انطاكية من أهله • ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الينا كل مالهم من سلاح وعده • وخيل وذخيرة وغله • وتسلمنا الحصنين يوم الخميس . وعادا مأهولين من الاسلام بالانيس • وكرمت بالكرام جبلّه جبله • ونفت عنها بالفئة المقبلة الفئة الشقية المختبله • وسعد أهلها بعد الشقاء • وتعوضوا من الشدة بالرخاء • وافضى اليأس بهم الى الرجاء • ووفاوا الى الوفاء • وانتقل أهل الجبل الى جبلة طائعـين بعـد العصيان • مصافين بالمصافاة بالايمـان أيمان أهل الايمان • وكان حصن بكسرايـيـل قد تسلم من قبل • واتصـل بفتحه الجبل . فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهـله وكانوا لقاضي جبلة مذعنين • بايمانه مؤمنين . ولدعائه ملبين • ولبقائه محبين • ونجوا من العار والتبار • وضيم الكفار . وتناجوا بالاستبصار والاستنصار • والاستغفار والاستنفار

وآضت تلك الولاية لاحسانها واليه · وتلك الناحية على سكانها حانيه · وتلك المدينة لاهل الدين دائنة دانيه · وتلك الجنة العذبة الجني لوردم الجناة من شوك القنا جانيه · وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم أساس الاساءة بانيه · وتلك الهضبة راسيه · والتربة كاسيه · والرتبة ساميه · والربوة رابيه · والذروة عاليه · والحالة حاليه · واقام السلطان بها أياما حتى أزال شعثها · وأزاع خبثها · ورأب صدعها · ورب ربعها · وشاد ركنها · وشد حصنها · وجب كفرها · وجبر كسرها · وجدبها جد بها · وخص بها خصبها · وبالعدل عمرها · وبالفضل غمرها · وبالرعاية ملأها · وبالرعية كلأها · وبجل قاضي جبلة وشرفه · وحبس عليه ملكا نفيساً ووقفه · وصرّفه في أملاك آبائه · وحكمه في ولاية حكمه وقضائه ·

﴿ ذكر فتح اللاذقية ﴾

ورحل ثالث عشرى الشهر يوم الاربعاء · منشور اللواء · منصور الاولياء · مشكور المضاء · عالي القدر قادر العلاء · ناجح الآراب راجح الآراء · وسار برعب الى العدو يقدمه · وعزم على الغزو يصممه · وأمر لامرار الاحكام يحكمه · وجد على تدبير الدين يقفه · وحد في تدمير الماردين يرهفه · وسعادة تؤيده · وتأييد من الله يسعده · وسطوة على الكفار يرسلها · وجذوة في أهل النار يشعلها · وجيش للوثبات ينشطه · وجاش بالثبات يربطه · وهيبة تروع الخواطر · وهيأة تروق النواظر · وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين · وبات الكفرة مبلسين · قد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم · وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد فاصم · والخوف عليهم مستول · والذعر فيهم مستعل · والافئدة منهم خافقه · والاندية بهم متضايقه · والمهج في سوق الردى نافقه · ونحن طول الليل من السوابغ في جر الذيل · ومن السوابق في اجراء الخيل · ومن نشاط العزم في اهتزاز · ومن احتياط الحزم في احتراز · ومن انتخاب الاجواد والجياد في انتخاء · ومن انتقاد العتاق والرقاق في انتقاء · ومن انتهاض الرياح بالهواضب في انتهاء · ومن اقتضاب الارواح بالقواضب في اقتضاء · والمقربات تسرج والسريجيات تقرب · والمقانب تكتب والكتائب تقنب · والصوارم تنتضي · والصرائم تقتضي · والقوارح تضمر · والقرائح تخمر · والضوامر تجرى · والبواتر تعري · والصلاد تلجم · والدلاص تستلأم · والخنايا توتر · والمنايا تؤثر · والجاليشية تعي · والجاوشية تلبي ·

حتي أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح • والمتجر مربح • والمفخر متوضح • وللجاش فرح • وللجيش مرح • وقرح العدو مقترح • وزند الفتح مقتـدح وباب السماء لنزول ملائكة النصر مفتتح • وأحدقنا بالقلاع وقلعنا الاحداق • وخطنا بابر السهام من موقها الآماق • وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق • وانهضنا اليها الحجار والنقاب والزرّاق • وأطرنا النشاب الى أوكار المقل • وأزرناهم رسل النصال بكتاب الاجل • وسمعنا من ضوضائهم زجل الوجل • ورأينا(هم) تغلى من صدورهم بنار الحقود مراجل الغلل • وأشرفوا من الشراريف قلقين متقلقلين ما بين تلك القلل • وجدوا في القتال • وشدوا على الرجال • ومدوا ظلال الضـلال • واحتـدوا بالنصال في النضال • وردوا النبال بالنبال • وسدوا مذاهب الاهواء بالاهوال • وهناك في الزنبورك بورك • فانه بالجرخ دورك • وقلنا للكفر اخرج لندخل الى دورك • وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك • وطالما سكنت دارنا فاخرج • ودرجت اليها فادرج • وما زلنا نقاتلهم بسوادنا بياض النهار • ونغطى سني يومنا بليل الغبار • ونرفع من السور حجابه بالحجار • حتي فزنا بتمكن النقاب والحجار • وأخذت عليهم النقوب • ووقذت منهم القـلوب • وبلغ النقب من الشمال فى الطول ستين ذراعا • وأربع أذرع في العرض اتساعا • وهي ثلث قلاع متلاصقات • على طول التل متناسقات • كأنهن على رأس راس راسخ • وذروة أشم شامخ • فسهل الله لنا فرعها . وشرعنا لستأصل أصلها وفرعها • وناوبنا عليه القتال • وجاوبنا بالنصال النصال • وأوضعت بنات الكنائن بظعائن الضغائن • وأثارت من مكامن الاحقاد كوامن الدفائن * ودام الرماء * ومريت الدماء * وانجح التجبيع * ووقع ذلك الرفيع * فاستبطي السريع ، وتخطي الصريع ، وأبصروا مالا عهد لهم بمثله * وعاينوا ماعانوه من غريم الموت المطل في مطله * وفتح الحتف ، بابه ، وحفز الزحف أصحابه • وكشر الشرك نابه • وصادف الكفر لدمه المطلول مصبه ومصابه • ونفر الناس اليهم * واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم • والأجل يظهرهم والوجل يخفيهم ، وهم من وراء أسوارهم * بواء فى بوارهم ، ووبل النبل هام ، وأهل الجهـد في ضراب وضرام ، وجمر الجمع في التهاب والتهام ، ووقع منهم الزمع * ومنا فيهم الطمع • حتى ازدحم على التل الصغار والكبار ، واستشعرا منا وزال منا الاستشعار • وكان لي مملوك صغير قد زحف • وأرهق وأرهف فقبل خده سهم • فرجع واذا وجهـه طلق لاجهم * وهو بقرحـه فرح • وللفرح

بالشهادة مقترح . وقد عدله الجرح * وحسنه القبح * فلما عرفوا انهم مدركون ، وانهم يؤخذون ولا يتركون ، صاحوا الآمان ، واستماحوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى عشيه * وكان فتح ذلك المعقل من الله مشيه * فانه موضع مافيه مطمع * ولم يكن للكفر غيره مفزع *وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبب غدوه ، وكان ذلك الفتح صلحاً أشبه عنوه * وطلع السنجق المنصور ، وانجلت الظلمة وتجلى النور . وأشرق الفلق وزهق الديجور ، وبدا الفجر وباد الفجور * وسرت القلوب وأقبل السرور . وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيره ، وأسلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم وأموالهم * وانصرفوا بنسائهم ورجالهم ، وذريتهم وأطفالهم ، وخفوا من أثقالهم ، ودخل جماعة منهم في عقد الذمة ، وتمسكوا بحبل العصمة ، وانتقل الباقون الى أنطاكيه ، وأيقنوا انهم وجدوا بعد رسوم السلامة العافيه العافيه ، ورتب السلطان جماعة من خواص مماليكه * واخرج من القلاع اهل الكفر واسكنها التوحيد مصونا من الاشراك وتشريكه * ثم ولى بها سنقر الخلا طي مملوكه * وقد عرف حسن سيرته واحمد سلوكه * فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية * وانتهى الى الغاية في نهى اولى الغواية * واقام حالياً للغاية * عالى الرأى والراية *وركب السلطان الى البلد وطافه * وهز الى إحسانه اعطافه * وادني الى عدله قطافه * ووفر الطافه * وأصفى نطافه * وامنه بعد ما أخافه * ورأيتها بلدة واسعة الافنيه * جامعة الابنيه * متناسبة المعاني ، متناسقة المغاني * قريبة المجاني * رحيبة المواني . في كل دار بستان . وفي كل قطر بنيان . وقد أبي الله أن يكون للكفرة منها جنان ، أمكنتها مخرمه . وأروقتها مرخمه ، وعقودها محكمه . ومعالمها معلمه . ودعائمها منظمه ، ومساكنها مهندسة ومهندمه ، وأماكنها ممكنه . ومحاسنها مبينه . ومرائيها معينه . وسقوفها عاليه *وقطوفها دانيه . وأسواقها فضيه ، وآفاقها مضيه ، ومطالعها مشرقه ، ومرابعها مونقه ، وارجاؤها فسيحه . وأهواءها صحيحه . لكن العسكر شعث عمارتها * وأذهب نضارتها * وأزعج ساكنها . وأخرج قاطنها . وملك دور المشركين للموحدين . وطهرها من رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الامراء الزحام على الرخام * ونقلوا منه احمالا الى منازلهم بالشام . فشوهوا وجوه الاماكن * ومحوا سنى المحاسن . وبظاهر اللاذقيه كنيسه عظيمه ، نفيسه قديمه . باجزاء الاجزاع مرصعه . وبالوان الرخام مجزعه . واجناس

تصاوير ها متنوعه • واصول تماثيلها متفرعه * وهي متوازية الزوايا • متوازنة البنايا • قد تخيرت بها اشباح الاشباه • وصورت فيها امواج الامواه • وزينت لاخوان الشيطان • وعينت لعبدة الصلبان • ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها • وشوهوا اعلامها • وحسروا لثامها ، وكسروا أجرامها • وأهدوا الاسى لهد أساسها • وأفاضوا عليها الباس إبلاسها • وحكموا بعد الغنى بافلاسها وافتقرت وأقفرت . وخربت وتربت • ثم لما طابت النفوس • وتجلي عن البلد بفتحه البوس ، عاد الي هذه الكنيسة بالامان القسوس وهي متشوهة متشعثه مستمسكة بأركانها وقواعدها متشبثه ولقد كثر أسفي على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت ولكنها زادسروي بأنها عادت للاسلام مرابع ولسروحه مراتع ولجموعه مجامع ولشموسه مطالع فلو بقيت بحليها وحالتها ، بعد ماتبدلت رشدها من ضلالتها لشاقت وراقت وكما أفاقت فاقت وشأت البلاد اذا شاءت لكنها ساءت لما أساءت ثم أعادها الاسلام الى أحسن حاله وجلا لها في السناء أسني جلاله ورغب في اعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والأرمن حباً للوطن وسكوناً الي السكن فآض مأمول الجني مأهول الجناب وعاد بجار البحار مملوء الرحاب وتبدل بالابدال الأخيار والارباب الابرار من بعد الكفار الفجار • والاشرار اهل النار • وكانت شواني صقليه . قد قابلت في البحر اللاذقيه • طمعا في امتناعها • وطلبا لذيادها عنها ودفاعها ، فلما خابت خبت نارها وباخ اوارها وقصدت لجهلها اخذ مركب من يخرج من اهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها فامتنعوا عن الانتقال وامنوا بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان يوم الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها وقد حصل من ترتيب العمارة مناها فطلب مقدم تلك الشواني امانه ليصعد ويشاهد سلطانه فامنه حتي صعد ولو اسلم ذلك الشقي لقلت سعد ولما حضر الكافر عفر وكفر وتروى ساعة وتفكر واحضرنا الترجمان وأدى عنه البيان وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم وملك رحيم *وقد شاع عدلك * وذاع فضلك وقهر سلطانك * وظهر احسانك * فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فأمنت وأفضلت عليها وأحسنت * لملكت قيادها * اذا أعدت بلادها * وصاروا لك عبيدا * وأطاعوك قريبا وبعيدا * وان أبيت غير الغيرة والاباء * ودمت على ارهاق الدهماء واهراق الدماء جاء من وراء السبعة البحار من يسد فضاء السبع الطباق * وأفاق للتناصر على دفع هذا

الخطب نصارى الآفاق . وثار الروم لروم الثار . وخرج الفرنج أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوى الاقانيم . من سائر الممالك والاقاليم . وأتي الأتى . ولا يقاوم القدر المأتي . وهؤلاء أهون منهم . فاتركهم واصفح عنهم . فقال السلطان قد أمرنا الله بتمهيد الارض . ونحن قائمون في طاعته بالفرض . وعلينا الاجتهاد في الجهاد . وامتثال أمره فيه بالانقياد . وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد . ولا تكثرت الآساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع أهل الارض . ذات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في اللقاء . ولم نبال بأعداد الاعداء فلما سمع مافهمه من نجهه . ذهب بعد أن صلب على وجهه . وركب بكريه وكر بركبه . ولم يغن خطابه عن خطبه .

﴿ ذكر فتح حصن صهيون ﴾

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في نصره بين انصاره يتهادى . وقد تيقنا ان الفتح لايتمادى . وان العزم عن الفداء بالمهج في سبيل الله لايتفادي . وأخذنا على سمت صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوت العيون وطلبناه كما يطالب الدائن المديون . ونحن للكفر مميتون وللاسلام محيون . وكان الطريق اليه في أودية وشعاب . ومنافذ صعاب . ومضايق غير رحاب . وأوعاث وأوعار . وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق في يومين . ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون يوم الثلثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع واديين . بها محيطين من جانبين . والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . ممتلئة بذئاب سغاب وأسد غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الاربع . وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم . وقامت أسواق الاقواس للمنون في مغالاة السوم . وتوفرت سهام السهام من المقل . وتبدت بنات الكنائن من الدم القانى حمر الحلل . وأسقطت حوامل المنجنيقات أجنة الصخور . وكشفت صدور الكنانيات أكنة الصدور . وظهر سر السراء . وكثر مراء الرماء . وزخر دأماء الدماء وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات . ودارت حميا الحمام على أولئك . واستنجدت ملوكنا الملائك . وأدامت اليوم

المجانيق والجروخ والقسى الرمى المتدارك ، وأقام الملك الظاهر غازى صاحب حلب منجنيقين ونهج بهما من جانب الوادى الى ردى الاعادى طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد العالى . والجد الوالى . والعزم الماضى ، والحزم القاضى . والسعى الناجح ، والرأى الراجح . والبأس البالغ ، والسطو الدامغ ، فانه اتصل بنا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماه . وقد استصحب الكماة الحماه ، ومعه الرجاله الحلبيه ، والمنجنيقية والجرخيه . والجاندارية والخراسانيه فأظهر علي صهيون اليد البيضاء ، وكسب الذكر والثناء . وأثار في فضاء الفضائل واضاءة ، ودام القتال على المكان من جانبه . ومن جانب السلطان . والملك الظاهر فى تظاهر ملكه ،وتضافر سلكه ، وريعان اقباله ، وعنفوان جلاله ، وشباب رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته * وايراق عوده • واشراق سعوده • وغرة عزته * وميعة منعته * وصدر تصدره * وشرخ تأمره وتشمره * وقد وصل في أول نشاطه * ونشوء اغتباطه * وفتاء فتوته * ورواء رويته * وارتقاء ارتفاعه* وايفاع يفاعه * وترعرع سنه * وتعرعر ركنه * وتسامى سيادته * وتراقي سعادته * وأجد لعز العزم الجد * واعد لرى الرأي العد * واستلذ في سبيل الله نصبه * ورفع المنجنيق ونصبه * وجعل لرجاله نوبا * ولاحواله رتباً * وألقم أفواه كفاته حجرا* وأجرى في الحق من الحجارات الجاريات من منابعه نهراً * ورجم الحصن الزاني رجم المحصن * وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر فلله در المسيء المحسن * وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمى * والحنايا بسهام المنايا تصمي * حتي قتلت مقاتلة الحصن * وهان بما دب فيه من الوهن* وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادي الآخره * وطما بحر العسكر بأمواجه الزاخره ، وازدحم الناس في الزحف كأنهم في الحشر بالساهره ، وهاج الشباب ، وماج العباب ، وتسابق ذوو الجرأة والقوه ، وتلاحق ذوو الحمية والنخوه ، وكان في قرنة الخندق عند خرقه الى الوادى موضع لم يكمل تعميقه ، ولم يتم توثيقه ، فتطرقوا من تلك القرنه الى القنه، وتسوروا السور وتسلقوا ، وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا ، وتملكوا الذروه ، وأمسكوا العروه ، واستولي على أهلها الرعب ، واستشرى بهم الكرب ، فتعادوا الي القله ،وتفادوا من الخوف لامن القله ، وملكت عليهم ثلثة أسوار ، بما فيها من متاع وشوار ، ونعم وأبقار ، وصاحوا الامان * وبذلوا الاذعان• ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا

المكان • فما أمنوا على المال والنفس • حتى قرونا عليهم مثل قطيعة القدس • وأغلقت دونهم الابواب • وسير اليهم النواب • وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم القرار • وجبي الدرهم والدينار • وعم الكبار والصغار الصغار • وتولي ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار • ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله • وسائر ماحواه من ذخائره وأمواله • الى الامير ناصر الدين منكورس ابن خمار تكين • أسد العرين وأمير المجاهدين • المقدام الهمام * والمطعان المطعام * فألفي الثغر سداده بسداده * وأسرع به مراد مراده *

﴿ ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل ﴾

وتسلم يوم السبت قلعة العيذو * ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الي كل حصن من تسلمه . وسلكه في سلك الفتوح ونظمه .

﴿ ذكر فتح حصني بكاس والشغر ﴾

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشيه ، ومشية الله جارية على موافقة ماله من المشيه • ونزل على العاصى في طاعة الله والنصر قد نزل . والكفر قد انخذل • يوم الثلثاء سادس الشهر • وبحور السوابح في غدران السوابغ ماثجـة على ذلك النهر ، وحكم السلطان في القهر ماض باذن الله على الدهر ، وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشرك نكاية حد بأسنا المشكور . وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، لحصار قلعة الشغر * وهي قلة شاخة من أعلى القلل * على هضبة منقطعه • عالية مرتفعه * ومن نواحيها واد * خاف من العمق غير باد * في أعماق ووهاد * وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها * وأخذ من العوادى موثقها * فما اليها طريق ولا عليها طروق * ولا فيها للطمع علوق * ولا للسهم اليها مروق * ولا للزحف فيها مطمع * ولا للذر نحوها مطلع * ولا للطير في مراحها وكر * ولا للمكر فى افتتاحها مكر * ولا للوهم في توقلها مجال * ولا للفهم من تصورها منال * ولا لها بمن يحتفل بها احتفال * وما عليها للنازلين عليها قتال ولا نزال * ولا يتغير لهـا مع تغير الاحوال حال * وصعب شغل الشغر * واشتغل فكر الكفر * ولم ير السلطان طريقاً غير الرمي من المنجنيق * لعله ينال جمعها بالتفريق * وداومها بالحجارات أياما * ولكم سدد بها مرمى ومراما * فلم تعبأ بأعبائها * فانها ترامت عن رمائها * وأبت الا ثباتها وثبتت على

إباثها * واعياً إعضال دائها * واستفحال بلائها * وخام الرجاء بالارجاءعن أرجائها *ولو
لم يضجر حاميها لضجر راميها * وسئم سائمها لتساميها * لكنه وهي جلده *وهوى خلده
وخار قلبه * وحار لبه * وخاف من الاقامه * وخاب من السلامه * وارتاح الى الراحه*
وسما الى السماحه * وعاج الى الانزعاج * وعاد لداء خوفه في الاستئمان يطلب العلاج *
ودعا الى الدعه * والخروج من الضيق الى السعه * فبينا نحن في ترو وتفكر * وتخير
للرأى وتدبر * ونقول هذا حصر يشتد * وأمر يمتد * وعمل يصعب * وأمل يتعب *
ومعقل لايختل ومعقد لايحتل * ومقصد لايدرك * ومورد لايملك * ومكان لا امكان
لفتحه * ورجاء يطول الزمان في تطلب نجحه * اذ خرج من الحصن * من يضرع في
الامان ويعترى ضرع الأمن * فشكرنا الله على تسهيل المتوعر * وتيسير المتعسر *وتحصيل
المتعذر * وتلقيح الرجاء من الياس* وتنقيح مناط حكم الصحة عند اضطراب علة القياس
وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم الثلثاء * وسألوا في مهلة ثلاثة ايام والارجاء * ليخبروا
صاحب انطاكية ويستأذنوه*ويبلوا عنده العذرويخرجوا من الحصن ويسلموه فأصبحنا
يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك مقفر والشغر شاغر والكفر صاغر وفم
القهرمنالهم فاغر والاسلام قد ثلم ثغرمن هو له مثاغر والحصن البكر مفترع * والدين
المتأصل بشعب النصر متفرع * وطلع العلم الى ذلك العلم الطالع * وانتقم الهدى الضليع من
الضلال الظالع * وكأنما عذبات تلك الراية مقاول الداعين ، وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع
الواعين ، وعاد الحصن آهل بأهل الاحصان ، وصافح بأيدي الايد ايمان ذوي الايمان ،
فابتسم عن النصر ثغر الثغر ، وفرغ القلب من شغل الشغر ، وسلم هو وحصن بكاس ، الى
غرس الدين قليج الساقي عـدوه الموت بكاس الباس وانتقل السلطان يوم السبت الي
مخيمه والاقبال جاثم في مجثمه وسري ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية ، وأرهق
فيها الفجرة الجانيه ، واستطلق منها البررة العانيـه ، وقطف مجانيها الدانيه ، واخلى
مغانيها الغانيه ، وما قطع قرارها حتى قرر عليها قطيعه ، وكلفها ما كانت له من المال
مستطيعه * ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرهاً مطيعه ، ثم خربها حتى خربها عاليها*
وعطل حاليها * وانجلي ثاويها * وانتأى جاليها * وبقيت دمنة داثره* ودميـة عاثره ،
ورسماً عافياً * ورقماً خافياً *وربعاً بالياً *وصقعاً خالياً* وعادت دارا دارسه، مستوحشة بعد
أن كانت آنسه ؛ وكان فتحها في يوم الجمعـة الثالث والعشرين . فأخلى الله من السـباع

الضواري ذلك العرين * ومن نوادر الطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتاليه* في أيام الجمع الخمس المتواليه * باءَ فيها النصر اهل الجمعة بذل أهل السبت أهل الاحد واصبح التوحيد على التثليث قاهر الايد ظاهر اليد *

﴿ذكر فتح حصن بُرزيه﴾

وسرنا الى قلعة برزيه وسرنا سار * ودر الظفر لنا دار * وهي أحصن القلاع وافرعها* وأحسن التلاع وأرفعها *وأسمق الرواسي وأسماها واسنم الرواسخ واسناها * وكان السلطان سبق اليها واشرف عليها * ثم استدعى الثقل واستحضر * وجمع بالفضاء تحتها العسكر * وذلك رابع عشرى الشهر يوم السبت * وقد تهيأت في العدو أسباب الكبوة والكبت ثم تجرد يوم الاحد * في المدد والعدد * ورقى الى الجبل * مع ابطاله النبل ، فرأيناها قلعة شماء في الذرى * لاتكاد من سموها ترى * وهي على سن من الجبل عال مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو تلته فكان خمسمائة ونيفاً وسبعين ذراعا . فاحدقنا بها وبالجبل * وقطعنا عنها متصلات السبل * ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح * فلم تصافحها صفائحها وأبدت لنا صفحة الصفح * فقد بعد مرام مرماها ، وحارت الاوهام فيها وقلنا ماأعلاها وما اسماها * وتحاجزت عنها الحجارة فلها من اجازتها بها الاجاره * فما بلغت الي القلعة قلائعها * ولاطلعت الى التلعة طلائعها * هذا والنجم يلامع بلامعها وتقارن طوالعه طوالعها * فكأن الصخور سلم نحورها * فان سورتها تنكسر دون الوصول الى سورها * ولما رأى السلطان انه لاوصول الي نيقها بالمنجنيق * وان الاشتغال به يطيل زمان التعويق * مال الى الزحف * ولاحف جموعه في ذلك اللحف وذلك في السابع والعشرين من الشهر يوم الثلثاء * فقسم الناس ثلثة أقسام على السواء وجعل النوبة الاولى لعماد الدين صاحب سنجار * الليث الهصار * والغيث المدرار * والبحر الزخار * والسيد الحلاحل * والملك العادل * في صحابه الصباح ، كفاة الكفاح وعفاة الصفاح . ونفاة الهام * بثبات الاقدام في الاقدام * وشفاة الاوام بعلة الانتقام من الاقوام * واساة ذوي الاساءة باحسان الحسام * وكساة عرى العراء اردية القتام ورقاة أراقم اللهاذم وسقاة حوايم الصوارم * والمزاق في حومة الردى رداء المآزق * والسباق في حلبة الهدى بهوادي السوابق * من كل شارب ماء الوريد بشفاه الشفار * وضاربه

هام المريد ببتار التبار • ولاسع بحمة الحمام في الاسل الماسل عاسل • ولابس لباس الباس كالاسد الباسر باسل • ومعتقد للدين للرديني • معتقل • ومعتمد على العدو بعادي معتدل • ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس مجتاز • ومجتنب لحب المنون لرهون نفائس النفوس محتاز • فانقضوا على الهضب • وعضوا على العضب * ودام الصفا يدهده • والصدى يقهقه • والزاحف يتقدم ويتقهقر • والحائز يخفى ويظهر • والرجال تتعالى • والحجار تتوالى • والمصاعد ترقي • والمصاعب تلقى • والمضايق تولج • والبوائق تحرج • والاكام تقرع والرجام تقرع • وللصخور ترديد • والجلاميد تميد • ومازالت هذه النوبة تنازل وتقاتل وتناضل وتطاول • وترمى وترمي • وتدمي وتدمي • وتصمي وتصمي • وترد وترد * وتصد وتصد • وتصدم وتصدم • وتقدم وتحجم وتصدع وتصدع • وتحمل وترجع • وتذكو وتنطفى • وتبدو وتختفي • حتى كلت وملت وانحلت وتخلت * وكانت غلبت • لولا أنها لغبت • وسمت • لولا انها سئمت • وألفيت هذه النوبة خاصة • لاهل الحصن حاصه • فانهم تولوا باجمعهم القتال * ولم يقصدوا للتناوب الاستبدال • ولما ظهرت في النوبة النبوة • وكاد جوادها تناله الكبوه * تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية • والسطوة الدانية • والعزمة النارية غير الوانية * وخف في الثقال من الرجال • وزحف الى الجبل بالجبال وتضافروا فتطافروا في الاوعار كالاوعال • وجروا كالسيول في تلك المسائل • وجروا ذيول السوابغ • على تلك المواجل * وترقوا في ذراها • وقروا على قراها • وتلبسوا بجوانبها • وتوجسوا من مناعبها • وتدرجوا في مدارجها • وعرجوا في معارجها • وخرجوا في مداخلها ودخلوا في مخارجها • وصارت الجروخ تجوزهم • والجروح لاتحوزهم • والسهام تعبرهم • والآكام تسترهم • والنخوة تحميهم • والحمية تخيهم • وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحذير من توريطهم وتفريطهم • فمن انقبض بسطه • ومن أعرض ضبطه • ومن أقبل أغبطه • ومن أدبر أسخطه • ومن تقدم قرظه • ومن تقاعس احفظه • ومن تناعس ايقظه وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا • وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا • فمنهم من تمكن من الطلوع • ومنهم من تكمن للولوع • وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع • وعرا أهل الحصن العناء والعياء • وعمهم البلاء وأدركهم الشقاء • فانهم مازالوا يقاتلون يومهم من غير مناوبة جميعا • فمنهم من صد صديعا ومنهم من صار صريعا • وظهر فيهم الفتور • وبدا منهم القصور • وجاءت النوبة الثالثة تاليه • واقدمت أمدادها

متوالية متعاليه • وعادت النوبة الاولى لنشاطها • وزادت في انبساطها • فبلغوا وغلبوا والتهموا والتهبوا • وتعلقوا بالسور • وتسلقوا كالنسور • وطلعت القلعه • وقلعت الطلعه • واقتضت المذره • واقتضيت النصره • وأعان القدر فقدر الاعوان • وتجت بالفتح البكر الحرب العوان • وان أهل القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا • طلبوا الامان حتي لايهلكوا • فلما سمع أصحابنا بالامان صياحهم • وعرفوا للضراعة التياعهم والتياحهم • كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان • واشفاقا من سبي من يشمله الامان • وكان جماعة من دهاة الخواص • عارفين بطرق الاقتناص • فاظهروا ان السلطان آمن أهل القلعه • وانه يدافع عنهم في هذه الدفعه • وجمعوهم في مواضع وكنائس • واحرزوا النفوس والنفائس • وعاد عنهم من حضرهم • على ظن ان السلطان آمنهم وحظرهم • وبقي اولئك الافراد بهم متفردين • ولتجريدهم للسبي متجردين • وصار ماالقلعة ومن فيها لهم كسبا وسبيا • وما رأوا الحق من شاركهم في السبي رعيا • وحرموا ماارتفقوا به وحرموا الرفقاء • وحازوا دون الغانمين النهب والسباء • وملك واحد مائه وحاز الري وحلا عنه رنقة ظمئه • ولما تسنى ذلك الفتح وتهنا • وتسهل ذلك الصعب وتهيأ • عاد السلطان الى خيامه • وعاذت الأيامن بأيامه وكانت صاحبة حصن برزيه أخت زوجة الابرنس صاحبة انطاكية وقد سبيت وخبئت فما زال يطلبها حتي أظهروها وأحضروها • وكانوا بعد هتك سترها ستروها • فمن عليها بالاعتاق من الارقاق • وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق • واحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وادخلهم معهم في الاطلاق • وجمع شملهم بعد الشتات • ووصل حبلهم بعد البتات • وشعبهم وقد تصدعوا • واشبعهم وقد تجوعوا • وحظرهم وقد استحلوا • وكثرهم وقد استقلوا • وحرمهم وقد استبيحوا • ومنعهم وقد استميحوا • واحياهم بعدماهلكوا • وعصمهم بعد ماهتكوا • وحواهم واغناهم وقد افترقوا وافتقروا • وجبرهم ونعشهم وقد انكسروا وعثروا • وسير معهم الى انطاكية من أوفدهم على سنها • فسرت بأختها • واعلنت بمقتها من سر مقتها • واذاعت من مضمر بغضها بمظهر حبها • وجاءها الفرح في غمها والفرج في كربها • وتشكت لاخذ بلدها • وتشكرت لترك أختها وولدها • وانعم السلطان بهذا الحصن على عز الدين ابن المقدم • الكريم المكرم والمقدام المقدم • والعظيم المعظم • والماجد الممجد • ابرهيم بن محمد • فان هذه القلعة لثغر افامية الجارية

في اقطاعه متاخمـه • وهي لها في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمه • وسرت هـذه البشري وسارت • ودوت هـذه النعمى ودارت • وطـارت كتب البشائر • وسرحت على جناح الطائر * وفيما كتبت ان هـذه البشرى بما أجده الله من الفتح العـزيز • والنصر الوجيز ، بفتح حصن برزيه الذى برزت له الارض في قشب أثوابها ، وتفتحت له السماء لتنزل المـلائكة من أبوابها • بل ســفرت به عرائس الايام في حلى أيامها ، وأشرقت منه أقمـار الليالى في أنوار محاسنها • وهذا الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه من الحصانه ، وكأن حجره في حجر حضن للحضانه ، وقد عرف مافتحناه من البلاد والحصون ، وسلبنا أهـل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مرتج لم يكن فتحه مرتجي • ولم يجـد من حصل في أسر الدهر به مخرجا • حتي أتت ايامنا • ودانى فيه مرامنا • فجاءه عصرنا ، وجاءه أمرنا • ووصل الينا ماهو في الازل ذخرنا • وكمل بهذه الفتوحات فخرنا • وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكيه • وسقينا بماء الحديد الجارى في أنهار دم أهل النـار مغارس الهدى الزاكية • وجلونا بها ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكيه • وهذه الحصون التى فتحناها • والمعاقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله الى اجتهادنا فى فتح أحدها ، لتعذر ، ولو أنجدت عساكر الدنيا بعـددها • لكن الله سهل ويسر • وفتح ونصر • وانزل الظفر ، وان حصن برزيه لم يكن عليه قتال • ولا للوهم فيه مجال • ولا منصب عليه لمنجنيق ، ولا مسلك اليه لسالك طـريق • وحضرنا لحصره ، متوكلين على الله في أمره غـير طامعين في فتحه • ولا راجين لنجحه ؟ فانقاد جماحـه * وانخفض جناحه . وساء صباحه ، وكل سلاحـه ؛ وتوقـل الرجال فى ذروته توقل النجوم في الافـلاك • ونصر الله أهـل التوحيد على أهـل الاشراك * وفتحناه بالسيف عنوه ؛ ودحا يوم الثلاث عليه يوم الثلاثاء ضحوه * فانا لمـا توكلنا على الله فى منازلته * واستعنا به في مقاتلتـه * نظر الله الى النيات * واعان ذوي العزائم والثبات * فتعلقوا في الجبـل * وتسلقوا الى القلل * وسعوا الى الاجـل * في طلب تسني الامل * فكان كما قال الله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر * حتي من الله بالظفر * واصفى الورد والصـدر من الكدر * وقد بقيت انطاكية وما لهـا بقاء ، ولا لها في الاعتصام رجاء * وقد نقصنا أطرافها * واستبحنا اكنافها * وشفهنا نطافها * وعضـدنا من رؤوس اهلها بحـدود الصوارم

قطااقها * ولم يبق من معاقلها الا القصير ودربساك وبغراس * وقد تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس *

﴿ ذكر فتح حصن دربساك ﴾

ورحل السلطان وقد نجحت آماله • ورجحت اعماله • وجل اقباله * واقبل جلاله * وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصى . وقد دانت ودنت له المقاصد العواصى القواصى * واقام اياما على جسر الحديد حديد الجساره * شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح وللمشركين من الخساره • ثم قصدنا دربساك • وجددنا بتأييد الله في حصره الاستمساك • ووجدناه حصناً مرتفع الذري • ممتنع الذرا . قد جاوز الجوزاء* وناجت ارضه السماء • وكان عش الداوية بل عرينهم . وطالما اطال في التعدى ايديهم وعرانينهم * وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون • وركنوا بسكنى هذا المعقل الى السكون * فلما اشرفنا عليهم أشرفوا على المنون . ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب *وقلب الكفر قد وجب • ووفرت المنجنيقات سهامهم من سهامها * وصوبت اليهم مسددات مرامها ومرامها * وراميناهم بها ليلا ونهارا * وارسلنا اليهم امثال قلوبهم ووجوههم أحجاراً • وكدنا لانذر فيأرضها التى هى فيالسماء من الكافرين ديارا • وتركنا ناسه بالحجارة صرعى • وأسمنا من نحورهم ووجوههم بيض النصال في حمر المرعى • وأصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب . وقد شارف الفرج الشجا والشجب . ووجه نجاتهم قد احتجب • وقد وقع بالنقب برج من السور الخارج * وظهر فيه عروج للدارج ودروج للعارج * فطلبوا على مراجعة انطاكية الامان * وان ينزلوا ويتركوا بكل مافيه المكان . فأجيبوا الى ذلك على قطيعه . وردوا ما كان للاسلام معهم من وديعه • وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشرى الشهر يوم الجمعه * وأصحب بهذا الفتح جماح الحصون الممتنعه *

﴿ ذكر فتح حصن بغراس ﴾

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بغراس * وقد ضايقنا الاعداء وضيقنا منهم وعليهم النفوس والانفاس * وهي قلعة من انطاكية قريبه * وانها في الشدائد لدعائها مجيبه * ورأيناها

راسخة على رأس راس * شامخة على عاص عاس * ارضها فى السماء * وجوازها على الجوزاء ، متوغلة في الشهاب ، متوقلة على الهضاب ، منسحبة في السحاب ، مضببة بالضباب ، مربية على الرباب ، متعلقة بالنيرين ، متسلقة الى الفرقدين ، محلقة الى النسرين * ولا مطمع نحوها لطالع ، ولا مطلع فيها لطامع ، ولا مطمح للامح • ولا ملمح لطامح • وهي للداوية وجار ضباعها ، وغاب سباعها ، ودار دوائرها ، وغار مغاورها ، وغيل غوائلها ، ومنزل نوازلها ، وجبهة نبالها • وهضبة رئالها ، ومذب ذئابها ، ومدب ذبابها * وكوارة زنابيرها * ومغارة خنازيرها * ومرقب صقورها * ومرقد انسورها * ومكنس وحوشها * ومعرّس جيوشها * فخيمنا بقربها في المرج * وقد أنارت من مشرعات أسنتنا في ظلماء نقع خيلنا مشعلات السرج * وتقدم من العسكر جمع كثير * وجم غفير • وخيم بين انطاكية وبينها • ووكل بها ناظر يقظته وأرقد عينها • فأقام على سبيل اليزك • ودخل في حفظ جانبها في الدرك • وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا • ويسومها من الغارات عسفا • وليس بينه وبينها الا النهر • ومقابل رجسها منه الطهر • وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل • ووقف بازاء الحصن وقوف المشتاق على الطلل • فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته • وصوب لقم الحجر الى لهاته • ووافق آمريه بالاذعان على خلاف نهاته • وقلنا للمقيم به خذ الامان وهاته • وما زالت الحجارات تناوبه • وصدى الصفا بالنكاية يجاوبه • والصخور فيه تتواقع • والبلايا اليه تتتابع • فما شعرنا الا بانفتاح بابه • وألجأ جماح أصحابنا عليه جماحه الى أصحابه * وخرج مقدم الداوية يستأذن في الحضور • ويسأل الامن من المحذور • والحل من المحظور • ويقول انما قنينا بغراس بغراس القنا • وبنينا على حصونها من القنطاريات أحصن البنى • والمعاقل لايحميها الا معتقلوها • والبلاد لايحفظها الا أهلوها • وما في هذا الحصن الا مقدمان • وما لنا بمقاومتكم يدان • وعاد الى أصحابه من السلطان بالامان • وتسلمت القلعة كما تسلمت أختها دربساك بالامس • وسلمها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد أولئك الشمس • وأباحوها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمس • وأنار في مطلعها سني السنجق المنصور • وآذن المتطاول فيها من تطاولنا بالقصور • وذلك في ثاني شعبان • وسر النصر فيه شاع وبان • وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمان • وكان صاحب حصن عزاز • وقد حاز الغنى به وفاز •

وما كان في الامراء الا كابر من لا يدعي سواه الاعواز • فالزمه بهما ليعتني بحفظهما • وحضه من عصمتهما على حظهما • فتسلمهما بذخائرها • واطلع من النفائس على مستودعات ضمائرها • وكانت حينئذ انطاكية قد أسعر غلتها غلاء سعر الغله • وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القله • والغرارة تساوى اثنى عشر دينارا • والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا • وحزرنا مافي بغراس خاصة من الغله • سوى مافيها من تفصيل الاقوات والجملة • فكان تقدير اثنى عشر الف غراره • فحصل سليمان من منبع هذا الملك على غزارة عن غراره • فقلت كأني به وقد نقل هذه الغلة الى انطاكية وباعها • وأعرض عن متاعب الآخرة وحوى من الدنيا متاعها • وأذهب الغلة بذهب يغله • ويستحلي من هذا السحت ويستحله • ثم يستعفى من حفظ الثغر ويشير بتخريبه • ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه •

﴿ ذكر عقد الهدنة مع انطاكية ﴾

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون * وظفر من فتوحها بالسر المصون • عول على قصد انطاكية فانها كانت مريضة على شفا • ورسم قوتها قد عفا • وخلق ثيابها قد انتفى • والدهر قد انتقم منها واشتفي • ووجه الفلاح عن أهلها قد اختفى • فلو صدقها وقصدها • لحص دعائمها وحصدها • وكان الابرنس صاحبها قد عجل بارسال أخي زوجته • يسأل في سلم تعود ببقاء بهجته • وسلامة مهجته • وعقد الهدنة على بلده • وأمن على مافي يده • وذلك لثمانية أشهر من تشرين الى آخر أيار • ووافق من السلطان الاختيار • لكون انقضاء الهدنة قبل ادراك الغلة وأوان حصادها • فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها • ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح • لكمال الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح • لكن العسكر الغريب مل الاقامه • وأبدى السآمه • وأراد السلم والسلامه • وقيل بهذه المدة من الهدنة لا تزداد انطاكية قوة ولا تستجد جده • ولا ترجوا لها عدة منجده • ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده • وأما حصونها فقد حصلنا على عسلها وقتلنا نحلها • وأما هي فنعمل فيها بقول الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها • وشرط على صاحب انطاكية إطلاق من في الاسر من المسلمين • واستوفي رسولها على عقد الهدنة اليمين • وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاسارى منقذا • وللاوامر منفذا •

• وعلى المقاصد مستحوذا . وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب • وفاز من الفتوح بما طلب • واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وساب وخلب •

﴿ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد﴾

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين ودعاه لوداعه . وشيعه بكرامة كرام اشياعه • وخصه بعد ماسير له من الخيل والخير بخلع خواصه وأتباعه ، وأناله منه حسن اصطفائه وحسنى اصطناعه . ولم ينفصل منهم الا من وصل بصله • وخلعة تجمله • وحرمة مكمله • ووعد جميل يرغب في العود . وجود جزيل منسكب الجود • وذلك سوي ماغنموه من كسب وكسبوه من غنم • واستطلقوه من رسم واستجزلوه من قسم ، وملكوه من رق سبي • وأدركوه من حق سعي • وأجدوه من غرض • وأدوه من مفترض . واحيوه من حسنة النصر ، واماتوه من سيئة الكفر • واستضافوه من فتح ، واستفاضوا به من نجح . وسار السلطان في عسكره . حامدا لله في مورده ومصدره . وارتاح الى العبور على ارتاح • وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاح . ووصل الى حلب وحلب احتفالها بوصوله حافل ، والملك بها للاهتزاز بقدومه في ملابس البهاء رافل • ودخلناها وقد خرج كل من بها للتلقي • مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقي . وشاهدنا من النظارة عيونا للمحاسن ناظره * ووجوها ناضره . وقلوبا حاضره • والسنا شاكره * وايديا في بسطها الى الله للابتهال بالدعاء متظاهره • واقتضت حركتنا الى الشهباء • لبسا كنيها سكونه الدهماء * واقام بقلعتها اياما يسيره • وألفى ولده الملك الظاهر اسر احسانا واحسن سيره • وقام به وبالعسكر مدة المقام . واتسقت الامور باوامره على النظام . ولم يرحل الا وقد خص عوامنا وخواصنا بالانعام الخاص والعام ، وابان عن كل منقبه ، واعان بكل موهبه ، فما رآه والده مذ حل بحلب الا في أجمل حلية وأكمل حاله • وأجلى بهجة وأبهى جلاله • وقد أجد لعينه ولنفسه قرة وقرارا : واعد لعزمه ولحزمه استنصارا واستبصارا ، ثم انفصلنا عن حلب منقطعين الى مواصلته بالدعاء • قاطعين طرقنا المتصلة بدليلي الشكر والثناء . وتنكبنا طريق المعره . بسلوك طريق المعره • وأوفيناها بالمبرة الموفية المبره • وتيمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد التقى • أبي زكريا المغربي • وهو مقيم في

مسجده • عند قبر عمر ابن عبدالعزيز ومشهده ، وقصده السلطان على فراسخ • ولقى منه في الحلم والوقار الطود الراسخ • واهتدى بسجاياه • واقتدى بوصاياه . ووصلنا الى حماة وبتنا بها ليلة واحـده . ولم نر رعيتها لمـا شملها من الرعاية جاحـده • فان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب • قد كشف عنها بايالته الكروب • وملك القبول من أهلها والقلوب • وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا .ومد عليها من مهابته ومحبته ظلا مديداً • وكانت قلعة حماة لاتعد في القلاع المعدودة المحميه • ولا تذكر مع المعاقل المرعية المرضيه • وهي ذات تل متبطح . غير مترفع ولا متسـفح . فلما تولاها تقى الدين قطع من التل ماكان متواطياً • وأتلع من التلعة جيداً عاطيا • وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر وبني فيها الدور المرخمة . والاروقة المهندسة المهندمـه • وحصنها وأعلاها . وحسنها وحلاها • وزينها بكل زينه • وأعاد حماة ذات قلعة حصينة، فاضلة في الشام كل مدينه • فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعه . وسر بمـا رأى لها من الحصانة والرفعه • ووقف الملك المظفر لعمه . وجرى في الخدمة على رسمه • وحضرنا وأمـير المدينة النبوية معنا • والسلطان قدأجلسنا بحضرته ورفعنا * والنادى قدجمعنا • والشادى قد أسمعنا . والاغاريد تطرب • والاناشيد تعرب • فما انفصلنا تلك الليلة الاعن علم نشر • وشرف أنشر . وفضل سنى . وعـدل أحيي • ورسم نائل للسماح أجرى • وزند سائل بالنجاح أورى • وسـني جـد أعـلي • وجـني جـود أحـلى • وقرأ لذوى الحاجات القصص • وأزال من الظـلامات الغصص • وانال لذوى الخصاصات الحصص • واصبحنا على الرحيل * ووصلنا النبق بالذميل • وعبرنا مقدين على حمص وزدنا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك الحرص • وجئناها قبل شهر رمضان بأيام • وركنا الى ما أنسنا به من مقام * وتجمع بنا شملها • وتهلل باستهـلالنا أهلها . وقلنا نصوم مع القوم . ونقيم مدة الصوم * فما لبث السلطان ولامكث . ولانقض عهد عزمه على الغزاة ولا نكث • وقال لانبطل الغزوه * ولا نعطل هذه الشتوه • وقدبقيت صفد وكوكب واخواتها ، وبطول مضايقتها فنيت اقواتها وقواتها ، فننتهز فرصة فتحها التي لايؤمن فواتها ، وخرج من دمشق فى أوائل شهر رمضان وحد عزمه رميض • ولبارق سـعده وميض ، وفضـله مستفيض ، ووجوه الايام لأياديه البيض بيض • ولسان الدهر في ذكر سيره وتسيير ذكره مفيض ، وجناح الكفر بجناح رجائه ورواج

مناجحه مهيض . وحديث إقدامه القديم والحديث طويل عريض

﴿ ذكر فتح الكرك وحصونه ﴾

ووردت البشرى بنجح الدرك . في تسلم حصن الكرك . وذلك ان مدة غيبتنا فى بلاد انطاكيه . لم تسدم من محاصرتها المضايقة الناكيه . وكان الملك العادل اخوا السلطان مقيما بتبنين في العساكر . محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر . مقويا الامراء المرتبين علي الحصون . حافظا على الدهماء بحركته فى الامور عادة السكون . وكان صهره سعد الدين كمشبه الاسدى بالكرك موكلا . وبأهله منكلا . وقد غلق رهنه وبقي داؤه معضلا . وأمره مشكلا . حتى فنيت أزوادهم . ونفدت موادهم . ويئسوا من نجدة تأتيهم . وأمحلت عليهم مصايفهم ومشاتيهم . فتوسلوا بالملك العادل . وابدواله ضراعة السائل . وتذرعوا بوسائل الرسائل . فما زالت الرسالات تتردد . والاقتراحات تجدد . والقوم يلينون والعادل يتشدد . حتى دخلوا في الحكم . وخرجوا على السلم . وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامه . وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامه . وكتبت عن السلطان في بعض البشائر . ما ألهي بحلاوته عن أرى الشائر . وهو انا لما عدنا الى دمشق رأينا ان لا نستريح . ولا نثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح . فقلنا نغتنم هذه الشتوه . ونستكمل الحظوه . ونواصل بالغزوة الغزوه . ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب قلوبا وعساكر . وأبقت لاهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر . ويبين صدق هذه العزيمه . والاستمرار في الجهاد على الشيمه . وردت البشرى بان حصن الكرك عاد اليه بعد الجماح الاصحاب . وخرج منه الفرنج ودخله الاصحاب . وهو الحصن الذى كان طاغيته يحدث نفسه بقصد الحجاز . وقد نصب أشراك إشراكه منه على طرق الاجتياز . فأذقناه عام أول كاس الحمام . وملكنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام . واضطر الكفر فى اسلامه الى الاسلام . وتم بحل هذا البيت أمن البيت الحرام . وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر في ذلك الفج . وعذر أهله فى ترك الحج . وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا . وساق الى عقائله الرجال مهرا . فالحمد لله على ماقدر من الحسني . ويسر من النعمى . حمدا يكون لما قدر ازاء . ولما يسر جزاء . والحمد لله الذي أنجز صادق عداته . فى كاذب عداته

﴿ ذكر محاصرة صفد وفتحه * وادراك السعي فيه ونجحه ﴾

وقطعنا مخاضة الاحزان خائضين في بحار المسرات المتواصله . راكضين الى مضمار المبرات الحافله ، والسلطان سائر والجنـة تحت راياته مفتوحة أبوابها ، والنصرة فوق ألويته ممدودة أسـبابها ، في أطلاب أبطال اذا أوعاها الفجر لم يسعها الى عشائه . واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه ؛ ونزلنا على صفد ، والصبر قدنفد . والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وقد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشـد بالرأي والحزم ماالزمان أرخاه * وبعث كل ذي عزمة على التصميم ونخاه ، وشرعنا في مراومة القلعه * ومساومة السلعه * وجثت المجانيق لاجتثاثها وحدثتها بألسنة أحداثها * ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات ، وامطرت عليها حجاره ، ولم نعطها من العذاب الواقع بها اجاره ، فما رفع بها الحصـن الراسي راساً * ولا الحجارة مست منـه ركناً ولا النقوب باشرت أساساً * ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شـطرنجها ، والنقب لم يكشف نقب السور عن وجوه فرنجها ، ودمنا عليها * الى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتيال * حتى أذن الله في الفتح فسـهل ماتصعب * وحضر ماتغيب * وظهر ما تحجب ، وتيسر ماتعسر * وأمكن ماتعذر * وتأتي ماتأبى ، واجاب نداء الاسلام ولبي ، وعلموا ان صـفد ان لم تخرج من ايديهم دخلت أرجلهم في الاصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالاساد ، ونزلوا من سماء العز الى أرض الهوان ، فاذعنوا للضراعة وتصرعوا بالاذعان ، وأخرجوا أسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الامان ، وصارت صفد المسلمين تصدقا ، وكانت بالمشركين هدفا * وعادت للاسلام سدا . بعد ان كانت للـكفر ردءا ومردا . وطالمـا مكث فيها المشركون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ولقد كانت مارنا للـكفر جدع ، ومرفقاً للشر قطع * وناظرا للعدو غض وقد شخص ، وجارحا له هيض وقد قنص ، ويدا للباطل شلت وقد امتدت * وعقدة للضلالة حلت وقد اشـتدت * وتخلصت الداوية بادوائها * وتملصت باسوائها ، وصاروا في صور * وابدوا بعد استطالتهم القصور

﴿ ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير ﴾

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت * وانها على الفتح الذي يشفي اشفت، قالوا لم يبق لنا الا كوكب ٠ وان صلاح الدين عن قصدها لا يتنكب ٠ وقد اقوت من القوه ٠ وهي تهى ان لم نعاجلها ولعالجها بالنجده المدعوه ٠ وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها * وقل ظهورها لظهور اقلالها * وهذا اوان انجائها وانجادها ٠ وهي مشرفة على العدم فدبروا في ايجادها ٠ فاذا قويناها وحميناها بقيت عدة فى العواقب، وعصمة من النوائب * فقال مقدم الاسبتار هى كوكبنا المتلالي * ومنكبنا العالى ومعقلنا المحكم * ومعقدنا المبرم ٠ وحصننا الحصين ٠ ومكاننا المكين ٠ ولنا منه المربع المريع ٠ والمنبع المنيع، والحل المحلى * والمعلم المعلى * وهي قفل من البلاء على البلاد ٠ وموئل من الخطوب الشداد * ولعلها تثبت الى ان توافينا من البحر ملوكنا ٠ وتعود الى عادة الانتظام سلوكنا * فما تبطئ جداتنا ، وماتخطي نجداتنا * واجمعوا على تسيير مائتي رجل من النخب * المعدين لدفاع النوب ؛ من كل جرحي نخى * وكمي أكمى * وجهم جهنمى ٠ وسقر سقرى ، ووعل جبلى ٠ وبطل باطلى ٠ وكلب كلب ، وذئب سغب * وعاسل معاسر ٠ وباسل باسر * ومغوار مغو ٠ ومتلوم متلو ٠ وذمر متذمر ٠ ونمر متنمر ٠ وسبع ضار ٠ وشواظ من نار ٠ وجمر من الجحيم ٠ وخام من الحميم، من شياطين يجنون الجنون ٠ ويمنون المنون ٠ ويشينون الشؤون ، ويهدون الهدون ، ويحزون الحزون * ويفوتون الفتون ٠ ويظنون بالله الظنون ؛ وقالوا لهم كيف تمضون وطريق السلامة مخيف وطارق الاسلام مطيف ،والشجا منيف، والشجب مضيف ، فقالوا نحن نسير ونصير فى ضمائر الكهوف أسرارا ٠ وعلى اجياد الأطواد أزرارا ٠ وفى أوكار المغارات اطيارا ٠ وفي اعماق السيول اكدارا ٠ وعلى ظهور الربود أوزارا ٠ نسرى ليلا ونختفى نهارا ٠ والليل للعاشقين ستر ولكم أدلج من له وتر ٠ والنهج وان بعد فهو في قرب عزمنا فتر ٠ ومن رام النفيس الخطير رمى نفسه في الخطر ٠ وطار الى الوطر ٠ وغرب الى الغرر ٠ ثم عزموا على ماز عموا ٠ وعملوا بما عنه عموا ٠ وخطروا الى الخطر ٠ وحاولوا بمالهم من القدر مزاولة القدر ٠ وتوقلوا في الاكم ٠ وتوغلوا في الاجم ٠ وتبطنوا في الاوديه ٠ وتكمنوا في الافنيه ٠ واحترسوا بالكمون ٠ واحترزوا من العيون ٠ وتحركوا على السكون ٠ وكادوا يصلون

الى الموضع . ويحصلون على المطمع . ويدركون الطلاب . ويهتكون الحجاب . ويعيدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد اليأس جروحه . فعثر بواحد عشر منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده وقيده . وأتى به الى صاحبه صارم الدين قايماز . واستغرب من الافرنجي هناك الجواز . فأخبره بالحال . وان بالوادي مكمن الرجال . فركب اليهم في أصحابه . والتقطهم من سرر الوادي وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب أولئك الاشقياء . وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء . فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج . ولاعاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا ونحن على صفد للحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من الانصار . حتى وصل صاحب قايماز بالأسارى مقرنين في الاصفاد . مقودين في الاقياد . وكان فيهم مقدمان من الاسبتار . وقد أشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبقى على احد من الاسبتارية والداويه . فاحضروا عند السلطان للمنيه . فانطقهما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام مثولهما . مانظن انا بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء . فعرفت ان بقاءهما مرجو . وانتظرت أمر السلطان فيهما . وأيقنت انه يبقيهما . فقال الي مقالهما . وأمر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه الكرم . وحقنت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر من التدبير . وانعاس من جرذوه بالتدمير . وفتح الله علينا صفد ثامن شوال . فشكرناه على ان مدد النصر متوال . وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

﴿ ذكر حصار كوكب وفتحها ﴾

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناط الكوكب . كأنها وكر العنقاء . ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاويه . ونزعت بها ذئاب غاويه . ونزت فيها سباع ضاريه . وحمتها بحميتهما وابت النزول على أمنيتنا ولو بنزل منيتها . واختارت العطب على العطاء . وامترت خلف الخلف والشقاق للشقاء . وأبت غير الاباء . وبصرت بالامر فصبرت على الضر . وأصرت على تحمل الاصر . وترامت على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامى الصوائب . وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار . وخلصه الى الابد من العار . ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار . فنتجلد للاصطبار ونتشدد للانتظار . فقاتلوا أشد

قتال • ونازلوا • أحد نزال • وفوقوا الجروخ المصميه • وصوبوا الصخور المرديه •
ورفعوا المنجنيقات الموجيه • وتواترت زيارات الزيارات الموتره • وتناوبت نوائب
الزنبوركات المطيره . واجترأوا على الاجتراح • وجرى سيل الجراح •ودمنا في الدم •
ورد الوجود الى العدم • وتجرئة الرجال • والتجريد للقتال • وايثار الخنايا • وايثار المنايا •
والرمى في المنجنيق . والجمع والتفريق • والرقع والتخريق . والنقب والتعليق • والحفر
والتعميق • والحصر والتضييق • والهد والهدم *والرد والردم . والصد والصدم • وكان
الوقت صعبا . والغيث سكبا • وتكاثرت السيول • وتكاثفت الوحول • ودامت الديم
لدموعها مريقه . وبقيت الخيم في الطين غريقه • فلا لمركب مبرك ولا مربط • ولا
لسالك مسلك ولا مسقط • وكنا في شغل شاغل من تقلع الاوتاد وتوتد الاقدام •
ووهي الاطناب ووقوع الخيام • وكأن الخيم مناخل الانداء . وعدمت الانوار لوجود
الانواء • وفقد ماء الشرب مع سيل الماء • والروايا مانهضت . ولا نزعت ولا غمضت •
والرواحل في الطين باركه • وللحياة فاركه • وللعلف تاركه • والمطية مطينه • وسبل
السيل مستبينه • وقد كشر البرد بالبرد • عن اسنان عضاضة بالدرد • والطرق زلقة لزقه •
وهي مع سعتها ضيقه • وللثقل نقل • وللعلق عقل • وما ثم الاماشيط بالطين • وصعب
علينا بصعوبة هذا الامر أمر أولئك الشياطين • فنقل السلطان خيمته الى قرب المكان •
لتقريب وجوه الامكان • وبني له من الحجاره • ماصار له كالستاره • فحضرت بين يديه
والسهام تعبرنا ولا تدعرنا • والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا • والنقاب قد قلع وعلق •
والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند • وأنجد الجد • ونزلت الاثقال
والخيم الى اسفل التل . نخفت الثقل بنقل الثقل . وطاب المقام بالغور وسهل بالسهل •
وتحولت الشدة الي اللين * وتحللت الى الطيب عقد الطين • وما زال السلطان ملازماً
للحصن • وهناك ظاهرة له منه أسباب الوهن . حتي علق بعض جدرانه • وطرق الهدم
الى بنيانه • فتسلمه بأمانه • واذهب سكون سكانه • فأخرجهم راغمين • واحرجهم
غارمين • وتركوا الحصن بكل مافيه • وأصبحوا بعد مقاتلته للعفو والمعافاة معتفيه •
وذلك في منتصف ذى القعده • وانتصفت الايام بحل تلك العقده • ورجعت الليالي
بالسكون الى طيب الرقده • وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها . وخلوها وأبوا ان
يلوها . وتخلوا عنها بهمم واهيه فوليها قايماز النجمى على كراهيه • بعزيمة عن مهامها

لاهيه. وانتقل السلطان الى المخيم بالفضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضاء . وودعه الاجل الفاضل على عزم مصر بعد مااستكمل لنا مدة مقامه بصدق اهتمامه وجد اعتزامه الفتح والنصر. ثم تحول السلطان الى أرض بيسان . وازال البوس وزاد الاحسان . وأقام بقية الشهر. في تمهيد مجد يقيم باقي الدهر. واظهر من الفضل ما لم يكن مستورا . واعطى الامراء والاجناد في انفصالهم دستورا . وسار ومعه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة . واضح المحجة لائح البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور . وزاراه للبركة وتبركا بالزور . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخره . وخص ذوى الخصاصة بعميم المبره . وعيدبها يوم الاحد الاضحى . وأضحى بعد ماضحى . وقد أصحب مراده وأضحى . وسار يوم الاثنين الي عسقلان للنظر في مهامها ونظم أسباب أحكامها . وتدبير أحوالها . وترتيب رجالها . وأقام أياما يوضح الجدد . ويصلح مافسد . وينشد من النفع مافقد . ويخمد من الشر ماوقد . فاذاوجد شعثاً لمه . وان ألفى نشراً ضمه . وان صادف فتقاً رتقه . وان لقى حقاً حققه . وان عثر على باطل عفى أثره . وان بصر بآمل خصه بعرفه وأثره . ثم ودعه أخوه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره . ورحل السلطان على صوب عكاء موفقاً في مورده ومصدره . فما عبر ببلد الا قوى عدده . وكثر عدده . وواصل بالرجال مدده . وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان . لعارض مرض سلبنى الامكان . والحمد لله الذى وفر حصة الصحه وحول المحنة الى المنحه . وكمل الشفاء بعد الاشفاء . واهدى عند اليأس أرج الرجاء

﴿ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة﴾

والسلطان في عكاء مقيم . والامر مستقيم . والنهج قويم . وهو يبوب أسباب حفظها . ويسبب أبواب حظها . ويهذب مراتب مصالحها . ويرتب مذاهب مناجحها . ويعدل جوانح أمورها . ويذلل جوامح جمهورها . ويقوى ما وهي ويسوى ماهوى . ويحلى من الشان ماعطل . ويعلى من المكان ماسفل . ويعيد انظم ما انتكث ولم ماتشعث . ويجيد كل مادعا الى بعث مامات منه وبعث . ومكث بها لايريم القصر . الي ان وصل جماعة من مصر . فأمرهم فيها بالاقامه . محافظة على الحماية .

المستدامه ، فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام بناء السور ، واحكام احكام الامور ، وولى الامير حسام الدين بشارة بعكاء واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في ايثار العدل تاليا ، ثم خرج السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر ، وقد استكمل الظفر ، ووجه الدين به قد سفر ، وعز من آمن وذل من كفر ، وحزب الهدى قد أنس ونفر الضلال قد نفر ، وجلس على سرير السرور ، ولبس حبير الحبور ، وبدأ بحضور دار العدل فدر عدله للبادى والحاضر ، وأقام سفور بشره للمقيم والمسافر ، وافاض الفضل ، ومحا المحل ، وأعلى أعلام العلماء ، وأحلى أحلام الحلماء ، وأمضى أحكام الحكماء ، وقضى باكرام الكرماء ، واسدى المعروف ، واعدى الملهوف ، وانكر المناهي ، ونهي عن المنكر ، وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر ، وأقام مدة الشهر ، وأولياؤه جناة النصر ، واعداؤه عناة القهر ، وأيامه مسفره ، ولياليه مقمره ، ومغارس أياديه بثمار المحامد متمره ، ومجالس أعاديه في ديار الشدائد مقفره ، والملك بزهوه زاه زاهر ، والدين ببهائه مباه باهر ، والآفاق منيرة والانوار مفيقه ، وللدولة حق مدال وحقيقه ، وللجد وافي جده ، وللجود وفى عهده ، وللسماح سماء تهمع ، وللمراد مراد يمرع ، وللوجوه بالبشر بهجه ، وللالسنة في الشكر لهجه ، وللهمم علو ، وللشيم سمو ، وللكرم نمو ، وللفضل قيمه ، وللافضال ديمه ، وللشريعة شرعة واضحه ، وللحق سنة لستر الباطل فاضحه ، والصنائع راجحه ، والذرائع ناجحه

﴿ذكر وصول رسول دار الخلافه والخطبة لولى العهد عدة الدين أبي نصر﴾

﴿محمد ابن الامام الناصر لدين الله أبي العباس احمد أمير المؤمنين﴾

بتاريخ أوائل صفر وصل رسول منزل الرساله ، ومقر الجلاله ، ومربع الامامه ، وموضع الكرامه ، ومطلع الهدى ، ومنبع الندى ، ومشرق نور الايمان ، ومشرع فيض الاحسان ، ومرجع المرجين ، ومفزع الملتجين ، ومنجي الناجين ، ومنتجى المناجين ومهبط الوحي ، ومصعد الامر والنهي ، ومقصد نجاح السعي ، ومخفض جناح الرحمه ، ومقطف جني النعمه ، ومجر ذيول المناقب ، ومجرى سيول المواهب ، ومزار أملاك السماء ، ومدار أفلاك العلاء ، ومحج ملوك الارض ، ومحجة سلوك الفرض ، وموطن التنزيل ، وموطئ جبريل ، ومقام الخلافه ، ومرام الرآفه ، ومحل الامانه ، ومحل

الديانه *ومطاف الطائفين • ومطار العاكفين • ومعرف الواقفين * وموقف العارفين وقبلة المقبلين • وموئل المؤملين • وكعبة القاصدين • ومثابة الوافدين ومعفر وجوه العظماء • ومكفر ذنوب الكرماء • ومعصب السيادة القرشيه • ومنصب الوارثة النبويه والسدة الشريفة الناصريه • ودار السلام • وقبة الاسلام • فابتهج السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السول • وسر سره • وأبر بره • وصدر بنشر الانشراح صدره • وقدر على الاتسام بالتسامي قدره • واحتفل باسباب التلقي • والتحف بأثواب الترقي • وسأل عن الرسول المندوب • للسؤل المخطوب • فقيل هو ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه • وصل بالضياء والسكينه • والاحوال الحالية المزينه • وكان وزير الخلافة يومئذ معز الدين بن حديده *فعين لهذه الرسالة ابن سكينة حين عرف أراءه السديده *فتلقاه يوم دخوله الى دمشق السلطان وأولاده *وكان يوما مشهودا حضره اعيان البلد وأماثل العسكر وأشهاده • وأنزله في دار الكرامه • ورتب له وظائف الاقامه *ثم جلس له في يوم سعد صباحه • وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره وأوضاحه • وملأت ظرفي الزمان والمكان أفراحه* وجاء على وفق الآمال اقتراحه • وختم باليمن والاقبال رواحه • وورد بكل ماأبهج الاولياء * وأزعج الاعداء . وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ماأعزه • وثني عطف تباهيه وهزه • ورسا له طودا بالوقار في ايراد الرساله • وجلاله في مهب المهابة أنوار الجلاله • وتلفظ له بالتفضل • وتطوق منه بالتطول • وبشر بان أمير المؤمنين فوض ولاية عهده * الى ولده عدة الدين ابي نصر محمد من بعده *وأخذ بذلك العهد على من حضره من اعيان الامه • وحفظ عليهم بتوليته ماأولاهم الله به من النعمه • وأمر بأن يخطب له بمصر والشام *وجميع بلاد الاسلام • فاستبشر بهذه الموهبه • واستظهر بما خص به من هذه المرتبه • وأمر بذكر اسمه ونقشه في الخطبة وعلى السكه • وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة والشكه وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر • ولم يبق من الامراء والاماثل والافاضل الا من حضر *واحضر معه الدنانير ونثر *وتولى ذلك الملك الافضل فاظهر ابهة ملكه وبهاء فضله * وحصل الاسلام من ري رأيه على نهله وعله • وندب للرسالة الى الديوان العزيز ضياء الدين الشهرزوري القسم بن يحيى • لينشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيا • وسيرت معه الهدايا • والتحف والطرف السنايا • واسارى الفرنج الفوارس • وعددها الكوامل النفائس • وتاج ملكهم السليب والصليب *والملبوس

والطيب* وأضفيت على رسول الامام ملابس الاكرام • وقفل ناجح المرام • واصطحب الضيآن لاضاءة مطالع الايمان • بسفارة سافرة عن سني الاحسان • وبشارة شائرة جني النحل من نحل الجنان • واهتزت الاعطاف • واعتزت الاطراف* وابتسمت ثغور الثغور لسدادها . وانتظمت امور الجمهور لسدادها • وسرت القلوب • وسريت الكروب • وخزى الحاسد الحاشد • وقوى الساعد المساعد • وواصل في طريقه الاغذاذ • حتى وصل الى بغداد* فتلقي الرسول بالسول* وقوبل بالقبول • وخرج اليه الموكب الشريف* واضيف له الى تالد جده القديم جده الجديد الطريف • ودخل البلد وأسارى الفرنج على هيأة يوم قراعها • راكبة حصنها في طوارقها وبيارقها وأدراعها • وقد نكست بنودها واتعست أنوفها . وهيئت على هيأة فتوحنا حتوفها • ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها * ثم عطف به الى دار الكرامة فنزلها • والفى الوزير ابن حديدة قد عزل • وأقام في بيته واعتزل • وتصدر في الدست للنيابه • وسماع الخطاب والاجابه • من له المجد الاثير الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء • وقد خص بتولى الحل والعقد والاخذ والاعطاء • فتولى سماع الرسالة وجوابها • واولى صوبها ووالى صوابها • وسياتي في موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال • وجرى به الفال • وكيف شغلت العوائق وعاقت الاشغال •

﴿ فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول ﴾

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال • واداه من فرض الاعظام والاجلال وقام به من الامر الذي قام به أمر الدين والدنيا • وبادر اليه من استثمار طاعته التى دامت لها من نعمة الدار العزيزة في ازكاء مغارسها السقيا • وحل حبا الحب لما حل من حبائها • وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولائها • وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من اسعادها • واستجد عهد الجد المورق المونق بما جاد ثراه من ثرات عهادها* ونهض من الملك بتقديم ماقدمه على الملوك الناهضين* وابرم من عقد عبوديته الكاملة ماتقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين • ووفق لما وافق المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا • واقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضي • وسبق الى ماسبق به جواد صدقه في جواد قصده * وافتتح فريضة طاعته في حلاوة

عبوديته بتلاوة فاتحة حمده • وانتهى الى نهاية النهى *واطاع ماطاق فيما أمر الله به ونهى*
وما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده • وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين
وافد النصر ومدده *وان يعضدده بولده ولي عهده المطاع بامر الله عدة الدنيا والدين*
ويقر به عيون المسلمين • فقد فاضت البركات • وآضت الحسنات • وأضاءت الكرامات*
وراضت جماح الاماني المبرات المبرّات • وهاضت جناح الكفر الفتكات المرديات • وعمت
الميامن • وتمت المحاسن • ونمت ونمت النعم الظواهر والبواطن • وضمت بسكون الدهماء
اهلها المعاهد والمواطن • وصدحت المنابر • وصدقت المفاخر • وصدعت الاوامر •
وصدفت الفواقر • وصدمت قلوب أهل النفاق من بواعث الرعب البواعث البوادر •
ونقشت صفحات الدرهم والدينار • وانعشت عثرات الاخيار الاحرار • وفرشت
مفوفات الانواء والانوار *وعرشت أسرة المبار والمسار • ورفعت رغبات الابرار *وسمعت
دعوات الاسحار • ونزل النصر • وفضل المصر * ووجب الشكر • وشجب الكفر • ورحب
الصدر *وأصحب الدهر *وسحت سماء السماح • وصح ارواء الارواح • وتضوع نشر الانشراح*
وتوضح صباح الصلاح • وطال جناح النجاح • وطاب جني الافراح • وعظم القدر •
ونظم الامر وحسن الذكر • وأمن الذعر • واهتزت اعطاف الاسلام • واعتزت
اطراف الشام • وتبلجت أيا من الايام • وتروجت اماني الأنام • وارجت ارجاء الرجال*
وثبتت بأسناء الاسناد رواية امالي رى الامال • وقرت الاعين وابتهجت بالسعد الطالع*
وأقرت الالسن والتهجت بالحمد الجامع • وقرت الانفس وانتهجت بوسعها سنن العز الواسع*
ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في نفع الاوام ونقع الانام مناب المنابع*
وأرخت السير وسيرت التواريخ *وخلقت ملطفات البشائر ليوجب تفخيمها وتضخيمها
التضميخ • واشرق المغرب من بشر البشرى • وأنارت مصر من حسن هذه الحسنى •
وبسمت بسمة الشرف منابر الاقاصي والاداني موافقة لمنبر المسجد الاقصى • وتطرزت
الفتوحات الفاضل عصرها الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب • وفاحت في مهاب المحاب
نفحات هذا الزمن الاطهر الاطيب • وعاد الزمان الى اعتداله وعاذ العدل بزمانه •
وتاب الدهر من عدوانه • وآب الى احسانه • ورجع الدين الى سناء سلطانه • وفجع الكفر
بعبدة صلبانه • وبطش الايمان بأيمانه • واستخلص من الشرك بلدانه بلدانه • وتقاضى
الربيع بقروضه • وضافت ضيوف فيوضه • وعتب العزم على ربوضه • وحض الحظ

على نهوضه • وحث الحب على اقامة سنن الجهاد وفروضه • فقد درت أفاويق الآفاق * وذرت أشعة الاشراق • وافترت نضرة الحدائق لنظارة الاحداق • وراقت أوراق الالوية كالتواء الاوراق * وازهرت البيض والسمر كازهار الرياض • وانف غرار الجفون في الاغماد من الاغماض • وتيقظت الاقدار للاقدار على ايقاظ عيون البيض لاجراء دم الشرك المطلول • وتنزل البركات في انجاع المراق من نجيع المارقين لانزال نص النصر على النصل المسلول • وقد آن أن ترعي الحشاشات منهم على رعى الحشيش • ويطير الى اوكار المقل طير السهم المريش • وترتع ثعالب العوامل في عشب الكلى • ويطن ذباب المناصل في لوح الطلى • وترن رقاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على الاعواد • وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الاطواد • وتحمل اشجار القنا بثمر الهام • ويحيش الفضاء المعشب بزهر الجيش اللهام • ويقطف ورد الموت الاحمر • من ورق الحديد الاخضر • ويوقف حد الهندي الابيض على قصر بني الاصفر • ويجرى في ورد الوريد جد اول البواتر • وترمي من الحصون العاديات الى حصون العدا جنادل الحوافر • وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر ضوامن الضوامر • وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتخ الكواسر • ويعبق ثوب الدارع من ردع الثواب بسهك الماذى • وتعلق في ملتقى التقى الفات السمهري * بلامات السابرى • ويظهر الحق بخذلان الباطل • ويحل بأيدى الايد مابقي مع الفرنج من معاقل المعاقل • ويغرق بحر المجر الجرار ماتخلف من ساحات الساحل • فلم يبق به من المدن المنيعة الاصور وطرابلس • ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعون الله تدرس • واما انطاكية فانها بالعراء منبوذه • وعند الاتجاه اليها مأخوذه • على انها بوقم قومها عام اول موقوذه • وحدود العزائم اليها عند انقضاء هدنتها مشحوذه • فانها قد نقصت من اطرافها • ودخل عليها من اكنافها • وجدعت بفتح حصونها عرانينها وضيق على أسدها وسيدانها المحصورة المحشورة فيها عرينها • فهي نهزة لمفترص • وطعمة لمقتنص • وسلعة لمسترخص • وبلغة لمستفحص • وقد خرج الخادم ليدخل البلاد • ويستأنف بجهده الجهاد • ويستقبل الربيع بربيع الاقبال • ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لاوقات النزال • وهو يرجو ببركة هذه الايام الزاهرة من الله أن يجدجند ارضه بجند سمائه • ويوفق الخادم لتصديق امله في تطهير الارض من انجاس اجناس المشركين

بدمائهم وتحقيق رجائه • فالجحافل حافله • واسراب الـكفر بين يديها جافله • ومعاطف الاسلام في لباس الباس رافله • ونصرة الله بانجاز عداته في قمع عداته كافله • والحمـد لله الذي وفق عبد مولانا امير المؤمنين في طاعتـه لنصر أمره • واخلاص الولاء له في سره وجهره • واقتناء كل منقبة حقق بها فضل عصره • وابتكار كل فضيلة • سار بها احسن ذكره فما يفتح مرتجاً الا بتقليدها • ولا يستنجح مرتجى الا بتأييدها •

﴿ ذكر خروج السلطان من دمشـق لاجل شقيف أرنون وما جرى له مع صاحبه ﴾

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق • وقد أطاب لمناشـق الآمال من لشره النشق • ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الاول يوم الجمعه • بالمحبة المجتمعة والمهابة الممتنعه • متوجهاً الى شقيف أرنون • ليقر بفتحه العيون • ويصدق في استخلاصه الظنون • وأتي مرج برغوث • وأقام به الى يوم السبت حادى عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث • ثم رحل على سمت بانياس • وقد اوقع رعبه بين اهل الكفر البأس • وأتي مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف • وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف • وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول في أواسط فصل الربيع • وأقام في ذلك المرج الوسيع والروض الوشيع • وأسمنا الخيل في اعشاب واصيه • ورتعنا في الطاف من الله دانية غير قاصيه • وكان الشقيف في يد صاحب صيداء أرناط • وقد أكمل في حفظه الاحتياط • فنزل الى خدمة السلطان لحـكمه طائعاً • ولامره سامعاً • ولرضاه تابعاً • وفي موضعه شافعاً • وعلى حصنه خاشياً ولاجله خاشعاً • وسأل أن يمهل ثلثة أشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من أهله • وأظهر انه محترز من علم المركيس بحاله فلايسلم من جهله • وحينئذ يسلم الموضع بما فيه • ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه • ويخدمه على اقطاع يغنيه • وعن حب أهل دينه يسليه • فاكرمه وقربه • وقضى اربه • واجابه الي ماساله • وقبل منه عزايزا ما بذله بذله • وامهى غرب رغبه وأمهله • وأخذ له وما خذ له • وخلع عليه وشرفه • ورفعه في ناديه بنداه وعرفه • واقتنع بقوله ولم يأخـذ رهينه • ووجد اليه سكوناً وعنده سكينه • فشرع ارناط في ازالة حصنه • وازالة وهنه • وترميم مستهدمه • وتميم مستحكمة • وتوفير غلاله • وتوفيـة رجاله • وتدبير احوله • وتكثير امواله •

ونحن في غرة من تحفظه • وفي سنة من تيقظه • وفي غفلة من حزمه • وفي غفوة من عزمه • وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميره • ويكثر فيه الذخيره • وقد صدقنا كذبه • وحققنا أربه • وأنهى الى السلطان ما هومشتغل به من عمارة يجددها • وذخيره يعدها • وثلمة يسدها • وقوة يشدها • وميرة يستمدها • وكان بالمذكور سديد الظن • شديد الضن • لايقبل مافيه يقال • ولا يظن به عثوراً يقال . فلما كثر فيه القول • وتمكن من مسألته العول • لم يردان يبدى له ماقيل • ولم يصدى بالتغير عليه وجه جاهه الصقيل • قام بالانتقال من المرج الى سطح الجبل • وتحويل الخيم اليه والثقل • وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة وأظهران المرج وخيم • والمقيم به سقيم • وأم الدهر فيه بالصحة عقيم • وكان المقصود ان الشقيف من عيانه يقرب • واخباره عنه لاتعزب • فلما علم صاحب الشقيف بقربه . شرع في ازالة مافي قلبه . وجاء الى الخدمه • واستمسك بالعصمه • وذكر انه متعزز بذل الطاعه . وبذل الاستطاعه . وتضرع خاضعاً • وتعرض خاشعاً . وذكر انه تخلف له أهل بصور • وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور • وانه يترقب وصولهم • ويأمل عنده حصولهم * وشرع في تقرير هذا الحديث • وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده النكير النكيث . وأقام يوما وعاد الى حصنه • وقد وجد من السلطان دلائل امنه • وكانت المده قد دنا انتهاؤها • وقرب انقضاؤها • فانها الى آخر هذا الشهر . ولم يجد بدا من التسليم أو لغذر فعاد بعد ايام * باكتئاب واغتمام • وحضر عند السلطان فقال ما اظهر به الابتهال • واستزاد الامهال • وذكر انه رقيق الامتنان • وعتيق الاحسان وانه العبد القن • وقد دخل عليه الوهن • وغلق به الرهن • وانه يبقى اهله معتقلين بصور ان خرج منه الحصن • ومن أنشأ غرساً سقاه فأبقاه • وأشكاه فازكاه • واسماه . فانماه • وقد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع • ولاتضع الصنيع * وسأل ان تكون المده سنه • وأن يتبع الحسنة في حقه حسنه . وان يرخي بطوله طوله • وان يشفي بشفاء أمله امله • فراقه قوله • فرق له طوله . ثم أفكر في امره • واستمر في فكره . فغادره على عزيمة غدره • وجاهره بسر شره . بعد أن ماطله وطاوله • وزاوله على ما حاوله • وأقام أياما يردده • ويخصه من الكرامة بما يجدده • ثم كشف له الغطاء . بعد أن أجزل له العطاء * وقال له قد قيل عنك • ما لا نظنه فيك ولا نعلمه منك • فجحد ما عنه رقى • وانه كيف يأتى بالكفران ما من الانعام لقى • وانه ان لم يسعد بامهاله في الشقيف شقي • ثم سأل في ندب من يوثق بامانته.

ويؤمن الي وثاقه • ليدخل الموضع ويلمحه • ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه •
فرجع المندوبون بخبر ما أبصروه • وذكر ان الحصن قد غيروه • وانه قد استجد في
سوره باب • واستمدت له من أحكام احكامه اسباب • فاستحكم به الارتياب • وعرف
ان السرح قد حوته الذئاب • فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم • وقيل لعله يحسن فلا
يحوج الى مقابحته ويسلم • ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة • والمهلة الموهوبة •
فتقيم عندنا حتى تنتهي المدة وتنقضي • وتسلم الحصن وتسلم وتمضي • فابدى ضرورة
وضراعه • وقال سمعا وطاعه وكان له ملق وملق • وفي لسانه زلق • وما عنده من كل
ما يفرق منه فرق • وقال أنا أنفذه الى نوابي في التسليم • وهو قد تقدم اليهم بالوصية
والتعليم • فاظهروا عصيانه • وقالوا يبقى مكانه • فقال قد بقي من المهلة يومان فاذا
العجلة التي يفوت بها الغرض • ويطول منها المرض • فصبر عليه الي يوم الاحد ثامن
عشر (ى) جمادى الآخرة وهو آخر مدته • وأول شدته • وأوان انقضاء عدة
عدته • وقد رتب على الشقيف يزك يمنع الخروج والدخول • والصعود والنزول •
ويضايق غريمه المطول • قبل ان يمتد حصاره ويطول • وحمله جماعة من الامراء ووقفوا
به ازاء حصنه • فناداهم في دراك امره وفكاك رهنه • فخرج اليه قس قاس • بأسرعن
باس • فحادثه في حادثه بلغته • ونافثه في كارثه بنلته * وتحاورا في السر * وتشاورا في
الشر * وكانما امره بالتجلد • وصبره على التشدد • وعاد القس الشقي الى الشقيف •
وترك صاحبه عانياً بالعناء العنيف • فقيد وحمل الى قلعة بانياس • وبطل الرجاء فيه
وبان الياس • ثم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه •
على أن يبلغ المراد في شقيفه • فلما لم يفد خطابه • ولم يجد عذابه • سيره الى دمشق
وسجنه • والزمه شجاه وشجنه • وتحول السلطان من مخيمه الي اعلى الجبل يوم
الاربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن ورتب لها عدة من الامراء • وامرهم بملازمته
في الصيف والشتاء • الى أن تسلمه بعد سنة بحكم السلم • وأطلق صاحبه واجرى عليه حكم الحلم •

* ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال
وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال *

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذى خلص من الاسر * وقالوا نحن في

جمع جم خارج عن الحصر* وقد تواصلت الينا أمداد البحر . فثربنا للثار . واعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور . وفارقوا بالاستطالة القصور . وجرت بين المركيس المقيم بها وبين الملك مراسلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد . ولج معه في اللدد . واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الامر . ويصله من الامر ثم اتفقوا على أن يقيم بصور المركيس . ويدوم منه لملكهم التأسيس ولملكهم التأنيس . وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم . ويتساعدون على رم ماتشعث من احوالهم . ويتعاقدن على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويقصدون بلدا اسلامياً من الساحل *ويقيمون عليه بالنوازل اقامة المنازل . والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . وبجميع مايحتاجون اليه من الميره والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الغي الى هذه الغاى وشرعوا فيما شرعوه *وفرعوا ذروة الاصل الذى فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى من اليزك . ان جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعترك . وانهم على قصد صيداء للحصر . وقد جسروا على عبور الجسر . فركب السلطان فى الحال . فيمن خف من ثقال الرجال وأقتال القتال . وأطلاب الابطال . وانجاد الاجناد . وأجلاد الجلاد . والباذلين المهج للجهد في الجهاد . ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ . والسيل قد بلغ . والصدمة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والنوره قد ثارت . والسورة قد أسأرت فان اليزكية لما شاهدت جاهدت . وتعاقدت على لقائهم وتعاضدت . وخالطتهم . وباسطتهم . وواقحتهم وواقعتهم وجالدتهم وجاولتهم وحاردتهم وحاولتهم وردتهم مفلولين مخذولين . وصدمتهم مهزومين مثلومين . وقسرتهم وكسرتهم وأسرت سراتهم . وبزت بزاتهم وقنصت عقبانهم * وقصمت شجعانهم * وصادت صيدهم وفرست فرسانهم * ووقع في الاسر من سباعهم سبعة * وغودرت للنسور من اشلاء المارقين بالمازق شبعة* واستشهد من المماليك الخواص أيبك الاخرش * وقد كان شهما بالوقائع يحرش * وثبتا بالروائع لايتشوش وأنيسا بالحوادث لايتوحش*وكميا كميشا بالكوارث لا يتكمش * وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان * وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان *وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليزك * وقال لعلهم يعودون الي ذلك المعترك*فنستدرك مافرط من استئصالهم واجتثاثهم * وقد ندم الفرنج على ماندر من اجترائهم وانبعاثهم *وأقام الى

يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر • والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوى الظهر • وركب في ذلك اليوم • ليطلع من الجبـل على القوم • ولم يكن له نية القتال • فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال • وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه • وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه • وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه* ثم ظنوا ان وراءه عسكراً في الكمين يحميه • ونفذ السلطان بعض الامراء إلى الغزاة الرجالة ليعودوا فما قبلوا • وحمل عليهم العدو فأسروا وقتلوا • وختمت بشهادة أولئك السعداء تلك العشيه • ونفذت من الله في استشهادهم المشيه • وحمـل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة أردتهم وردتهم • وصدقتهم عن الجرأة وصدتهم • وتزاحموا على الجسر • فغرق منهم زهاء ثمـانين في النهر • وكان يوما علينا ولنا • جنى المنا وأجني أملنا • وللحرب رجال . والحرب سجال • ولم يكن لاؤلئك الغرباء بقتال الفرنج دربه • وإقدامهم على العدو لله قربه • فخاضوا من الدم في اللجج واعتاضوا الجنة من المهج • وممن اتقى الله بالشهاده • وختم له بالسعاده • الامير غازى بن سعد الدولة مسعود ابن البصارو • وكان شابا لثار الحرب شاباء ولدين الرب رابا • ولما شاهد ما تم من الغزاه • انقض في أصحابه على الفرنج انقضاض البزاه • فدعته جنته • إلى طعنة لبتها لبته • فاحتسبه عند الله والده • وكدرت عليه موارده • وأوجد جمعنا الاسى على فقد ذلك الواحـد وساء عـدم الساعد . وبتنا نشكر مساعى ذلك المساعـد • وضاقت القلوب • وفاضت الكروب • وألم البوس . وألمت النفوس • وهذه وقعة ندرت • وواقعة بدرت • ونذير حدث وحادثة أنذرت • فلم يصب الكفار من المسلمين مذ أصيبوا غير هـذه الكره • وأذاقونا بعد ان حلالنا جنى الفتوحات مرارة هذه المره • فايقظتنا من رقدة الغره • وأخذ الناس حذرهم • ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم • ثم رجعوا الى الله وقالوا بهذا وعد الله حيث قال فيقتلون ويقتلون • وعباده هم الذين يتبعون أمره ويمتثلون • ثم قويت عزمة السلطان على قصـدهم في مخيمهم • وكبسهم في مجثمهم • وعبور الجسر اليهم • والاحداق بهم من خواليهم • وشاع صيت هذا العزم وصوته • وأسرع الناس إلى موسمه • وخشي فوته • وتسامع أهل البلاد • بتصميم عزيمة الجهاد • فتباشروا وتبادروا • وتسابقوا وتسارعوا • وأتوا من كل فج • وجاءوا من كل نهج • وسـالوا في كل واد • وجالوا في كل يفاع ووهاد • ووافت مطوعة دمشق وحوران • يجرون إلى مر الموت

ويجرون المران • وتوافد من بالمرج والغوطه • على الحالة المغبوطه • وقالوا هذا أوان إحضار الضوامر المربوطه • واجتمعت بمرج عيون • جموع مرجت العيون • فخافت الفرنج من هذا الجمع • وأنافت على القمع وتعكست إلى سور صور • وعاين أولئك البور الثبور • وتحرزوا وتحرسوا • وتوجلوا وتوجسوا • فاقتضت الحال تأخير قصدهم • ليتمكن على غرتهم حشدنا من حصدهم • وعاد العسكر إلى المخيم وسار السلطان إلى تبنين • صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين • لتنقد أحوالها . وتأمل أعمالها • وعرض رجالها • ثم سار منها إلى عكاء جريده • ورتب في عمارتها وولايتها أحوالا سديده • ووصى رجالها بالاحتياط والتحفظ • والاستظهار والتيقظ • وأسرع عودته إلى المعسكر • عظيم المفخر كريم المعشر • موفق المورد والمصدر • مقرظ المنظر والمخبر • وأقام إلى يوم السبت سادس جمادى الآخره • وبحر مخيمه يموج بأمواج العساكر الزاخره *

﴿ ذكر ما تم من استشهاد عدة من امراء العرب ﴾

وانتهى الينا أن الفرنج ينتشرون في الارض • وينبسطون في موضع القبض • ولا يحفظون في الرفع والخفض • ويحتطبون ولا يحتاطون • ويحتشون ولا يختشون • ويجنون ثمار الجبل . ويجنون على من يصادفونه بانواع الغيل * وهم في غرة من غاره • وفي جسارة تعود عليهم بخساره * وفى غفلة تجر عقله . وفى ضلة ترفع عليهم من العذاب ظله . وانهم إذا خرجوا للاحتشاش والاحتطاب • وانتشروا لضم الاعشاب من الشعاب • خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد . وتحفظهم من متعد • ونفذ السلطان إلى خيل تبنين . وأمرهم بأن يصبحوا أولئك الملاعين * فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا اقدامها ووصلت بها الكمين . وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر المذكور • وواعدهم على هذا السر المستور • ونفذ إلى عسكر عكاء ليمكن في موضع عينه . ولا يظهر مكمنه • حتى يكون من وراء القوم * مستعداً لما ينالهم من الوقم • وسار السلطان ليلة الاثنين على الموعد • مصدقا للمقصد • وصادف خيل تبنين قد أغارت وأثارت • وأبرت • وأبارت • فعبر تبنين وكمن بين صور وبينها • وعين البزكية وأوقد عينها * ورتب ثمانية أطلاب من الابطال . وكمن بتلك الارجاء كماة الرجال * وانتخب من كل طلب عشرين فارساً

أجواداً على الجياد * وأجلاداً في الجلد على الجلاد . فامرهم بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمـل عليهم . وهم يفرون قدامها * ولا يقرون أمامها . ويجذبونهـا إلى قرب الكمين ويوقعونها عليـه . ويواقعونها إذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به أمروا * ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وأنفوا من أن يقال عنهم فروا * بل جالوا فيهم وكروا * واتصل القتال واشتد * واحتدم المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح * وفارت غمرات الكفاح * وثارت غـبرات البرى . ودارت عثرات الثري . وانحلت عرى اللمم . وانحطت ذرى القمم . وعـدم كل قرن قراره . وكل جفن غراره * ودام نهارنا يجري بانهار الدم أنهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وإن الاسد قد اعتركت . وإن البزل قد ارتبكت وابتركت . فتواصل إنجاداً للانجاد . وتراسل أمداداً بعد الامداد . فلما رأى العدو أن المدد يكثر والعدد يكثف . وإن عساكرنا لا تتوقي ولا تتوقف . صمم العزيمه . على الهزيمه . وعلم ان النجاة عين الغنيمه . فثنى أعطافه * وضم أطرافه . ورد أحلافه . وجرت بين الفريقين مقتله * عادت أرض المعركة بها وهي مثقله . وكان قد حمل العرب على وعـد العود إلى الكمين * والرجوع إلى أسد ذلك العرين . ولم يكن لهم بالطريق خبره . ولا عبرت من الطوارق بهم عبره * فتطاردوا بين يدي الفرنج فى واد ما له نفاذ * ولا لسالكه إلى منهج ملاذ * ورآهم العدو فعدا وراءهم . وسار بجمعه إزاءهم * فلما انتهوا إلى الجبل أدركوا * ولم يقدروا أن يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . وأقبلوا على الله فقبلوا * وهم الامير زامل بن نبل بن مر بن ربيعة أمير النقره * وسري الاسره * والامير حجي بن منصور بن غدفل ابن ربيعة والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مر بن ربيعة وآخر معهم فهؤلاء أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع * وقدر لهم فى رياض النعيم رتوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز الفاني إلى الباقي من العز * وكان معهم من المماليك الخواص . من ذوي الجد والاخلاص . تركي عربي النخوه . غضنفري السطوه . فلما حصل فى المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على صخرة بجوه . ونثل بين يديه كنانته . فارعا لذروه . وقد أوتر قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن إلى منيته من جنيته . وأصاب منيته من إصماء العدو في المصاب بأمنيته . فوقفوا عنه بعيداً حين خافوا قربه . وما زالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه قضى نحبه . فاصبح

وقد نزف دمه · وترجح على وجوده عدمه · ولما قيل انه استشهد · وطاب ليلحد · رمق وبه رمق · وهو في دمه غرق · فحمل على أنه من الاموات · ولم يرج له فوات الوفاة · فاحياه الله بعد أن أماته · وجمع أعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته * وأنشاه خلقاً جديداً · وأوجده في أجله مزيداً · وهو أيبك الساقي زاده . ما جرى اجتراء على الإقدام · واجراء إلى مضمار الحمام * فما سمع بعد ذلك هيعة الاطار اليها · ولا أبصر للكفر ضيعة إلا أغار عليها *

﴿ ذكر مسير الفرنج الى عكاء والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها ﴾

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب · ان العدو قد ركب · واجلب بخيله ورجله · وطار بجراد جرده ودب دباه في رجله · وسرحت ذئابه · ونبحت كلابه · وجاش صرام جيشه العرمرم · وطاش الى أهل الجنة بأهل جهنم · ونوى القرب من النواقير · وأضرم بنار السعير مساعي المساعير · وهو على قصد عكاء يجرى الى المدى برأى جمه المدامير · وان نفراً منهم نفر · وسبق الى النواقير وعبر · ونزل باسكندرونه · واستباح طرقها المصونه · وهناك من المؤمنين رجال يحمون طرف الثغر · ويضمون نشر الامر · ويصمون نحر الكفر · ويجبون غارب الشر · ويجوبون جانب البحر · ويطوفون للحراسه · ويطولون بالحماسه · فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها · وعاقروها وقارعوها · وأهلكوا عدة · وملكوا عدده · ولما تكاثرت أعداد الأعداء · استظهروا بالانكفاء عن الأكفاء · وتدافعوا بعد ما دافعوا · وتراجعوا بعد ما راجعوا · واطلع السلطان على خبرهم · وعرف نفور نفرهم · فكتب الى العساكر الدانية بالدنو · للعدو على العدو · فتوافدوا للميعاد · وتوافوا للاعتضاد · وتوافروا للجهاد · وتوافقوا في ادناء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الاحد · وافية المدد وافرة العدد · ونزلت على عين بصه · ولقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المقتصه · ووصل أوائلهم الى الزيب · واجابوا داعية الصليب · فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل · ووصل العنق بالذميل · وكان الثقل قد سار من الليل · وجرى على طريق الملاحة في الاودية جرى السيل · وسرنا على جب يوسف الى المنيه · آخذين بالحزم تاركين للونيه · وجئنا عصر يوم الثلثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا · وبتنا بها تلك الليلة وسكنا · ثم اصبح يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل

الخروبه • واطلع منها على الاسرار المحجوبة • واشرف على العدو النازل • ودنا حزب الحق من حزب الباطل • وكان عدة من الامراء ساروا على طريق هونين • للفرنج مقابلين مقاتلين • فوصلوا في هذا اليوم • وقد نالوا في طريقهم من القوم • ونزلنا في ارض صفورية بالاثقال • وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال • وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا • ولم يزل رأيه بنور فطنته وطيب فطرته اذكى وازكى • ان يسايرهم في الطريق • ويواقعهم عند المضيق • ويقطعهم عن الوصول • ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صعب نزالهم • وأتعب قتالهم • واذا نبتوا تعذر حصدهم • واذا ثبتوا تعسر قصدهم • واذا لصقوا ببطن الأرض صاروا كالقراد • واذا خلقوا في جو الدو طاروا كالجراد • فعند الانتشار يمكن التقاطهم • وعند الانحصار يتمكن احتياطهم • فقالوا له بل نستقيم على السنن القويم • ونطالبهم طلب الغريم • وما أهون قطعهم اذا وصلنا • واعجل ادبارهم اذا أقبلنا • والطريق قبالتهم وعر • وللمقصر عن التطاول فيه عذر • فنمضي على أسهل الطرق • ونسد فلقهم بالفيلق • وتبين لنا بالعاقبه ان الرأى السلطاني كان أصوب • فان نزالهم عند نزولهم صار أصعب • ونزل الفرنج على عكاء من البحر الى البحر • محتاطين بالانحصار محيطين بها للحصر • وضرب الملك العتيق كى خيمته على تل المصليه • وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالآجام المؤتشبه • وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكاء بعثا دخلها على غرة من العدو • وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو • حتى استظهرت بقوتها • وقويت باستظهارها • فلما اجتمعت العساكر • واتصلت بالاوائل الاواخر • عبي جيشه طلباً طلبا • وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا • وسار بهيأته وهيبته • وأنزل العسكر على تعبيته • ونزل ببرج عكاء على تل كيسان في ذوى اختصاصه • وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقتناصه • وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب • فدارت رحي الحرب • ودام كر الكرب • وطاب طعم الطعن والضرب • وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب • ووافي للانجاد عسكر الشرق ماضي الغرب • وصرنا محاصرين للمحاصرين • مكابرين للمكابرين • قد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط * واستشطنا منه وهو مستشيط * واحدقنا باولئك الكفر احاطة النار باهلها * ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها * ورتبنا بالزيب والنواقير رجالا يصدونهم عن سبلها * ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم * ونراوحهم ونغاديهم * ونعاودهم ونباديهم * ونقدم بموادينا على عواديهم * ونصدهم

وأصدمهم * ويوجدهم البحر وتمدهم * ومازالت مراكبهم تتواصل * ومناكبهم تتطاول * وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون * مترادفون مترافدون * قد لقموا وجه البحر بنقب السفن * وجذبوا بالقلوس على نجه مران الرعن * والقوا على تياره بسط البطاس * وحملوا على البحر أوزار النجس * وتباطم وتمسا * فانهم زادوا على رجسهم رجسا * وبقي القتال بينهم وبين اليزكية * كل بكرة الى العشيه * الى ان وصل الملك المظفر تقي الدين عمر * ومظفر الدين كوكبوري الاسد الغضنفر * فاستظهرنا بهما وبعسكرهما الدهم * ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم * واستدارت الفرنج بعكاء كالدائرة بالمركز * وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز * ومنعوا من الدخول والخروج * ولج اولئك العلوج في ضبط طريق الولوج * وذلك في يوم الاربعاء والخميس آخر رجب لانسلاخه * والاسلام ينادينا باستصراخه * واصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته * واستقلت آياته * وعز عزمه * وعلا حكمه * ومامنا الامن أسرج الجرد وجرد السريجيات * وعاج بالاعوجيات * واشرف بالمشرفيات * وبرز باعتقال الردينيات * ورديان العقيليات * وأزكى المذاكي وقرب المقربات * وقد سن سنان لدنه * وجن جنان قرنه * وساف سيفه ردع الدم * وضاف جوده مضيف العدم * وأقبلنا والنصر مقبل * والظفر متهلل * والميمنة والميسرة باليمين واليسر ممتدتان * والقلب له من التأييد والتمكين جناحان * واتفقت الآراء * وأجمع الامراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعه * عند قبول الدعوات المرتفعه * ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده * واجماع الالسنة والقلوب في الضراعة الى الله في نصرة المجاهدين من عباده * وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم * وكدر عليهم صفو مشاربهم * وفلل مضاه مضاربهم * وهم في مواضعهم واقفون * وعلى مصارعهم عاكفون * وفي مواطنهم ثابتون * وعلى مواطئهم ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل * وكالحلقه المفرغة ماليها مدخل * وكالسور المحيط ماعليه متسلق * وكالجبل الاشم مافيه متعلق * فزحفنا اليهم فلم يبرحوا * وقربنا منهم فلم ينزحوا * وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها * وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم أن يمتطوها * ودامت الحرب قائمه * وديمة الدم دائمه * وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه * وخلف نظامه * حتى دخل الليل وحجز ووعد النصر ماانجز * وحزب الحق ماعجز * فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما أمسوا * وزادوا على ماجري أمس وألهوا عنه وأنسوا * فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت

شمس الظهور • واصحبت شمس الجمهور • واستضاف نورها مستفيض النور • وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكاء حملة شديده • كانت لمن قدامهم من الفرنج مبيده • وفرشوهم علي تلك التلول • ووردوا مضاربهم من فلهم بها بادية الفلول • وانهزم الفرنج الى تل المصلبه نحو القبه • وثبتوا عند الوثبه • واخلوا ذلك الجانب • وخلوا تلك المذاهب * وقلعت خيامهم منها • وقطعت اطماعهم عنها وانفتح لنا طريق عكاء ودخلها الرجال * وحملت اليها الغلال * ونقلت اليها الاحمال * ودخل العسكر اليها وخرج * وانكشف ضيق حصرها وانفرج * وذلك من باب القلعة الوسطى الى باب قراقوش * واستطرقت اليها العساكر والجيوش • واطلع السلطان على الفرنج من سورها * وشرع في تدبير أمورها * وخرج عسكر البلد للموازرة على قتال العدو العادى * وترك الهوادة في قصر القصر * والهوادي والفرنج قد رهبوا * ولو قدروا هربوا * ولكن أصحابنا رأوا أن انفتاح باب البلد غنيمه * وانهم أى وقت أرادوا كانت منهم عزيمة ومن العدو هزيمه * وتوقفوا عن الاتمام * وتقدموا عن مقام الاقدام * ولو أنهم استمروا في الحرب على هيأتهم وهيبتهم * لباء الاعداء لنجحنا بخيبتهم * فان الصدمة الاولى اخافت وحافت * ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت * لكنا تركناهم حتى عادت اليهم الارماق * وعاود فرقهم الافراق * وابصروا ما بين أيديهم وما خلفهم * وأزالوا ما بينهم بالموافقة خلفهم * وأثبتوا في مستنقع الموت ارجلهم * ورأوا ان الوقت قد امهلهم • وقال امراؤنا هؤلاء قد سهل امرهم • وخمد جمرهم • وقد حص رياشهم حصرهم * وهم في قبضتنا أي وقت اردنا * ولقصدهم تجردنا * وقالوا نصبر الى الظهر ونمضي ونسقى الخيل ونعود * وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود * فانصرفوا على وعد العود * وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود * وبلغ العدو ريقه * ووجد الى الجلد طريقه * وجمع بعد التفرق فريقه * وضم عن الانتشار راجله * وزم رامحه ونابله * ووقفوا كالسور من وراء الجنويات * والتراس والقنطاريات * وقد صوبوا الجروخ وفوقوها * وجمعوا العدد وعلى الرجال فرقوها * كانهم في الدروع اراقم * وفي المجان علاجم * وفي النهوض قشاعم * وفي الضراوة ضراغم * واختلفت الاراء مع العلم باحتراسهم وتسترهم بتراسهم * فمنا من يقول نصبحهم بالزحف * ونزورهم بالحتف * ويترجل الامراء فيتبعهم الاصحاب * وتنشب من آسادنا في تلك الخنازير من النشاب الاظفار والانياب * ويتصل الطعان والضراب * فننسفهم ولو انهم جبال • ولنطفئ نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال

ومنا من يقول يدخل راجلنا الي البلد* مستعدا بالاهب متأهبا بالعـدد * فاذا زحفنا اليهـم * واوجفنا عليهم *خرج من فى البلد من العسكرية والراجل • ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالنوازل*فلا تطارف لهم بعدها عين* ولا يبقى للدين بعد درك الثار منهم دين*ومنا من يقول لابل نفرج عنهم * ونبعد منهم * فما دمنا على هـذه المضايقة والمصابره *والحاققة والمحاصره *والمكابدة والمكابره*فانهم يتيقظون وينتبهون * ويحفظون ولا ينتهون ويحرزون ويحربون ويتوجلون ويتوجون •فاذا أرخينا طولهم وأوسعنا أملهم• استرسلوا بعدمااستبسلوا• واستقبلوا الدعة بعدمااستقتلوا• واطمأنوا فطمعوا واذا أبطأنا تسرعوا واغتروا بانا على غرة فاغاروا*وظهرت لهم آثار ركودنا عنهم فظهروا وثاروا *فحينئذ حينهم يحين،وشينهم يشين. واذا ظهروا ظهرنا عليهم• ومتي أصحروا أصحرنا اليهم * وان بارزوا بارزناهم*وأنجزنا عدة أمانينا فيهم وناجزناهم*ومنا من يقول هؤلاء في عدد النمل.وكثرة الرمل• وظلام الليل • وعرام السيل •فمايقمعهم الا العدد الكثير . ولا يقمعهم الا الجمع الجم الغفير . والمصلحة ان تستنفر العساكر * و نستحضر لابادتهـم البـادي والحاضر . ونستجيش الجحافـل * ونستثير الفارس والراجـل * ونلقاهم بامثـالهم * ونقـدم عليهم مستظهرين في قتالهم * ومنـا من يقول هؤلاء عالم لايحصى * قد حضروا من الادني والاقصى * وأزوادهـم عن قريب تفرغ * وآمادهم في الصبر تبلغ • وأمدادهم تنقطع •وأنجادهم تمتنع• وموادهم تقل • وجوادهم تضـل • ولمراكبهم في الشتاء شتات • ولحبائلهم وحبالهم انبتات . فاما أن يضطروا إلى الانفصال • واما أن يؤذن فناء أرزاقهم بحلول الآجال• ويهون علينا حربهـم في تلك الحال • وكفى الله المؤمنين القتال • فهـذا عسكر الاسلام• وجند مصر والشام • وفي الاقدام به خطر • وفي المباشرة بحربه غرر • والمصلحه العامة تلحظ • ورأس المـال يحفظ • ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل • و نستدفع بحقها الاباطيل • ونستكثر من مراكبها • ونستعدي على هذه الافاعي بعقاربهـا • ونستطيل على الشناة المستطيلة بشوانيها * ونعدو على عوادي الاعادي بعواديهـا * وإذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر * وصلت لنا أسباب النصر * وحينئذ نقاتلهم براً وبحـراً * ونوسعهم بمضايقتهم فيهما قتلا وأسرا * وما زالت هذه الآراء بيننا متداولة * وخواطرنا في تدبيرها متجاوله والحرب بيننا وبين الفرنج جاريه * وزناد الهيجاء لاشعال نارهـا واريه * وفي كل يوم

نتصافح بالصفاح * ونتكافأ في الكفاح * وننطق فيهم بكلام الكلوم * ونلحق منهم الموجود بالمعدوم * وللطلائع وقائع * وللوقائع طلائع * وللسهام أفواق فائقه * وللحمام أسواق نافقه * وسرايانا في كل يوم وليلة تسرى وتأسر * وتبرى وتأبر * وتكبس وتكسب * وتسبي وتسلب * والسلطان يباشر ذلك كله بنفسه * وهو يدأب في يومه لغده مجتهداً في الزيادة على أمسه * نائباً عن أعوان المسلمين وأنصارهم * ساهراً لهم في ليلهم قائماً بامرهم فى نهارهم * والعين الساهرة في سبيل الله قريره * وتعب يوم واحد لله في اليوم الاخر ذخيره *

﴿ ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان ﴾

وركب الفرنج آخر يوم الاربعاء سادس شعبان باجمعهم * وتقدموا من موضعهم * واشتاقوا إلى مصرعهم * وفارقوا الحزم في تسرعهم * وخرجوا عن رجالتهم * وتجردوا بخيالتهم * وحملوا على الواقفين من أصحابنا حملة الرجل الواحد * فتحرك الصف الثابت الساكن أمامهم كالبنيان إذا تحاحل من القواعد * وتراجع عنهم المسلمون استدراجا * وملأت الارض السماء عججاً وعجاجا * وزخر بحر الحرب على أمواج إمواجا * فما قربوا من خيام البزك * إلا وقد اعتكر جو المعترك * وعساكرنا قد أوجفت عليهم * وزحفت اليهم * وأردتهم بعقابهم * وردتهم على أعقابهم * ووصلت إلى رؤسائهم فقطعت رؤوساً * وألحف بأسها ذلك الجمع بؤساً * وثنت وجه الكفر عبوسا * وولوا مدبرين * وأدبروا مولين * والجريح بالقتيل عابر عاثر * والذمر الباسل باسم بالموت باشر * فلما جن الليل رجعت بما جنته الخيل * وبات كل حزب على حرب * وإعداد عدد طعن وضرب * وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ * وهمة متنبهة للتحفظ * وحراسه وحمايه * وسياسة ورعايه * فلما أصبحوا عادوا إلى عادتهم في اللقاء * وهاجوا بعاديتهم إلى الهيجاء * هذا وأبواب البلد مفتوحه * والصدور بطروق الظهور اليها مشروحه * والفرنج قد ندموا على ما قدموا * وعدموا بصيرتهم بما صدموا * وعادوا لا يفرطون ولا يتورطون * وينقبضون ولا ينبسطون *

﴿ ذكر وفاة حسام الدين طمان ﴾

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر إلى تل العياضيه * ليكون منه في الجهة المرضيه * فان هذا التل بازاء تل المصلبه منزلة العدو *

وهو مشرف عليهم للعلو. وضربت خيام الميمنة ممتدة الى البحر، وخيام الميسرة الى النهر، واتسع مجالنا وضاقت الدائرة على الكفر ، وكان الامير طمان صاحب الرقة مريضاً ولم تزل وجوه الايام الغبر في سبيل الله باحمرار بيضه بيضاء ؛ وهو الحسام الفاصل * والهمام الباسل * والقرم البازل * والندب الحلاحل * والمحترق لحمية الدين * والمقترح لحماية المسلمين ولما وافت وفاته * وفاته رجاؤه ولم يرجا فواته * أسف على عمره * وأسي على أمره * وحزن كيف لم يقتل شهيداً . ولم يستشهد في الجهاد سعيداً * وقال قدموا حصاني حتي أشهد الحرب وأستشهد ، وأجاهد الي أن أقتل وأجهد، فاني أري موتي على الفراش غبناً ، وقد عرفتم مني شجاعة لا جبناً ، وتوفي عصر الاربعاء ثالث عشر شعبان ، وبوأه الله الجنان ، وبشره برضوان . وكان قد توفي بالقرب . الامير الندب * فارس الحرب * ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب * حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتخب . فنبت مضارب الدين باغماد الحسامين ، وجلت الهموم لاجل أجل الهمامين ، فوجمت النفوس ، وألمت القلوب * وفاضت لغروب فيضهما الغروب

ذكر واقعة للعرب * أربت لنا بالارب

انتهى الينا ان الفرنج * يتطرقون ويتطرفون . ويأمنون ولا يتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصلون الي طرفي النهر ، وهم لمن يحاق عليهم من فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العربان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم بجمعهم سارون * وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم الى حمى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم بؤساً ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوساً . وأحضروها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاباء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر . وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . هذا والقتال بينهم وبين أصحابنا في عكاء متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتق وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق . والارواح في مساق ، والمصاع على اتساق ، وكم قتل من حزب العدو وأسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزبان ، وكل الغربان . فتوافقا على الامان . وتواقفا يتكلمان . وربما أقدموا ثم نكصوا . وغنوا ورقصوا . واذا تعبوا لعبوا . واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ماجري وغرائبه ، وملح ماتم وعجائبه ، ان الطائفتين في

بعض الايام • ضجرنا من مباشرة الحرب على الدوام،فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال • وقد فني الرجال، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا • وليكونوا في أمانكم وأماننا ، فبرز منهم صبيان • ومن البلد آخران.فقاتلوا ملياً ، وألفوا نار الحرب صلياً ، ثم وثب أحد الصبيين المسلمين •على أحد الصبيين الكافرين •وضرب به الارض •وقفز عليه وانقض • وقبضه كسيراً وجذبه أسيراً ، فافتداه بعضهم بدينارين • وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين •والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وأمارات السعادة الظاهرة . انه أفلت من بعض مراكب الفرنج حصان • له عندهم صيت وشان • فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربطه •وما زال يعوم في البحر وهم حواليه •حتى دخل مينا البلد وتسارع أصحابنا اليه • وأهدوه الى السلطان ، وعده العدو من أمارات الخذلان ، ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان

ذكر الوقعة الكبرى

وأصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين من شعبان ، وقد رفعوا الصلبان ، وزحفت أسودهم في غاب المران • وطارت بهم خيولهم عقباناً على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح • وجالوا دون التل كأنهم له وشاح • وخرجوا على التعبيه • وشفعوا نداء الكفر بالتلبية •وشفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتزمين • وعزموا مصممين * وثاروا ثورة الشيطان • وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفوا أطلاباً ، وحفزوا طلاباً، ودبوا دبيب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، وأجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا ذيول السوابغ الى الغوار ، وتحركوا وهم هضاب ، وتدركوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتكثف •وتعطوا وتعطف • وتفور وتثور . وترود وتدور • وتهم وتهمهم • وتدمدم وتدوم • وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته،وطلب من الله نصرته. وثبت قلبه وقلبه ثابت • وحزبه في صف الحرب نابت • ورعبه لكبة العدو كابت • وهو يمر بالصفوف•ويأمر بالوقوف• ويحض على حفظ الأبد . ويحث على الجلاد والجلد • ويثوب للوثوب • ويندب الى الندوب•ولما شاهد شروق بروقهم • وخروق مروقهم •وكثافة ميسرتهم • وحشو حشود كثرتهم : أنهض رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب ، وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على

الجناح ، في جمع يبشر بمثيره واردالصباح ، وكلما تقدموا تأخر يستجرهم ، ويحذر مكرهم ومكرّهم،فعرفوا انه لاقبل لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميقات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا القلب وزخر بحرهم وعب ،وحملوا حملة دوى منها الدو ،واسود منهاوجوالجو،ووصلوا الى جموح ديار بكر والجزيره،وغاصوافي لججها بغدران السوابح،والسوابغ الغزيره، وكانت من القلب على الجناح للطيران وحبالها على الرياح للجريان فعرفوها بالغر . واستضعفوها لدي الكر . وألموا بها فما ألمت، وهموا بها فما همت . واندفعت وما دفعت . وتراجعت وما رجعت، وتعكست وما عكست. وأدبرت وما تدبرت. ولكونهاغيرعارفةبقتال الفرنج هابت وما هبت ولابت ومالبت. ورابت وما ربت، وجاؤاالى القلب وقلبوه. وحاربوه وحربوه وخربواحزبه ،وخرقواحجبه ، وهنالك استشهد كرام باعوا أنفسهم بالجنة. وأسنونحورهم نحو الاسنة. منهم الامير مجلى بن مروان ، وكان مجلياًفي المروة ، والظهير أخوا الفقيه عيسي وكان ظاهر الفتوة ، وآخرون اعترفوا بذنوبهم فرحضوا بماء الشهادة درن حوبهم ، وصعدوا الى مخيم السلطان ، طامعين في استطالة حزب الصلبان ، وكنت فى جماعة من اهل الفضل قد ركبنا فى ذلك اليوم ، ووقفنا على التل نشاهد الوقعة وننتظر مايكون من القوم ، وماظنناان القوة بهي ، وان الواقعة اليناتنتهي ، فلماخالطونافي المخيم ، وباسطونا في الجثم ، وكنا على بغال ، بغير أهبة قتال ، استدركنا أمرنا ، واخذنا منهم حذرنا ، ورأينا العسكر مولياً ، والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخلياً ، فوافقنا في الاندفاع ، وألفينا لا استضرار في المال عين الانتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل ، ووجدنا سا كنها قد أجفل ، فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على شرقيه ، وكل منا ذاهل عن شبهه وريه ، مفكر فيما يكون من أمره ، منكسر القلب لماتم على الاسلام من كسره ، لايألف ميتاً ، ولايلفى بيتاً ، ممسك بلجام فرسه ، قد آذن ضيق نفسه بضيق ، نفسه ، ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق ، وهو غير مفيق ، ومنهم من وصـل الى دمشق غير معرج على طريق ، وأقمنا بموضعنا على الخوي والخيل واقفـة بلجمها والطوى ، والغمض غـير طارق ، والفرق غير مفـارق * والقلوب مرتاعـة مرتابه * والادعية الى الله مرفوعة مستجابه * وتحـدث الناس فيما بينهم بأن الاسـلام عاد جده * وعدا جنده * وان الكفر حاد فله وفل حده * وان الميسرة ثبتت ثبات اليسر * والاسـدية انتصروا فأسعد النصر * وكان هذا الصـدى يقوى * والصدا يروى * والبشرى تسرى * والبرد بها تجرى * والناس بين مصـدق

ومكذب * وذاهب في مذهب من الظن مذهب مهـذب * حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي * وقد ورد مورد الظفر الصافي * فنادى أين العماد * فقد جاءه من النصر المراد * فأسرعنا اليـه * واجتمعنا عليه * فقلنا ما الخبر * وكيف صفا الظفر * وصفا الكدر . وقدر السلطان وتسلط القـدر . والى أين أنت سار بالنبإ السار . وفي أية دار تنزل بمنزل النصر الدار . فقال انا بشير دمشق بالنبا العظيم . والخبر الكريم . فقلنا اهلا بشائر البشائر وطائر الاوطار . والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار . والصديق الصادق . والموفق الموافق . ومرحباً بالخصى الخاص لما مرحبا فحل بالخـبر الفحل فخلا . وكم أم للنجيح املا وجلا وجلا . فأبنا مجبورين مجبورين . وثبنا مثابين مأجورين . وندمنا على ما ند منا في الهزيمه . وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمه . ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن مقامه ما انتقل . وقد شل الجموع وجمع الاشلاء . وأدام الاجراء حتى اجرى الدماء .

﴿ ذكر حصة النصرة بعد صحة الكسره ﴾

﴿ وكيف ادال الله الاسلام واذال الكفر بتلك الكره ﴾

لما تمت الكسره . وعمت الفتره . وكرت الكره . وأمرت تلك المره . وصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وشيم من عارض اعتراضهم تشؤم شيمة الشيطان . وجالوا جوله . وخالوا دوله . وصالوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشياعهم . وعـدموا اتباع أتباعهم . فشرعوا في اندافعهم . وهابوا الوقوف على اجتماعهم . فانحـدروا عن التل . وقد جاءوا بقوة العز فآبوا بضعف الذل . واستقلهم أصحابنا فركبوا أكتافهم . وحكموا في رقابهم اسيافهم . وردوهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فأعدوهم . وكان في ميسرتنا عسكر سنجار والاسدية فما زالوا وما زلوا . بل وصـلوا وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكانما مرت بالجبال الرياح . وخالطوها فودعت اجسامهـا الارواح . وعاد من كان من الميمنة الاسلامية بالبعد . حاد المضاء ماضي الحد . مثل تقي الدين . وقايماز النجمي والحسام ابن لاجين . ومن ثبت من أبطال المجاهدين . فكروا على ميسرة الفرنج فشلوهـا وأنهلوها من دمائها واعلوها . ولفوها وفلوها . ولقوهـا واقلوها . ووضعوا فيها السيوف . وأوضعوا اليها الحتوف . وأوسعوها قتلا ذريعـا .

وما ابطأ الوقت حتى صار مقدامها صريعاً سريعا • فلم يفلت من الاعداء الا أعداد • ولم ينج من آلافهـا الا آحاد . وأمست لنار الحرب فراشاً . ولارض المعركة فراشاً • وتبعها اصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا • وملت لنوتهم وليوثهم وملوا • وفرس زهـاء خمسة آلاف فارس من كل ممار ممـارس . ومستوحش بالموت آنس • وممن اودى في الاقدام مقدم الداويه . ولم تحمه من الحمام ناره الحامية لنار الحميه . وحكي عنه انه قال عرضنا في مائة الف وعشرة آلاف . أحـلاف الحاف وألاف اتلاف بلا تلاف فلما عجزوا . وبالخندق احتجزوا . وقف عنهم أجنادنا . وبلغ المـدى فيهم جهادنا واجتهادنا • ومن العجب ان الذين ثبتوا منا لم يبلغوا ألفاً فردوا مائة ألف • وآتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت من المثلثين ثلاثين وأربعين . وتركتهم بالعراء عراة مصرعين • ولا شك أن الله أنزل الله ملائكته المسومين . وكل يحدث بعد ذلك مما شهده . ويعهد الينا بما عهده • وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف . ما له منة سير ولا وقوف • وأنا منهزم من فارس مدجج • في بحر الحرب ملجج • وهو على جبل يجرى به جري الريح * وينـادي بشعار المسيح • وقد لز بقربي حصانه • وهز لصلبي سـنانه . فمـا شككت انه يشكني بلهذمه * ويفكني بمخذمه . وأيست من البقاء . وأنست للشهادة واللقاء . واستعذت بالله واستعنت . وتشاهدت مما شاهدت . ثم أبطأت على صدمته . وأخطأتني حدمته . فالتفت فاذا هو وحصانه ملقى كلاهما . وما وجدت بالقرب أحداً أقول انه ارادها . فعرفت أنه نصر الهي . وصنع رباني في مذاق الايمان شهي . وفي آفاق الاحسان بهي * فايقنت ان النصرة ما ملكت . الا الملائكة نصرت . وان الظهور ما سر الا لاسرار لله ظهرت •

﴿ ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف ﴾

﴿ بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الالطاف ﴾

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها ، وشكر الطاف الله الخفية وابداء سرها • وانشر مطاوي النعم باذاعة طيها واشاعة نشرها • وذكر فيها ما الفرنج عليه من اجتماع راجلها وفارسها • والاحتماء بخنادقها ومتارسها • وان لنا كل يوم فيهم نكاية بالغه • وسطوة دامغه • وثعالب عوامل في دمائهم والغه • ومضارب مناصل لرؤوسهم فادغه • ونيوب عواسل

لمضغهم ماضغه • وذيول نقم عليهم في تقليص ظلال ضلالهم سابغه • وأيدي أيد لصفحات البيض بنجيعهم القاني صابغه • وضمائر وضوامر عن كل شغل سوي شغل الجهاد فارغه • وهمماً وعزائم لا ترى عن وقم القوم أهل الزيغ زائغه • وما برح الفرنج في برح شديد . وأمر غير سديد • وظل للذل مديد • وضيق حصر في كل يوم جديد جديد • حتي ضاقت أنفسهم وأنفاسهم • وأخفق رجاؤهم . وظهر يأسهم * ووقع بينهم بطول المقام باسهم • فاجمعوا أمرهم على انهم يجدون في اللقاء • ويهيجون الى الهيجاء • ويلقون الالوف بالالوف * ويصدمون الصفوف بالصفوف • ويعرضون نحورهم ووجوههم على الاسنة والسيوف * ويجمعون في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم بين الاصوات والحروف * ويكسفون بشبه التثليث أدلة التوحيد * ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد • والحد الحديد * وبرز ذلك الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان • ورفعوا الصلبان وأشرعوا الخرصان • واتبعوا الشيطان • ورتبوا الرجال • وطلبوا الفرسان • وحملت لهم أطلاب تضم أبطالا ، وتضمن بباطلها للحق ابطالا • وتأمل لشملها المتفرق اجتماعا • وترجوا للصليب السليب ارتجاعا • وعصفت رياحها الهوج • وأقبلت بحار سوابحها وسوابغها تموج ، وكاد أن يثبت للشيطان قدم • ويراق للايمان دم • فانها خرقت حجاب الصف • وفرقت شمل الجمع الملتف • وراع جنان الجبان وهمه وهمه • وأدبر مولياً وعزمه زعمه • فظن من لا يقين له ان الاسلام قد أسلم • وان نصر الله الموجود قد عدم • وان الكفر المتأخر قد تقدم • وان الصبح المتبلج قد أظلم ، وهناك عرف أهل الثبات • وثبت أهل العرفان . ورقصت المران على أشاجع الشجعان ، والتفت العنان بالعنان • والتقى السنان بالسنان • وخطبت الصوارم على منابر الطلى • ورتمت اللهاذم في كلا الكلي • وفتحت اليغالق مغالق الحتف • وزحفت الفوارس الى فوارس الزحف * وعطفت العساكر المنصورة طلاباً لتلك الاطلاب ، ووصلت ضرب الاعناق بقطع الرقاب • ومازالت تشل الفرنج وتفلهم • وتحل بعقدهم الوهن وتحلهم • وتروى ظمأ الظبا من ورد وريدهم • وتخضب شيب البيض بدم طريدهم • حتى فرشت بعد أن سلبت اشلاؤهم بالعراء عرياً • وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع اجراء ولم تطق جرياً • حتى تثلمت وتلثمت بنجيعهم صفحات الصفاح • ووقفت أشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . وأعرب حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح • وقتل من مقدميهم ومقدميهم زهاء خمسة آلاف • زهى الاسلام بما اتسع من عطن عطبهم • وحسن منقلبه بسوء منقلبهم • وعاش

بما شاع من قتلهم ، واشتغل العسكر المنصور بشغلهم، وطاب القلب المهموم بما تم من مأتم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدي متن الضلال المتين ، وهمت الرواعف الفوارع بحمل هامات الحاملين . وانجلى الغبار عن كل قتيل ماله من مقيل . ولا لقائله من مقيل . وعادت أعلام الاسلام ظاهره . وايمان الايمان باطشة قاهره . وهدي الهدى على النصر مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمي مكفوفه . ولم ينج ممن حمل من حمل راسه . ولم يقدم من أولئك الرجال الا من فقد رجاءه . ووجد يأسه * وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف . وأصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف ، وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحتوف . ودخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حواليهم . وهم وان وهنوا لما أصابهم من الكسره . وأخطأهم من النصره . وحل فيهم من الرزء . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء * وفجع اكثرهم بالجزء ، ونقص منهم العدد الكثير ، وركد من ريحهم ذلك العاصف المبير ، فانهم في حشد كالدبي * وجمع أغص الوهاد والربا . وقد أخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحبا . وودوا لو وجدوا مهربا * وتفرقوا أيدي سبا . وقد عادوا وتحصنوا وتصبروا . وتخيروا المقام على الجين حين تحيروا . وأوسعوا الخنادق وعمقوها . وأحكموا المتارس ووثقوها * وندموا على الحركه . فانها أفضت بهم الى الهلكه . وانهم ماداموا رابضين . وعلى يد الصبر قابضين . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهم . وتطول أيام الاحاطة بهم من حواليهم . وفي تلك الحركة التي حلا بها للشجعان طعم الطعن * وغلب فيها للجبناء وهم الوهن . وتجافي عن الثبات من محيي الدنيا جنب الجبن . ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب . واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب . وماثبت الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سديد ساد للثغور . ومجاهد الدين يرنقش قد صدق لهته بالمجاهدة للدين . وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرباء هابوا . وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا . والفرنج الآن في ذل وخسر . وفي عسر بغير يسر * وفي حصر بغير حصر . والمرجوا من الله سبحانه أن يقدر على قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن آخرهم * وتحريك همم المؤمنين في تسكين سائرهم . وتخريب عمرهم وعامرهم . وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم . وما دام البحر يمدهم . والبر لا يصدهم . فبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بادوائهم وأسوائهم ملازم . وتدبيرنا الآن في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم

في ورطة الوقوع * فأين حمية المسلمين * ونخوة أهل الدين • وغيرة أهل اليقين • وما ينقضي عجبنا من تضافر المشرك على شركه • وتظاهره في اتساع مسالكه واتساق سلكه * وقعود المسلمين عن المسلمين وتقاعدهم . وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاقدهم * فلا ملبي فيهم لمناد * ولا مثقف لمنآد * ولا موري منهم في اجابة داع لزناد • فانظروا إلى الفرنج أى مورد وردوا * وأي حشد حشدوا * وأية ضالة نشدوا * وأية نجدة أنجدوا * وأية أموال غرموها وأنفقوها • وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها * ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم * ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم وأكابرهم * إلا جارى جاره في مضمار الانجاد * وبارى نظيره فى الجد والاجتهاد * واستقلوا فى صون ملتهم بذل المهج والارواح * وأمدوا أجناسهم الانجاس بأنواع السلاح مع أكفاء الكفاح * وما فعلوا ما فعلوا * ولا بذلوا ما بذلوا * إلا لمجرد الحمية لمتعبدهم • والنخوة لمعتقدهم . وليس أحد من الفرنجية يستشعر ان الساحل إذا ملك • ورفع فيه حجاب عزهم وهتك • يخرج بلد من يده • أو تمتد يد إلى بلده . والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا • وغفلوا وكسلوا • ولزموا الحيرة . وعدموا الغيرة • ولو انثني والعياذ بالله للاسلام عنان • أو خبا سنى ونبا سنان • لما وجد في شرق البلاد وغربها . وبعد الآفاق وقربها • من لدين الله يغار • ومن لنصرة الحق على الباطل يختار • وهذا أوان رفض التواني . واستدناء أولى الحمية من الاقاصي والاداني • على انا بحمد الله لنصره راجون • وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون • والمشركون باذن الله هالكون • والمؤمنون آمنون ناجون •

﴿ ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر ﴾
﴿ فصد عن قصد المباكرة لمناجزة اهل الكفر ﴾

وعاد السلطان إلى مضاربه وقد عادت مضاربه إلى عادة المضاء • وزادت مشاربه من مادة الصفاء • وأمر بمواراة الشهداء . ومن جملتهم الفقيه أبو علي ابن رواحه • وكان غزير الفضل قد أكمل الرجاحه والسجاحه • وهو شاعر مفلق • وفقيه محقق • من ولد عبد الله ابن رواحة الصحابي الانصارى في الشهادة والشعر معرق • فطرفه الاعلى يوم موته مع جعفر الطيار • وطرفه الاقرب يوم عكاء في لقاء الكفار • ومنهم اسمعيل

الصوفي الارموى المكبس . وكان سديداً عفيفاً عاريا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس • ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلام في الخزانة امين على البيت • وآخرون صودفوا عند التل فجاءتهم السعاده . وفجأتهم الشهاده • وهؤلاء سوى من وقع في الوقعه • وذهب قبل الرجعه • وأجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب أرواحهم السوم . وقال هؤلاء قد أضعفنا قوتهم . وأعجزنا قدرتهم • وفثأنا سورتهم . واخمدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وأدوينا داويتهم • فان تركناهم بلعوا الريق • وبلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق . فنحن نوافيهم غداً . ونوفيهم ردي • ونكيلهم بصاع المصاع . ونذرعهم بباع السباع • ونقيسهم بذراع اليراع . ونوسعهم قرى القراع . ونذيقهم حر الحرب • ونسيفهم في طعم الطعن ضرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهام سهاما . ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم أجساما . ونغرقهم بماء فرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات • ونوجد من عدمهم النصر • ونطيب من نتنهم النشر • ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم آخرهم . فلما اتفقت الآراء على إمضاء هذا العزم • وإجراء هذا الحكم • تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب . وذلك إن غلمان العسكرية وصحابها • وأوباش الجمع وأوشابها . ظنو تلك الفورة هزيمه • فنهبوا الأثقال والاحمال وعدوها غنيمه * وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من أهل الجد . فمن عاد إلى رحله وجده منهوبا مسلوبا . وكان ظنه أنه فرغ من لقاء خطب فلقي خطوبا • فمضوا وراء الغلمان . وبلوا بسوء دين السودان • وأصبحنا وإذا العسكر غائب • والعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والآمن فرق . والغني معدم * والجرىء متندم . فهذا خالف ما ذهب من ماله ذاهب • وهذا لمن طلب الطريق بأثقاله طالب . فتفتر ذلك العزم • وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المده . وانتشلوا من تلك الشده . واستطالوا بعد الاقصار • وفرغوا لشغل الحصار • وجاءتهم فى البحر مراكب أخلفت من عدم • وبنت ما هدم . فكمل بالمدد . مانقص من العدد* ولولا أن الله تعالى قدر بقاءهم . لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم • فان الفرصة أمكنت • والحصة تعينت • والجو خال • والضو عال • والحال جميلة والجمال حال * فقضى الله بما قضى • وعرانا المضض بما مضى • وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منتبة

مبثه • وتلك الجثث محينة مخبثة مجثه • تعرفنا ان نشورها من حواصل النسور • وإن قبورها بطون الضباع والنمور • فشكونا نتن رائحتهــا • وشكرنا يمن جائحتهــا • فعجل السلطان حملها على العجل إلى النهر • ليشرب من صديدها أهل الكفر • فحمل إلى الماء أكثر من خمسة آلاف جثه • بعثت إلى النار قبل يوم البعثه • فما عبر بها الامن اعتبر. واستشفى من أقبل بمن أدبر • وسلم الله من أسلم وكف ورد بالردى من كفر *

﴿ ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل ﴾
﴿ واستدراك ما حزب من الخلل ﴾

تقدم الامر إلى المقدمين والامراء • بعد النداء وإعــلام الجهلاء • باحصاء كل ما نهب • وإحضار كل ما سلب • وإنه من لم يرد ما أخذه أخذ بالردي • واعتدى عليه بمثل ما اعتدي • فاحضر كل ما عنـده • وبذل في الكشف جهده • وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان • وضاقت عن كثرته سعة ذلك المكان • وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان • فكل من عرف من ماله شيئاً أخذه بعد إحلافه * وحلا في مذاق الشكر قطاف ألطافه • وسعي في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة أخلاقه • وشفى العلل والغلل بالنهــل والعلل من أشفاقه • وقمش ذلك القماش • وحصل من ذلك الو ل الرشاش • وصح بعد العري والعثار الارتياش والانتعاش • وكتب إلى الولاة بالامصار والنواحي • والاقطار والضواحي • بحث البحث وجد الكشف • واستخلاص كل ما يوجــد ويؤخذ بالرفق والعنف • وتراجع الناس • وتتابع الايناس • وعادت مضارب العزائم إلى مضائهــا • وقضاة القواضب إلى اقتضابها واقتضائها • وغار الآ نف وأنف الغيران • وتسلط العزم وعزم السلطان • وثار الحنق وحنق الثائر • وطار العلق وعلق الطائر • وطلبت الطلى نكاح بنات الخلل الذكور • واشرأب للشرب نبات الاسل إلى ماء النحور • وحمي ذوو الحمية للتقاصي • وقالوا حتى متى التراضي بالتغاضي *

﴿ ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد فقد ﴾

وحضر أكابر الامراء عند السلطان • يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبــان • فقال اعلموا أن هــذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله • وأناخ بكلكل كله * وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله • وجمع خشده وحشد جمعه • واستنفد وسعه •

وإن لم نعاجل الآن فريقه • والبحر قد منع طريقه • أعضل داؤه • وتعذرغداً لقاؤه . فانه إذا سكن البحر . واستسهل ركوبه السفر • تضاعفت أعداد الاعداء * فظهر الاعدام من الاعداء • وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها • ولا قوة نستحضرها • وما بلي بهذا المعشر إلا معشرنا • وما بازاءعسكر الكفر إلا عسكرنا . وما في المسلمين من يجدنا • وما في بلاد الاسلام من يسعدنا. وعساكرنا حاضره • وعزائمنا للتواني حاظره • وعيون أسنتنا إلى الفتك بالعدا ناظره * وما يعوزنا الا حضور أخينا الملك العادل سيف الدين • ولا بقاء للنقاد إذا أصحر منه ليث العرين • فالرأي كل الرأي في المناجزه • قبل وقوفهم على محاج المحاجزه * ثم قال ليشر كل منكم برأيه * ولا يقدم على قول ورأيه من ورائه * فتجاذبوا حبل الاضطراب * واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراب * وركب كل منهم هواه * وأعلن بما نواه * ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الاول * وقد دفعنا الى الخطب الاعضل والتعب الاطول * والنائب الاعصى والناب الاعصل * وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوما * وما طعمنا في هذه الليالي نوما * ولا سمنا لطارق طيف غمضا * ولا شمنا الا لبارق سيف ومضا * ولكم قذفتنا المنايا وقد دخلنا لهواتها * وكان أبا الطيب عنانا بقوله * وكانما خلقوا على صهواتها * وقد كلت الصوارم * وفلت البواتر * وملت العساكر * وهذا الشتاء قد أقبل * والعدو قد استقتل * والشر قد استفحل * وما يتأتي قلعه الا لمن يتأني * وبالصبر يدرك الاريب ما يتمنى * وهم بالمصابرة مصابون * ونحن على المثابرة مثابون * وهؤلاء لا يتمكن منهم الا بالجمع الجم * والسيل لا يغلبه غير الخضم * والصواب أن نصابرهم * هذه الشتوه * ونستجد لنا ولخيلنا القوه * ونتأخر عن هذه المنزله * لتحصيل هذه المصلحة المؤمله * ونوكل بهم مناوبة من يمنعهم من الخروج * واذا انقضى البرد نرجع الى معالجة هؤلاء العلوج * ونعيد السريجيات الى سلها والسلاهب الى السروج * والصواب الاخذ بالاحتياط * وتقديم الكتب والرسل الي الاطراف والاوساط * ومكاتبة دار السلام * واعلام الامام عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام بالشام * فان المسلمين لاشك يجدون * ويقومون بالنصرة ولا يقعدون * ولا يترك استنفار التركمان * وترغيبهم بالبر والاحسان * واستدعاؤهم بالعطايا * والتشريفات السنايا * وينفذ الى بلاد الشام القاصية والدانيه * في تحريك الهمم والعزائم الوانيه * الي ان تمتلئ بالجموع ساح

الساحل * وتغلى بنار الحميات بها مراجل الراجل * فحينئذ ينتهى أمد المصابره * ونصمم على المكابرة مع المكاثره * ونباديهم ونفاجئهم قبل انفتاح البحر * ونغاديهم ونراوحهم على اقتراح القهر * وننسفهم ولو انهم جبال * وننزفهم ولو انهم بحار * ونعدمهم حتى لا يطرق جفن بلد منهم خيال * ولا يلم بجفن طارق لهم غرار * وما زلنا في مشاورة ومحاوره * ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساوره * حتي تخل الرأى وتمخض * وخالوا انه تبين الصواب وتمحض * وما لوا الى الدعه * والخروج من الضيق الى السعه * ومن نزال الحرب * الى المنزل الرحب * ومن المعترك المعتكر * الى المبرك المبتكر * فلم تعجبنى هذه الحاله * ولم توافقنى هذه المقاله * وقلت لعمري أتيتم بمصلحه * ولكنها غير مترجحه * فان الفرنج الى الآن لم يتمكنوا من الحصار * ولم يحدقوا بجميع الاسوار * فاذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخينا خناقهم * وأطلنا الى مرادهم اعناقهم * وباب عكاء من جانب البحر مفتوح * والمقيم بها منا بكاس تفقدنا اياه مغبوق مصبوح * والطريق اليها سابله * والذخائر اليها في كل يوم داخله * والفرنج عن قطع الطريق عاجزه * وعزائمنا على مصابحتها وممساتها لها دون قصدها محاجزه * فان تأخرنا تقدموا * وان هونا احكموا * وان نقضنا ابرموا * وان قعدنا قاموا * وان بعدنا حاموا * ومتي رمناهم تحفظوا * ومتى نمنا عنهم تيقظوا * وما دمنا نشغلهم فانهم لحصر البلد لا يتفرغون * والى امد الامل لا يبلغون * فقالوا هذا امر هين * وماذ كرناه صواب متعين * ووجه الصلاح فيه بين * وما مقصودنا الا أن ينتشروا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فاذا أنسوا بالرجاء . لم ييأسوا من الارجاء . أرخينا لهم حبل الانظار ، حتي استمروا على الانتشار ، وحينئذ نصبحهم على غرة . ونعاجلهم كرة بعد كره ، وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث . ونصدهم بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبدوه من الرأى الملتاث . لولا ماعرض لمزاجه من الالتياث *

ذكر الرحيل الى الخروبه * عند خيم الاثقال المضروبه

كان السلطان مع ماألم به من الالم . غير مبدوجه الملل والسأم . وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف . ويقف مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر . وعليه أثر الضر من الصبر . فليم على فعله . وخصه الطبيب بعذله ، فانتقل الى الثقل ليلة

الثلثاء رابع شهر رمضان ، وخلى المنزل الاول وأخلى العسكر ذلك المكان • وتقدم الى من بعكاء باغلاق الباب • وسلوك نهج الاحتراس والاجتناب ، وجرى الامر على ما كنت قلته • وتحقق من الخلل ما خلته • فان المركيس رحل وشغل الجانب الذى كان خالياً • ورخص عنده ما كان من سوم خوفه غالياً • وشرع الفرنج في حفر خندق على معكسرهم حوالى عكاء من البحر الى البحر • وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر ، وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما ظهر من أثرهم ، والجد في تعميق الخندق وتتميم محتفرهم • والعسكر هاجم . كانه واجم • والظن فيه راجم • وشر الكفر ناجم . وما فينا لعود الامر عاجم وقلت يوما للسلطان يركب العسكر اليهم • ويركض عليهم - فلعله ينال ظفراً • ويقضى من كسر العدو وطراً • فقال مايعمل العسكر شيئاً الا اذا كنت معه راكباً • ولعمله • شاهداً مراقباً • ولقد صدق في مقاله ، فانه كان أعرف برجاله . فانهم كانوا يبذلون معه المهج • ويخوضون من بحر الحرب اللجج * ويوسعون لهزم العدو المازق الاحرج ، وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم • وأمهلناهم بل أهملناهم ، حتى عمقوا الحفور • ووثقوا من ترابها السور ، وملأوه بالستائر • ومنعوه من الطير الطائر • وبنوه وأسسوه • وستروه وترسوه • ورتبوا عليه رجالا • ولم يتركوا لواغل مجالا • وتركوا فيه أبواباً وفروجاً • ليظهروا منها اذا أرادوا خروجا . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر ، ونحن نقول لا مبالاة بهم ولا اكتراث . وما أسهل اذا عزمنا عليهم لاصولهم الاجتثاث • وبسيول سيوفنا نغسل تلك الاخباث ، وأى وقت قصدناهم وجئناهم وجأناهم ، ونكأنا قرحهم ونكبناهم • ومافوارسهم لنا الا فرائس • وما خنادقهم لهم الا رموس دوارس ، وماحفروا الا قبورهم • وما دبروا الا ثبورهم ومتى قصدناهم كذبت ظنونهم • وصدقتهم منونهم • وامتلأت باشلائهم خنادقهم • وأظلمت عليهم بغربنا مشارقهم • وبيتتهم بوائقهم وتبت علائقهم •

ذكر رأى رائب عن النظر فى الغاى غائب أسفر عن داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب

وقع لبعض الاكابر فثني عليه خنصره • ووكل باتمامه سمعه وبصره • لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكه • وضمت أشلاءهم المعركه . وشوهدت على الربا حجب نحورهم المهتكه ، وخمدوا وخملوا • وأهلكهم الله بما عملوا • ووقع لبعض الاكابر انه لم يبق

للقوم انتماش من تلك المعاثر ٠وانهم قد عدموا القرار ٠وعزموا الفرار ٠ولو قدروا على النجاة لخلصوا ٠ولو فتحنا طريقهم ماتصبروا ولا تربصوا ٠وقال السلطان ارحلوا عنهم حتى تروا مايكون منهم ٠فانهم يرهبون ويهربون ٠ويبعدون الى صور ومن بعدها من عكاء لا يقربون ٠ فمال قوم الى مقاله ٠وتخيلوا مثل خياله ٠واشار بقطع طريق البلد ٠والصدر عن ورد الرصد ٠ والجد في تعمية الجدد ٠ وان يفتح لهم ماسد من الطريق ٠ ولا يعوقهم فانهم كلاب تعوى من التعويق ٠ ولما بلونا رايه ٠ وتلونا آيه ٠اخلف ظنه ٠وبدا وهنه ٠ وما زاد الفرنج الا ثباتا ولم نعرف لشملهم على ماتوهمه شتاتا . وكنا نحدث بذلك الرأى القائل ٠ ونقول ماأعجب قبولنا لقول هذا القائل

ذكر ماجري بعد ذلك من الحوادث* وتجدد للعزائم من البواعث

أقام السلطان بالمخيم لاصلاح مزاجه ٠ وايضاح منهاجه ٠ومداراة ألمه ٠ومداواة سقمه ٠فوهب الله له العافيه ٠وكمل له عصمته الكافيه ٠ومنته الشافيه ٠ ونعمته الوافيه * وأبدى له ألطافه الخافيه ٠وقوي قلبه على المقام ٠بنية الانتقام ٠ وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع ٠ ويستريحوا في مرابعهم لوقت الرجوع ٠ وأقام في مماليكه وخواصه * ورجال حلقته المنصورة من ذوي استخلاصه ٠ ورتب بالنوبة على الفرنج يزكا ضمنه دركا ٠ وأدار بهلاك القوم منه فلكا ٠وكان في مماليكه كل مقدم مقدام ٠وكل همام همام ٠وكل ليث ذي لوثه وكل حدث محسن له حسن أحدوثه ٠وكل ضيغم ضاغم ٠ وكل أسد عرين ليس الاعرنين قرنه براغم ٠وكل ريبال ذي بال *وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطال ٠وكل مغير للنصر مريغ ٠وكل مسيء الى العدو لكأس الحمام مسيغ ٠وكل تركي للرماء غير تارك ٠ وللاصماء غير فارك ٠قوسه في ظفر الهدى مؤتر على الوتر ٠وسهمه من مقل العدا طائر الى الوكر *وسيفه في رداء الردي حال بدم الكفر وكل حميدى في الروع حميد ٠وبالحرب عميد وكل هكارى على القرن عكار ٠ وفي الوغى كرار * وللقنا جرار ٠وكل زرزارى بالاسد زار ! وللبسالة كاس ومن العار عار ٠ وكل مهراني في القتال ماهر ٠ وللرجال قاهر ٠ وعلى الابطال ظاهر ٠وكل كمي كميش واكديش على اكديش . فما خلا يوم من وقعه ٠وماصار من بارزهم الا الى صرعه ٠وماعاد من نجا من زنابير سهامهم الا بلسعه ٠وماحصلت شفاه شفارهم من طلاء من طاولهم الا على لطعه ٠ ومانبقى على لتوتهم ليت ٠ولصوتهم في النزال كل صباح

ومساء صبيت ،وبلى الفرنج منهم بالمبير المبيد ،واعتاق بهم مراد العدو المريد ،وما زال هذا دأبهم في الركوب،ومباكرتهم ومراوحتهم الى مواقف الكروب.فكم أقروا منا أعيناً بايديهم * وثبتوا عدل النصر بتعديهم ؛ وصدوا شر الشرك بتصديهم . وحركوا ماسكن وهـدأمن عزائم الهداة بتهديهم.وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان احذ أصحابنا بعكاء مركباً للفرنج الى صور مقلعاً. واجتلينا به من سني النصر مطلعاً ، وكان المركب محتوياً على ثلثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوه * وغنيمة صفوه * ونشوة أعقبت صحوه *وحبيحة استصحبت ضحوه *وقوة من وهن العدو *ومحبة فكت رهن السلو* فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم *وانخفض اغتباطهم،وفترت عزمتهم*وقصرت همتهم، وخمدت فورتهم*وركدت ثورتهم * فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتقشوا ، وتنعموا وتنفشوا ،ودب الروح*وشب المروح * وتحرك الساكن . وتدرك الضامن * وصاروا يخرجون ويحرجون * ويقتلون ويجرحون* ويمسون على القتال ويصبحون،ويكافحون ويدافعون . ويقارعون ويواقعون.والعسكر في المنزلة هاجم *وجم جمه واجم * واليزكية زكية • والعيون زكيه • والنوب راتبه * والعدة المعينة في كل يوم راكبه

﴿ ذكر وصول ملك الألمان ﴾

ونمى الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في عدد دهم دثر*ونظم من خيله ورجله ونثر*وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام*رقطع بلد الروم والارمن الى الشام* وانه في ثلثمائة الف مقاتل*من كل سالب باسل*وطالب باطل*وجهم جهنمي* وأشقري سقرى*وأعمش أفعواني*وصل صليبي صلائي*وأرقش حنشي . ومستعر سعيري*ومحرب لظوى*ومغوار ناري•وضار بالقرن ضار * وجار للدرع جار*وكل ذئب عاسل * ذاب بعاسل* وأزرق لأبيض مشتمل*وأصهب لاسمر معتقل* وكل جحيمي جاحم * وجري فاحم * وحربي بحري*وبار بري*وقاطع في طريق الوصول* وراحل بقصد الحلول * وناز الى النزال*وصال بنار الصيال * ومشمر على الموت متمرن * ومتحين الى المنون متحنن*وفيهم ستون الف فارس مدرع مقنع*ماله سوى السوء من مقنع*وانه مع الالماني ملوك وكنود*وكل شيطان لربه كنود *وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الارمن*وهو في قلعته على الفرات ومن أهل الذمة في المأمن*يبدى تنصحا واشفاقا * وتخوفا على

البلاد واحتراقا * ويقطع بان الواصلين في كثره * وان الناهضين الى طريقهم في عثره * وأبرق في كتابه وأرعد * وأبدع بخطابه وأبعد * ولا شك انه الى جنسه النجس مائل * وبملاءة أهل ملته قائل * ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم * وورد هذا الخبر وخيل أنه اليم • كاد الناس يضطربون • على انهم يصدقون ويكذبون • ومن طرف كل حبل من الرأي يجذبون • وقلنا ان وضح هذا الخطر • وصح هذا الخبر • فالمسلمون يقومون لنا ولا يقعدون • ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يعضدون • على ان الله ناصرنا • وموازرنا ومظاهرنا * وحققنا باظهار القوة لمن استوحش التأنيس • وبثثنا بالارسال الى بلاد الروم عيونا وجواسيس • وندبنا وسل الاستنصار • وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار • وقلنا ما هذه المرة الامره ولا يسيغها الا كل مريء أبي • وماهذه الكرة مثل كل كره • ولا يحضرها الا كل كيش كمي *

﴿ ذكر رسالة دار الخلافة ﴾

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع بن تميم • ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم • وقال له ما احتاج أوصى * وانت تستوفي القول وتستقصي * وجعل له الى كل ذي طرف في طريقه رساله * وأودعه اليه مقاله * فسار من عندنا في شهر رمضان مغذا * يبذ خيل العزم بذا * ويجد حبل السير جذا * ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القسم بن يحيي بن عبد الله الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد * وذكر انه قد بلغ المراد * وانه استجدى واستجاد * واستفاد واستزاد * وانه استكمل للعدة الاستنجاز وللعدة الاستنجاد * فاهذا الرسول الرائح * وربما عرضت لتلك الحوائج الجوائح * واذا اختلف الحديث حدث الاختلاف * ومتى الف غير ما ألقى ألفى الائتلاف * فا هذا العجل * وثم الوجل * فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب * عن كل ما أبان عنه واعرب * وكتب الى والده * يذكر مقاصده * وقال أنا لا أقدر على صد من للخدمة تصدي * ولا رد من بثوب الرسالة تردى * وانت تمضي الى السلطان * بما أوضحته من البرهان * وهو يحكم ويحكم * ويعقد ويبرم * ويقول فنسمع * ويامر فنتبع * ولعلك تعود سريعا * وتجد شمل ما الفته جميعا * فوصل ضياء الدين الشهرزوري وهو مغتاظ • وسجاياه السجاح غلاظ * وتغير علي * ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي * فانه كان مخاللي

ومخالطي*ومجالسي ومباسطي*فأزلت عنه كل ظن*واعتذرت اليه بكل فن * فما بسط عذر*ولا قبض ذعر*فاني على اسبابي ببغداد خائف*ودون رضا كل سائر اليها واقف* واسترضيته فما رضى*ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي*ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ماقدمه *وأعلمه بما علمه*وقال له الشغل قد فرغ*والمقصود قد بلغ*والسؤال قد أجيب* والمنؤل قد أصيب*والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم * وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مفطوم*فكن للامام يكن لك*واقبل أمره ليقبلك * واجتمع بالسلطان دوني * واتفق بجماعة شاركوه وأفردوني*وقرروا معه سرا امرا *وحذروه ان يصير جهراً * ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي أبرموه غير مبرم*وان الرأى الذي أحكموه غير محكم*ومازلت اؤكد الامر حتى يؤمن انتقاضه*وأتمرض دون الرأي حتى لايمكن اعتراضه*واتيقن ان الامر مافيه خلاف*وان الوعد ماله إخلاف*فافعل الرسول يتلبث ولا امهل يتمكث*بل حمل على المجاز لا الحقيقة مجازه*وزعم فيما دبره نجاحة ونجازه * وسلك فيما تقرر نهج العجب*وأسرع العودة على النجب*فلما انفصل عن السلطان *بما وصله من الاحسان*جمع السلطان الامراء على المشوره*ووقفهم على المعنى والصوره * وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهرزورى بشهرزور * واستدعيت عسكره المنصور*وربما قدم الينا الحضور*فيكمل لنا النصر والحبور*فقالوا هذا رأي رائب *وشأو شائب *وأمر عنه الصواب ناء*وكيف تمدى الامام بما لايقرن بوفاء * وكيف ينجز هذا الوعد•وينجح هذا القصد *ودونه ايحاش من هو في طاعتك • فكنت تبذل مايدخل في استطاعتك•أما صاحب الموصل طالها فمنع• وصاحب اربل عنها دفع • ومملوكك بها لمن يجاوره خائف•وكل ايوائي لحدها وحقها حائف•وما من هؤلاء الا من بذل عنها أموالا واحوالا•والتزم من الجنود والنقود انجادا خفافا وحمولا ثقالا • فاذا عرف انك أخرجتها لمن له الأمر•دخل عليهم الضر•وملك مالك الامر أمرهم• وأبدوا في انقطاعهم عنك عذرهم•وانقطع الواصل•وارتفع الحاصل•وما جاءنا من المذكورين فارس واحد• ولاساعد على مانحن فيه بعدها مساعد•اما هذا بكتمر في خلاط •قدجمع الاخلاط * وجهر بالعداوه•واقام على الغيابة والغباوه•فقال السلطان الخليفة ملك الخليقه*وهو مالك الحق والحقيقه*فان وصل الينا أعطيناه هذه البلاد فكيف شهرزور*وسيحدث الله بعد الأمور الأمور*ولما وصل ضياء الدين الشهرزوري الى بغداد*صادف بها القاضي بهاء*

الدين ابن شداد *فلم يسفر امر سفارته عن سداد * وقيل له جواب ماأتيت فيه مع ضياء الدين نسيره* ونندبه فيما نتخيره * وشرف بهاء الدين وأعيد * وزين ضياء الدين وزيد * وذكر ماجرى فتم الاعتداد *ونم الاحماد *وسيأتي ذكر ماآلت اليه نوبته * حين كانت أوبته *

* ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان والاستظهار بجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الايمان *

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال *في جيش وآل *وجمع حال *وشوكة رائعه •وشكة رادعه •وشارة ساره •وديمه من البأس داره • وعدة منتخبة منتخبه •وعدة مشتقاة مهذبه • من كل أجدل على مرقب • وأجود على جواد مقرب • وصاف عتيق على صافن عتيق •وطود على طود ونيق على نيق •وصقر على سوذنيق • وبحر على سابح •وجذع على قارح •ومن كل رئبال على نتفل •وأغر محجب على اغر محجل • ومن كل أبيض ضرب بالبيض ضراب • وكل أسمر باسل بالسمر سلاب • وكل أروع يحمل يراعا •وكل شجاع يعتقل شجاعا •وكل أحمى أحمس •وكل أفرى أفرس •ومن كل أسد خادر •وقسور قاسر •وضيغم ضاغم •وقمقام واقم •وليث به لوثه • وحدث له في الشهامة أحدوثه •واحضر معه من سودان مصر كل ذمر كانه العبسي عابس •وكل مغامس للموت مغامس •وكل غربيب حلكوك • وكل سرحان صعلوك • وكل ضرغام غرنيق * ومقدام ريق •وكل خارج لثار •وكل مارج من نار • وكل اسود سالخ •وكل رأس في الشر راسخ •وجاؤا بالغبسة القبطيه • والترسة اللمطيه • والصلال القفطيه •والالال النوبيه • والحراب الحربيه والصعاد الصعيديه • والصوارم المذروبه •والصرائم المشبوبه • والاسنة المسنونه •والصوابغ الموضونه • والسراحين السارحه • والثعابين الجارحه • والتماسيح المزدرده •والشياطين المتوقده • والزانات واليزنيات * والهنديات واليمانيات • وكان يوم وصول العادل مشهودا •لم يترك في كل مايراد من القوة مجهودا •واقبل في روع ظاهر • وضوع باهر •وبشر ذائع •ونشر ضائع •وحبور تام •وسرور عام *وهزة وطرب • وعزة وأرب * وقلنا سيف الدين المنتضي *وناصر الاسلام المرتضى * وغياث الانام المرتجى * وسلطان جيوش المسلمين المجتبي *لقد نص النصر *وكف الكفر *وسلم الاسلام *ونام

الانام • وأمن الايمان • وتسلط السلطان • وحليت الاحوال • وفرغ البال • وبلغت الآمال • ونيل رجاء الرجال • وأزيل إبطاء الابطال • وورت زناد الأجناد • ورويت ظماء الصعاد • فما بعد اليوم • الابعد القوم * وادراك مااستقام من النهج * وهلاك من أقام من الفرنج * ونزل الملك العادل في مخيمه • وقدم اليمن بمقدمه * وتقدم السلطان الى راجل دمشق والبلاد لحضر • وضايق الفرنج بهو حصر * ولم يخل العدو في كل حين من حين * وفي كل وقت من مقت * وفي كل شأن من شين * وفي كل بقعة من وقعه * وفي كل صقع من صقعه * وفي كل ليلة من بليه * وفي كل سحرة من كبسة بالنكاية فيهم مليه * والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي * ومن جهده في القتال لايخلي * والفرنج على البلاء صابرون * وللعناء والعناد مكابرون * لايبرزون ولايبارزن • ولايجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون •

﴿ ذكر فصل الى الديوان العزيز واشتمل على مجاري الاحوال ﴾

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل * ومحاولة اهل الغواية بالغوائل • ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد امواجه الى الساحل • وقد نزلوا على عكاء المحروسه . براياتهم المنكوسة وآرائهم المعكوسه . وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشوده . وظلال الضلال الممدوده . واقدام الاقدام المصدودة المسدوده • وقد مضت ثلثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه * وبسط الكفر جناحه • وحصل الشرك على قروحه وعدم اقتراحه • وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت * والروعات التي وقعت • أكثر من عشرين الف مقاتل * من فارس وراجل ورامح ونابل • فما أثر ذلك في نقصهم • ولا أرث الانار حرصهم . وما فلل حد حديثهم الحادث • ولا قلل عدد كثيرهم الكارث • ولا غضوا عيون أطماعهم • ولا فضوا ختوم اجتماعهم . ولاردوا وجوههم عن مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول الى المدى * ولو قطعوا بالمدى . وهم لمواضعهم ملازمون • وفي مصارعهم جاثمون . وعلى الموت صابرون • والى الحمام صائرون • وبالخنادق من البوائق محتمون • وبالطوارق من الطوارق متعصمون • وعندهم أنهم للبلد محاصرون . وهم على الحقيقة وان كانوا لكثرتهم غير محصورين محصورون * وإن جندنا لهم المنصورون • وللعساكر الاسلامية فيهم كل يوم نكاية شديده • وفتكة مبيده • ووقعة نا كيه . وجرة ذا كيه . وصدمة صادعه . وحدمة رادعه . ولما

امتنع الدخول عليهم . وتعذر الوصول اليهم . جمع راجل البلاد . وحشد الى حشودهم ذوو الاستعداد . حتى نقاتل الراجل بالراجل والفارس بالفارس . و نفترع بقمع جمعهم بكر الفتح العانس . وقدوصل الاخ العادل وفقه الله للمراضي الشريفه . بالجموع الكثيرة الكثيفه، ولعل الله أن يجعل حتف هؤلاء الفرنج فتحاً لابواب الفتح، ويعجل لليالي آمال المسلمين بطلوع صبح النجح، وليس هذا العدو بواحد فينجع فيه التدبير ، ويأتي عليه التدمير * وانما هو كل من وراء البحر، وجميع من في ديار الكفر، فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيره ،ولا خطه صغيرة ولا كبيره ،الا جهزت مراكبها ،وانهضت كتائبها ، وتحرك ساكنها ،وبرز كامنها، ونفضت خزائنها، وانفضت معادنها و حملت ذخائرها، وبذلت أخايرها . وثار ثائرها ،وسار سائرها ،وطار طائرها ، وتثلت كنائن كنائسها، واستخرجت دفائن نفائسها ، وخرج بصلبانها أساقفها، وبطاركها ، وغصت بالافواج فجاجها ومسالكها ، و تصلبت للصليب السليب . و تغضبت للمصاب المصيب ، ونادو في نواديهم بان البلاء دهم بلادهم ، وان اخوانهم بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم ،وانه من خرج من بيته مهاجراً ،وبحرب الاسلام مجاهراً ،ولمتعبده مسترداً ،ولجده في النخوة لدينه مستجداً ، فقد وهبت له ذنوبه وذهبت عنه عيوبه ، ومن عجز عن السفر، سفر بعدته وثروته من قدر ؟ وبذل البدر لمن بدر! فجاؤا لابسين للحديد بعد ان كانوا لابسين للحداد !وتواصلت منهم الامداد بالامداد! وتوالت أنجاد الانجاد ! فهم على النقص يزيدون ! وعلى الابد يبيدون ، وبالمهج يجودون! وعن اللجاج في خوض اللجج لايعودون .وهؤلاء الواصلون في البحر القاطمون أثباجه ! المكاثرون امواجه ،فاما ملوكهم الواصلون في البر فقد تواترت أخبارهم . بأن خلت منهم ديارهم ، ورمتهم الي أغراضهم البعيدة أوتارهم اوبهم يستفحل الشر ، ويعضل الامر، ويصول الكفر ويجول ، ويتطاول الشرك ولكنه لايطول ! فان لدين الله من خليفته ناصراً لايسلمه ،ورازقاً لايحرمه ،وما تمسك بحبل طاعته الا من فاز قدحه ، وحاز السناء قدحه !وأسفر صبحه . ووفر نجحه ، وبدا علوه اوباد عـدوه ! والخادم بقوة رجائه في العوارف الامامية والعواطف النبويه ،وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصريه ؟ آن أن يفرق الجمعين ،ويجمع للفريقين القممين ، ويعيد البر بحراً من دماء، وافدى الـبر والبحر ، ويقطع بقطع دابرهم دابر الكفر .

﴿ ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلثاء سادس عشر ذى القعدة في المراكب المستمدة المستبدة بالبأس والشدة وكانت عدته خمسين شينياً ﴾

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكاء قد كتب الى مصر بتجهيز الاسطول وتجزية حباله ، وتزجيه أمور رجاله ، وتكثير عدده ، وتوفير عدده ، واصلاح شؤون شوانيه ، واسناء رواسي سواريه ، فتولي حسام الدين لؤلو الشيخ أمره ، وشرح لايراده واصداره صدره ، وأنفق من ماله ما جمع به شمل رجاله . وهذا لؤلؤ قد اشتهرت فى الكفر فتكاته وشكرت في العدو نكاياته ، وقد تفرد بغزاوات لم يشاركه فيها أحد ، ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد ، ما سلك نهجاً الا ملك ، ولا طلب غاية الا أدرك . وهو ميمون النقيبه ، مشكور الضريبه ، وهو الذى رد الفرنج عن بحر الحجاز ، ووقف لهم على طرق المجاز ، ولم يترك منهم عيناً تطرف ، ولم يبق لهم دليلا يعرف ، وغزواته مشهوره ، وفتكاته مذكوره ، وأمواله مبذوله ، وأكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلوله ، فتولى الاسطول ، وجمع به الطول ولطول ، ووصل به وللفرنج من شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولواسب سوالب ماتغيب وما تغب . وسفن حمالة ومقاتله ، وبطس للازواد والمير ناقله ، فصدمتها مراكبنا عنا كبها ، وملأت معاطنها عاطبها ، واستطال الاسطول المنصور على أساطيلها ، وجاء حقه بازهاق أباطيلها ، وطلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما ، وقذفت لشياطين الكفر رجوما * واقبلت سواريها بالرواسي ، مبرمة الامراس محكمة المراسى * وقطعت اللجة بأشباه أمواجها ، وسدت فجاجها بأفواجها ، ونكست أعلام الاعلاج عن أثباجها ، ووافت أساودها السنود بالاسود * وسدت عقبانها الآفاق بأجنحة الرايات والبنود ، وطارت بقوادم المجاذيف وخوافيها ، وزارت بجوارح المقاذيف وعوافيها ، فجاءت لجاءة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب ، وتطوى اللجة كطي السجل للكتاب فصدتها وصدعتها ، وردتها وردعتها * فكأنما نعبت غربانها ببين أحبة الكفر أعاديها * واناخت ظعائن الضغائن على شوانى ، شوانيها ، وعادت قوامص الفرنج فيها قنائص جوارح جواريها ، فاول ماظهر الاسطول المنصور بشيني للفرنج عظيم الشان ، عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل مقاتليه * وتبع ما يليه * فوقعت بطشته الكبرى ببطسة كبيره * تشتمل على ميرة لهم وذخيرة .

وأمتعة كثيره * وتفرقت سفن الفرنج أيدى سبا * وأصلد زندهم وكبا * وعادوا محصورين محسورين قد دُفعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم • وايقنوا انهم تورّطوا في مهالكهم • وسيرت بوصول الاسطول كتب الي الاقطار • وبشر المسلمون بما حصل به من الاستظهار

﴿ ذكر فصول انشأتها فيها ﴾

منهافصل

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفه • وجموعهم متكاثفه* استدعينا الاسطول المصرى المنصور لجاءها لجاءه • وامتد أسطرا على طرس البحر أعيت متأملها قراءه • واقبلت جواريه جوارح من قناصها القوامص • وصدمت شوانيه شواني الشناة فعادت مراكبهم وهي نواكص * وطارت غرباناً ببين أحبة الكفر اعداء الاسلام ناعبه • وأطردت على طرائد الفرنج فطردتها غالبة لا لاغبه • وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمره • وألهبت في الماء علي أهل النار كل نار للنكال مسعره • وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت • وعملت ماشاءت وتبعتهم مرارا وبالغنائم فاءت وأعشت اعين الرائين كلما تراءت • فضاقت بها المداة ذرعا • ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى

﴿ فصل من كتاب ﴾

صدر الكتاب بورود الاسطول المصرى بالسطو الشديد والبأس القوى * فارتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع * وذل جمع الكفر لعزه الجامع * وجاء بكل شيني شاني ، لشانئ الدين واجيء مفاجع للعدو بالهلاك مفاجيء مفرق لمراكب الشرك المجتمعه • مضيق لمناهج مضارها المتسعه • فطحن منا كب مراكبها • ووسع معاطن معاطبها • واستولى منها حالة وروده على عدة للملاقاة مستعدة • ولامداد اعانتها من وراءها مستمدة • وقتل من فيها من الرجال • وغنم ماوجد فيها من العدد الاموال •

﴿ فصل من مكاتبة اخري ﴾

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن • زائد لبهجة الاسلام زائن • زائر بكل أسد زائر • سائر بكل مقدام الي مقام الاقدام سائر • وكانت الفرنج قد

جهزت مراكبها • وأرهفت غروبها وسنمت غواربها • وملأتها برجال أيديها على قوائم القواضب قوابض • وأرجلها على الثبات في روابي متون سفنها روابض • وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه • ويلقوه وبالمدافعة يجاولوه • فلما وصل وصال • وراع أمره وهال • وجلا عليهم الأوجال والآجال • بتوا المراسي والحبال • وانهزموا بسفنهم وآذنت قوتهم بوهنهم • واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والذخائر والاحمال مملوه • وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة * والفصول كثيرة وانما ذكرت منها ماوصف صورة الحال على جليتها • واعرب عن حقها وحقيقتها •

﴿ ذكر ماعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والذخائر والعدد ﴾

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث • وتجرت السهول • والوعوث * وحالت الاوحال • ولاحت على خلاف المراد الاحوال * وتعذر الخروج الى تلك المروج * وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج • وزال حكم النزال * واستقال من استقل بالقتال * شرع السلطان فيما هو أنفع واجدى وانجع وانجى * وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى* وهو تقوية عكاء بالميرة والذخيرة • والاسلحة الكثيرة ، والرجال الحماة . والابطال الكماه * فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الأماثل بأجنادهم * فدخلوا اليها بعددهم وأزوادهم * واستظهر البلد أيضاً برجال الاسطول ورؤسائه وقواده * فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زاده *وكانوا زهاء عشرة آلاف بحرى حربي * على الجري الى الموت جري * فامتلأ البلد بكل منتخب منتخ * مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ * وانتفع بهم في جذب المنجنيقات . والرمي في المرادات ، والحذف بالنفاطات . والاحراق بالزراقات . والزرق بالمحرقات . والقاء القوارير . واذكاء المساعير ، وتطريح النار . وتطويح الاحجار • ومواصلة القطاعات . والزيارة بالزيارات . وتوتير الجروخ والزنبوركات • وتطيير الناوكات . النواكي من مقاتل العدو الى الوكنات . ومناشبة الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقذ . والجد في الجد والجذ . وطروقهم ليلا على سبيل التلصص . وسوقهم من سوقهم على وجه التصيد والتقنص • وكبسوا ليلة سوق الخمارات والعواهر • وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر • واستنصروا بذلك واستبشروا •

واجترأؤا منه على ما أجروا ، وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسرقين ، ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين ، فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه ، ومن تعذر عليه اخراجه عقره وبعجه ، ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمد مديته ، ويسلبه سكونه بسكينه ، ويحمله ان لم يجذب معه من حينه على يقينه ، فيقوده بخطام القهر ، ويجذبه بخدام الأسر ، ووقع القوم من هذا في بلاء ميل ، وعناء عن حب الحياة مسل ، فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز ، وشق عليهم الاحتراس والاحتراز * وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق * وازداد فرقهم من كل فريق * وأعدت الحال من الليل الى النهار * والمكابرة والجهار * حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في أجراف الانهار * فاذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار

﴿ ذكر حال نساء الفرنج ﴾

وصلت في مركب ثلثمائة امرأة افرنجية مستحسنه ، متحلية بشبابها وحسنها متزينه ، قد اجتمعن من الجزائر ، وانتدبن للجرائر ، واغتربن لاسعاف الغرباء ، وتأهبن لاسعاد الاشقياء ، وترافدن على الارفاق والارفاد ، وتاهبن على السفاح والسفاد ، من كل زانية نازيه ، زاهية هازيه ، عاطية متعاطيه ، خاطية خاطيه ، متغنية متغنجه ، متبرزة متبرجه ، نارية متلهبه ، متنقشة متخضبه ، تائقة شائقه ، فائقة رائقه ، راتقة فاتقه ، راقعة خارقه ، مارقة رامقه ، قاسرة سارقه ، فارجة فاجره ، فاتنة فاتره ، مشتهاة متشهيه ، ملهاة متلهيه ، متفننة متفتيه ، ناشية متنشيه ، متشوقة متسوقه ، مقترحة محترقه ، منحنية متعشقه ، حمراء مرحاء ، نجلاء كحلاء ، عجزاء هيفاء ، غناء لفاء ، زرقاء ورقاء ، متخرقة خرقاء ، تسحب غفارتها ، وتسحر بنضارتها نظارتها ، وتثني كأنها غصن ، وتجلي كأنها حصن ، وتميس كأنها قضيب ، وتزيف وعلى لبتها صليب ، وهي بائعة شكرها بشكرها ، باغية كسرها في سكرها ، فوصلن وقد سبلن أنفسهن ، وقدمن للتبذل أصونهن وأنفسهن ، وذكرن أنهن قصدن بخروجهن ، تسبيل فروجهن ، وأنهن لا يمتنعن من العزبان ، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان ، وتفردن بما ضربنه من الخيم ، والقباب ، وانضمت اليهن أترابهن من الحسان الشواب ، وفتحن أبواب الملاذ ، وسبلن ما بين الافخاذ ، وبحن بالاباحه ، ورحن إلى الراحه ، وأزحن علة السماحه ،

ونفقن سوق الفسوق • ولفقن رتوق الفتوق • وتفجرن بينابيع الفجور • وتحجرن بنزو الفحول منهن على الحجور • وعرضن الامتاع بالمتاع • ودعون الوقاح إلى الوقاع• وركبن الصدور على الاعجاز • وسمحن بالسلعة لذوي الاعواز • ودمن على تقريب خلاخلهن من الاقراط • ورمن فرشهن على بساط النشاط • وتهدفن للسهام • وتحللن للحرام • وتعرضن للطعان • وتضرعن للاخدان • ومددن الرواق • وحللن حين عقدن النطاق • وصرن مضارب للاوتاد • واستدعين النصول منهن إلى الاغماد • وسوين أراضيهن للغراس • واستنهضن الحراب إلى التراس • واستنفرن المحاريث إلى الحرث • ومكن المناقير من البحث • وأذن للرؤوس في دخول الدهاليز • وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز • وقرين الاشطان من الركايا • وفوقن النبال في أمجاس الحنايا • وقطعن التكك • وطبعن السكك • وضممن الاطيار في أوكار الاوراك • وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك • ورفعن الحجر عن المصون • وترفعن عن ستر المكنون • ولففن الساق بالساق • وشفين غليل العشاق • وكثرن الضباب في الوجار • وأطلعن الاشرار على الاسرار • وطرقن الاقلام إلى الادويه • والسيول إلى الاوديه • والجداول إلى الغدران • والمناصل إلى الاجفان • والسبائك إلى البواتق • والزنانير إلى المناطق • والاحطاب إلى التنانير • وذوى الاجرام إلى المطامير • والصيارف إلى الدنانير • والاعناق إلى البطون • والاقذاء إلى العيون * وتشاجرن على الاشجار * وتساقطن على الثمار * وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربه * لا سيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه * وسقين الخمر * وطلبن بعين الوزر الاجر * وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضيه * وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحميه * وأبق من المماليك الاغبياء والمدابير الجهلاء * جماعة جد بهم الهوي * واتبعوا من غوى * فمنهم من رضي للذة بالذله * ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في النقله * فان يد من لا يرتد لاتمتد * وامر الهارب اليهم لاتهامه يشتد * وباب الهوي عليه يستد * وماعند الفرنج على العزباء اذا أمكنت منها الا عزب حرج * وما ازكاها عند القسوس اذ كان للعزبان المضيقين من فرجها فرج • ووصلت أيضاً في البحر • امرأة كبيرة القدر • وافرة الوفر • وهي في بلدها مالكة الأمر • وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم • وغلمانهم واشياعهم * وهي كافلة بكل مايحتاجون اليه من المؤونه * زائدة بما تنفقه فيهم على المعونه • وهم يركبون بركباتها • ويحملون بحملاتها * ويثبون لوثباتها • وتثبت ثباتها لثباتها • وفي

الفرنج نساء فوارس • لهن دروع وقوانس • وكن في زى الرجال • ويبرزن في حومة القتال • ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال • وكل هـذا يعتقدنه عباده * ويخلن أنهن يعقدن به ، عاده • ويجعلنه لهن عاده • فسبحان الذى أضلهن • وعن نهج النهى أزلهن • وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوه • لهن بالفرسان أسوه * وفيهن مع لينهن قسوه • وليست لهن سوى السوابغ كسوه • فما عرفن حتى سلبن وعرين • ومنهن عدة استبين واشترين • وأما العجائز • فقد امتـلات بهن المرا كز • وهن يشددن تارة ويرخين • ويحرضن ويخين • ويقلن إن الصليب لا يرضى إلا بالاباء • وانه لا بقـاء له إلا بالفناء • وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء * فانظر إلى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء • فهن للغيرة على الملة مللن الغيره • وللنجاة من الحيرة ناجين الحيره • ولعدم الجلد عن طلب الثار تجلدن * ولما ضامهن من الامر تبلهن وتبلدن *

ذكر ما اهداه عز الدين مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل من النفط الابيض والرماح والتراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العده • وتقوية النجده • بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشده • سير من أحمال النفط الابيض مع عزة وجوده ما وجده • ومن التراس والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده * وشاع الاعتداد • وذاع الاحماد * ودل ذلك على انشاج الوداد * والامتزاج والاتحاد *

وكتبنا في شكره

وصل السلاح • وتم للاسـلام من قروح الكفر الاقتراح • واستجيدت التراس والرماح * وفارقت للقائها اجسام الاعداء الارواح * واتصل بالنفط الواصل إلى أهـل النار الاحتراق * وطعنت وضربت منهم النحور والاعناق * وقد هدا بما أهـداه النصر إلى الهدى * والردي إلى العدا * وأجوذ الاكارم وأكرم الاجاود من جاد بما أجدى وأهدي ما هدي * وعاد من المكرمة بما بدا * لا أخلى الله المجلس من يد يتخذها • وأياد يسيرها وينفذها * ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستنقذها • وحمية للدين يقم بها حمـاة

الشرك ويقذها * ونخوة للاســلام تمهى حذود الهمم النابية وتشحذها * وما طلب من العــدة ما طلب إلا للحاجة الحاقه * والضرورة الشاقه * فان الحروب المتطاولة المدد * أتت على جميع العدد • فالسمر متحطمه * والبيض متثلمه * ووجوه الصفاح بلثام التجيع متلثمه . وعيون النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران رامقــه مارقه * وحمــام الحمام في مريشات السهام بكتب الكتب من حنايا المنايا السائقة سابقه * وقد أفني المصال النصال • والنضــال النبال • والرماء الافواق . واللقــاء العتاق . والمصــاع المناصل . والقراع الذوابل ، والصــيال الصواهل • وعمــل الجهاد الدائم العوامل • فلا ضامر الا وهو وان كان غالباً لاغب . ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائض ناضب* ولاجارح الا وهو مجروح*ولا قارح الاوهو مقروح*ولا جانح الاوهو مصحب • ولا باشر الا وهو مقطب*فبأية عدة من هذه العدد أنجد*غار الحمــد وأنجد *وتأسس الشكر لانمامه وتمهد*ومن العجب ان العدة تفنى ولا تفنى العــداة * وتمو على الحصاد وكانها النبات*ويتسارع الى أمدادها الموت والهلاك ويخلفها في إبدالها الحياة * فان البحر يمدهم *والكفر الى الردى يردهم*وكلما أخلقتهم الايام فان الليالى تجــدهم * وماجمعهم القدر الا ليفرقهم*وماحمل أهل النار في الماء الا ليغرقهم في دمائهم وبنار البواتر يحرقهم*

﴿ ذكر عماد الدين صاحب سنجار ﴾
﴿وما عزم عليه من تجهيز ولده﴾

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره*وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره * فقال السلطان هذه أيام الشتاء*ولا ينتصف فيها من الاعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع*واستنهاض الجموع الى شمل النصر الجميع*فكتب بتأخيره*والتمهل في تسييره* فتأثر قلب عماد الدين برد ولده*ورجوعه بعد المسير من بلده *

﴿ فكتب اليه السلطان من مكاتبة ﴾

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بأمره• والتقدم بتجهيز العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره وانشراح صدره *وعرف مسير قطب الدين ادام الله له مضاعفة العلاء* واقر بانواره عيون الاولياء*وظن انه لم يقدم حركته المقرونه بالحسنات * ولم يقرب من عبر الفرات*اشفق عليه من التعب*ليكون عسكره مستريحا عند الطلب* فان

الحاجة اليه في الربيع أدعي*ومصلحة الاسلام في ذلك الاوان اولى أن ترعي*ولو عرف ان الركاب القطي قد دنا • لبشرته السعادة بنجح المنى*ولاستقبله بالنفوس والارواح*وتلقته القلوب بالقبول العبق بنشر الانشراح*وان اشتغل القلب بما فاته من حظ الاستسعاد بوفوده *فقد بشر أمله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده *

وفي آخر هذه السنة ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار * للاستنفار والاستنصار*وبث الكتب وكتب بالبث*وحث الرسل وارسل بالحث * وبعث المسرعين لاستبطاء البعث*وانهض للتبليغ كل بليغ* وجرع كاس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ* وسرح عدنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن*وشرح في الكتاب اليه ماجرى من حوادث الزمن*ووصفت له جلية الحال*ومانحن عليه من دوام القتال* وطلبت منه الاعانة بالمال *واستمين واستنجد*واستلين واسترفد • وحض على حظه من انجاد الاسلام* وان يكشف بسنى طلوعه ماغشيه من الاظلام * وأرشد الى نهج السماح* وتسيير كل مايقدر عليه من العدد والسلاح*وتجريد الجرد العتاق*وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد الانفاق * وكوتب قزل ارسلان بهمذان*بما دنا منه عزمه ودان*وحكم على كل ملك بحجة الايمان • وهدي الى محجة الاحسان *

ذكر وصول رسول سلطان العجم

ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
بالالتجاء الى ظل السلطان . وارتجاء ماله من فضل الاحسان

وردَ من عند طغرل سلطان العجم*أمير من خواصه هو أيلدكز أمير العلم*فضرب له من الخيم الخاصة سرادق *ووفرت في الضيافة له المنافع والمرافق * ومضمون رسالته انه خانته من امرائه ومماليكه العامة والخاصة*وخصته في سفراته ونكباته الخصاصه* وأن عمه أخا أبيه من امه قد استولى على مماليكه*وضيق عليه سعة مسالكه * والجأه الى هذا الالتجاء* وهو بقوته من هذا الجانب قوي الرجاء* وقد وصل الى حد مملكتك بقرب اربل *واراد الوصول الى الموصل*لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن قفجاق* ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق*وعز الدين حسن من خدم دولتكم * والمستمسكين بعصمتكم*والمستوثقين بذمتكم*وانا عنده مقيم*وعلى سنن الامل مستقيم •

فان استقدمتني اليك قدمت*وان أمرت أمراء اطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ماعدمت*وانا الآن هزيل عاملك*ونزيل إنعامك*ووصل معه كتاب بخطه *قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه*وأبدى الاستكانه *واستدعى الاعانة* واردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسه من سول . فاعتذر السلطان بما هوفيه من شغل الجهاد الشاغل . وانه لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب الى زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن ابن قفجاق والى نائبه بشهرزور بالتوفر على خدمته . والارتياد لمصلحته واشاعة معونته . ثم ندب كبيراً للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان وهو جمال الدين أبو الفتح اسمعيل بن محمد بن عبد كويه نسيبي . ليكون القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصلحة والمصالحه . والمصافاة على صفقة المودة والمصافحه . وحفظ حرمة تضرعه وتذرعه . وسيأتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة يوم الثلثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة * ولقد كان من الاعيان . ومن مقربى السلطان * ومن أهل الجد في نصرة الايمان * فنقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد عبدالله بن محمد ابن أبي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رمضان وهو شيخ المذهب الذى لم يخلفه مثله * ودفن معه فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة * وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة النصف من شعبان منها وكان من الابرار الاخيار * والعظماء الكبار *

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبه * وكل من الملك العادل والملك الافضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكاء محصوره . وجموع الفرنج الى حصارها محشوره . وعلى تعذرها عليهم محسوره . وخرجت هذه السنة والحصر مستمر* والسلطان في ملازمة القتال مستقر * وحيا النصر في الاحيان مستدر . وقد تسنت للاسلام مباهج . ووضحت للسعادة مناهج . وبانت للقتال مداخل ومخارج . وانقطعت بين الوشيج وأرحام الارواح وشائج . واشتدت لتباريح الاشواق الى لقاء الاعداء لواعج . وتألفت في الاقدام مقدمات ونتائج . وللمناجح الني منا في مدي الرجاء مدارج . وللخطباء الظبا في منابر الطلى معارج . وللجهاد جهات . وللعزمات أزمات . واتفقت حسنات

وحسـنت اتفاقات . وكانت لنا مسرات هي لاعـدائنا مساآت . ووقعت عجائب . وأعجبت وقائع . وأبدعت غرائب • وأغربت بدائع •واجتمعت كتائب •ونابت نوائب • وصفت تارة وكدرت مشارب • وساعدت الاقدار • وتباعدت الاكدار ، وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقائع عدد لا يقع عليه الحصر ، ولكم أسفر صبح اصحب فيه جناح الظفر وسفر النصر ، وسـيرد حديث كل حادث بمفرده ، ويجـدد ذكر كل متجدد بمجرده ،

﴿ ذكر وقعة الرمل ﴾

كان السلطان يركب احيانا للصيد ، بعد ان يحذر على ما يظهر للعـدو من الكيد . وهو لا يبعـد من الخيم . ولا يقرب من مسائل الديم . وركب يوما في صفر على عادته فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد • واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسره • على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر . في عدد لا يدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا اليهم • وحملوا عليهم وطردوهم الى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وأمامهم ، وما زالت بينهم حملة وحمله • وشلة وشله • وسلة وسـله • وركضة وركضة • ونفضه ونفضه • ومشقة ومشقه • ورشقة ورشقه . وجذبة وجذبه . وضربة وضربه • وشدة وشده • وردة ورده • وضمة وضمه • ولمة ولمه • وأصحابنا ظاهرون• وبالمراد ظافرون • ولهم في كل دفعة من العدو قلائع • وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع ، حتى فني النشاب وبقي الانتشاب • وشاع نداء الاصحاب باستدعاء النشاب • والفرنج لا يعجزهم الا الرماء • ولا يهتكهم الا الاصماء • ولا ينفرهم الا رنة الأوتار • ولا ينذرهم الا أنة القسي بالدمار والبوار • فلما أنسوا بخلو الجعاب • تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب ، وحملوا حملة واحدة ردوا بها أصحابنا الى النهر ، وكادت تعبث بهـم يد القهر • فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . وأشرعوا الى نحور تلك الذئاب ثعالب الخرصان،واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعام الطعان• وشاقهم جنى الجنان . وذلك أنهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرساناً . وصرعوا أقراناً . فنزلوا بعد فرسهم • لسلب لبسهم ، فرت بهم الحملة في الأوبه ، وأعجلتهـم عن الركبة والوثبة ، وأظلم الليل فافـترق من معاركها الجمعان ، واجتمع في مراكزها الفريقان•

وكثر التأسف على من فقد ، وكان الحاجب ايدغمش المجدى ممن استشهد • وزاد التلهف على فوات الفرصه ، وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصه • فان العدو صار عرضة للصرعه في تلك العرصه ، ومن نوادر هذه الوقعه ، وطرائف هذه الدفعه • ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر ، وهو يتطاول في كل معترك ولا يقصر • عثر به جواده • وثبت على الجرأة فؤاده ، ورجله عثاره • وأسلمه أنصاره • فقبض من أسره شعره ليجذبه • وسل آخر سيفه ليضربه • فضرب يد قابض شعره فسيبه • واشتد سرا سنقر يعدو ناجياً وللخلاص راجياً ، وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه • وفاتهم بعون الله فلم يدركوه ، وهذا قذفته المنون من لهاتها بعد ازدراده ، وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده ،

﴿ ذكر فتح شقيف أرنون ﴾

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون * واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون ، وصاحبه ارناط صاحب صيداء في دمشق لاجله معتقل ، وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفل ، وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده ، وعز اجتهاده ، ومرد عليه في الحفظ مراده ، وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده ، ونخب من الرعب فؤاده ، وأصلد باليأس زناده ، وامتنع عليه اصداره وإيراده • فسلمه على أن يسلم صاحبه ، وتخلص في النجاة مذاهبه ، وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه ، وتركه للاسلام بما يحويه ، وأفرج عن صاحب صيداء وصار الى صور ، ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور ،

﴿ ذكر حال عكاء ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها ﴾

كان السلطان اغتنم هيجان البحر * وحضور مراكب الاسطول من مصر * فما زال يقوى عكاء بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب • وقد ملأها بالذخائر والاسلحة والكماة المساعير والحماة المحارب • فلما سكن البحر • وأمن غائلته الكفر • عادت مراكب الفرنج الى مراسيها • ودبت عقاربها وأفاعيها * وشدت مراكبنا في موانيها • وانقطع عنا خبر البلد • وامتنع عليه دخول المدد والمدد • فانتدب العوام للسباحه •

وحملتهم السماحة لهم بالرغائب على وضع المهج في ميزان السماحه • وعلموا انهم اذا سبحوا ربحوا واذا سلموا فراحوا فرحوا • حتي صاروا يحملون نفقات الاجناد على أوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم • ويحملون كتباً وطيوراً ويعودون بكتب وطيور • ونكتب اليهم ويكتبون الينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور • ويودع المكتوب والمكتوم مااطلعهم عليه من الخفي المستور • وكان في العسكر من اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته • وعمل لها برجا من خشب • وهرادي من قصب • ويدرجها على الطيران من البعد • ويوردها لشيمها وربها أحب الحب وأعذب الورد • وكنا نقول ماهذا الولع بما لاينفع • والوله بما لاينجع • حتى جاءت نوبة عكاء فنفعت • وشفت الغلل ونقعت • واتت بالكتب شارحة سارحه • ووفت بمفاتح الغيب بالبشرى مفاتحه • فصرنا نحبوا صاحب الطيور بالاطراء • ونخصه بالمدح والثناء • ونأمره بالاستكثار • ونطلبها منه مع الليل والنهار • حتي قل وجودها عنده لكثرة الارسال • وكنا نعرف بها جلية الاحوال • واعلم ان الله علمه ذلك البر • وألهمه ذلك السر • فانه اطلع على مايدفع اليه أهل الاسلام • فحمى حمي هداهم بهداية الحمام • فانها أمينة على الاسرار ضمينة بالاخبار • ضنينة بالاسفار • قمينة بكرامة الاحرار • مصونة من بين الاطيار • جريئة على الاخطار • بريئة من الاعذار • ممدودة من الاذخار • مودودة مع الاخيار • وحمام البلد الينا مع العوام محموله • وعقود الاكياس عليهم محلوله • فلا ينكر على المحتاج ان عام بالانعام • ومعوله التحرز من الضلال • والتخفي بستر الظلام • والضرورة تحمل على تحمل الضرر • والغرارة تبعث على الانبعاث الى الغرر • والفقر يدعوا الي ركوب الخطر • وفيهم من سلم مراراً من القوم • فاجترأت نفسه وأنس بالعوم • ولقد عطب عوامون • بالامانة قوامون • فما ارتدع الباقون • وما قالوا انهم لماالقي رفقاؤهم لاقون *

ذكر مادبره السلطان عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر • وانتشى الربيع وانتشر • أمر السلطان عساكره بالعود فتوافت أمداد أجوادهم توافي امداد الجود • فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبه • وهو با كمل العده • وأحسن

الاهبه ، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر ، وهو الذي ببسالته يقسر الليث القسور ، وعز الدين ابراهيم بن المقدم المقدام ، الهمام ابن الهمام ، والكريم ابن الكرام ، والاسد الضرغام والسيد القمقام ، ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان ، وحشود من العرب والتركمان ، ففاض بهم الفضاء ، واكتسى برياشهم العراء ، وكثرت الجنود ، وانتشرت البنود ، وحلقت عقبان الالويه ، وتلاحقت ذؤبان الاوديه ، ولمعت بوارق البيارق ، وارتفعت عوائق البوائق * وحملت بواسق السوابق ، وثبتت وثائق العلائق ، ونبتت شقائق العقائق ، ونظرت أحداق الحدائق ، وتيسرت طرائق الطوارق ، وأعجبت أزهار الرايات ، وانتهت غايات الغايات ، ونزلت بحسن الصنيع نصوص النصول ، ودارت بيد الربيع فصوص الفصول ، وعلت الاعلام ، وحلت الاحلام ، وومضت المواضي ومضت ، واقتضت القواضب القواضي وقضت * وعريت البيض من الحلى ، وعريت السمر بالكلى ، واشتاقت لدات اللدان الى العناق ، وتاقت شفاه الشفار الى لثم الاعناق * وتحدث الاحداث في المجاراة باجراء العتاق ، وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب ، وأعجم عن جمجمة الجماجم اعراب العراب ، وحمي عزم البطل ، ومحى رسم الملل ، وعاد الجد الى جدته ، والحد الى حدته ، وخرج البرد من عدته * وفاز النصر بعدته ، وجليت بنت الغمد في زى الهند ورى الفرند ، وقطف ورد الورد للشد الى الورد ، وقال الناس الام ننتظر ، وعلام نصبر ، ولم لانشتغل ، وكيف لانشتمل ، وحتام القعود ، وبم الركود ، ولماذا الرقود ، وقد نظرت السعود ، ولضر العود ، وصدقت من أصحابنا الوعود ، فرحل السلطان وتقدم ، وعزم على طلب العدو وصمم ، ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول ، في الفصل الاعدل والفضل الاكمل ، وتداني العسكران . وتعالى العثيران ، وتقارب القرنان ، وتحارب الحزبان . وترتب العسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلباً ، وفي ركوبه على ترتيب منازلهم طلباً طلباً . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة الميمونة * والملك العادل في آخر الميسرة المنصورة المصونه ، والملك الافضل في أول ميمنة القلب ، وأخوه الملك الظافر في أول ميسرته على الجنب ، والكتائب مكتبه ، والمقانب مقنبه ، والسماء بالنقع الثائر منقبه ، والارض بوقع الحافر مثقبه ، والعساكر مترادفة مترافده ، متوافرة متوافده ، متتابعة متوارده ، متسابقة متلاحقه ، متناسبة متناسقه * متوالية متوافيه ، متجارية متباريه ، منقضة كالبزاه ، منفضة الى العداه ، داعية الى الانتصار ، عادية على الكفار ،

ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهرزوري في جواب رسالته

ووصـــل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار الخلافه ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرآفه ،وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام* فتلقاه السلطان بالاحترام والاكرام ،واحتفل لوصوله ، واستقبله لقبوله ،وتلقاه الامراء على الترتيب ، فمنهم من تقدم نحوه الى البعيـــد ومنهم من وقف له بالقريب ، ثم اخوة السلطان وأولاده واحداً بعد واحد ، وماجداً بعد ماجد ،وبادئاً بعد عائد ،ثم ركب السلطان اليه عند القرب من سرادقه ،وأدناه اليه بتعانقه ،ثم سار معه قليلا ، وأصحبه من خواصه وأمرائه قبيلا ، حتى نزلوا به في باركاه له مضروب ،وخصه بصنوف من الالطاف وضروب، ووصل معه حملان من النفط الطيار ، وحملان من القنا الخطى الخطار، وتوقيع بعشرين ألف دينار* تقترض على الديوان العزيز من التجار، وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار* فاعتد السلطان بكل ماأحضره ! وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره *غير انه أبدى ردالتوقيع مع ود الصنيع ، وقال كل مامعي من نعمة أمير المؤمنين وعارفته ،ولقد نعشني ماشملني من عاطفته،ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض، ويغنيني عن الالتزام بالقرض،وأركب الرسول مراراً معه وأراه مبارك النزال،ومعارك القتال،ومصارع الرجال ،ومجامع الابطال ،ومطالع اللقاء ، ومواضع الهيجاء ،ومصالت الاقدام ، ومنابت الأقدام ،ومواقف الصفوف ،ومصاف الوقوف، وأماكن البعوث ، ومكامن الليوث ، وتل الفضول ، وبقية التلول *حتى يشهد بما يشاهد ، ويبين له المجتهد والمجاهد،وأراه مالم يره ليأثر أثره ! ويخبر بجملته ويجمل خبره ، وأقام الرســـول طويلا ،وأقام له السلطان من طوله دليـــلا ، ووفر له عطاء جزيلا ، وعرفا جميلا ، حتى استأذن في العود فعاد * واستصحب الشكر والاحماد *

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار ، شرعوا في عمـــل الابراج الكبار ، وركبوها من الاخشاب الطوال ، والعمد الثقال ، وبنوها وقدموها ،ونصبوها وأحكموها ،وسقفوها طباقا ، وسمروها بالحديد*وجعلوا لها منه أطواقاً ،ووثقوها شداً وشدوها وثاقاً ،ولبسوها

بالسلوخ، وملأوها بالجروخ * وزحفوا بها الى السور وكشفوا بالرمي منها بعض سقوف الدور * وتساعدوا على طم الخنادق، وتفتيح الطرائق، ووصل من المدينة عوام، يخبر بان التلف بها حوام؟ وان البلد قد أشرف * والخطر قد أسرف، والابراج علت، والاسوار خلت والبلاء قد عم. والخندق قد طم، وأنتم ان تم هذا عرا كم العار، وأظلم على الدنيا والدين بليله النهار * فاحتمي السلطان واحتد * وشد واشتد. وكرب وركب، وكان يحسب هذا لجاء كما حسب، وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن الزحف * ويصرفهم عن الفتح بالحتف. وذلك في العشرين من ربيع الاول يوم الجمعه * بالجحافل المجتمعة * والضماغم المرتفعه * والصوارم الملتمعة * والصلادم الممتنعه * والاسنة المشرعه * والاعنة المسرعه. والحوائم المنتجعة من النجيع * والبيارق المختفقة كازهار الربيع، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين. صاحب دار محمود بن بهرام الارتقي، بالجمع الوافر الوفي والعسكر النخي النقي، وسار الى القتال على حاله * بخيله ورجاله * وضايقهم السلطان مضايقة عظيمه * ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمه * حتى دخل الليل * وانصبت الخيل، فقوى تلك الليلة اليزك * وألزمهم في الحفظ الدرك، ورجع الى مخيمه ساهداً ساهراً، مجاهداً بالبكور نحوهم مجاهراً. فلما أصبح يوم السبت صبحهم بالحرب، وسبحهم على بحر الكر والكرب، ورجل الرجال اليهم * وأنزل النوازل عليهم، وامتزج بياض النهار بسواد النقع، واتسع خرق الواقعة على الرقع، وانقضى اليوم. وقد انقرض القوم، وتفرق الجمعان وقت العشاء، عن قتيل غريق في الدماء، أو جريح على بقية الدماء، وبات الناس في الصلاح شاكين * وبنار المذاكي ذاكين. والماتم منهم وعليهم حاكين. ورجع السلطان الى خيمة ضربت له على تل العياضيه، وقد ألزمته البسالة الطبيعيه، بالرتوع في رياض الاخلاق الرياضيه * وأصبح يوم الاحد راجعاً الى قتال أهل الاحد، واستن من الجد على أنهج الجدد. وأمر بانتقال السوق الى قربه ليقرب من العسكر، وأيده الله بالنصر الاظهر والظهور الانضر. وأقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل. ويعدو ويقاتل. ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لئلا يغيب حاضر. ولا يصاب عن الورد صادر. وليكون غلمان العسكر للحرب مباشرين. ولمعشر الكفر بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين. فانتدب منهم الى الحرب كل مجترئ للوقائع مجترح. وكل محترق على نار الهيجاء للهياج مقترح. وكل وقاح بالحراب وقاع. وكل ضرار بارداء الكفرة نفاع. وكل غلام له من هيجان الحمية لغام. وكل أسد غدا الى

الشد له في حومة المأزق زئير وبغام . وكل متلاف للغيرة غير متلاف . وكل جاف عن سوى السوء متجاف . وأخذوا من بيت السلاح السيوف والتراس . وطلبوا بقصد العدو الاقتناص والافتراس . وأبلوا بلاء حسناً . واوضحوا بالنكاية في العدو سنناً . ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين . عوام من البلد بخبر بقوة المشركين المحاصرين . وان البلد قد ضويق . وأن العدو المخذول يحيق به كيده ان حوقق . فتقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله . ويكفه بنزاله عن نزاله . وجدد الكتب الى الامصار . بالاستنفار والاستنصار . فاول من وصل ولده الملك الظاهر صاحب حلب . وقد جمع وجلب . وتقدم عسكره يوم الجمعة وانفرد بوصوله . وحظي من نظر والده بسوله . وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد الى معسكره . وجاء يوم السبت في حسن منظره واحسان أثره . في منظر ناضر . ورواق حاضر . وجمع كثيف . وحشد لفيف . وبهجة رائعة وروعة مبهجة . وهيأة معجزة وهيبة للعدو مزعجة . وصولة دائله . ودولة صائله * وميامن رائقه * ومحاسن شائقه * وبحر من الحديد مائج * وبحر من الحديد هائج * ورقاق وذوابل * وعتاق وصواهل * وعوابس وعواسل * وشعوب وقبائل * وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن على كوجك وهو صاحب حران جريده * وقد استأنف للجهاد عزيمة جديده * ثم عاد الي عسكره ليقدم به * ويحضر بجنده وتركانه وعربه *

ذكر وقوع النار في ابراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان ومن كان فى طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون * تتابعت بظهور دلائل النصر وتناصر أسباب الظهور المبشرون . فنظرنا والنار من أحد الابراج في السماء بشعلها متساميه . وفي الجو بشرارها مترامية . وما يدرى ما سبب هذا الحريق . وكيف تيسر هذا التوفيق . وأخذت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار . وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لانوارها في استبشار . ثم رأينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في أثنائه تخترق . ثم نظرنا الي البرج الثالث فاذا هو يشتعل . وبألسنة النيران يبتهل . فما برحنا حتي سقطت ثلثتها . وبلغت الينا من صدماتها وحدماتها استغاثتها ؟ وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشائر النار . وانسير بطاقاتها على

على أجنحة الاطيار والعجب ان الابراج كانت متباعـدة غير متدانية • وقـد أبعدها الفرنج لمسافات متنائيه ، فكل واحـد منها على جانب من البلد قـد كشفه ، وخسف اسواره وكسفه ؟ فاحترقت على تباينها في وقت واحد ؟ وقدر من الله وارد ؟ فلم يكن ذلك الا سرا الهياً ؟ ولطفاً ربانياً ، وفرجا بعـد الشده ؟ وثلجاً لصدور المؤمنين بتلك الوقده ، وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي ابن عريف النحاسـين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكاء للجهاد ، وأقام فيها باذلا للاجتهاد ، وغرى بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره ؟ وتعيين كل نوع وتعيير مقاديره ، و تقدير معاييره ، والناس يضحكون منه ؟ ويغضون عنه ، ويقولون هذا يضيع ماله فيما لا يعنيه ، وما هذا الهوس الذي وقع فيه ؟ وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر القدور ، ويرتب الامور ، فلما قدمت الي البلد تلك الابراج ، وحصل من الامتزاج الامتراج ؟ قوتلت بكل فن ، وأدني اليهـا من النفط كل قدر ودن ؟ ورميت بكل قارورة محرقه ، وكل نفاطة مرهقه ، وبالغ في صنعته الزواق فلم يتم في شيء منها احتراق ؟ووقع الياس • واستسلم الناس ؟ فمضي ابن العريف • بل ابن العرّيف • الي بهـاء الدين قراقوش الامير * وقال قد رأينا ما اعترض من التدبير • وما عرض من التقدير • فافسح لي في رمى هذه القدور • فلعل الله يأتي منهـا بشفاء الصدور • فاذن له على كره • وقال ما أرى لاحراق هذه البروج على يده من وجه *فان الصناع قد أبلسوا ، والزراقين العارفين بالصناعة يئسوا ، فلما وجد الاذن وزن القدور وعيرها • ورمى بواحدة منها الى أحـد الابراج في المنجنيق وعيرها واعتبرها *ثم لما استوت رمايته ه وصحت في الاصابة درايتـه ، رمى بقدور نفط لانار فيها *وهو يصبها على أعالى البرج ويسقيها ، والفرنج يعجبون من البالي ولا يدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر ناريه ، متشعبة بكل بليه *فوقعت في الطبقة الوسطى ورمى أخري فوقعت في السفلى . فاشتعل البرج من طرفيه الادني والاعلى ، وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين* (فاحترقوا أجمعين ،) ودخل اليه أيضاً جماعة لاستنقاذ مافيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم *وتقلبت الجحيم عليهم غيظاً لاستبطاء حتوفهم* وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني * ولم يلحقه في احراقه التواني ، وانتقـل الي الثالث فاحرقه* وما كان ذلك بصنعة منه بل لان الله وفقه* وما زالت تحترق الثلثة وتتقد اتقاداً حتي عاد جمرها رماداً ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سواداً ، واحترقت

المجانيق والستائر التي كانت بقربها * وبهت الذى كفر وأسف على نصبه في نصبها ، وخمد الكفار بذلك الضرام ،وسلوا عما كانوا فيه من غرام الغرام. وحبطت أعمالهم*وخابت آمالهم* وركدوا بعد جريهم، وركنوا الي خزيهم ، وضلوا في سعيهم*وتورطوا في بغيهم* وسقط في أيديهم بسقوط أيدهم*وحيق مكرهم بهم ،وكيدوا بكيدهم ،وخرج رجالنا من البلد فنظفوا الخندق وسدو الثغر، وأظهروا بظهور القدر القدر ، وجاؤا الي مواضع الابراج واماكنها * واستخرجوا الحديد من مكامنها*ونبشوا الرماد عن الزرديات التي انسبكت*وكشفوا عن الستائر التي تهتكت*فاخذوا ماوجدوا وحصلوا على ما نشدوا،واترب من ترب من تراث ذلك التراب .وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب ، وبردت من حر تلك النار •وشفى اوامها بذلك الاوار*والحمد لله الذى جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيميه * وعلى اعدائه بالحر والضرام جحيميه ،

ذكر فصول انشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما اجده الله من الجد*وانجزه من الوعد*واجزله من الرفد *واعذبه حال الظما البرح من الورد*وذلك ماظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن* والنصر الذى يقصر عن وصفه ذوو اللسن *وهو ان اصحابنا بعكاء رموا بقدور النفط عدد العدو المدحور.واحرقوا جميع مالهم من المذخور،واحترقت ثلثة ابراج كانوا قدموها • ودبابات قربوها ،ومنجنيقات نصبوها •ولهم منذ تسعة أشهر يجمعون هذه الآلات*ويستسهلون عليها الغرامات • حتى اقاموا ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها ناكية في الثغر المحروس بفتكها*وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها •وأطالوا على مناكب البلد أعناقها• فاشفق الاسلام من نكاياتها •وأظلمت الآفاق من غياياتها * وكشفت من البلد جانباً توجبت من سوره غاربا • فاقدر الله على احراق ماعمل في تلك المده المديدة في ساعه ذوأمسى العدو بقلوب وأفئدة مرتابة مرتاعه • وما أفصح ألسن النيران على تلك الاعواد خاطبه * وما أبسط أيديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذى ورت زناده •والنصر الذى قرب ميعاده • وذلك

ان أصحابنا بثغر عكاء استظهروا وظهروا • وصبروا فانتصروا • ورموا من البلد أبراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور النفط • وأنزلوها من سماء الرفعة الى أرض الحط • وأطالوا بها السن النار المضرمه • ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمه • وعلم العدوان كرته خاسره * وان يده عن نيل المنى قاصره •

فصل

هذه مبشرة بالظفر الهنى • والنجح السنى * والنور اللامع من النار • والنصر الوارى الزناد الطائر الشرار • وهو ظهور أصحابنا بعكاء يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول • وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل * وقد كان العدو قدم أبراجه * وسلك في المضايقة منهاجه * ولزم في الزحف الدائم لجاجه • فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر • ورموهم بقـدور النفط المحرقة من الثغر • فطالت ألسنة النيران تدعوا على أهلها بالبوار • وتبدي في تضرمها تضرعها الينا للاعتذار • وشاهد أهل النار ما أعد لهم في سقر • وتلونا قول الله سبحانه فيهم كذلك نجزي من كفر

* فصل الي الديوان العزيز *

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر أهل الجمعة على أهل الاحد • ورمى أصحاب المحصورون المنصورون عدد العدو وابراجه بقدور النفط من البلد • فخطبت ألسنة النيران على تلك الاعواد • بل على تلك الاطواد • وألحفتها رداء الردى وألحقتها بالوهاد • وفرشت رمادها لما تم أولئك المراد • فكانت تلك النار على الكفر ضراما • وعلى الاسلام بردا وسلاما * واحترقت الابراج الثلثة على معتقدي التثليث • ودبت النار الى الدبابات والمنجنيقات بصدمة والمنجنيقات • ودبت النار الى الدبابات • بصدمة التأثير وحدمة التأريث وما أطول ألسن النار • وأفصحها بالدعاء على أهلها بالتبار • وقد أبدت الى الاسلام بتضرمها وتضرعهـا وجه الاستبشار • وما أحسنها وهي ترمي بشرر كالقصر • ويكسوا سني لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر * وما أقطعها لدابر المشركين وقـد خصت باحراق تلك الآلات عن البـلد أجنحة الحصر • وبسم بعد عبوس البوس بإسم الله ثغر الثغر * وقد بغتت هـذه الفجيعة فجأة من حوته تلك البروج * ودخل الي طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج * وهلك فيها أكثر من ثلثمائة دارع * وخرج من أهل البلد لما حق الفرج كل مسابق

الى الغنيمة مسارع *وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف*كل ماوجدوه خلال رماد تلك الحتوف *وكان القوم قد اعتصموا بالابراج وثوقا بوثاقتها *واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها*ووصلوا بها اجنحتهم • وذخروا فيها أسلحتهم *فأخفقت ظنونهم وسخنت عيونهم *وخسر هنالك المبطلون *فوقع الحق وبطل ما كانو يعملون

﴿ فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها ﴾

استنفد الفرنج أموالهم في عدد أعدوها* وآلات أجدوها* وأحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شادخات* وزاد غرامهم بالغرامات* واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات* ومكثوا مدة على لجاجهم * يطرقون بين يدي أبراجهم • ويمهدون الارض لتسوية منهاجهم* فلما قدموها بعد لأي * واحكموا بأحكامها كل تدبير ورأى* وأشرفوا منها على سور البلد بأسوار ذات أسواء *وجاؤا بآلات علات واداوات ادواء • وأشفق البلد من بلائها واشفق* ووجل كل قلب وفرق * واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل • ومداواة الامر العليل الى أن نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر* وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر • فكان من لطف الله مالم يكن في الحساب * واتي الله المجرمين بالعذاب * وألهم أصحابنا مادووا به المرض • وأدركوا به الغرض • وأظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور • واقدرهم على رمى تلك الابراج بالنفط في القدور • وظهر من سر صنع الله ما كان في المقدور • فتسلطت النار على عمل أهل النار * وتصاعدت زفرات غيظها بأنفاس الشرار • ولمع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان * وكان كاقال الله تبارك وتعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران* وعادت تلك الاكم وهادا * وذلك الجمر رمادا • وتحلحلت تلك الجبال وتحلل تركيبها • ولصق بالتراب ترتيبها * وتمكس منها صليبها * وكانت ثلثة ابراج شاهقة. فلعبت في ملاعبها النيران فاذاهي زاهقه * وتنقلت نجوم الشتعل في تلك البروج • وعجز شياطينها برجمات جمرات شهبها عن الخروج * وتسلط الحضيض على يفاعها * وباد الدارعون فيها بأدراعها * واضحك الله ثغر الثغر بما أطابه من أرج الفرج • وأخمد بأشتعال ذلك الوهج ماأكرب قلوب المؤمنين من الوهج* وصان مهج أهل التوحيد بما أرداه لاهل التثليث من المهج •

﴿ فصل ﴾

تقدم المشركون بالابراج الى البلد فقربوا الاسواء من أسواره • وألصقوا منها جدراناً بجداره • وأشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره • فأظهر الله ماكان خفياً من سر اقداراه • وأحرق عمل أهل النار بناره * وكان أصحابنا لما عاينوا مادهمهم وهمهم* وخصهم من الخطب وعمهم* نصبوا مجانيق بأذاء الابراج •وصدعوها بها صدع الزجاج ورموها منها بقدور النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت وشبت * ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت • وأرسل الله في تلك الساعة بعذابها ريحا بهاهبت • فأمست اجنحتها قد حصت وأسنمتها قد جبت * وسقط في أيديها ووجبت جنوبها وكبت على وجوهها في النار وكبت • فما أفصح ألسنة النيران وقد نادت بنصر ناولبت*وألفت منها قلوبنا بما ألفت من نقع غليلها واحبت *والحمدلله على الطافة التي ماغابت ولا أغبت*وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقها وحقيقتها*وحليتها وجليتها*فانه يشتمل كل فصل على تمام ما أغفل في غيره *ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره *

﴿ ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة ﴾

وفي يوم الثلثاء ثاني عشر ربيع الآخر * قدم عماد الدين زنكي بن مودود • بن زنكي بن استنهضه من العساكر * وكان أول من استقبله حين ظهرت راياته * من العسكر كتابه وقضاته * ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بتل كيسان • ولقيه بعده الملك الظافر خضر والمعز اسحق ولدا السلطان * فنزل لهما ونزلا له * وتعمدا اعظامه واجلاله * ثم تلقاه الملك الافضل ادني من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء له من النزول * وتلاقيا بالاقبال والقبول * ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك * والالطف المتدارك • واعتنقا على ظهر * واتفقا على بشر ونشر • وكان الملك العادل تأخر فلحق • وأظهر من أرج سجاياه ما بنشره عبق وبحبه عاق * وسار مع السلطان باطلابه وأبطاله * وحماته ورجاله • حتى وقف قبالة العدو بصفوفه * ووقف عليهم طول الرعب بطول وقوفه ثم رده السلطان الي خيمته على رسم الضيافة * وترفرفت ألطافه عليه بالاطافه * ووقف ساعة مع الملك العادل حتي دخل السلطان سرادقه وجاس * وخصر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرشه ثوباً أطلس • وأكرمه السلطان بأجلاسه الي جنبه على الطراحه *

وآنسه ببشر السماحة والسجاحة * ووقف الامراء والخواص والاولياء صفين* وأنشد الشعراء من المدح والنسيب صنفين * ثم أحضرت المائدة فاد نحوها الحضور * وعقد الحبا لهم الحبور • ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان * وحسن الخبر والعيان * وخلا المكان وحلا الامكان * فامر السلطان له بأحضار عشرة من العتاق العراب * وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب * ثم نهض وهو بعب ءالشكر ناهض • ولوجه العذر عارض ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية • وملأ تلك المروج بعساكره الملية * ثم وصل من بعده ابن أخيه معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود صاحب الجزيرة *بعساكره الكثيفة الكثيرة * وذلك يوم الاربعاء سابع جمادي الاولى * بالايد الاطول واليد الطولي*فالتقاه السلطان وأخوه وأولاده على قاعدة عمه *وأجراه في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه • لكنه يقصر في القاعدة عن رسمه * ونزل بخيمته في فناء السرادق العمادى • وقد استكثر من العسكر الجهادى فكان ذلك المرج بحر أمواجه الخيم والمضارب * أو سماء كواكبها ماأشرعته من صعادها الكتائب* أوغيل آساده في آجام القنا الفوارس * أو غدير من السوابغ حبابه الترائك والقوانس * أو سحاب بروقه الصوارم الرقاق • أو وهاد اكامها الصواهل العتاق * ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عزالدين مسعود بن مودود ، وهو كوالده مسعود مودود * وفي شهامته وصرامته مشكور محمود • وذلك تاسع جمادى الاولى يوم الجمعه ، بالمحاسن المتنوعه • والمفاخر الاصلية المتفرعه • والصنائع المبدعه والبدائع المصنعه • وجيشه للقوة ضابط • وجاشه على الحمية رابط • وبأسه ليد الايد باسط • وجنانه على الكفر ساخط • وهو شاب أول مابقل خطه • وابتهج بكماله رهطه • وكان أبوه قد عزم على الوصول بنفسه* وإذهاب وحشة الخطب الملم بانسه *ثم رأى المصلحة في الاقامة وتقديم ولده المشكور المشهور الشهامه • فانهض العسكر المجر معه * ثم أتبعه بمن حشده وجمعه *فورد ورود السحاب الكنهور • ونور المطالع بسني السنور • وأطلع بطلوعه على معني البأس المصور • واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه • وحافظ من الكرامة على توفير سهمه * وأنزله في سرادقه وأضافه • وأهدى له خيله وألطافه *وأمر بانزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الافضل والظاهر* وضاق ذلك البر الواسع بحر العساكر *ولم يبق في أهل السلطان الا من اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء * واعتماد ماقام به البرهان على المخالصة في الولاء *

والمسارعة الى الضيافة والاهداء * والاعادة الى المكارمة بعد الابداء

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذى نصر الدين باهله * وعجل بانصاره جمع شمله * ووفق أسد عرين الملك أن يحمي حوزة الاسلام بشبله * وللمجلس في طوله اليد الطولى * والمنة الثانية التي أربت على الاولي * حيث حث همته العليه * وحض لحظ دينه عزمته الماضية المضيه * وشرف بولده علاء الدين من تقلد بوروده أوفي منه * وتعجل من وفوده أقوي منة وأوقى جنه * فلقد ورد الي الساحل بحراً * وطلع في ليل القساطل بدراً * وأسفر لمرتقبي صباح النصر فجراً * وجلا وجوه المؤمنين بشراه بشراً * وملأ صدر الاسلام أمناً وقلب الكفر ذعراً * ثم وصل زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب اربل يوم الاربعاء في العشر الأخر من جمادي الاول * ذو السماح المؤمل * والمجد المؤثل * بجيش كالسحاب المسبل · فدرت أخلاف النصر بحفول ذلك الجحفل · وورد بكل ورد هنى * وجد سني * وقدم بكل مقدام * وزأر خيس الجيش بكل ضرغام * وزأر بكل همام بالمنون همام * ووصل بكل واصل لسبب النصر * قاطع دابر الكفر * ووفد بكل وافد باليمن الوافي * والنجح الكافي * والعز الصافي * والعزم الشافي * وطلع بكل طالع بالسنى * جامع للمني * فارع بالغني * فارك للخنى * سافك دم الشرك بالظبا والقنا · وكان هذا أول يوم لقائه السلطان * وأحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان * وكان يجمع بين الحماسة والسماحه * والبشاشة والرجاحه * والتودد الى الناس * والتشدد بالباس * والتواضع مع الكرم * ودنو الود مع علوا الهمم * ماله مبذول * ونواله مأمول * وسيفه على الكفر مسلول * وأمره بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول * وهو مرجو مخشى * وكريم مغشى * ومهيب مرجو · ومحسن بسني الحمد مجلو * وكان معه خلق كثير * في سلك الاتساق ومسلك الاتساع نظيم نثير * وأنزل بقرب أخيه مظفر الدين في الميسره * وتمكن الرعب بما تم من الجمع في قلوب الكفره

ذكر وصول الاسطول من مصر

كان السلطان قد أمر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه الذخيره والميره * والعدد الكثيره * فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول * وتم بظهوره النصر المأمول · فركب السلطان في جحافله * وسدد سهام الردي الى العدو ومقاتله · وأحدق

به حول خنادقه • ليوسع عليه الهلاك فى مضايقه • وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول * ويسهل عليه بتشاغلهم طريق الوصول * فعمر الفرنج اسطولا • وصف شوانيه على البحر عرضاً وطولا • وقدر انه يلاقي الاسطول المنصور • ويخطر بسد الطرق عليه وصدها العبور فجاءت مراكبنا ولطحت مراكبهم وطحنتها • وأوهت متنها وأوهنتها * وأخذنا لهم مركباً وأخذوا لنا مركباً * وكان تقصير الرؤساء فى حفظه لأخذه سبباً * واتصل الحرب فى البر الى حين غروب الشمس • وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس * وقتل من الفرنج عدة وافية * وكلاءة الله لنا ولاصحابنا واقيه

ووصفت هذه الحالة فى مكاتبة كتبتها لتعرف منها الصوره وتكشف القضية المستوره وهي

هذه المكاتبة مبشرة بما سناه الله من النصر الهني ، وهناه من لنجح السنى • وأجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني * وذلك بوصول الاسطول الثاني المصرى المنصور * ظهر يوم الخميس متظاهراً بامداد الظهور • متوافراً بوفود الوفور * ودخوله سالماً غانماً الى ثغر عكاء المحروس المعمور * فأنّ البلد بعد انفاضه * واجتمع اليه مدد القوة بعد انفضاضه • واستجد جدة وافيه • وعصمة واقيه • وذخيرة كافيه • وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها • وأبرزت مناكبها • وحمت بالرجال والعدد جوانبها * وسنمت غواربها * ورفعت هضابها وهواضبها • وسحبت على ثبج البحر سحائبها * وأدبت الى عقبان أساطيلنا المحلقه بعقابها ثعابينها وعقاربها * وظنت أنها تستطيل على رواسى أساطيلنا بسواريها * وانها تواجه عرائسها المجلوه بحور جواريها * فلما جاء الحق زهق الباطل • وصال الواصل ، وحاص العدو من الحاصل * وانحل تركيب تلك المراكب • وحطت تلك المناكب بما أحاط بها من النواكب * وخرج الاسطول الاول من الثغر مستبشراً بدخول الثاني • واجتمع شمل الشواني بالشواني * وتفرقت سفن العدو شذر مذر • وعذر حين ذعر فحذر • وكسبت شوانينا ست بطس لهم فكسرتها • ووجدت فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء فاسرتها * وكانت الفرنج حملت فيها تجائر وذخائر تطالب ربحها فخسرتها

فصل آخر

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهراً خميسه،ثائراً بالاسدعريسه،فى شوان للعدو شوائن * وشلنديات لشله وفله ضوامن •وحراريق لأهل النار بنارها محرقه •وعقبان مراكب فى مطار العقاب على المجرمين محلقه،وسواري هواضب كرواسى هضاب*وسحاب بوائق كبوارق سحاب •من كل مركب للنصر مركب*ومفرد من الشدة والبأس مركب* وقطعه لنياط قلب العدو قاطعه •وقلمه لاساس اهل الكفر قالمه •وتلمة فى ذروة العزة تليعه*وذروة فى مرقى الهدى راقية منيعه •وجاءت فى البحر امواجا فى الامواج*ودخلت الى الثغر افواجا بعد الافواج * وكان العدو قد ابرز اباطيله •وجهز اساطيله * وشب عواديه ودواعيه وادب عقاربه وافاعيه ،واسمي مناكب مراكبه* وجد فى امهاء غروبه وتسنيم غواربه،ولما وصل الاسطول طال وصال،ولاح للعدو صده بحيلة من حال فحال* وامتنع مراده واستحال*واخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قطع قطعت اسبابها* وقصمت من عبدة الصليب اصلابها * وخيب حسابها •

فصل

وصل الاسطول الي البلد * مستطيلا بالجلاد والجلد،واثري به الثغر بعد الانفاض، واجتمع به شمل الرجاء بعد الانفضاض * ودخل اليه ما خرج عن حـد الحصر ، من ذخيرة وميرة توجب كثرتهـا قلة المبالاة بالحصر ، فان الرايات المنصورة علت فجلت في الآفاق رياضا ، والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين اغراضا * ووافت ووفت فاعادت جواهرها مراكب العدو أعراضا ، وجاءت سواريها كالرواسي * وجواريهـا محكمة المراسي ، ومن شأن شوانيها شن الغارات على الشناه * ومن عادة شلندياتها شل اندية العداه ، ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق لاحراق أهـل النار في الماء • ومن عمل مراكبها إلحاف مناكب الكفار رداءالارداء*من كل جبل يمرّمرّ السحاب •وضامر يشد شد العراب•وعقاب محلق على الشرك في مطار العقاب*وغراب ناعب في اعداء الله ببين الاحباب•وهضبة موفية على الهضاب* وقطعة وافية من الكافرين بقطع الرقاب*وما أحسنها وقد زفت عرائس•وجليت أوانس•وطاعت بأهل الايمان بواشر وعلى أهل الكفر عوابس*وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس•وخلا وجه البحر

من سفن الضلال • وتقلص ما لها من الظلال*ولما شوهد الاسطول ساطيا *وجيدالنصر منه عاطيا*وأخذ البحر من الاعداء بحقه*وأشرق سنى النجح في أفقه * ركب العسكر المنصور للقتال • وأخذ أهبة النزال*وزحف الرجال الى الرجال*والتقى الأبطال بالأبطال *وشفيت بدم الكفر غلة المناصل والنصال*وأحمرت البيض الظامئات ورويت من نجيع الزرق • وبشرت جياع العواسل من اليراع العاسل بعاجل الرزق * وظل أهل الضلال وقد كفهم الكفاح * وفكهم القتـل والجراح ، وأقوي الاقوى من الثبات • وبطل بطلهم بما أثخنه من الجراحات • وبات المسلمون واثقين من الله بأن جمع الكفر قريب الشتات ، وأدرك المشركين ما فاتهم من الآفات •

﴿ ذكر قصة ملك الالمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله ﴾

صح الخبر أن ملك الالمان عبر من قسطنطينية الخليج ، وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج • وأنه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه منها العبور ، وعمهم في مهضاتهم العثور * فقيل أنهم أقاموا في قفار ومواضع شهراً . عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها الا ضرا • وكان التركمان الاوجية على طريقهم ، يمنعون بغربهم من تشريقهم، فاضطروا الى المقام بغير زاد * وهم في جهـد وضر واجتهاد ، فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها . ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها * فترجلت منهم الوف * ورغمت أنوف * وكان ذلك في البرد الشديد • وزمان الثلج والجليد • فجمدوا وخمدوا • • وتجلدوا وتبلدوا*وعدموا دواب لحمل الاثقال • ونقل عدد الرجال * فدفنوا وأحرقوا منها * وتركوها وسلوا عنها * وكان ذلك من الله لطفا • وأمست قوتهم ضعفا . وكانوا في خلق لا يعد • وجمع لا يحد • فما أثر فيهم ذلك النصب • ولا صـدهم عن مقصدهم ذلك التعب • ومازالوا يسيرون والاوجية تبدى اليهم للوبال في اوجها اوجها . والافرنجية لاتنتهي حتي تبلغ الي مالها من منتهي • حتي بلغوا الى بلاد قليج أرسـلان ابن مسعود ومسلكها دونهم غير مصدود ولا مسدود • وقليج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه • وهو يدبر امره ويتولاه • ويسومه الاكراه • فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم • وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم . ثم اندفع من بين ايديهم ، وتعدى عن جانب تعديهم* ودخلوا قونية دار ملك المسعوديه • واعتصم قليج ارسلان بقلعتها المحميه • وراسل هو وملك

الالمان ، واتفقا في الباطن على ما كان بينهما من المواثيق والايمان ، وحمل ملك الالمان له وفرا وافرا ، وأشبه المسلم بالكشف عن الكافر كافرا * ووافقه على العبور الى الأقاليم الشاميه * والبلاد الاسلاميه ، وعلى انه يسير في بلده الى بلد ابن لاون ، واعطاه عشرين مقدما من أكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المأمن رهائن * وامر الناس بمبايعتهم على مايسومونه ، وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بما يرومونه ، وأقام لهم الاسواق ، وعرض عليهم الامتعة والاعلاق * فساروا في رفه ورفق * وتقو بلا توق ، فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن * وساقهم محمولين مع الظعائن ، وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه ، ونكث جميع مواثيقه ، ووصل ليفون بن اصطفانة بن لاون مقدم الارمن الى خدمته ، ودخل في طاعته ، وكان بمفرده خالياً من عسكره بمجرده ، وذلك في طرسوس فتمكنوا بها ليريحوا بها النفوس ، وقيل عن لكلب الالمان ان يسبح في النهر * ويميط عنه ماعراه من الوضر والضر ، وكان شيخا مسناً ، قد عاد لكبر سنه شنا ، وحسب انه اذا سبح سحب ذيل الاستراحه ، فكان موته في تلك الراحه ، وهلكه في تلك السباحه * فانه عام في الماء البارد ، وتورط منه في أصعب الموارد ، وخرج وبقي مريضاً الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى فناء الفناء ، وتلقاه مالك بالزبانيه * وحملوه الى نار الله الحاميه * وسمعت نصرانياً يقول في معناه ، كنت معه لما سلك فهلك وأعجله مالك النار عما ملك ، وذلك ان النهر ماكان فيه الا عبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد ، فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور ، ويؤمن فيه العثور ، فقال له واحد هنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والتياسر عبر ، ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا تثبت واستظهر ، فبدر الى تلك المخاضه ذات الجرية الفياضه ، ودخل الماء فطغى على ذلك النارى الطاغي ، واعجل ذلك الباغي عن المباغي ، ورماه في جريانه الى شجرة شجت جبينه وجبنت جاشه ، وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه فتعبوا في اخراجه ، وأيسوا من علاجه ومات عدو الله شر ميتة وبلى شمله بتشتيته وحبله بتبتيته وخلفه ولده على خلف من أصحابه وأجناده ، لمكان الولد الذي خلفه * في بلاده ، وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظامه ، وتهرى لحمه ، ثم جمعوا في كيس عظامه ، وراموا بذلك اكرامه واعظامه * ليحملوه الى كنيستهم بالقدس قمامه ، ويدفنوه على ما كان اوصى به ورامه ، ولما عرف ابن لاون بهلاكه * وسكون حراكه ، وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته * وانه لاتلافي لما فرط من تلفه وفوته فارقهم

الى بعض قلاعه • واتصل الضر بهم لانقطاعه • ووصـل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعة الروم يرغب ويرهب ويبرق ويزعد* يقول ويعدد • ويدهده ويهدد* ويرى انه ناصح • وللقصه شارح* وان الامر واضح • وان الخطب فظيع فاضح • وان هذا الملعون أول ماخرج من بلده • أوصى فيه الى ولده* ثم جاء الى بلد المنكر فدخله غصباً • وأوسعه نهباً • حتى أذعن له وانقاد • وبلغ بطاعته المراد • وانه أخذ من ماله ورجاله مااختار • وتزود من عنـده وامتار • ثم وطئ أرض ملك الروم وداسها • وتوسط ديارها وجاسها • وفتح بلادها • وملك قيادها • وأحوج ملك الروم الى طاعته • والزمه بما دخل في استطاعته • وأخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين • ومن الثياب الطلس المعدنية مابلغ الألوف وتجاوز عن المئين • وأخذ على سبيل الرهائن اربعين من خلصائه • ومعر وفي كبرائه • وأخذ كل سفينة غصباً • وسحب على ذلك البحر في التعدية من مراكبه سحباً • وانه لما عبر وفرغ من الخروج • تلقاه بالخيل والدواب والابقار والاغنام تركمان الاوج* ثم وقع بين التركمان وبينهم • وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يروون حينهم • وهم في طريقهم سائرون • وعلى مقاتلتهم صابرون • حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسلان • والتقى الأقران بالاقران • وهزمه ملك الألمان • ولما أشرف على قونية خرج اليه جموعها • وطالت اليه بالحرب بوعها • ثم اندفعت خيث ضم على الروع روعها • وأنه هجم على قونية عنوة • ونال منها حظوة • وأقام خمسة أيام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكيده • وحصلت لكل منهما فائدة مهيده • وأخذ منه رهائن عشرين • من أكابر دولته المتميزين • وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده * فتلقاه بما أعده لارفاده • ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام* ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام* فحرك عليه الماء البارد مرضاً • وتشكى اياما قلائل مضضاً* ثم قضى • وانقرض اربه وانقضى • وخلفه ولده بعده • واستمال جنده * وكان ابن لاون قد سار قاصداً للقاء أبيه • فلما عرف موته وجلوس ولده أضرب عن تلقيه • وعرض عسكره في اثنين وأربعين الف مجفجف * من كل سرحان أهرت وذئب أغضف • وأما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض • وغص بهم طول الأرض والعرض* وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس وهجروا الثياب • ولزموا المصاب* وداوموا الاكتئاب * وهم صابرون على الشقاء والتعب • لامل الظفر بالطلب * ولما بلغت هذه الاخبار* اضطربت

الديار . وارتاعت الانجاد والاغوار . وقالوا هذا جانب لا يطاق . وأي جانب قصده عنه لا يعاق * ولا شك انه يتوسط بلاد الشام . ويثلم ثغور الاسلام . ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام . وعزم السلطان على استقبالهم بالردى والرد * وصدهم عن القصد * ثم ثبت على رأى الثبات . وتنظار الاوقات بما يتجدد من الحادثات . وتقلقلت عزائم الذين بلادهم على طريق القادم . وانه يعود كل منهم الى مكانه أخذا بحكم الحازم * فأول من سار ناصر الدين محمد ولد الملك المظفر صاحب منبج . ليجمع على طريق العدو ويزعج ويرهج . ثم عز الدين بن المقدم . الباسل المعلم . ثم مجد الدين بهرامشاه صاحب بعلبك . ليجمع ويأخذ على العدو المسالك . ثم سابق الدين عثمان صاحب شيزر . الليث الهمام القسور . ثم اليارو قية أسد الهياج . ونجوم ليل العجاج . ثم رحل الملك الأفضل وقد عرض له ألم . ثم بدر الدين والى دمشق وقد الم به سقم . ثم سار الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر * ولخوف الناس فيه أنهم على الخطر * حتى غلت الاسعار واستعرت الغله . وخلت الاماكن وتمكنت الخله . ثم رحل الملك المظفر تقي الدين لحفظ ثغر اللاذقيه وجبله . ويثبت بقدومه عليها الرعية الخائفة المجفله * وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الآخره * ورتب السلطان منازل العساكر الحاضره . وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها مقيما . ولحفظ النوب في اليزك مستديما * فانتقل الملك العادل اليها . وجاء الى منزلة الملك المظفر ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام * واعتز الصادقون وصدق الاعتزام * ثم مرض أكثر العسكر وخام للوخم . والم بالبعد للألم . وكان بحمد الله المرض سليم العاقبة قريب العافيه * مستعقبا لألطاف الله الواقية الوافيه * ووقع المرض في الفرنج وكان المبيد المبير . والمدني لأصحاب السعير السعير . وعم فيهم الموت والوبا . وكثر عن نبواتهم النبا . وتقدم السلطان بهدم سور طبريه * وهدم يافا وأرسوف وقيساريه . وهدم سور صيداء وجبيل ونقل أهلهما الي بيروت

﴿ عاد حديث ملك الالمان ﴾

واما ولد ملك الالمان فانتحس . ومرض أياما في بلد الأرمن واحتبس . وهلك أصحابه جوعا . ومنهم من عزم رجوعا . ووقع الموت في خيلهم . فاذن ذلهم بقلوص ذيلهم . وقدم الملك لمرضه . والتياث جوهره بعرضه جموعه قدامه . وساروا أمامه . وخرجوا لكثرتهم

في ثلاث نوب • في بيض وسمر وبيض ويلب * ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمير • غير عارفين بطاريق ولا متحفظين في مسير • والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم * ويتألفون على مسالكهم ويتلفونهم * ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك * بعد أن ضاق به وبجمعه اليها المسلك * وضاق به الابرنس صاحب انطاكية ذرعا • ولم يجد لهم عنده مطمعا ولا مرعي • وطلب منــه القلعة فأخلاها له • ونقل اليها ماله واثقاله • وسأله ان يجعل طريقه على حلب نخاف * وأبدى له الخلاف • وقبل وصوله الى انطاكية فلت جموعه وجنوده • وبليت بحشد التركمان حشوده * واجتازت الفرقة الاولى منهم تحت قلعة بغراس * فلقيت البوس والباس • وخرج رجالها عليهم على قلتها * وصدمتهم بيسالتها * واسرت منهم زائدا على مائتين * وطمعت فيمن وراءهم من الفئتين * وقيل انهم حسبوا ان بغراس باقية بحالها مع الداوية * فجاءوا اليها سحرا باحمالهم وأموالهم السنيه * فلم يشعروا اليها الا بالبغال على الباب واقفه * والجنى دان يرقب ان يكون له أيد قاطفه * فخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب * وتخلى عنها أصحابها لما عرفوا الحال ولم يعرجوا على حرب * فاستغنى الوالي من ذلك اليوم * من مال القوم * ثم انكر حتى لايطالب بشيءٍ منه * وغفلت الأيام عنه * وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه * أنه أنهض جماعة من أصحاب امراء حلب وأصحابه . ليقتفوا آثارهم • ويكشفوا أخبارهم • فوقعوا على خلق عظيم منهــم • فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم • وانقضوا عليهم الانقضاض البزاة على الحجل • وزأروا فيهم زئير الاسد في النقاد وزاروهم بالأجل • واسر كل واحد من أصحابنا ثلثة واربعه . وتركوهم متمزقة متمزعه . وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق • وامتــلأت بالاسلاب منهــم والأعلاق • فطابت قلوب الرعايا • وأنست من الله بمــا ظهر من الطافــه الخفايا * وطمع فيهم أهــل القرى * والتقطوهم من الوهاد والذرى * وما صــدقوا بالسلامة حــتى آواهم الابرنس الى انطاكيه * واراح من آلامها الالمانيه * وذابوا في هذه الطرقات ذوبا * وصب عليهم العــذاب صبا اذا أخذوا صوبا * وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم العسكر * وتبعه الى سقر كثير من ذلك المعشر * وحصــل الابرنس بتلك الاموال المجتمعه * والذخائر المودعه • حتي قيل انه انما رغب في الوصول الي بلده * ليحصل على ســبده ولبده * فأخلى له قلعتــه * لينقل اليها خزانته * ففــعل وما رجع اليها * واحتوت يد الابرنس

عليها * ثم ساروا على طريق الساحل * بالفارس والراجل * وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقيه * وسقتهم كؤوس المنيه * والقتهم على البوس والبليه * فأغذوا في السير حتى وصلوا الى طرابلس وقد نقص نصفهم * وتم بمواصف البلاء نسفهم * وبلغ أمدهم وانتهي مددهم * وجبن الملك عن المسير على الطريق * لما لقيت جموعه في طرقاتها من التفريق * فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على الف * برعب قلب وقصور يد ورغم أنف * واختلط مع الفرنج على عكاء فسقط اسمه * وسخط حكمه * وهلك بعد قليل * ولم يحظ بنقع غليل * وسأذكر حالاته في مواضعها * وذكر مصارف جماعته ومصارعها *

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا

بخبر ملك الالمان عند ارعاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهياء * والغمة الغماء * والنكبة النكباء * والشدة الدهماء * والليلة الليلاء * وهي ان ملك الالمان ومعه ملوك الافرنجية وحشودها * وقوامصها وكنودها * وأحزاب الشياطين وجنودها * وألوية اللاواء وبنودها * وصل جازا على السماء ذيول قتامه * مجريا في الارض سيول لهامه * ثائرا بأطلابه لطلاب ثاره * سائرا بخيله ورجله كالسيل الى قراره * وانه في عصائب صلبان في عصبيتها متصلبه * وأتباع شياطين لارضائها متغضبه * وأسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبه * وانه في مئين من الآلاف الالاف للمنون * وأقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر سوئها رحى الحرب الزبون * وقد أوقدوا للشر شرارا * وأضرموا للشرك الداعي الى النار نارا * فان حسرتهم على قامتهم دائمه * وقيامتهم قائمه * والموت يدعوهم الى المقبرة التي يدعونها * والآجال تلبيهم لمناياهم التي يدعونها * وكان خبر وصوله متداولا على ألسنة الاراجيف * وتشيعه اعداء الله من قبل للترهيب والتخويف * واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد الروم في الربيع * ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع باتفاق الجميع * وانتظر ورود خبر صحيح * ويقين نبأ بأمر صريح * حتى اذا صح الخبر * سار العسكر * ثم انقطعت الاخبار * وتمادى الانتظار * ومضت شهور الربيع اذار * ونيسان وأيار * وكانت كتب سلطان الروم قليج ارسلان وأولاده ورسلهم متواصلة بما ينبيء عن التعاضد * ويبني أمر الوفاء والوفاق منه على التعاون والتعاقد * وهم بانهاء ما يصح عندهم واعدون * ويزعمون انهم

في رد الواردين وارداتهم مساعدون . فأخلف ذلك الوعد • وضيع ذلك العهد * ووصلت كتبهم بغتة في هذا الاوان . بما تأخر به الخبر عن العيان . وقالوا انهم قد توسطوا بلاد الاسلام • وانهم على قصد الشام • ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم * وأخلوا لهم الطريق ووادعوهم * ووسعوا لهم في المضايق • وسعوا في آمن طرقهم من الطوارق • وهذا حادث كارث * وباعث فاجيء فاجع لاهل الحمية في الدين باعث * ونا كب لعقود العقول في تعاظم ضرره وتفاقم خطره ناكث * وقد تعين الجهاد على كل مسلم • وما في الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم * والاهتمام بدفعته من أفرض المهام واهم الفروض • والخادم منفرد في حمل عب هذا الفادح الباهظ بالنهوض • وهو واثق بان بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه • وان الذى يستمد من النصر القريب يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه • ان شاء الله

﴿ فصل فيه في جواب أمير ﴾

عرفنا خبر العدو المشؤوم • الواصل من جانب الروم * وهذه هدية اهداها الله الينا • وفضيلة خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة أعدى أعدائه * وأقدرنا على مقاتلة من نازعه في كبريائه * وقد ساقهم الموت الي المقبرة التي يدعونها * وليتهم المنايا التى يدعونها ولا يدعونها * ومعاقلنا بحمد الله قوية * وصوارمنا من دماء أعداء الله روية * فيجب ان يكون في جميع اموره محتاطاً * ويظهر بما يغنمه الله من اسلابهم وأشلائهم اغتباطاً

﴿ فصل من كتاب الاستنفار ﴾

قد عرف ان العدو الالماني المخذول قد وصل فما لقعوده عن هذا المقام معني * وما لمن تأخر عن نصرة الاسلام من ثمرة السعادة مجني * وهذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده واوان بذل وسعه وجده واجتهاده • فانه محضر لا يغيب عنه الا من ليس له عند الله خلاق • وموقف يفي بعهد الله فيه من سبق له معه في السعادة ميثاق • وانها لغنيمة أوفدها الله علينا • وهدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها وأسعدنا بسببها • بل هي بلية جلا وجه النعمة فيها • بل قضية وفى الله في النجح بوعود توافيها • بل ملمة اختارنا الله لدفعها • وطاغية استدعي أولياءه لقمعها • ونائرة كلفنا الله باطفاء جمرها وارداء جمعها • فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام • وليخطب اهتمام العظيم بملابسة الخطوب

العظام • وليثب وثوب الاسد على الفريسة • وليتنخ للاسلام انخاء ذوي الانفس الابية والهمم العلية النفيسة • وليكن أول سابق في مضمار الجد • وأسعد طالع في أفق الجد • فان الاسلام في انتظاره • والمطالع مستشرفة الى اشراق أنواره • لازالت الاقدار جاريه في اسعاد الدين والدولة باقداره •

﴿ فصل من كتاب ﴾

قد أحاط العلم بما عرا من الملم • وعرض من الخطب المدلهم • ووصل من العدو السائر • ونزل من النازلة التي هي أم النوازل • والدائرة التي هي ام الدوائر • وقد آن للاسلام أن يسلم • وللايمان ان يعدم • وللتثليث أن يعلن وللتوحيد أن يكتم * وللكفر أن يقدم • وللهدى أن يحجم • فقد قذف البحر من الفرنج زبده • والبر أتي أتيه من كل بلد للكفر بسبده ولبده • ووصل الالماني المخذول بمدده وعدده • وهذا خطب قد دهم * وعدو قد هجم • وشر قد نجم • وجمر داهية قد وقد • وجمع طاغية قد وفد • في جيوش جائشه • وجموع طائشه وجنود محشوره • وبنود منشوره • وخيول مجفجفه • وسيول مجحفه • وهذا اوان تحرك ذوي الحميه * ونهوض أهل الهمم الابية العليه * فان القوم في كثرة ولا يقاتلون الا بالكثرة * وهم مغترون بعلوهم • معتزون بعتوهم * مستنون في طريق العثرة * والسيل اذا وصل الي الجبل الراسي وقف * والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف • والمجلس أولى من تولى تفريج هذه الغمة * وكشف هذه الملمه * حتي تخلف أماني الالماني * وتبطش أيمان الايماني • وتخذل أنصار النصراني • وتجني وتبز رؤوس الجنوي والبيزاني • فأين المؤدون فرض الجهاد المتعين • وأين المهتدون في نهج الرشاد المتبين * وأين المسلمون وحاشا أن يكونوا للاسلام مسلمين • وأين المقدمون في الدين ومعاذ الله أن لايكونوا في نصرته على الموت مقدمين • ولولا التقيد بهذا العدو الرابض * لاطلقت أعنة النهضة الى العدو الناهض • ولا بد من لقائه قبل تلفق الجمعين * واراءة الملاعين وجوه حتوفهم ملء العين *

﴿ فصل فيه ﴾

قد سد طريق الفلق فيلقه الطارق • وزحف الي الحق الثابت باطله الزاهق • وجال بالوجل وجاء بالوجيب * وثار لثار الصليب السليب * وقد وقد جمر جمعه * ورتق فتق

الصبح رقع نقعه * وما فض الفضاء ختام قتامه * حتي ختم على ضوء نهار الهدى ليـل الضلال بظلامه ، والرجاء محقق ان الالمـانى محدق بالمامه • والاسلام مشفق من اسلامه * والدين موفق بنصرة امامه * وعصمة الله الواقية الوافية من ورائه وأمامه • والله الكافل باعلاء أعلامه . وأحكام أحكامه •

﴿ ذكر الواقعة العادلية ﴾

كان الفرنج لمـا صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد * وانه ملأ أحشاء الربا والوهاد بالاحشاد * قالوا انه اذا جاء لايبقى لنا حكما • والصواب أن نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما * لاسيما وقد خفت عساكر الاسلام • وقفـل أكثرها الى الشام ، فنحن ننتهز الفرصة • ونحرز الحسمه . ونهتبل الغره ، ونهجم عليهم هذه الكره ، ونذيقهم المرة المره * ونفرغ من شغلهم قبل مجيء القادم ، ونمت بعز العزائم • ونفل حدودهم بحدود الصوارم فخرجوا ظهر يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة • في حشر يذكر بحشر الساهره واسود بياض النهار من سوادهم ، وتراءت الآجام لنا متوافية بآسادهم • وامتدوا الى الخيم العادلية ، واشتدوا بمـا استصحبوه من البليه • في كل ذئب أمعط . وسـيد قد تورط ، وسرحان سرح • وأفعوان كالح ، وجهنمى تجهم فهجـم ، وجحيمي أقدم وما أحجم ، وسعيرى نارى استعار حدمة النار ، وسـقرى قسوري عاد بعادة الاقتسار ، وباروني طالب للبوار • واسبتارى راغب في التبار ، وداوي معضـل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء ، وسرجندي كرار ، وفريري غـير فرار • وفارس يفرس الرجال ، وراجز يرجز الفرسان الابطال • وأزرق رزقه الموت الاحمر • وأعشى يعشي واليـوم أغبر . وأشقر وهو أشقى ، وأبقع اذا غوى في الوغي ماترك ولا أبقي ، ودخلوا الخيم العادلية وتجاوزوها ، وقد كانت اخليت قبل ان يجنازوها ، ووقف الملك العادل بطلبه ، وعن يمينه ويساره امراء الميمنة الذين بقربه . مثل صارم الدين قايماز النجمى وعز الدين جرديك النوري .وجماعة من المعروفين بالشهامة، الموصوفين بالصرامه * ولبث الملك العادل لبث المخادع المخاتل • حتي يطلع من العدو على المقاتل . فقادتهم الاطماع الى الانتشار . وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار • فحينئذ بدأ بالحملة ولده الاكبر شمس الدين مودود • وهو في كل وقعة يحضرها جاد بجدود • فعضده والده • وولده مساعده وساعده • وحمل معه

العسكر الحاضر . قبل ان يتصل به العساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشتهم على الأرض .
وذكرت الواقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض . وكانوا قد بعدوا أكثر من
فرسخ . وأجفلوا ولم يلتفت اخٌ الى اخ . وركبت العادلية اكتافهم . وفلوا فيهم اسيافهم .
وعقروهم وعرقوهم . وبجوهم وبعجوهم . وحكموا في الرقاب الغلاظ منهم الرقاق .
وضربوا ممن اعتقوا اليهم الاعناق . واشبعوا التوت من لحوم الليوث . وبثوا بعوث المنية
في تلك البعوث . حتى رتعت في كلا الكلى صوار الصوارم . وارعد وابرق بصواعق
بوارقهم غمام الغماغم . وتعلقت بذوائبهم ذوائب الذوابل . ووصلت بهم الى النجاح منى
المناصل . فلم تترك اللهاذم لها ذماءا . وغادرها شلها بالعراء اشلاءً . ورأيناها كانها أعجاز
نخل خاويه . وما أحسن اجسام أهل الهاوية وهى هاويه . فكم جثة بلا راس . وبنية بلا
أساس . ونحر قد نحر . ودم قد أنهر . ويد قد بتت . وكبد قد فتت . وعنق قد قطع .
وأنف قد جدع . وودج وجد مفريا . وظهر قد ظهر مبريا * وحلقوم قد حاق * وغلصوم
قد فرق * وداوي قد دوي * وبالدم روى * وصليبي كسر صلبه * وقلب على صدره
قلبه * وحربي أتاه الحرب * وغرب في نبع عينه النبع والغرب * وكان السلطان قد
قد ركب وخشى أن جانب الميمنة نكب * وسير جماعة من كماة المماليك والامراء على
مقدمته * وانتظر الميسرة لتنهض في خدمته * فوصل الى الوقعة سنقر الحلبي في العصبة
العزيزيه * وفاز من الغزوة بالحظوة السنيه * وجاء علاء الدين بن صاحب الموصل في اثناء المعركه *
فعرف بركة سرعة تلك الحركه * لانه أخذ حظا وافرا * ولقي من النصرة وجها سافرا *
وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة أحد * ولم تمتد منها الى قتال الكفرة
يد * ووصل السلطان وشاهد من مساءة الفرنج ما سره * وعرف لطف الله وبره ونصره *
وعاين هنا لك مصارع الاعداء * ومشارع البلاء * وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على
الارض * وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض . وكل صف يزيد
على الف قتيل * وشاع القتل من الفرنج في كل قبيل * ولما وصل السلطان رأى عماد
الدين وابن زين الدين وامراء الميسرة قد عزموا على الدخول اليهم * والهجوم عليهم *
فانهم ندموا على ترك الاسراع * فراموا اتباعهم ليأخذوا بنصيب الفتك بهم والايقاع *
فصدهم السلطان وردهم * وشكر عزمهم وقصدهم * وأشفق من مضرة تشوب *
ومعرة تنوب * فان الدائرة كانت على العدو * وقد فاز بالنصر الحلو والصفو المرجو *

وكانت النوبة بلا نائبه • والغزوة بلا شائبه • وقتل منهم زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشره • فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة ميسره • ولما عرفت بالواقعة • والنصرة الجامعه • صدرت ثلثين أربعين كتاباً بالبشارات • بأبلغ المعاني وابرع العبارات * وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره • ولأرى البشائر شائره • وركبت أنا والقاضي بهاء الدين ابن شداد • لمشاهدة ماهناك من اشلاءٍ صرعي واجساد • فما أعجل ماسلبوا وعروا • وفروا وفروا * وقد بقرت بطونهم * وفقئت عيونهم * ورأينا امرأة مقتولة لكونها مقاتله * وسمعناها وهي خامدة بالعبرة قائله * ومازلنا نطوف عليهم و نعبر * ونفكر فيهم ونعتبر * حتى ارتدى العِشاء بالظلام * فعدنا الى الخيام * وأخذت الكتب التي نمقتها * بالبشائر التي حققتها * وجئت واذا السلطان قد استبطاني * وعدم اجابتي لما دعاني * فما صبر ولا انتظر * ولا ترقبني ان احضر * ولاأمهل أن أعطي البشارة • حقها • واجلوا بانوار المعاني أفقها * وأبلغ بالبلاغة مداها • وأسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها وأصف بحدود الاقلام ماصنعته حدود السيوف * وأروج نقودي عند السلطان وأغنيه عن الزيوف • فابصرت عنده مشرفي المطابخ والابيات • ومدوني الجرائد بالاثبات • وقد كتبوا تلك البشارة الثقيلة الجليلة في رقاع خفيفه * بعبارات سخيفه * وقد عطلت الحسناء من حليها * وعروها من بزتها * وشوهوا اجمالها * واحالوا حالها * فذهب بها المبشرون * وسار القاصدون * فما كان لتلك الوقعة عند من وقف عليها وقع * ولا تم لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها نقع * وارادوا بدمشق قراءتها على المنبر فما استحسنوها * ولو وردتهم بزينة عبارتي وبراعتي زينوها * وفي تلك الحالة التفت السلطان اليّ وقال اكتب بهذه البشارة الى بغداذ * وعجل بها الانفاذ • فقلت على سبيل العتب انتم ماتريدون ما اكتبه * ولا ترغبون فيما أرتبه واهذبه * فقال كانك كتبت البشائر فهاتها • حتي تهدى الى طرقاتها * فقلت مافات فات * وهيهات هيهات * وأخرجت له مابقى من بشارات البلاد التي انشأتها * بالالفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها * فسارت فسرت البعيد والقريب * وخصت من جداها بالخصب الجديب * وصدحت باسجاعها المنابر * وصحت بسماعها المفاخر * وظهرت بعباراتها العبر * وبهرت بزبرها الزبر • وعمرت بمعانيها المغاني • وعمت مباهجها مناهج الاقاصي والاداني فما أصحها كسره * وما أسعدها نصره وما أبينها محجه * وما أثبتها حجه * وما أفرجها مسرة وما اسرها فرجه * وما ابرحها بالكفر صرعه * وما أوضحها

للاسلام شرعة *

﴿ فصل في ذكر حالهم ﴾

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر * ومفارقة عدة كثيرة من العساكر * خرجوا متجاسرين * وامتدوا متقاطرين * وانتشروا متغاورين *واغاروا للواء اللأواء ناشرين * ووصلوا في الميمنة الى الخيم العادليــة فأخليت حتي دخلوها * وتفرقوا فيها بجموعهم وتخللوها فركبنا اليهم * وحملنا عليهــم * وتركناهم صرعي بالعراء * فوضى بالفضاء • فما بكت عليهم الارض ولا السماء * ورويت السيوف من دمائهم * قبل ان تشبع الوحوش من اشلائهم • وظهرت لنا نعمة الله في بلائهم • وحي الاســلام بهلاكهم • وضمتهم أشراك الردى برداء إشراكهم • وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة آلاف قتيل كافر • وثبت حكم إدالة الاسلام وظهوره باوضح دليل ظاهر •ولو اتفق خروجهم من مراكزهم بأسرهم • لكنا فرغنا من شغلهم واخلينا بالنا بتأييد الله من امرهم • والآن قمع انطفاء جمرتهم • وصحة أمزجة العزائم بكسرتهم • وتطرق القلة الى كثرتهم • نرجو من الله ان يسهل امرهم العسير • ويهون خطبهم الخطير •وإن ظهورنا عليهم قطع ظهورهم •وعثور هذه الوقعة بهم حقق عثورهم •والله تعالى يحقق تبارهم ودحورهم •

﴿ فصل فيه ﴾

وصلوا الى الخيم العادلية في الميمة الميمونه • واشتغلوا باستباحة أحوالها المصونه • فأطلقنا عليهم الاعنه • وشرعنا الى نحورهم الاسنه • وبعنا النفوس لنتسلم ثمنها الجنــه • وفرشناهم على الارض • وادينا باردائهم بعض الفرض * وانجلت المعركة عن عشرة آلاف قتيل مشرك * وشملتهم المنون فكانهم جاؤا على موعد مهلك * وارويننا من دمائهم ظمأ السيوف * وجعلنا اشلاءهم قرى الوحوش لا الضيوف * وأمن الاسلام بحمد الله من المخوف * وأدرك الله باخذ أرواحهم رمق الدين الملهوف * وهــذا دليل ظاهر على ركود ريحهم * وخمود مصابيحهم *

فصل

حملت عساكرنا عليهم * واحاطت بهــم من حواليهم * ورضتهم بالدبابيس واللتوت * وتركتهم صرعي بتلك المروت • وساحت بتلك الساحــة دأماء الدماء * واكتسى صرى

العراء بتلك الاشلاء * وأفضى بذلك القضاء جرهم الى الانطفاء * وامرهم الى الانقضاء ورتعت ثعالب الرماح من كلاء كلاهم في المرعى . وانجلت المعركة عن مهلكة عشرة آلاف فترى القوم فيها صرعي * وطابت من نتن جيوفهم ريح النصر * وحسنت من سماجة مرآهم وجوه الدهر * والان الان الله شده شكتهم وقط شوك شوكتهم . وهبت نكباء نكبتهم ونرجو ان يسهل من امرهم ما تصعب * ويؤلف بصدعهم من الاسلام ما تشعب

* فصل *

وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها * وتفرقوا فيها بجمعهم وتخللوها * وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر * وتموج بحارها الزواخر * فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الامراء والمماليك كولدنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايماز النجمي وبشارة وجرديك وعطفوا عليهم عطفة صدتهم عن الانعطاف * وصرفتهم عن الانصراف * وثارت آثارهم بواتر البواتر * واحتوت عليهم الضوامر احتواء الضمائر على الاسرار بالحوافر الحوافر * وفضتهم بالفضاء وعرتهم من كسوة الحياة بالعراء * وتمت امة الاسلام ببلائهم * وشفي الدين بدائهم * وكان بقاؤه في فنائهم * ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم * واتي القتل على اولهم وآخرهم * وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة آلاف قتيل * ملأت كل واد وسدت كل سبيل * وقد ذلت عزتهم وضعفت قوتهم * وعجزت قدتهم * ولما انقضت هذه الوقعة * وتم للناهضين الينا الرجعة * رأيت احد مماليكي ونصله قد خضب * وعزمه قد رضى بعد ماغضب * فسألته كم قتل * والى اين وصل فقال اما أنا فما ابقيت . وخضت البحر وما توقيت * وهذا غلامي قتل تسعة * وشام من عارض نجيعهم نجعة . وكان الذين حملوا وهزموا وقتلوا أقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفة * وعدموا ممن وراءهم مساعدة ومساعفه . وحكى من نوادر هذه الوقعه ان فرنجيا عقر فجثا للصرعه * فمر به راكب برذون * بغير رفيق ولاعون . فعرقب الفرنجي فرسه بسيف في يده * فنزل بجده مستنا في جدده * وقتل ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندى . وحل من وسطه ثمانين ديناراً . فانقلب رنجا ماعده خسارا * وامتلات الايدي بالاسلاب والاكساب . وحصل من العدد مالم يكن في الحساب . وبيعت الزرديات ذوات الاثمان بالرخص وزادت ارباح اهل السوق بذلك النقص

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الاخرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة ايام • بكتاب يتضمن نجح كل مرام *ومخبر بان عسكرا مجراً من الكفار • خرج للغارة على الاطراف والاقطار • فخرج اليه العسكر وأخذ عليه الطريق * وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق * فلم يصخ لهم رشد في منهاج * ولم ينج منهم ناج * فعضد ذلك الخبر هذا العيان * وقاموا بهوان الكفرة البرهان * وسر الخواص والعوام وخص وعم السرور * وأنارت المطالع وطلع النور * وشرع الفرنج في الخداع * والمراسلة في أمر للجنانيين عام الانتفاع * وسألوا في الصلح * والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح * وأذن لهم السلطان في الخروج * للنظر الى اولئك الصرعى بتلك المروج* وهي قد تورمت وأنتنت وجافت * وحميت الشمس على جيفها وحافت * وضافتها القشاعم والخوامع وعليها أطافت * فساءهم ماسرنا * ونفرهم ماأقرنا *

* ذكر ماتجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهرى بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط إشفاقا من التفريط والافراط *

وما زال الفرنج في وهن وضعف * وتوزع بينهم وخلف * حتى وصل في البحر * كند يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر * فكمل بمن وصل معه نقصهم * وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم * وافاض عليهم الاموال * وحلى منهم بعد عطلها الاحوال * ورصع بالرجال مراكز من صرع * وقرع السن ندامة على من قلع وقرع * وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع * فقد كان العزم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم * قبل ان يمدهم البحر بضعفهم * فكان من تقدير الله تأخير ماوجب تقديمه والتواني فيما تعين تتميمه* ولما وصل هذا الكند وتمكن * وقوى أهل الكفر بكل ماأمكن * أظهر انه يكبس عسكرنا ليلا على غره * وبدت منه أمارات كل شره وشره * وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس والمستأمنين * فاحضر السلطان امراءه وخواصه المؤمنين الميامين * واستشارهم فيما يقدمه من الصواب * ويفتحه في المصالح الراجحة من الأبواب * فاشاروا بايساع الحلقه * وادارتها كالمنطقه * والتنفيس عن العدو بالتأخر عن قربه * حتى يؤنس الى الخروج لحربه * فوافقهم السلطان على هذا الرأى وحسن في قلبه * فرحل يوم الاربعاء

السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى منزله الاول بالخروبه * واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة المطلوبه * ونزل العسكر على تلك الهضاب وحوالى سفوحها * واحتوت كل جثة خيمة ممن حل فيها على روحها * ورتب اليزك في المنزلة الاولى كل ألف فارس بالنوبة في يومين * وضويق باهل الصدق منهم أهل المين * وتدبر الترتيب وترتب التدبير * وعرف في اليزك أوقات نوبته وأوبته الصغير والكبير * وأما عكاء فالكتب مترددة اليها ومنها مع السباح * والحمام اليها ومنها تحمل البطاقات على الجناح * والمراكب تدخل اليها وتخرج * واليها وعنها تعوج وتمرج * واخبار ملك الالمان متواصله * بان انصاره له خاذله * وانه ضعف ووهي * وانه الى انطاكية انتهى * وانه تعوق هناك * وتوقع من مرامه الادراك * وتوقف عن المسير * واعتاض التعسير من التيسير * ووقع الفناء في جمعه * وتعجل قمعه قبل ان يصل الى محل قمعه * وانه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستجناد والاستنجاد * والاحتشاء والاحتشاد * وان أصحابنا يأسرونهم ويتلفونهم ويتلقطونهم * من الطرقات ويتخطفونهم * ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا * ويجمع قطافا ونطافا وألطافا * ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبه * وانه مستمر على المودة راغب في المحبه * ويعتذر عن عبور الألماني * وانه قد فجع في طريقه بالاماني * وانه لاقي من الشدة * ونقص العده * ووصل المشقه * وقطع الشقه * ما اضعفه واوهاه * وألهبه وألهاه * وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع * ويكون مصرعه هناك ولا يرجع * ويمت بما به كاده * وانه بلغ في أذاه اجتهاده * ويطلب رسولا * يدرك به من السلطان سولا * فاجيب في ذلك الى مراده * ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده *

﴿ ذكر حريق المنجنيقات ﴾

وفي رجب من السنة انفق الكند هرى بعد وصوله ماوصل معه من المال في الرجال * فاعطى عشرة آلاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال * وضايق مدينة عكاء أشد مضايقه * وأخذ القومص والكندود بذلك موافقه * ونصب عليها كل منجنيق * من الرمي غير مفيق * رجومه للشهب بالشياطين * ونجوم الحجارة تنقض من ارض الكفر الى سماء الدين * فهي مجانيق مجانين * وميادين ثعابين * ومسارح سراحين *

فاشتد على أصحابنا بالبلد وقعها • واحتد على صقعهم صقعها . وقالوا كيف نجد من مناصبها المنـاص • وهل ناقي من شؤم خصائلها الخلاص • فأجمعوا على الاقـدام وأقدموا على الاجتماع • واخذوا بالارتياء في ترك الارتياع . وخرجوا بالفارس والراجـل • وأموا بالحق أمـة الباطل • وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والستائر المضروبة الى خيـامهم • وخلفوها من ورائهم واللقاء من قدامهـم • فلما خلت المنجنيقات ممن يحميها . خرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها • فاحترق جميعها . وغرق في بحر النـار صريعها *
وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقاء • وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق البقاء • وأسر منهم خلق كثير • من جملتهم أربعة من المعروفين فيهم فارس كبير • فما أمهلوه حين أخذوه • حتى قتلوه ونبذوه . فطلبه منهم الفرنج بالاموال • ولم يعرفوا بالحـال • فأخرجوه اليهم قتيلا . فأ كثر الفرنج عليه بعـد التعويل عويلا . فباتوا يندبونه نوحا • ويذيعون سر تقدمه فيهم بوحا • فخمدوا بعـد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح المرام • وضربت عليهـم الذله • وشجتهم عقودهم المنحلة وعقولهم المعتله . وطمع فيهـم الناس . وعرا طمعهم الياس • وصارت الخنادق تهجم • والستائر تهتك وتضرم • والحدود بالمصال تثلم . والخدود بالنصال تلثم . الى ليلة شعبان من السنه • فآبت بالحالة الحسـنه *
فان أصحـابنا خرجوا على غره • ومضوا الى القوم بانكاء مضره • واحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا بعد كل استظهار . وأنفق على أحدها كند هري الفا وخمسمائة دينار • وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركه • ونعم الله لنا ونقم الله على العـدو فيها متداركه .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الاخر من رجب

قد تواردت الشكوى من البلد ان الذخيرة قد فنيت • وان الافكار باستدعائها عنيت • وان الاجسام لفقدان قوتهـا ضنيت • وأبطأ على السلطان وصول البطس المستدعاة من مصر بالغـلات • فرأى ان ذلك من تقصير الولاة • وافكر فيما يعجل به قوة وقوتا • ويجعل له اجلا موقوتا • فكتب الى والى بيروت عز الدين اسامه . ان يهجر في كل مابه عز الدين السآمه • ويعطي ويتزكى • ويحتال في انفاذ ميرة الى عكا . فعمر بطسة كبيرة واعدها • واجد من عزيمته الماضية فيها جدها • وتولاها بخلق سمح . وملأها باربعمائة غرارة قمح • ونقل اليها انواع الطعام . واصناف الادام • وقطيعاً من الاغنام • وهذه بطسة

من الفرنج مأخوذه . وهي بساحل بيروت منبوذه . فأمر السلطان بترميمها وتتميمها . واخفاء البغية منها وتكتيمها . وازيحت منهـا العله . ونقلت اليها الغله ، وملئت بالشحوم واللحوم . وبكل ما تدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم . وحمل فيها من أحمـال النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت . وارادوا ان تشتبه ببطس العدو في البحر ، وان لا ينكشف للفرنج ما لها من الستر . فتصوروا رهبانا، وصوروا صلبانا ؟ ومسحوا لحاهم ؟ ومسخوا حلاهم، وتملطوا وتكوفوا ، وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يخوفوا ؟ وشدوا زنانير ، واستصحبوا خنازير ، وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين ؟ والى محادثهم ومجاذبتهم منبسطين ، والقوم لجهلهم ، لا يشكون انهم من اهلهم ؟ ونسوا الحادث وانسوا بالحديث . وتصور الطيب بصورة الخبيث ، ولما حاذوا بهـا عكاء صوبوها نحوها والريح تسوقها ، والفرنج تدعوهم من مراكبها وتقول ما هذه طريقها ، وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها ، وقد عقت رفقتها ، وهي تكاد تعوقها ، فدخلت الثغر وادخلت اليه كل خير ، وعجب النـاس منها ومما تم لها من حيلة في سير ، واجتزأ البلد بها شهرا ، ووجد منها لكل كسر جبرا ، فيالها من لطيفة قضينا منها الارب ، ولم نقض منها العجب ،

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكاء

ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه الاستظهار . بان يشرعوا في تجهيز البطس الكبار ، ويملأوها بالغلات واصناف الاقوات، ويعمروها بالكماة الحماة الرماة ، ويرسلوها عنـد موافقة الريح الى الثغر ؟ فان خلصت اليه ولو واحدة منها اغنته بعد الفقر ، وتمادت الايام على هذا الامر ، واستبعد وصولها مع امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد اليأس يغلب ، والرجاء يضطرب ، ووردت كتب اصحابنا بعكاء انه لا يبقى لنا ليلة نصف شعبان قوت ، ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الامد موقوت ، فاشفقت النفوس ، واستشعر البوس ، والمت القلوب ، والمت الكروب ، والجأنا الى الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه ، ولا يخيب من رجاه ؟ ولا يضيع من استرعاه ، فلما كان ظهـر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة ثلث بطس كانهن الاعلام، واستبشر

بظهورها الاسلام ، وقد زفت عرائس جواريها الحسان وخفت رواسي سواريها الثقال، وذكرت بقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال ، والريح تطردها طرد النعام ، والماء يرسلها على رغم اهل النار الذين هم اضل من الانعام ، فما تراءت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيها، واحاطت بها تقاتلها من اقاصيها وادانيها، وهي تشق عليها وتشقها ، وتعوقها عنها وتعقها، حتى برت منها بر الإيمان الأ يمان. وهزأت بتلك الاكمات المطيفة بها جبالها الرعان وعبرت والكفر خزيان ينظر • ونهضت بالعز والعدو في ذيل الذل يعثر • ووصلت الثلث وهي سالمه • والمثلثة راغمة والموحدة غانمة • وقد فرج الله بها غمة الثغر • ودفع ما الم به من الضر • وحمدنا الله على الموهبة التي ادركت الارماق • وادرت الارزاق • وتلافت الارواح من التلف • وحملت عن النفوس المشفية مشاق الكلف •

﴿ فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى ﴾

كان كتب الينا أصحابنا بعكاه اننا حسبنا والى ليلة نصف شعبان لايبقى لنا شيء نقتاته • ويقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فواته • فبينا نحن في هـذا المهم مفكرون • ومن هـذا لهم متنكرون • اذ ظهرت للعيون بالقره • وللقلوب بالقرار والمسره • ثلث بطس على ثبج البحر مستقره • يبعثها لطف الله بعثا • وتحثها الريح القوية حثا • كأنها جبال باقبالها تروع • وانسور اجنحتها القلوع • وشعر الفرنج بها فضاقت مذاهبها • وبرزت مراكبها • ودبت عقاربهـا وقربت من البطس شوانيها • وقويت في البطش أمانيهـا • وحمى مافيها من فيهـا من الرجال • وهي تجرى بهم في موج كالجبـال • وكان جواريها عرائس يزففن بمـالهن من الجهاز • وكان البحر المتموج توب بتلك الأعلام المنشئات معلم الطراز • بل كانهـا تجار تحمل الصـدقات الى ذوى الاعواز • فجاءت فجأة متسقة موسقه • وأتى الأتيّ بها موافقة موفقه • فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شانئ • وكانت كلاءة الله وعصمته لها خيرا من كل كالئ • وجازت والكفر خزيان ينظر. وفازت بالعز والعدو بذيل الذل يعثر • وكان وصولها وان انفضاض الازواد وانفادها • فملات المدينة بغـلاتها وأزوادها * وعصمت ارماقها * ودنمت امراقها * وقسمت ارزاقها * وأشبعت جوعها ، وشعبت صـدوعها ، وانالت ارابها ، وازالت اجدابها ؛ وخصـتها بخصبها • وصحت لها بسحبها • فافاقت من الفاقة وافرقت من الفرق * وسكنت بعد القلق •

وعاد اليها بعد الفسق اسفار الفلق • والحمد لله المغني بعد الاعدام • المدني السني بعد الاظلام • المفني باوليائه اعداء السلام •

﴿ ذكر عيسى العوام ﴾
﴿ وما تم عليه فى العشر الاخر من رجب ﴾

وكان رجل يعرف بعيسى العوام • قد تردد بالكتب والنفقات الى عكاء ومنها في ذلك العام • وكان ناصحا امينا • يحفظ الاسرار ضمينا • يسبح ليلا في البحر • ويعبر على مراكب أهل الكفر ويصل بما معه الى الثغر • ولكم خاطر بنفسه فسلم • واعتورته أسباب المتالف والآلام فما ألم • واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه من اخطار • وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الفا دينار • ومعه من نفقات الاجناد ودائع • ومحقرات بضائع • فعدم ولم يسمع له خبر • ولم يظهر له أثر • فظنت به الظنون • وماتيقنت المنون • وكانت له لاشك عند الله منزله • فلم يرد ان تبقى حاله وهى مجملة محتمله • فوجد في مينا عكاء ميتا قد رماه البحر الى ساحلها • وأذهب حق اليقين من الظنون بباطلها • وبراه الله مما قالوا • وأحال الذي عليه أحالوا • فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس • وتعجب من حاله الناس • فلم يذهب بذهابه الذهب الذى صحبه • وطهره الله من الرجس وعنه أذهبه •

﴿ ذكر وصول ولد ملك الالمان الذى قام مقام أبيه الى الفرنج بعكاء ﴾

ذكرنا حديث الالماني وملم حادثه * وما أداه اليه من دواعي كفره وبواعثه * وكان مسيره من انطاكية يوم الاربعاء خامس عشرى رجب * ولقي في طريقه على اللاذقية الشجى والشجن والشجب * وآذن ضعف خيلهم * بضعف ويلهم * ووجدت لهم ما بين اللاذقيه وجبلة ستون سبعون فرساقد عطبت * وعلى أعوادعظامها سود الغرابيب خطبت * وقد استقبله المركيس * وقصد • التأنيس * وان يهديه بضلاله الى الطريق التي تؤمن طوارقها * ويتسع عليه فيها مجال الأمن وأن سلكت مضايقها * فوصل به الى طرابلس في العشر الأول من شعبان * ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان * وحزرهم من شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا * وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا * ثم انتقل في البحر * الى عكاء في موضع الحصر * ووصل آخر النهار سادس شهر رمضان *

بعد ان عاين في البحر من اختلاف الهواء الهوان * فلم يبق له وقع * ولم يحصل لحرق القوم به رقع * وأقام بين جنودهم * كأحد كنودهم * وقال الفرنج ليته لم يصل الينا * ولم يقــدم علينا * فانه لو أقام في موضعه * وامدنا بفيضه من منبعه * لهيبت عظمته * وعظمت هيبته * وأرعب روعه وراع رعبه * ورجي منــا وخشي من المسلمين قربه * وقد قطع بنا منذ وصل * وحص لنا جناح نجاح حصل * ووصل في البحر وحده * ولم يستصحب جنده * ثم وصل اليه الاصحاب * وتقطعت بهم الاسباب * ثم رام أن يضهر لجيشه وقعا * ويبدى له نفعا * ويثير لنقع غلة ثاره نقعا * فقال الام القعود عن القوم * ومابقى الا النهوض اليهم من اليوم * ولا بد من ضرب المصاف معهم * واني على الخروج اليهم لادفعهم * فقالوا له أنت ماأرثت وهج قتالهم * ولا أثرت نهج نصــالهم * ولا حربت بحربهم * ولا كربت بكربهم * ولو حزبت بحزبهم * لأصحب جماحك لجماح صحبهم * فابي ونبا * وشب الشبا * فلما عرفوا جهله • وان صعب الامر عنده ساوى سهله • قالوا له نبتدئ بالخروج الي اليزك • فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم في الشرك • فدبوا في راجل كرجل الدبى • وخيل أغصت الوهاد والربا • ومرجوا في المرج • وطووا تلك المدارج طي الدرج • وأشملوا الخرصان في ليل النقع عوض السرج • وقربوا من تل العياضيه • وعليــه خيم اليزكيه • والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصريه * والعصبة الموصليه • فلما بصرت بهم ثارت اليهم • ودارت عليهم • وانهضت بنات الحنايا من خدودهم الى الجدور • وأوردت ظماء الظبى منهم ماء التامور • وأنبعت بالنبع من عيونهم العيون • واستخرجت بالضرب من أعناقهم الديون • وطيرت باطارة السهام الى الاحداق بهم الاحداق • وخاطت الاماق وما أخطأت الارماق • وصار كل سهم سهم شهم • وخطر في محل خاطر اسرع من وهم • وركب السلطان من خيمته وتقدم الى تل كيسان • ووقف ينهض بعده الفرسان • فلم تزل وجوه البيض تحمر • وثنايا السمر تفتر • وذيول النقع تجر * وصفحات الجو تغبر • وارجاء رجاء النصر تخضر • الى أن جن الظلام • وكف الكفر وسلم الاسلام • وكانت الدائرة على الكفره • فأعرضت بالوجوه المتنكره • وأبنا بالأنوار المسفره • ومر الالماني متألما • ومن ظلمة حاله متظلما • وبكلوم قلبه متقلبا متكلما • وقد عاين ماعاناه من العناء • وشق عليه ماشق مرائره من الشقاء • وبلي مما بلي به من البلاء • وعلم ماجهله • واستصعب ما استهله • وذاق ما ضاق به ذرعه • وكاد يتم في القتلى رصفه لو تم صرعه • لكنه تجرع

من الغصص ما سهل عليه الموت جرعه * وتاب وما ثاب * وابى الرجوع الى اللقاء لما آب. وحينئذ جدوا في قتال البلد وحصاره . واتباع ليل الجد فيه بنهاره *

﴿ ذكر برج الذبان ﴾

وعند ميناء عكاء في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهو في حراسة الميناء عظيم الشان . وهو منفرد عن البلد . محمي بالرجال والعدد . وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان * في الثاني والعشرين من شعبان . ببطس كبار جهزوها * ومراكب عظام وآلات ابرزوها . ومكر مكروه * ودبر دبروه . وبغي غي بلغوا غاياته * وريب راي رفعوا راياته . وشر شرك الهبوا شراره . وأيد كيد أرهفوا غراره . وعنان عناد أطلقوه * ولسان ضرام اذلقوه . ويد بطش بسطوها * وعقلة معالقة انشطوها . وأحدثها لمراكب قد ركب برج على رأس صاريه . لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشي حشاه بالنفط والحطب . وضيق عطنه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته * أعدي اليه بآفاته . ورميت فيه النار فاحترق . واحترق من الستائر والاخشاب ما به التصق * وتستولي النار علي مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها . ولم يقربوا منها . فسهل عليهم فيه التسلق . ولم يصعب به التعلق . وملأوا بطسة أخرى باحطاب * يسري فيها النفط ويسرع بالهاب . حتى يوقدوها . وعلي السفن التي لنا بالميناء يوردوها . فيعدى عدوانها . وتنير وتسدى فيها نيرانها * وهم في مراكب من ورائها للحرب مستعدون . وللشر مستمدون * حتى اذا تم برجائهم في البرج والميناء مناهم . نالوا من الاستيلاء والاستعلاء غناهم . فلما قدموا البطسة ذات البرج المممور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء الامر بعكس ما قدروه * واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا . فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا . بل اشتعل برج الصاري وتراجعت نارها الى اهلها . وعاملت ذوي الجهل بجهلها . واوقدت بطسة الحطب من ورائها * وتطايرت اليها شعل اذ كائها . وعادت على الفرنج فالتهبوا . وحمي عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا . فانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا . واحتمي برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب . ولم يفتح للعدو في الكيد له باب .

فصل مشبع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الى سيف الاسلام باليمن

وأفكر الافرنج في أمرهم وأجالوا قداح الرأى في مكر مكرهم • وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان • منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان • فاذا أخذناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا • واذا لم نؤثر بمجيئنا تأثيرا فلاى سبب جينا • ومن حديث هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه • وهو قفل ميناالثغر على مراكبه • وقد رفعناه واعليناه • وبالعدد والرجال قويناه • وبالجرخية والرماة والزراقين والمنجيقية ملانّاه وبكلاءة الله وعصمته اياه عصمناه وكلاءناه • وقد حاموا حوله حولا • فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولا حولا • فعمدوا الى أكبر بطسة واتخذوا فيها مصقالا كأنه سلم • وهو في مقدمها مركب مقدم • وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب رأس السلم على شراريفه • وصعد الرجال اليه في تجاويفه • وتعبوا في ذلك اياما * واشبعوه توثيقا واحكاما • وهو بمرأى من الاصحاب ينظرونه ويتنظرونه ويبصرونه • ويستنجدون الله عليه ويستنصرونه * والقوم قد اصبحوا بتلك البطسة زاحفين • وعلى ذلك السلم بعددهم واقفين • حتى اذا التصق بالبرج التصقت به قوارير النفط • وتوالت أمطار البلايا من الجروخ والحجارات والمنجنيقات على اولئك الرهط • ووجدت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم • وناب القوم من فجيعتهم بها المصاب الذى ألم بهم وآلم • وقتل منهم من باشر القتال • ونزل العذاب بمن حاول النزال • والحمد لله الذى آيات ظهور دينه متناصره • ودلائل نصر أوليائه متظاهره • ثم عمل الفرنج برجاعاليا في أكبر مركب • وحشوه بالحطب • وعملوا على رأس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق • ويتأتى له فيه الاحراق • وقدموه الى برج الذبان * وسلطوا على جوانبه جواني النيران • وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور • ورأوا ان في ذلك هدم بنيانه المعمور * وحسبوا ان الستائر اذا وقعت فيها النار • تعذر على رجاله القرار * وتعجل منهم للحذار الفرار * وكادت الستائر تشتعل * والخواطر تشتغل • والحال تضطرب * والبال يلتهب * والقلوب تضطرم * والكروب تحتدم • فأهب الله من مهب لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المحروس • وأكبت الفرنج على الوجوه الرؤوس • وتعس جدهم • وتعكس قصدهم • وانقلبت الريح التي لهم عليهم • وصوبت

مرامي العذاب اليم *

﴿ فصل في المعني ﴾

ولما وقم الله القوم • قالوا لاطاقةلنا اليوم * وعادوا وقد غرموا ورغموا . وأخلف ما عزموا وزعموا * واشتغلوا بملء بطس لهم شحوماواحطابا *وادهاناًواخشاباً *واشعلوا فيها النار وألهبوها . وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها • وادنوها منها وقربوها * وكادت سفننا تحترق * ومراكبنا تفترق . فانزل الله الفرج وقت الشدة وآمن من المخافة المحتدمة المحتده • وانقلبت الريح عليهم وعادت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقه • وحالة تلك الحاله للعادة خارقه * فاحترقوا بنارهم • وشرقوا بعارهم • وجذبت بطس أولئك الكلاب بالكلاليب • وتوالت الطاف الله في تلك النوب المتناسقة مطاردة الانابيب * مستهلة الشآبيب *

﴿ ذكر الكبش وحريقه ﴾

(بعد تعب العدو في أحكامه وتسوية طريقه)

واستأنف الفرنج عمل دبابة هائله • والة للغوائل غائله . في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين أقفال الاسوار المغلقة بها تفش • فكم سور اذا نطحته طحنته • وكم معقل حصنه الدهر حصته ومحنته • وهذه الدبابة في هياة الخربشت الكبير وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد . وكملوا لها أسباب الاحكام الشديد • ولبسوا وأسى الكبش بعد الحديد بالنحاس . وكسوها حذراً عليها من النار سائر لباس الباس • فلم يبق للنار اليها سبيل . ولا للعطب عليها دليل . وشحنوها بكماة المصاع • وحماة القراع . ورماة الحدق * وكساة الحلق • وعفاة الحتف • وجفاة الزحف • ومجتابي الزغف • ومجتبي العسف • من كل سرحان لاينظر الا من جلد أرقم • وكل شيطان لايقتحم من الحروب الا جهنم • وكل شجاع لايعتقل الا شجاعا • ولا يري لغير النجيع القاني اقتناء ولا انتجاعا • فلما استدفت لهم هذه الدبابه • وماجت بالحديد لجنها العيابه • وأطافت بذلك الكبش تلك التيوس النبابه • وأمنوا عليها الحريق * وأموا بها الطريق • سووا بين يديها الارض . ومهدوا الطول منها والعرض • وحبوها حتي سحبوها * وقروا بها اعيناً بل أنفساً وقربوها • فجاءت صورة يزعج مرآها • وروضة يعجز مرعاها • وآلة

تروق هيأتها • وعدة تروع هيبتها ، وبلى البلد من دنوها بالبلاء الداني * وتغاشت وتعاشت دونها نفس الرامي وعين الرائي • وقال أصحابنا هذه مافي دفع خطرها حيله * ولا لبارق الظفر بها مخيله • فكيف العمل • وفيم الامل • ومن للكبش المظام وقطع راسه ومن لبناء الحديد ونقض اساسه • فان كانت هذه الدبابة دابه الارض فما هذا أوانها • وما حان زمانها • ولقد قامت بها قيامة الحشر فقام برهانها ونصبوا على صوبها مجانيق • ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق • فأبعدت رجالها من حوالبها • وطردت المطرقين بين يديها * ثم رموها للحزم بحزم الحطب حتى طموا مابين القرنين بجرزه • وقذفوها بالنار فترنم في أثنائها عجاج اللهب برجزه • ودخلت من باب الدبابة فاشتعلت نار ضلوعها • وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها • وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالبتيات . يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل المستوليات • فأطفأوا نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن • ولم يحسوا بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكوامن . وحين اخمدوا الجمر . احمدوا الأمر • ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقوفها • حتى ترك على ماغطى الخشب من الحديد وقوفها . وحينئذ خسفها المنجنيق * فانهد ذلك النيق • وصوح ذلك الروض الانيق • ووهن ذلك التركيب الوثيق • ونفقت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابه • وخرج من بالثغر المحروس * باشرى الوجوه طيبي النفوس • وقطعوا رأس الكبش • واستخرجوا ماتحت الرماد من العدد بالنبش • وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله • واستطاب لثلج صدره وبرد يقينه حره واستخف ثقله • وقدرمانهب من الحديد بمائة قنطار • فقل في آلة لبست بهذا المقدار وهو اعظم مقدار • وعاد اصحابنا على عدوهم ظاهرين • ولحزب الكفر قاهرين • وكلهم ينشد وهو ينشئ وينشد جدا وجداً *

ناؤات كبشهم ولم * ار من نزال الكبش بداً

وقنط الكافر وكفر القانط • وسخط الشيطان واستشاط الساخط • وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم * وهبطت آمالهم . ان الشقاء ادركهم والشقاق اهلكهم * وان مدبرهم مدبر . وان ترتيبهم مدمر • وان آلاتهم غير نافعه . وان نهلاتهم غير ناقعه . والحمدلله ذى الطول العميم • والفضل الجسيم • الذي نعش • عثار الثغر بعد ان تل للجبين فتلينا قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم • وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان واحترقت البطسة يوم الاربعاء خامس عشره •

وفى هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عساكر الشمال . يقدمهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب . وقد استصحب معه الاجناد وجاب ، فجاء عشية وجدد بلقاء والده عهده . ثم عاد وعاد بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر * وقد استكثر معه واستظهر * وعز الدين بن المقدم . ذو القدر الافخم * والنجر الاكرم . وحسام الدين حسين باريك وجماعة من الامراء . من ذوي المكانة والبسالة والغناء . وقدم الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك . وقد استصحب غلمانه الاكاديش ومماليكه الترك . وكان لذلك اليوم رونق . وصفاء لم يشبه رنق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم . جحيميين يلتهبون بنار الجحيم . وتركهم اصحابنا حتى قربوا من السور . واقدم العدو اقدام المتهور الجسور . فلما ازدحموا وكثروا . واضطرموا واستعروا . غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام . ودعت اليهم الاقدار بحنين الحنايا فلباها في لباتهم الحمام . وزارتهم من الزيارات الجروح . واخذت نيرانهم تبوخ . ورضتهم المجانيق بالاحجار . وآذنت عيون جحيمهم بالانفجار . وخرج اصحابنا عليهم فشلوهم الى الخيام . وفلوهم بحد الاقدام . وافضي الخرق بالعدو الى الخرق . واخلقت بجدة جدنا جدة أولئك الخلق *

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب انطاكية اغار على غره . بشره وبشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد مشرفة عليه من خطره . فرتب اصحابنا له كمينا . ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا . فقتلوا أكثر رجاله . وافات وباله في وباله . وانهاض من تلك النهضه . وضعف من تلك العضه . وفي هذا التاريخ القت الريح الى ساحل الزيب . بطستين خرجتا من عكاء بجماعة من الرجال والصبيان والنساء للتغريب . وفيها امرأة محتشمه ، غنية محترمه . فأخذتا وأخذوا وأخذت ؟ وجد الفرج في استنقاذها فما استنقذت . وسرنا ما ساء العدو . وآتانا الله من احسانه المرجو * وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم * وخص بهذا الرحيل النفع وعم * وكان سبب ذلك انه كثر المستأمنون الينا من الفرنج . وأخبروا

انهم في عزم الخروج الى المرج * هائجين للثار ثائرين الى الهيجاء * مائجين في دأماء الدماء لحب اللقاء * وصح هذا الخبر وصدق * ووضح الحق وتحقق * فاحضر السلطان الامراء الاكارم * ورجال الحقائق الضراغم * الذين هم له اعوان صدق لساعات أيامه * وذخائر لصر عند اعتزامه * فاستشارهم واستثار كوامن سرائرهم * واستنبط دفائن ضمائرهم * واستكشف منهم الصواب • وتعرف من جانبهم الجواب * فقالوا الصواب ان يفسح لهم عن هذه المروج * حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج • فنصبحهم في اليوم الآخر * ولا يتعذر بهم احداق العساكر * وانما لايقدرون على القصـد دفعة واحده • الا اذا كانت أيديهم متساعدة وآراؤهم متعاقده * فان انفردوا عن الراجل وساقوا كسرناهم وأسرناهم * وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصددناهم * واجمعنا على أن نرحـل الى شفرعم ونخيم على هضابه * ونبطل على العـدو ما كان من البيات في حسابه * فخيمنا هناك على أحسن تعبيه * وسنينا أسباب اللقاء أتم تسنيه * ورحبت المنازل * وعذبت المناهل * وعادت معالم تلك المجاهل * وحللنا التلاع والا كام * وركزنا بتلك الاعلام لاعلام * ونزلنا المقام الشتاء مستعدين * ولاسباب التوقي من الامطار مستجدين * واضحينا على تلك الاطواد موطدين * وعند تلك الاوتاد موتدين * وتسنمت تلك الفروع وفرعت تلك الأسنمه * وتمكنت تلك البنى وبنيت تلك الامكنه • وتحركت تلك الجبال بسكانها • وأحبت الرجال التوطن بها وسلت عن أوطانها • ودارت الاسواق • ودرت الارزاق • وأنارت الآفاق • وصهلت الصلادم على معالفها * وصقلت اللهاذم لمراعفها • ونوب اليزك بحالها تدور وترود • وتعيـد وسم الحفظ والحماية وتعود * والحرب تتناوب * والزحف يتعاقب * والاقران تتواقع والوقائع تتقارن * والاعوان تتعاضد والاعضاد تتعاون • والعتاق بصهيلها لحب الطراد تحمحم • والرقاق بصليلها لشوق الجماجم تجمجم • والمقربات للاجراء صوافن • والضوامر للشد ضوامن • ومنى المناصل صلة القطع • ورجاء الرجال نبع النصر في قرع النبع بالنبع • والتوحيد للتثليث منازل • والايمان للكفر مقاتل • ولا كلام الا للكلام • ولا سلام الا بالسلام • فلا يسمع الا أسرج والجم * وتقدم وأقدم • وأصم وصمم • وأضر وأضرم • ولا تله حتى تلهب • ولا تهج حتى تهجب • وأقطع وصل • وأكتل بصاع المصاع وكل • ولا تقلق والق وقلقل * ولكل داع إجابه • ولكل ساع اصابه • ولكل سهم في المرمى فوق • ولكل شهم في المرام سوق • ولكل صعدة في الطعان صدعه •

ولكل قعدة للرماء قدعه • ولكل عقـدة بالضرب حل • ولكل عدة في الحرب فل •
ولكل عضب عض • ولكل ذي حظٍ حض • ومن له نصيب في الشجاعة نصب في
التشجيع • ومن له جراءة الهيجاء هاج الى الصريخ بالجـد السريع • والايام منا على
هذه الحالة مندرجه • ومياه الحديد بأمواه الوريد ممتزجـه • والفرج منتظر والنواظر
متفرجه • وتباشير صباح الصفاح في دياجير القتام متبلجه • ولله نعمة في كل بليه •
وسرٌّ في كل قضيه *

﴿ ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل ﴾

في ليلة الثلثاء ثامن عشرى شهر رمضان وما جرى بعده من الحال

قد جرى ذكر هذا الامير • وما يتحلى به من الكرم والخير * وهو يوسف نيالتكين بن
علي كوچك • ومن سـعادة جده ماطلب غاية في الكرم الاادرك • وما كان أسره يوم
الحضور • واحظره يوم وفاته للسرور • فلقد كان جارا للكتائب • بار بالاباعد والاقارب •
سارا باسداء المواهب • دارا بأخـلاف الرغائب • مارا في سبل المناقب • قارا على قلق
النوائب • وكان في ريعانه الرائع • وشعاعه الشائع • وشبابه الطرى طرير الشبا • وحبه
لعقد السودد معقود الحبا • فرضت الايام بمرضه اياما • وتلهبت القلوب منا للتلهف عليه
وقد أمست مراضا ضراما • وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به • ولم يسكن الى طبه •
لما كان يعلم من منافسة أخيـه مظفر الدين في موضعه • وانه ينتعش بمصرعه • فاكتفى
بصاحب له يطبه • يوافقه على مايحبه • وهو جاهل بمزاجه • ذاهل عن علاجه • فشب
الحمام في حمى شبابه ناره • وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهي أزهاره • وما انضر اضاره •
ونقله الله من جنـاب الحياة الى حياة الجنان • وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان •
وحوله من بين الأتراب الى التراب • ومن داو الاغترار والاغتراب الى موطن الثواء
بالثواب • وآذن الزمان بعد الاجداء بالاجداب • ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه *
وماظهر عليه الغم حتى قيل انه سره موته ووافقه • وقصدناه معزين على ظن انه جلس للعزاء •
فاذا هو في مثل يوم الهناء • وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه • واحتاط على جميع مايحويه *
ووكل بالامراء أصحاب القلاع ليسلموها * وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها *
وخدم بخمسين الف دينار حتى اخذ اربل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وسميساط

والبلاد التي معه واعادها • وزاده السلطان شهرزور • واحكم بمسيره الاسباب والامور • فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين • لينزل في منزلته بجنده وصحبه الميامين • فوصل يوم الاحد ثالث شوال . فخلي بعد العطل الاحوال • وكان قد انفصــل صاحب الجزيرة معز الدين سنجرشاه وذهب مغــاضبا • وكان السلطان له في الانفصال عائبا . فاعاده تقي الدين من الطريق • وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة من عدم التوفيق • وكان هــذا سنجرشاه دخل يوم العيد بكرة للهناء • فاستأذنه في الانكفاء ، فخرج على حالته وسار وتبعه اصحابه • ولج جماحه وتعذر اصحابه • فلما اجتمع به تقي الدين رده * وبذل في صيانة منزلته عند السلطان جهده . وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام • وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام • وصدق الاعتزام . وتقرر ملاله * وتكرر سؤاله • فكتب اليه السلطان

من ضاع مثلي من يد يــــه فليت شعري ما استفادا

فلما قرأ هــذا البيت ما راوح في الخطاب ولا غادي • وغلت الاسعار عند الفرنج واستعرت الغلل . واعلهم ما عراهم وعرتهم العلل • وباؤوا بالوباء • وبلوا من البلاء * وغلوا من الغلاء • وتضوروا من الضراء • وشق مرائرهم استمرار الشقاء • وعمت المجاعة الجمــاعه * وعدموا الطاعة والاستطاعه . وزاد جوعهم • وزال هجوعهم . وقصرت عن القرار بوعهم • وامحلت ربوعهم • واستحال رتوعهم • وبعثهم الرهب . على الهرب * والقحط • على الشحط . لكنهم اقاموا على الموت . واستناموا الى الفوت . وبلوا بأمور صعبه • وهرب الينا منهم عصبة بعــد عصبه . وقد بادوا من الضعف البادي . واعداهم الضر العادي . فمن سألناه عن مقتضى فراره • ومقض قراره . يخبر انه طواه الطوى * فنواه النوى حين التوى • من حذر التوي • وقد انساه المحل الذحل . وابغض اليه حب السلامة الولد والاهل . وكانت الغرارة من الغلة قد بلغت اكثر من مائة دينار • والسعر من الزيادة لديهم في استعار • فــا جاء الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال • ولا منسكة لاعتلاق رمقه من الاعتلال • فقبلناهم وانفقنا فيهم • والفناهم بما يكف ضررهم ويكفيهم . فتقوتوا وتقووا . واثروا بعد ما اقووا • فمنهم من اسلم وخدم ، ومنهم من ند وتندم * ومنهم من غدا بجريرة وعاد • ومنهم من ناصح فاستفاد *

ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم • واشرقهم جرعهم • وعرقهم قرعهم • واخلفهم خلف عيشهم وضرهم ضرعهم .وعيل صبرهم • وعال ضرهم • قالوا نخرج ونبلى • ونصل ونصلى • ونقصد ونصدق . ونلقى ونقلق • ونفل ونفلق . ونعز ونعزم . ونهز ونهزم • ونجرى ونجترى . ونبرى ونبتري . ونزحف ونحفز ؟ ونزعج ونعجز • ونجهد ونجهل • ونحمى ونحمل • ونقطع ونوصل • ونثور ونثير ؟ وندور وندير • ونتصف وننصف ، ونعفر ونرعف ، ونقرح ونحرق ، ونعقر ونعرق . ونخرج ونحرج . ونلج ونلجج • ونضرى ونضرب • ونغلى ونغلب • ونجن ونجني ، ونتيف وننفى . ونرد ونردي ، ونجد ونجدى . ونقد ونقدم ، ونعدو ونعدم ، ونصد ونصدع ، ونقد ونقدع ، ونجد ونجدع ، ونصر ونصرع • ونسل ونسلب ، ونروع ونرعب * ونبدو ونبيد * ونتصدي ونصيد * ونظهر ونظفر * ونرهق ونقهر * ونقسو ونقسر * ونسكر ونكسر ، نخرجوا في عدد خارج عن العد • واستقاموا مع الاعوجاج على جدد الجد * وذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال • وأخذوا معهم عليق أربعة أيام وزادها • واستصحبوا أنجاب الكريهة وأنجادها • وكان اليزك على تل العياضية فركبوا * وأشعلوا القوم بنيران النصال وألهبوا • فنزل العدو تلك الليلة على آبار كنا حفرناها عند نزولنا هناك * والحمية الحامية المنبعثة على تلك البعوث ماتركت الاتراك * فباتوا حول القوم يرمون ويدمون • ويشوزون ويصمون * ولما اتصل خبرهم بالسلطان رحل الثقل الى ناحية القيمون * وثبت الله القلوب على الأمن والسكون • وبقى الناس على خيلهم جرائد * وقد استعذبوا من مر الكريهة الموارد • وركب العدو يوم الثلاثاء سائراً * وقد عب عبابه زاخراً • وهب غابه زائراً * وطما بحره مائجاً • وسما جمره مارجا * وعساكرنا في أحسن تعبيه • ولدعاء القراع فى أوحى تلبيه * وقد امتزجت زجرات الجاووش * بنعرات الجيوش * والميمنه الى الجبل ممتدة • والميسره الى النهر بقرب البحر وصفوفها مشتدة مستده * والسلطان في القلب كالقمر فى الهاله * عليه اكاليل من أنوار الجلاله * فسار حتى وقف على تل عند الخروبه * على المهابة الحالية والحالة المحبوبه * ومقدموا ميمنته • عظماء دولته * صاحب دمشق ولده المبجل * الملك الافضل *

وصاحب حلب الملك الظاهر • وصاحب بصرى ولده الملك الظافر * وأخـوه الملك العادل فى آخرها * والامراء بعسا كرها * يلى حسام الدين بن لاجين • قايمـاز النجمي صارم الدين * والامير بشارة صاحب بانياس * وهو الذى لايرجو منازلته الا من فيه بان الياس * ثم بدر الدين دلدرم الياروقي صاحب تل باشر * وقد طالمـا بشر الاسلام بمـا باشر * وعدة كثيرة من الامراء يطول ذكرها * على انه يطيب لنشرها • وعظماء الميسرة ومقدموها * وأمراؤها ومقدموها * الملك عماد الدين صاحب سنجار * وهو العادل للاسلام وعلى الكفر جار * وابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة * والملك المظفر تقى الدين ذو السطوة المبيدة المبيرة * وسيف الدين علي المشطوب * الذى نشب بناره الحروب * ونصب على العدا منه الكروب * والهكارية والمهرانيه * والحميدية والزرزاريه * وأمراء القبائل من الاكراد • أقتال القتال وأجادل الجلاد * ورجال الحلقة المنصورة واقفون فى القلب * لابسى الحلق السرد خائضى بحر الحروب * من كل فارس فراس * وهرماس رماس * وضيغم ضاغم * وضرغام غارم * وليث قضقاض * ملوث بفضفاض * وقسور قاسر * * وهزبر زابر زائر * وأسـد في غاب الأسـل * وقارع في القراع باب الاجل * وقار ثعالب الخرصان وذباب الظبا من دم الاقران * وقار على الثبات على قلق ثبات الشجعان * وقارئ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثقة بوعد القرآن * وقارن حج النجح بعمرة عمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر الجنان * وسابق الى حلبة الشهاده * وسامق على ذروة السعاده * وملابس للروع مباسل • وعاسل كالذئب الى ذب العدا عن الهدي بعاسل • وسار الفرنج شرقي النهر لنا مواجهـين • وللكريهة غير كارهين * حتي وصلوا الى رأس النهر * وأشفقوا من بأس القهر * فانقلبوا الى غربيه ونزلوا على التل بينـه وبين البحر * والجاليشية الرماة منا حولهـم جائله • وعيون أعيانهم على نصالنا سائله * وجرح في ذلك اليوم وهو الثلاثاء خلق من أهـل التثليث * وما نبا عن كثير منهم ناب النائب الكريث * والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد * ولله منه الجاهد المجاهد * وأصبح الفرنج يوم الاربعاء راكبين * وعن سبيل اللقاء ناكبين * ووقفوا على صهوات الخيل الي ضحوة النهار * والراجل مطيف محدق بهم كالاسوار * وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا أن يخالطوهم * وأرادوا ليباسطوهم * والسلطان يمـد الرماة بالرماه * والكماة بالكماه * وهم ثابتون نابتـون * ساكنون

ساكتون * ونحن نقول لعلهم يحملون * ويغضبون فيجهلون * فنتمكن من تفصيل جملتهم بحملتهم . وتفريق جماعتهم * وتفريج الغمة بنزع جمتهم * وأحس العدو بالضعف * وانه متورط في الحتف * فسار موليا * ولعذره لذعره مبليا * ومضى على مضض * ومر بأشد مرض * والنهر عن يمينه والبحر عن يساره * وقد أيقن إن صح منه الثبات بانكساره * وعسكرنا يصافحهم بالصفاح * ويكفهم بالكفاح * ويشعلهم بجمرات السهام * ويلهبهم بجدمات الضرام * ويحرقهم ويشويهم * ويصميهم ويشويهم * ويفيض على غدران السوابغ منهم جداول القواضب * ويخيض في دأماء الدماء منهم سوابح السلاهب * ويفيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند * ويغيظ بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابنتي الغمد والزند * وادبروا مولين * وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين * وعسكرنا يتبعهم * ويعلق بهم ويقلعهم * وهم مجتمعون في مسيرهم * محتمون في تقديمهم وتأخيرهم * يتحركون في سكون * ويتظاهرون في كمون * ويتطلعون في غروب * ويتفللون بغروب * ويتذوبون في جمود * ويتلهبون في خمود * وكلما صرع منهم قتيل حملوه وستروه * وطموا مدفنه وطمروه * حتى يخفى أمرهم * ولا يصح لدينا كسرهم * ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق * وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق * وأبلى المسلمون فى ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا * واتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكنا * وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما أقعد فيه من الكفرة كل قائم * وأنبه به من العزائم كل نائم * وكان مقداما هماما * واسدا ضرغاما * يطير وحده الى الروع اذا أبدي له ناجذيه * ويجيب المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه * وهو فى كل يوم يصبح فى سلاحه شاكياً * وبنار عزمه ذاكياً * ويقف بين الصفين * ويدعوا الى المبارزة والحين * فما يبرز اليه الا من يصرع * ولا يصل اليه الا من يقطع * فعرفه الفرنج وتحاموه * فما راموه بعد ذلك ولا راموه . وبذل هذا اليوم جهده . وفل فى فل حدهم حده . واصابته جراحات . وأصابتهم اجتراحات . وكذلك سيف الدين يازكوج ابلى فى الجهاد ذلك اليوم . ووقم بنصاله ونضاله القوم . وخرج وبه جرح . وفى قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة سهامه قرح . وأصبحوا بكرة الخميس . وقد بكر الخميس . وحمي الوطيس . وسار في أسده العريس . فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم . سائرون الى مجثمهم . فعاد السلطان الى سرادقه . حامدا خلائق خلائقه . مسفراً فى ليل العجاج فلق فيالقه . واستعاد الاثقال

الى معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . ونحر بتفرده عن ملوك الارض بنون ملائكة السماء وتفرد بمفخره * وكان مع الفرنج الخارجين المركيس والكندهري * واقام ملك الالمان على عكاء يبرى ويفرى *

* فصل من كتاب في المعنى *

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر * واثقين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفي مرج عكاء عين غزيرة الماء

يجرى منها نهر كبير الى البحر ! فخرجوا الى شرقي النهر ، وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد ، وقد تخلف لحفظ حصره الوف من اهل الجلد . ثم اصبحوا يوم الثلثاء والنهر عن يمينهم ، والاسد سارة بالاسل في عرينهم ، والحمية مشتعلة في عيونهم وعرانينهم ، ونزلوا رأس العين ، وتطرق بهاالبهم من عسا كرنا المنصورة طارق الحين ، ولما اصبحوا وجدوها بهم محدقة ، وبنيران النصال والمناصل لهم محرقه ، وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف * والامر بالخلاف ، وانهم لسهام المنون من الاهداف ، وما دارت بهم الا الجاليشيه تجول وتصول ، وتصيب وتصوب وتطيل وتطول ، وكانت الاطلاب واقفة تنتظر حملاتها ، وتستعد لوثباتها وثباتها ، فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب . عدوا الغنيمة في الاياب ، وشرعوا في طريق الذهاب ! فعادوا من غربي النهر راجعين . وساروا صوب خيامهم مسارعين ، واصحابنا وراءهم يرمونهم ؟ ويشوونهم ويصمونهم ، وقتل منهم خلق ، وسرى في حجب حياتهم خرق ؟ ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين هائبين ، ورحلوا سحرا خاسئين خائبين ، وخيولهم الناجية مجرحه ، وقلوبهم الراجفة مقرحه ، واشلاؤهم من كسوة الحياة عارية وبالعراء مطرحه ، وعرفوا ان حركتهم للهلكة ، وان هلكتهم في الحركه ، واقاموا على الضر والزاد معدوم ؟ والبلاء لكل منهم منفرد وعليهم مقسوم ، ولا طعم لهم الا من لحوم الخيل ، وهم يدعون بالثبور والويل . ومع كثرتهم قلوا عناءا ، وضلوا رجاءا ، وذلوا بلاءا ، واعتلوا جدبا وغلاءا ، ولما عاد الفرنج الى خيامهم ، خافقين من مرامهم مخفقين من مرامهم ، وابصر المقيمون بها اصحابنا وراءهم ، يطلبون ارداءهم ، متعطشين الى دمائهم يرومون ارواءهم ، وثبوا على جيادهم ! وثاروا لمراد مرادهم * ولاقوا اجمعنا بأجمعهم ؟ وفاضوا لفيضنا من منبعهم *

فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا ؛ ثم ردوا عليهم الكرة فأثخنوا واجهزوا ! وقتل في تلك المعركة كند كبير ! وشيطان لنار شره من سعيره مستعير ، وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فأعطوها ! والتمسوا هامته فلم يجدوها . وكان رجلا يعد برجال ! وسلبه قوم بأموال، ولولا ما اتفق من التياث مزاج السلطان ، ما سلم من سلم من حزب الشيطان ! ولله في كل قضية سر * وفي كل بلية بر *

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقاً في آرائه ، مشرقا بلالاء آلائه ! ومن آرائه الراجحه * ومساعيه الناجحة ، ومتاجره الرابحه ، انه رأى ان يرتب على العدو كمينا ، وعلم ان الله يكون لنجحه ضمينا ، فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتخبي رجاله ! ومنتجبي أبطاله ، وخواص اتراكه ، وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته ، وسبقت معرفته ؟ واحمدت في الجلاد جلادته ؛ وفي لقاء العدا عادته ؟ وعلمت في الفتك جهالته * وامرهم بان يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمه * فمضوا واكمنوا ليلة السبت متنهى الهمة متيقظى العزيمه ؟ وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح * منادية بحي على الفلاح * ودنوا من خندق القوم * ونادوا لا قعود بعد اليوم * ومطروهم سهاما * واسعروهم ضراما * فطمع الفرنج فيهم * وظنت انها تلاقيهم * وخالتهم صيدا قد سح * وسربا قد سرح * فقطعت خنادقها * وبتت علائقها * وحثت سوابقها * واخاضت بحر الحرب سوابحها * وقد افاضت سوابغها وشامت صفائحها * وتجردت عن رجالتها * وتفردت بضلالتها * وحملت بجهالتها * واقبلت بادلالها لا بدلالتها * وتطارد اصحابنا امامها * وانهزموا قدامها * حتي وقفوها على الكمين . واوقعوها في الهلك المبين * فخرج الكمين عليها * وتبادر اليها * فلم يستطع فارس منها فرار * ولم يطق من غرته ان يمضي غرارا * وكانت في مائتي قنطارى * من كل مقدم باروني وبطل داوى واسبتاري * فقتل معظمهم * ووقع في الاسر خازن الملك وعدة من الافرنسيسية ومقدمهم * وملكوا وسلبوا وملك سلبهم * وتقطع بهم سببهم * وما وصلهم اربهم * وجاء الخبر الينا * فركب السلطان وركبنا * وسار ووقف على تل كيسان * فشاهد من الله هنالك الاحسان * وجاءه مماليكه يقودون أولئك الاعزه بخزائم الذل ، ويجودون بما استخلصوه من ذلك

القل *ويقدمون المقدمين من سراة الاساري * وتلونا لما شاهدناهم وترى الناس سكارى وما هم بسكاري * فقد رضتهم اللتوت وقضقضتهم الليوث * وبعثتهم الى مصارعهم الظاهرة من مكامن الآجال البعوث * وترك السلطان الاسلاب والخيول لآخذيها * وكانت بأموال عظيمة * فما أعارها نظرة ولا تردد امره فيها * وفيها حصن كأنها حصون * وزرد موضون * وخوذ منها مذهب ومدهون . وسيوف ذكور تتولد منها المنون * وملابس رائقات تحار فيها العيون * وابنا بالملوك مصفدينا . وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا ، وجلس السلطان في خيمته على دست ملكه ، وقد انتظم له عقد النصر في سلكه ، فمن كان عنده اسيراً أحضره ، فانعم عليه وشكره ، وكنت عند السلطان جالسا ، ولحبير الحبور لابسا ، وقد جمع اولئك الاسراء وما اسعد الله الا في تلك الساعة أولئك الاشقياء ، ودامت محاورته لهم مشافهه ، واطعمهم بعدما آنسوا فاكهه ! ثم بسطهم ببسط الخوان وأشبعهم وأرواهم ثم احضر لهم كسوة وكساهم ، والبس المقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد ، وفصل الشتاء قد ورد ، وأذن لهم في ان يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون احضاره ، ولاعلام من يؤثرون ان تعرف معارفه اخباره ، ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال ، وحفظهم بالقيود الثقال ،

﴿ فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال ﴾

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشري شوال كانت نوبة اليزك لاخينا الملك العادل فأشار بانفاذ عدة اليه تكون في الكمين * وتقيم في المكمن اقامة خادرات الاسود في العرين . فانفذنا اليه من مماليكنا سرية سرية سرت سرا واستسرت وسرت ، وقرت في مكمنها الى ان طابت الانفس بصنعها وقرت . ولما أصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين . وللمنايا الى ناديهم منادين . فاستطرد من حضر من العرب واليزكية قدامهم * واظهروا أنهم قد ظهروا عليهم وهربوا ورهبوا اقدامهم * وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم * يقوون فيهم رجاءهم * حتى أبعدوهم عن المأمن * وعبروا بهم عن الكمين * فخرج عليهم الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبواب حتفهم ، وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد . ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلاد . وفلقوا البيض بالبيض وفلحوا الحديد بالحديد . وأشعلوا نار الظبا في ماء الوريد . وفضوهم بالفضاء . وعروهم بالعراء ولتوهم

بالتوت • وبتوا أعناقهم من حبل الوتين المبتوت • فلم ينج منهم ناج * ولم يبق منهم للبقاء راج * وأسرت عدة من مقدميهم * ومعروفيهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوه * وكرة بغير كبوه * وغزوة أذنت بأوفر حظوه * ووقعة أدنت بل أجنت كل نصرة نضرة عذبة حلوه * والحمد لله الذى تزكو أنعمه بسقيا الحمد ، وتوضح عوارفه لشاكريها جدد الجد . ولولا مرضنا في النوبة الاولى التي خرجوا فيها باجمعهم • لما نجوا بحشاشاتهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم • لكننا ماقدرنا في ذلك اليوم على الركوب • وجلسنا على تلعة قريبة من المعركة ننتظر ما يكون من العسكر المندوب • والآن بحمد الله قد توفرت حصة الصحه ، ولزمت منة المنحه • وكذلك مرضنا عام أول شهرين • والحمد لله على المهلة في السنتين • فاقنا مع السقام ، وسقمنا في المقام ، وصبرنا وصابرنا • وجاهدنا وجاهرنا • ومقامنافي هذه المدة المديدةفي بلد الغور • والوخم فيه يقضى على ماء الصحة بالغور ، وما منا الا من التاث . فاعانه الله بغيث فضله المدعة دعته الالثاث • والحمد لله الذي أعان وأغاث .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد
وعود من سار من العساكر الى البلاد
على رسم الاستراحة والاستمداد

ولما تشتت شمل الصيف الرفيق . بشمول الشتاء العنيف . وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المصيف . واشتعلت رؤس الجبال شيباً للثلج ، وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج . والتحفت كل هضبة ببرد البرد • وا كتست الغدران من الجليد بالزرد السرد • ولبست سود الذرا بيض الفرا ، وجر السيل الذيل وجرى • وطمر المطر هوادي الوهاد .وقبض أنامل الآنام عن البسط للجهاد • وجمدالخمر • وخمدالجمر • وارتعدت الفرائص . وارتدعت الاخامص • وقرست الايدى ، وأمسى الجو بالجوى المسيء يعدو ويعدى ، وحل الهواء بالوهاد عقود القوى ، وعقد المترفون على حب الاصطلاء الحبا ، واشتغل الملوك بملازمة المثاني ، ومنادمة المواني ، ومناقلة المناقل ، ومعالقة العقائل ، ومعاقرة العقار ، ومسامرة السمار ، ومداناة الدنان ، واجتناء الجنان * ومناغاة الغواني ، ومناجاة المثالث والمثاني ، وملابسة السوالف والسلاف ، وملامسة

الطائف والالطاف ، فلت نار عزم السلطان حد الشتاء العاتي ، ووقف مع عزائمه الماضية وبحر من مشى الى المشاتي ، وما صده البرد عن مقصده ، ولا رده عن مورده ، ولم يحتفل باحتفاله ، ولم يبال ببلاله ، ولم يكترث بكارثه ، ولم يحدث أمرا لحادثه ، فاعتاض الاصطلاء بجمر الحرب عن الاصطلاء بناره ، وجرى على عادته في مصابرة الاعداء والجرى لها في مضماره ، وما لها عن الله ولا رفض فرضه ، وسما الى سماء الآلاء وأرضاه لما طهر بدم أنجاس أعدائه أرضه * واستمر على بذل جهده في الجهاد * ووفي بمهده ولم يثنه جفاء العهاد * وقال انما أربأ بهذا الارب * وأري راحتي في هذا التعب * ويقيني بقيني في ثلج صدري بلطف الله عنف الثلج * وما يبرد قلبي مع تقلب الحر والبرد الا برد النصر والفلج * لكنه رأى ان مقام العساكر بجمعها * وصرفها عن العود الى البلاد ومنعها * يوزن بملالها * واختلال امورها وانحلالها . والفرنج قد أمنت غائلتها ، وتكفي فى مداومة قتالها في نوبها مقاتلتها * فاذن للجماعة في الانصراف على المواعدة في المعاودة في الربيع * والرجوع الى مراد الروع المريع * وليأخذوا اسباب الاستعداد لأوقات الاستدعاء * وليستكثروا من الرجال المحققين في نصرة الحق للرجاء • من أهل الغني والغناء • والمضارب والمضاء • فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشرى شوال يوم الاثنين • وتلاه صاحب الجزيرة ابن أخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين . وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذى القعدة . وما انصرفوا الا بالتشريف والخلع المعده • وشيعهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه • وخلعة رائقة رائعه • ومستعملات مصر • ومصوغات تبر . وخيل عتاق • وخير واطلاق *

* فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه . وينعت بالملك السعيد علاء الدين *

ما كان أسعدنا بقرب الملك السعيد وما أجدجدنا بانارة نوره . واوفر حبورنا بحضوره • وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده • وما أبهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه وودوده * ولقد تمت بايامن أيامه وبركات مقامه في العدو نكايات • وظهرت لاولياء الله من الطاف كفاياته آيات . ووقعت بالمشركين روعات • وراعت وقعات • وقد أردنا أن نستظهر بمرافقته • ونبني الامور على موافقته • فما أيمن سعده • وما أسعد يمنه • وما أوقر وزنه •

وأغزر مزنه • لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سناه • بمقتضى آدابه التي استكمل بها أدوات الارتقاء في مطالع علاه * فقد فاق بسداد رأيه الكهول * وماأزكى الفروع الطيبة اذا أشبهت الاصول • وما أسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين أدام الله علاءه • وسر بفضائله أولياءه * وقد توجه والقلوب معه متوجهه • والنفوس لغيبته متكرهه • والعيون لترقب ورود البشائر عنه متنبهه • والايام لظلمة الاستيحاش بالليالي متشبهه • والموارد الى أن يمن الله بعوده الاانس بعودته متسنهه • والالسن بذكر أخلاقه الطاهرة والافاضة في شكر محاسنه الزاهرة متفوهه • والخواطر فيما تمثلته أيام الاستسعاد به من مبهجات آلائه متنزهه • ولا شك انه يصف بلهجته الفصيحه • مااقتناه من المتاجر الربيحه • وقدمه من المساعي النجيحه • واستنجحه في الغزاة من مغازيه الصحيحه • وأبداه في البأس من بسالته المشيحه • وأطلعه في ليل العجاج من مخبيحة بهجته الصبيحه • وله في كل نصرة وهبها الله للاسلام أوفي نصيب • فقد أصمي مقتل الكفر بكل سهم مصيب • وهو لمستصرخ الهدى أسبق ملب وأسرع مجيب • وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته أفضل مثيب •

﴿ ذكر ماتجدد بعد ذلك في هذه السنة ﴾

لما هاج البحر وماج • وأظهر الارتجاج والانزعاج • نقل الفرنج سفنهم خوفا عليها الى صور فربطوها بها • وأخلو ساحل عكاء من ارعابها وارهابها • وخلا لنا وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب الكفر • فاشتغل السلطان بانفاذ البدل الى البلد • من الثابتين في الجلاد على الجلد • فانتقل الملك العادل بخيمه الى جانب الرمل ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل * لتسهيل طريق من يسيره الى البلد من البدل * فان المقيمين في عكاء شكوا أمراضا معترضه • وأمراضاً ممرضه • وكثرت السواد • مع قلة النفقه والزاد • وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من أمير ومقدم وجندي • واسطولي وبحري • ومتعيش وتاجر وبطال * وغلمان ونواب وعمال * وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا • واذا عاينوا خوفا على الموضع موهناً عاونوا وماوهنوا • فرأى السلطان ان يفسح لهم في الخروج رفقاً بهم ورآفه * وما أفكر ان في ذلك مخافة وآفه * فقد كان فيه أمراء أمروا الامر والفوا الصبر ومانعوا الحصر • واجترأوا • وتجاسروا * وصبروا وصابروا • وحاربوا وخربوا • وجاربوا

وجربوا ، وزاولوا وازالوا*وحاولوا واحالوا،وعرفوا مكامن المكايد ؛ وكشفوا كوامن المقاصد ، واخذ كل موضعه فى الحرص على الحراسه ، وشاعوا بالسماحة والحماسه ، وكان فيهم من يطعم وينفق ، ويجمع الرجال وقلوبهم بماعليهم يفرق، مثل حسام الدين ابي الهيجاء السمين، فانه انفق ما ادخره من الالوف والمئين ، مستمراً على انفاق، لاتعتريه فيه خشية املاق، وهناك ستون اميرا ومقدما، وكلهم يرى المغرم فى سبيل الله مغنما، وكانوا ينتفعون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق ،والاعانة على ما يتفق فى الحصر من التضييق، فلما خرج الخواص خرج معهم العوام*وتبدد بتبدد لظمهم النظام * وألزم السلطان جماعة من الامراء بالدخول * تخدموا على ان يعفيهم بالبذول * فلم يقبل منهم بذلا * وألزم بنقل الازواد لبعض سنتهم كلا * فلم يدخلوا الا بعد لاي * وقد بلغوا في غي الرأى الى أقصى غاي * وأكثرهم صرف رجاله المعروفين المستخلصين * واقتنع بمن استجد استخدامه من المسترخصين * وأذهبوا الايام بالمدافعه * وأبطأوا عن فرض المسارعه * والملك العادل هناك يحثهم ويحضهم ويحرضهم * ويعينهم على تحصيل المراكب لهم وينهضهم * حتى لم يبلغ من دخل عشرين أميرا مقدمهم الاحد * سيف الدين المشطوب على بن أحمد * وأمر السلطان بالمناداة في الابطال البطالين * ليحضروا لقبض النفقات وكان يحضر الجاووش في كل يوم مئين * ويصبح نواب الديوان في أمرهم مرتبين ، لحرصهم على توفير الدرهم * وبخلهم بالنفقة ويعدونها من المغرم * ومعظمهم من نصارى مصر ومن هو مصر في نصرة النصارى * وفي تعسير مايجب تسهيله وتعقيد مايجب تحليله لايجاري ولا يبارى * وكل واحد منهم للقبط قطب * وفي الخبط خطب * وللشر شرك * وفي الحس حسك * وللمشرك مشارك * وللدين تارك فارك * ولهم أخلاق أخلاق *وطباع بالطبع أغلاق* تأوي للبخل والتبخيل الى التأويل * وتقلى لتكثير السوء فى الخير سوى التقليل، وهم جالبون للغى • طالبون للبغي • كاسبون للذم • مناسبون للضم • والمسلم فيهم متولى الخزانة • رى الشح بما يجود به السلطان من الامانه • وأصنعهم في الكفاية عندهم أمنعهم للاطلاق وأعذقهم بالحذق أقذعهم • وأعقدهم للحق أقدعهم • وأجودهم أرداهم • وأضلهم أهداهم • وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة • مختلفون في الظاهر لابداء الصيانة • وكان يحضر هؤلاء لعرض البطالين واستخدامهم • ويوحشونهم بخطابهم وينفرونهم بكلامهم • ويقابلونهم بالجبه ويعاملونهم بالنجه * وويواجهونهم بالسوء ويسؤونهم في

الوجه • ويشتطون في طلب الضمان • ويشترطون ماليس في الامكان • ويطردونهم بقبيح الزجره • ويكسرونهم في صحيح الاجره • والسلطان يجود جود السحاب • ويأمر بالعطاء الحساب • ويجد حث النواب • ويجد في بعث الاصحاب • ويقول أنفقوا ولا تخشوا اقلالا • وأنهضوا الرجال خفافا وثقالا • ولا تؤخروا شغل اليوم الى غدامهالا أو إهمالا • ولا تقدموا على هذا الفرض فرضاً ولا نفلا • ولا تعتقدوا ان لنا اهم من هذا الشغل شغلا • ونواب الديوان على عادة جهالتهم • وعادية ضلالتهم • فما قبل العطاء غير مضطر فقير • وما دخل الثغر الا قليل من كثير • وما صح من البدل الا بعضه •
مضطر فقير • وما دخل الثغر الا قليل من كثير • وما صح من البدل الا بعضه • وما قضي حق الواجب المتعين فرضه • وكان هذا من أقوى أسباب الضعف • وأوفق دلائل الخلف • وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع • فانه عاد كل ما دبر بضرر على الثغر لا بنفع • وأقام الملك العادل على البحر لازاحة أعلال الداخلين • واراحة قلوب الواصلين • حتى عاد الفرنج بمرا كبهم • وانقطع بوصولهم الطريق من جانبهم • واقتنع البلد بمن اليه تحول • وعلى حفظه من الله بعصمته عول •

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالغلة بطس سبع • وكان لها للحاجة اليها وقع • وقيل قد تم بها للجائعين شبع • وانقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها • ومعاونة جماعتها ومساعدتها • ونقل مافيها من بضائع وحوائج • وسلع روائج • ومأكول ومطعوم • ومشروب ومشموم • فقد طال بذلك كله عهدهم • وانتهى الى الغاية جهدهم * فلما تسامعوا بالبطس • تسارعوا الى الملتمس • فعلم الفرنج بانقلاب أهل الثغر • الى جانب البحر • فزحفوا زحفاً شديداً وحملوا جندلا وحديداً • وأتوا بسلالم لينصبوها على الاسوار • وصارت عكاء وهم حولها كالمعصم في السوار • وترقوا في سلم واحد مزاحمين • وللضيق متصادمين • فاندق بهم السلم المنصوب • وسطا بعصابتهم المعصوب بها لنصب سوط العذاب المصبوب • وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا • وتعاطوا كؤوس المنايا وتساقوا * ورأوا غمرات الموت فزاروها * وداروا حول رحى الحرب وأداروها • واستحلوا شهد الشهادة فشاروه • وألفوا الاجل كامناً فأثاروه • وتواثبوا عليهم • تواثب السباع على الضباع * ورفعوا لقرى العواسل الجياع نار القراع وأطالوا بشبا العوالي للعوافي باع الاشباع • وأنبعوا عيون التجيع من عيون الجميع

جداول البيض • وأفاضوا فيوض الدم القاني بالصارم المفيض •وقتلوا وسفكوا • وفتكوا وهتكوا • وردوهم على أعقابهم ناكصين • ومن حسابهم ناقصين • ولاشتغال النـاس بكشف ماعرا من الغمه • وأظل من الظلمه • والتهائهم بثقل الغله * عن نقـل الغله • تركوا البطس بحالها * مملوءة بغـلالها • حتى هاج البحر فضرب به الحشف • وأذهب بكسرها كل مافيها وأتلف • وغرق من كان فيها • وأتى الغرق على الامتعة التى تحويها • حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفساً ، عدموا ولم نجد لهم حساً * ناموا والقدر منتبه * وذهلوا وحكم القضاء اليهم متوجه * وفي ليلة السـبت سابع ذى الحجه وقعت قطعـة عظيمة من سور عكاء على فصـيلها فهدمتـه * وثغرت الثغر وثلمته • فبان منها الضوء لاهل الظلمه • فتبادروا اليها طمعاً في هجم الثلمه • فجاء أهل البلد وسدوها بصدورهم وصدوا عنها بنحورهم • وبنوها بأبدانهم الى أن بنوا ذلك البـدن • وعمروا ماخرب وقووا ماوهن • وقتلوا وجرحوا من العدو خلقاً • وأوسعوا بالمضايقة فى كل ذى خرق خرقا • فانجلت الحرب عن طريح صريع • وجريح الى الهزيمه سريع * وطليح للعقـير قريع • وعاد الثغر أقوى ممـا كان وأحكم • وكل ذلك بجد بهاء الدين قراقوش حيث كان المقدام المقدم • وهذا الامير قراقوش لمـا ضجر الامراء وضجوا • وطلبوا الخروج ولجوا • أقام ولم يرم * ولم ينحل عقد ثباته ولم ينخرم *وفي ثاني عشر ذى الحجه هلك ابن ملك الالمـان بمرض الجوف * ولعـله من مرض الخوف ، وأدرك أباه في الدرك الاسفل من النار • وأبصر في جهنم مصاير أمثاله من الكفار *وزاد بهلاكه ألم الالمانيه* وانسدت بموته فرج الفرنجيه * وتبعه في السفر الى سقر • كند كبير يقال له كندتيباط دافع القدر فمـا قدر * وهلك منهم بالامراض المختلفه العـدد الكثير ، واستغلت بهم الجحيم واشتعلت عليهم السعير • وفى يوم الاثنين ثاني عشرى ذى الحجه عادالمستأمنون من الفرنج الذين أنهضهم السلطان في براكيس . ليغزوا في البحر ويكونوا أيضاً لنـا جواسيس * فرجعوا وقـد غنموا وغلبوا * وكسروا وكسـبوا * وسروا وأسروا * وقسروا فظفروا * وذكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها براكيس * وفيها تجار فرنج ومعهم من المـال الجليل النفيس * وأسر التجار وأخذ المـال وحيزت تلك المراكب وجـذبت الي الساحل * فاذا هى مشحونة بالكرائم الجلائل * من كل آنية مطبوعة ذهبيه * وحلية مصوغة نضاريه * وآلة فضـيه * وأباريق وأكواب وأقداح *

وأطباق وموائد وسبائك وصفاح * وكاسات وطاسات * ومرافع وشربات * فوفر السلطان عليهم هذه الاكساب * ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب * وأظهروا بهذه النهضة أنهم مناصحون * ولبين الايمان مصافحون * فلما أكرموا بتلك المكرمه * أثنوا على اليد المنعمه * وأسلم منهم شطرهم * وحسن بيننا ذكرهم * وببركات الكرم السلطاني كرموا * وأنسوا وأسلموا * وكانوا قد أحضروا برسم الهدية مائدة فضة عظيمة وعليها مكبة عاليه * ولها قيمة غاليه * ومعها طبق يماثلها في الوزن * ويتعذر وجود ذلك للملوك في الخزن * ولو وزنت تلك الفضيات قاربت قنطارا * فما أعارها السلطان طرفه احتقارا * وقال لهم خذوها فانتم بها أولى * وكان أول من أسدى هذا المعروف وأولى * وكنت عنده جالسا * وبلطفه مستأنسا * فقلت له ماأظن في الوجود ملكا يسمح بمثل هذا المال * خصوصا وقد أغنمه الله من الحلال * فتبسم لقولى غير معجب به * وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه * وفي الرابع والعشرين من ذى الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما نيف وخمسون نفرا * فجلا لنا نصرا وعلا نجحا وحلا ظفرا * وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضا بركوس * فيه من الفرنج مقدمون ورؤوس * وهم نيف وعشرون منهم أربعة خياله * ضمتهم من الاسر حباله * ومعهم ملوطه * مكللة باللؤلؤ منوطه * وبأزرار الجوهر مربوطه * قيل انها كانت من ثياب ملك الالمان * وأسر فيه رجل كبير قيل انه ابن أخته وهو كبير الشان * وفي هذا الشهر كان قدوم القاضي الاجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرقت المطالع * وأشرفت الصنائع * وبشرت المطالب بنجاحه * وغزرت المواهب بسماحه * وغابت بحضور مكارمه المكاره * ونزع بلبسة إفضاله لباس الخمول ذوو الفضل النابه * وأعاد روح السلطان باعادة الروح الى سلطانه * وسر بمكانه واقترن احسانه باحسانه * وظهرت في وجهه به الطلاقه * وفي قلبه العلاقه * وروى رأيه بري رأيه * وتلقن آيات النصر من نص آيه * وانتعش عثاري بمقدمه * وانتقش خط نخاري بكرمه * وحلى عطلى * وحيا أملى * وقوى عملى * ووضح منهاج مناي * وصح مزاج غناي * ونبه قدري * ونوه بذكرى * وسعي في رفع رتبتي وزيادة راتبي * وسن غربي وأسقى غاربي * وأقرني وقربني * واستكتب الخطوط بالحظوظ كما كان استكتبني * فمشت ولمشت * وفرشت بساط الغني فرشت * ولولا انني قويت به لاقويت * ولولا انه أولاني عارفته

لما عرفت ولا توليت * فانا شاكر نعمه عمرى * وعامر كرمه بشكرى *

ذكر جماعة من المستشهدين فى هذه السنة

استشهد فى عكاء سبعة من الامراء كل منهـم سبع • مافي لقائه للقرن طمع • ومن جلتهم سوار من المماليك الخواص • ومن ذوى الاستخلاص • وكان هذا سوار في كل حرب مساورا • ولكل هول مباشرا • وبكل بوس عبوس باشرا • فجاءه سهم عائر • فاذا هو الى الجنة سائر • وكذلك عدة من أمراء الاكراد • كانوا من الآساد • ففازوا بحظ الاستشهاد • وخرج اسطولنا في هذه السنه • بشوانيـه المعجبة المحسنه • ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط • واحراقها بقوارير النفط • فخرجوا الي شوانينا بشوانيهم • ولقوا عواديها بعواديهم • وظفرت أساطيلنا وطالت • ووصلت اليها وصالت • ونالت من الظفر مانالت • وأحرقت للكفر شواني برجالها • وغرقتها بأبطالها • وكان عند العود تأخر لنا شيني مقدمه أمير مبارز كالاسـد الخادر لا يصحر الا للفريسة ولا يبرز • وهو يعرف بجمال الدين محمد بن أركز • فشين الشيني وشأنه • وما اعانته أعوانه • وامتلأت بالاعطاب أعطانه • واضطربت للانكار أركانه • واضطرمت باهل النار نيرانه * فتواقع من فيه الى المـاء • واحترزوا من البلاء بالبلاء • ووقف الامير على قدم جلده يجالد • ويجد ويجاهد • وقد أثقله بلبس البسالة الحديد • وخف به العزم الشديد السديد • وقد دعاه الى أمنية المنية الذكر الحميد والاجر العتيد • فمـا ارتاع للروع • ولا استطاع الانقياد بالطوع • ولا مكن العدو من مكانه • وأخذ مع الشانئ بشنآنه • ولولا ان ملاحيه جبنوا وفروا • ومناصحيه خذلوه وما قروا • لجني بسيفه ثمر النجاه • لكن الاجـل قطع عليه طريق الحياه • فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع • وسدوا عليه سبل البصر والسمع • وقالوا خـذ منا الامان واستأسر • وهون الامر عليك ولا تعسر ويسر • فالعاقل يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم • وانت فى عين الهلاك ان لم تعطنا اليد وثبت على هذه القـدم • فقال ماأضع يدى الا في يد مقدمكم الكبير • ولايخاطر الخطير الا مع الخطير • فسموا له كندا أرضاه • وأراد ان يشركه فيما الله قضاه * فلما دنا ليأخذ يده ازمه وعانقه • وقوى عليه وما فارقه • ووقع الى البحر وغرقا • وترافقا في الحمـام واتفقا • وعلى طريقي الجنة والنار افترقا • فارتوى الشهيد السعيد بماء النعيم • وصلى الكند الكنود * بنار الجحيم

واستشهد أيضاً في ذلك اليوم الامير نصير الحميدى جرح فقضى حميداً • وشهد مقامه في الجنة شهيداً • وسعي دهره حتي قضي سعيداً • ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر • وسعداء المعشر • وكرماء المحشر • وندماء الكوثر • وحلفاء المفخر • واستشهد يوم تاسع جمادى الاولى القاضي المرتضى ابن قريش الكاتب • وكان صدراً تجمل به المراتب * جرياً جاري القلم • بليغا بالغ الحكم • مهيباً يخشى • مرهوباً لا يغشي • وهو في أهبة من المهابه • وكتيبة من الكتابه • صوبه في الصواب منتجع • وخطابه في الخطب مستمع • ولرأيه رى ورياً • وتدبيره الامور بتنفيذ الاوامر السلطانية دينا ودنيا • ولم يكن له في الكفاية كفء • ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه رفء • وكان رجل دمشقى بنابلس له ملك بدمشق قد تركه • ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه • فتقاضى قاضي نابلس مراراً باحضاره • فلما حضر رغبه في البيع على ايثاره باضعاف الثمن ونقد ديناره • فانفصلا على التراضى * ونجح سعي القاضي للقاضي • وبكر البائع الى سلام المشترى • ووثب وثوب المجترى • وطعنه بمديته • وهو آمن في خيمته • وفتك به فتك اللعين أبي لؤلؤة بالفاروق • وخرج من الخيمة كالسهم في المروق • فلقى قاضى نابلس فقتله • ومضى يسلك سبله • فادركه الناس وقتلوه • وكاد يفلت لولم يعاجلوه • ففجع المنصب بعصابه وناب عنه أخوه مع نوابه

ودخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله * وعقد البرد لم يقرب محل حله • وللغيث عيث • ولزور الربيع ريث • وللسحب سح • وللضح شح • ولعين الشمس غض • ولوجه الغيم ومض • ولايدى العارض بسط وقبض • ولنواظر البرق تنبه وغمض * ولنواجذ البرد كشر وعض • ولفص الفصل ختم ونض • وكل صاد في بحر كانون كنون • وكل ماء بالجليد كانه زرد مسنون • وللاوحال أحوال • وللاهواء أهوال • وللشمال شمول • وما للقبول قبول * وللجنوب ذنوب • وللدبور في أدبارها واقبالها هبوب • وللصبا صَبابات وصُبابات * وللندى الندى جنايات وسرايات • وللجو الجوي آيات ونكايات * وللغمائم غماغم * ولهام الربا من هامي الرباب عمائم • وللنكباء نكبات • واشبا شباط شبات • والرواعد رواعف • والهواتن هواتف • وللارواح رواح وغدوّ * وحركة وهدو • ومحبة وسلو • ونزول وعلو • ونصفة وعتو • وللرعايا العرايا من الرياح الحيارى رذايا أذايا • وخبايا المروج النابتة في زوايا الثلوج النازلة خفايا • والعواصف القواصف عواص غير قواص •

والعــارض عارض للحب في العراص عراص ، والقــوارس قوارص * والخوالس خوالص * والبحر في هيجانه * والغيم في هطلانه * والسلطان مقيم بخيمه على شــفر عم ، ولطف الله به قد خص وعم ، والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا ، لتجهيز البدل في المراكب الى عكا ، والسفن تدخل اليها بالازواد . وتعود وترجع اليها بالاجناد . ويحرص ويحرض ، ويرسل الى السلطان ويستنهض . والسلطان يفاوض النواب في ذلك واليهــم يفوّض . وفي كل يوم يعرض الرجال . وينفق فيهــم الاموال ، والامر مستمر * والقرار مستقر ، والبزكيه زكيه ، وسنتهم في المناوبة سنيه ، ولوافح عزماتهم ذاكية ونوافح مكرماتهم ذكيه . والمماليك الخواص . ومن خصهم وعمهم الاستخلاص * يغادون القتال ويراوحونه * ويكافئون العدو ويكافحونه ويجاورونه ويجارحونه * ويبرحون به ولا يبارحونه * والعدو على عكاء حاشــد * ولضالة ضلاله ناشد * يحتمون ويحمون * ويرامون ويرمون * ويذبون ويشبون * ويحبون الى الــكفرة بسوط العذاب ويصبون * وقد قسموا الاسوار على الاجناد والابراج على الامراء . واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة في المشقة التي تعدها الاشقياء من الشقاء * ان وجدوا غرة اهتبلوها * او استوعروا كرة استسهلوها اوصادفوا ملمة صدفوها * اولقوا غمة كشفوها * اوصرفوا اوجههم الى نائبة صرفوها

* ذكر ماتجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث *

في يوم الاربعاء تاسع المحرم * سار الملك الظاهر لقصد بلد صافيثا بالعزم المصمم والرأي المحــكم * وفي ثالث صفر * عزم من بقي من أصحاب الاطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك * فانتهجوا في عودهم الى بلادهم المسالك * واقام السلطان في اصحابه . وخواصه وملازمي بابه . وملابسي جنابه . ورجال رجائه * وخلص أوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحل الملك المظفر تقي الدين ليتسلم مافي شرقي الفرات من البلاد التي كانت مع مظفر الدين * مضــافة الى ميافارقين * فصارت معه جبلة واللاذقية والمعرة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر وميافارقين * وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد وماردين * والبلاد المظفرية كانت قد بقيت الى هذه الغاية * مع كثرة الطالبين لتلك الولايه * مضنوناً بها على الخطاب غــير مسموح بشيء منها للطلاب * فانه مارامها من الملوك أخي السلطان وأولاده * الا

من يشرط الفسحة له في استضافة ديار بكر الى بلاده * ويقال له لاسبيل الى قصد أحد ولا انتزاع بلد ولا ازالة يد * فان ارباب البلاد أكثرهم لنا معاهد * وعلى ودنا معاقد، وفي شغلنا مساعد * فاما من هو عنا متقاعد * ومنا متباعد * فاهذا أو ان مكافاته ولا زمان كف آفاته * وهو منا في حصر مخافاته * وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزمنا في قمعه متحقق * فلا تشير علينا من المسلم الكاشح والحاسد الحاشد * من يشغلنا عن هذا المهم الفرض والرأى الراشد * فقال تقي الدين انا لي في ذلك الجانب ميافارقين فاذا أخذت حران وسميساط والرها * ادركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتهى * وبلغت المنتهى ، وأنا ادخل على الشرط وعنه لا اخرج * واجمع العساكر والي نصركم أعرج * وآتيكم بعد اشهر باوفي عسكر * واكرم معشر * من لابسي سنور ، وملابسي مورد في الروع ومصدر * وما زال يستعطف السلطان عمه * ويسترهف في تخصيصه بتلك الولاية عزمه * ويسأل ويتوسل * ويرسل ويتوصل * حتي أخذ دستوره ، واستكتب منشوره * وسار على انه يسرع ايابه * ويحكم في العود أسبابه ، وانما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها * ويرسم ترتيب نوابه فيها * ثم يطلع علينا طلوع السحاب * ويأتي بالأتي العباب * ويعرض عساكر لاتدخل في الحساب * وسارع الى الرحيل وسار * بعد مااستشار ولله استخار

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد * الجواد الماجد ، أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه * وهو الجرى الذى اذا جاري اضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم يشركوه * ومضمون الكتاب انه خرج في آخر المحرم على جشير العدو بطرابلس واستاقه ، ولم يطق الكفار لحاقه * واقتطع لخاصه منه اربعمائة رأس تلف منها في الطريق أربعون * غير ما كان أصحابه منها يقتطعون ، وانه غنم أيضاً ابقاراً وآب قارا * وسار بالغنيمة سارا * واهدى لي من ذلك بغلة سرجية * عالية فارهة فرنجيه * وقال رسوله لما ابصرها واستحسنها * قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها * وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت * كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وفالها الكبت، وكان فيها من الفرنج خلق * فغرق في بحر الاسر من لم يسر اليه في البحر غرق * وفيهم امرأتان سبيتا * وما هديتا بل أهديتا * وشاهدت الاسارى * قدام السلطان وقد احضروا فردهم على الذين اسروا

وفي أول ليلة من شهر ربيع الاول * خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضل والناب الاعصل • وكبسوه في مخيمه * وخيموا عليه في مجثمه * فما انتهوا لهم حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جما *واوسعوهم الى ان ضويقوا قمأ * وعادوا سالمين غانمين* كاسرين كاسبين * ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي * وعرف الله لهم حق ذلك السعي

وفي الاحد ثالث هذا الشهر * شهر سلاح الحرب اهل الكفر • وخرجوا على اليزك وكانت النوبة للحلقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك * وعظمت الوقعه * ونجمت الروعه * وصدمت الصدعه * واحتدمت على الفرنج بنارها الصرعه * وهلك منهم عالم كثير * وقتل منهم مقدم معروف كبير * ولم يفقد منا الا خادم رومى صغير عثر به في الحملة فرسه فلم ينتعش * واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يمش * وهذا الخصى كان فحلا من الفحول * ناهضاً على الكفر للاسلام بحمل التحول * وانتهى الينا أن الفرنج على عزم الخروج * ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج * فلا مرعي لدوابهم ولا علف * وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلف * فامر السلطان اخاه الملك العادل * أن يذهب ويقصد الساحل * ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزلته * وهناك نصرت وقعته ووقعت نصرته * ومضي السلطان بنفسه في خواصه واجناده * وأقاربه وأولاده * فكمن وراء تل العياضيه * في العصبة المنصورة الناصريه * وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول * مستظهرا بصحبة ولده الملك الافضل * ومعه أيضاً أولاده الصغار ليستأنسوا بالحرب * ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب * فعرف العدوالخبر * فما أقدم على الخروج ولا جسر * فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء * فبات فيها وحوله الملوك والامراء* ووصل اليه من بيروت خمسة وأربعون أسيرا من الفرنج * أخذوا بالمراكب في البحر من اللج * وفيهم شيخ هِمٌّ هرم * عمره في الكفر منصرم * قد طعن في السن * ووهن كالشن * وأنحني كالحنيه * وما أمن من المنيه • وتحاماه الحمام • وعامت في بحر لياليه وأيامه الاعوام • وهو ممسوخ الحليه • ممسوح اللحيه • قد بلي مما بلى • وقلي من طول مالقي • وسئم حياته وسئم * وعدم لداته ولذاته وما عدم * وكم جاوز قرنا وعبره الى قرن* وبارز قرنا ونازله بعد قرن * حتى لم يبق منه الا إهابه * ولم يرقب منه الا ذهابه * فتعجب السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعه * واختياره الضيق على الأرجاء الواسعه • فسأله

كم بينه وبين وطنه * ولأى سبب حركته من سكنه * فقال أما بلدى فعلى مسافة شهور *
وإنما خرجت بقصد كنيسة القيامة لأظفر بالحج المبرور * فرق له ومنّ عليه بالاطلاق *
وأخرجه من ذل الرق الى عز العتاق * وورده الى الفرنج راكباً على فرس * ولم يرقله
ولا أسره حيث رأى نفسا مرتهنة بنفس • وسأله خدام أولاده الصغار * ان يأذن لهم
في تجريب سيوفهم بجرح الاسارى الكفار * فلم يأذن لهم في ذلك وأباه * فأرضى كل
منهم بامتثال الامر أباه * فقيل له لاي سبب منعتهم من ثواب الجهاد المغتنم * فقال لئلا
يجترئوا من الصغر على سفك الدم * فانظر ماتحت هذا القول من الرأفة والكرم *

* ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام *

أول من قدم من العساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر * وكان بحلب
المقدم المؤمر * وهو شيخ له رأي وتجربه * ومنزلة كبيرة ومرتبه * ومعه حصنا عزاز
وبغراس * وللسلطان بقربه ومجاورته الاستئناس * فقدم في شهر ربيع الأول في عسكره •
وأبيضه وأسمره وبيضه ومغفره • وجني جنده وسني سنوره • وجلبه ولجبه • وزمره
وعصبه • وبيارقه ويلبه • وبوارقه وسحبه • وقدم في ذلك التاريخ بقدومه الملك الامجد
مجد الدين بهرامشاه صاحب بعلبك • وقد استصحب معه مماليكه الترك • وقد نوي بالمشركين الفتك •
ولسترهم الهتك * ولدمائهم السفك • فوصل بقواطعه وقواضبه • وصوافنه وسلاهبه • وطلائعه
ومقانبه • وحضر من المحاسن بكل مايعرب عن مناقبه • وقد زين ليل القساطل من اسنة العوامل
بكواكبه • واظمأ جواده ليرديه دماء أهل الكفر فانه يعدها من مشاربه فعن ذلك اليوم من
القادمين والمستقبلين بذلك القضاء • حيش زرت الرباعليه جيوبها وغطته من العجاج بالرداء •
وجرى ذلك الوادى مع الاجناد والأمراء بسيل خيل ترد دأماء الدماء * وخرق ذلك
الخرق أرعن في حافاته الخرق * ومن عاداته بعداته الحرق * ومن آفاته عند موافاته من
فرق الكفر الفرق * ومن علاقته عند الظماء ان لايرويه الا العلق * ومن صبابته بالسير
الى عناق الاعداء بسواعد سيوفه الخبب والعنق * ومن شيمته عوض التغلف بالعبير
التضمخ بالنجيع * ومن ديمته وبل النبل من الاحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع *
ومن صنعته أسماء حنين الحنية بسهمه * واسماع انين المنية لخصمه * وجلونا في ذلك اليوم
فوارس لاعرائس * وقوانس لاعوانس * وقدم بدر الدين مودود والى دمشق بعد

ذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر * وبشر بورود العساكر ووصول الجمع الوافر *

﴿ ذكر وصول ملك أفرنسيس انجدة الفرنج على عكاء واسمه فليب ﴾

وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك أفرنسيس الى القوم وصان حبلهم وشملهم من البت والشت * وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي شؤم ومقت * وقد كانوا يهددون بوصوله وصوله * ويقولون لنا من تهديده ووعيده مايجرى على قوله * وانه اذا جاء حكم وأحكم * ونقض وأبرم * وقدم ماقدم به من المال وأقدم * ونحن منه على مواعده * فهو يأتينا بكل نجدة مساعده * ووجدة عن الفقر مباعده * فقلنا لهم رب صلف تحت راعده * وما هذه الاراجيف منكم بواحده * فلما وصل في العدد القليل * والنظر الكليل * أعجبتنا قلته * وتشابهت عندنا عزته وذلته * وقلنا مايكاد تصل صولته * أو تدوم دولته *

﴿ نادرة ﴾

وكان مع هذا الملك باز أشهب * كانه عند ارساله نار تتلهب * ففارقه يوم وصوله * بحيث عجز عن حصوله * وأفلت من يده وطار * وحشا حشاه الباز الذي نار النار * ووقع على سور عكا * وحزن الملك يوم سروره بفراقه وأبكي * واستجابه فما استجاب * وأبي وما آب * وثبت وما ثاب * فبصر به أصحابنا فأخذوه * والى السلطان أنفذوه * فابدى للسرور به الاهتزاز * وجمل بتشريفه بزة من بز الباز * وأظهر به احتفالا * وعده للظفر والمنحة فالا * وبذل فيه الملك الف دينار فما أجيب * ولا وهب له ولا هيب * وما بيع ولا عيب *

﴿ خبر نادرة في غنيمة وافرة ﴾

كان المستأمنون من الفرنج الينا * تسلموا براكيس يغزون فيها * ويجرون بجواريها * وينهضون بسواريها ورواسيها * وينهشون بعقاربها وأفاعيها * ووصلوا الى ناحيـة من جزيرة قبرس يوم عيدهم * وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبهم وبعيدهم * فصلوا معهم فيها صلاتهم * ثم أغلقوا أبواب الكنيسة عليهم ليأمنوا افلاتهم * وأسروهم بأسرهم وسبوهم * وبغتوهم من البلاء بما أتوهم به وبلوهم * وكنسوا كل ما كان في الكنيسه * من الاعلاق النفيسه * وقسوا على قسيسهم * وعادوا بهاويهم الى براكيسهم *

ولاذوا باللاذقية وباعوا بها كل ماأخذوه من البيعةومن الجملةسبع وعشرون نسوةسبايا* وصبيان وصبايا * فباعوها رخصا . واقتسموهاخرصا . وزادوا بمانالوه حرصا *واستغنوا بما استغنموه * وأثروا بما أثاروه وأثروه وفرحوا بما راحوا به من مغنم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم * وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية فاقتطعوا اقطيعا من غنم الفرنج غنيمه * وخالطوهم في خيامهم وامطروهم من وبل النبل ديمه . وركبوا بأسرهم . بخيلهم ورجلهم في إثرهم * فلم يظفروا بطائل ،ولم يرجعوا بحاصل*

﴿ خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت ﴾
﴿ الى قبرس واستيلائه عليها ﴾

وصل الخبر ان ملك الانكتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر * حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيره . مراكب وشوان على قصد الجزيره . نخرج صاحب قبرس اليها . واستولى عليها . وغنم أموالها . وصدم رجالها *فلماوصل ارهف حدعزمه . وأقضي فيض غيظه الى غيض حلمه ، وهو مغضب غير مغض ، مريض من ألم الحقد ماله سوى التشفي شاف مرض . فلبث مفكرا . ومكث متحيراً ، وتروي متخيرا ، فرأى أن قبرس في يده و فاستن من جده في جدده . وناشب القتال ، وواظب النزال ، وقارع بالنصال النصال . وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالاعناق ، واعتناق الغلاظ مع الرقاق . ونفذ يطالب من الفرنج على عكاء نجده . ليجد شدة ويوجد شده . فنفذوا له جفري أخا الملك العتيق ، في جموع مترافقة الرفيق ، وامتدت الحروب ، واشتدت الكروب ، ورأى ان فريضته تعول ، وان حالته تحول ، وان شغله يطول ، واتفق أيضاً انه كان رام الروم من الفرنج الفرج . وخطب كل واحد من ضيق الخطب المحرج المخرج ، فتراسلوا في الصلح ، وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلم الى أسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير . . واثقاً بما تم من التقريب والتقرير . وحمل له هدايا . وتحفاً سنايا . ووسع له الازواد . وبذل له الامداد ، فأخذه في مأمنه ، وابرز له مكره من مكمنه ، وغله ثم غله . وشده وما حله . وجازاه لما أعزه بأن اذله ، وغادره بغدره

في القد والقيد ، وما بطشت يد عادمة الا يد كيد الكيد • واستولى بالاستيلاء عليه على تلك الجزيره ، وغرق في جمات امـواله الغزيره • وسـيأتي ذكر وروده ، وما تم به لاحزاب الشيطان وجنوده ،

وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد • وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة وبالنجح المتجـدد ، وهو ان أصحابنا أخذوا عنـد الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكتير خمسـة وطراده • ولم تكن لولا اباء رجالها للضيم معتاده • وبحزام القهر مقتاده • وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال • وذخائر أخاير من عدة ومال ، وأثقال وأنفال • وأخشاب وآلات وأحمال وأحوال • وفي الطرادة أربعون رأساً من الخيل الجياد * قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد ، فجزت وحيزوا • وأجيزت الى بيروت وأجيزوا * فاماالسـبايا * فقـد أخرجن على البيع بالنقود والنسايا ، واماالاسراء فقد عمتنا بخصوص ضرائهم السراء

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد * بالجد والجلد * والعدد والمدد والمدى والمدد والجمع المحتشـد والجمر المتقـد * والبيض واليلب • والبيض والقضب • والسمر السلب * واللجب والجلب * والصـياح والضجيـج • والعجاج والعجيـج والوشيج بالوشيج والامر المريج ، والقصد بالقصد • والزغف والزرد ، والحديد والعديد • والقريب والبعيد ، والاتباع والعبيد ، والاوباش والاوشاب ، والكلاب والذئاب • والسباع والضباع ، والضواري الجياع ، والاساود والاسود ، والزرق والحمـر والسود ، ودبوا وذبوا ، وشبوا وسبوا ، وصابوا وصبوا * ونابوا ونبوا ، وعبوا وعبوا ، وجابوا وجبوا ، وزحموا ورجموا ، واقدموا وتقدموا ، وقدموا سـبعة مجانيق وقربوها . ونصبوا فيهـا ونصبوها ، فعلت كانها قلاع ، وارتفعت على التلاع كانها تلاع ، وهي في الجو مترامية ، وبالجو راميه ، وفي السماء ساميه ، ولاهل النار الحامية حاميه ، مرتفـعة على مرافعها ، مقتلعة بمقالعها ، منقضة أحجارها لانقضاض الجدار ، منفضة أسواؤها لانفضاض الاسوار ، حاصرة حاصبه • عاملة ناصبه • قائمة قاعده • بارقة راعـده • صادمة صادعه • صارمة صارعه • حبال من الحبال أجنتها • وحنايا للحنين على سهامها من الحجارة رنتها • ومواضع في حجورها الاحجار • ومرابع تنهد بدوائرها الربوع والديار • حوامل على الطلق • صوائل بالفلق على الخلق * مطايا للمنايا ، روايا لخبايا ها البلايا ، في كفاتها آفاتها * وفي حركاتها

ادراكاتها * وللتعذيب عذباتها . وللترهيب جذباتها . وما أعظم جنايات جنادلها . وأظلم غوايات غوائلها . وهي الروائم الروامي . والحوائم الحوامي . والهوادم بالهوادي . والصوادم الصوادي * ودواعي العوادي * ونواعي النوادي * والنواعب بالنوي . والجوائب بالجوى . والصوائب بالمصائب . والنوائب بالشوائب . إذا جذبت جذت . وإذا قذفت أقذت . وإذا طوحت طرحت * وإذا حلّقت حاِقت * وإذا أطارت أبارت . وإذا القت القمت * فشق على أصحابنا بالبلد شقاقها * وكادت تفتح اليه الطرق طوارقها وطرّاقها * فاستصرخوا بنا واستنهضوا * وحضوا على حظنا وحظهم وحرضوا * واستنفروا . واستنصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكباً في العساكر * طالباشغل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسير من كشف هل للعدو كمين . أو كيد دفين * ثم وقفت العساكر عنه ومر الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب * ونكايتها في الضر والضرب . وعرف أماكن القتال . ومكامن الرجال . وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد أطل وأظل . ذل جمعهم وكل * وترك الزحف وأنفلّ . وإذا عاد عادوا وعدوا * وأثاروا في الحرب واسدوا *

﴿ قصة الرضيع ﴾

كان لصوصنا في الليل استلبوا طفلا من يد أمه * وفطموه رضيعاً له ثلاثة أشهر في غير أوان فطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظامه * وفجعوها بواحدها وساعدها . وكدروا صفو مواردها . وقطعوا عنها فلذة كبدها ، وأسعروا عليها جذوة كمدها ، وحرموه در لبنها فدر دمعها . وأبعدوه عن مناغاتها ومناجاتها فوقر عن كل حديث سمعها ، فخرجت والهه ؛ وللحياة كارهه ، وللخد خادشه ، وللوجه خامشه . معولة مولوله . مذهلة مشتعله ، قد شدهت ودهشت ، وتاهت واستوحشت * قد سلب عقلها ، مذ سلب طفلها . وغاب ذهنها ، مذ غاب أبنها ، وتكرر بالحنين والانين ترجيعها . وتردد للقلوب مما فجاها وفجعها من الكروب تفجيعها . وهي نائحة في كل ناحية نادبة في كل ناد . نادية لكل فؤاد عادية في كل واد * فلم يشعر السلطان الا بامرأة بالباب واقفه . وبالنحيب هاتفه . وللدموع حادرة بتصاعد أنفاسها * ومن الخلق مستوحشة لذهاب استئناسها * قارضة صدرها بتقطيعها ، ضارعة لفقد رضيعها ، معولة على الطفل معولة

على اللطف * متنكرة من النكر متعرفة الى العرف • فاحضرها السلطان وهي باكيه ، ونار اكتئابها ذاكيه ، تحدر عبراتها * وتتصعد زفراتها • وتتلهب حسراتها * تبكي بكائها ، وتشتكي من دائها ، وتنشد ضالتها * وتطلب مهجتها ، وتسأل عن حشاشتها • وتشتعل نار قلبها على فراشتها • فلما شاهدها السلطان حريبة حزينه • مسكينة مستكينه • متجننة متحننة مولعة موله ، موجعة متوهه ، سمع شكواها وفهمها ، ورثى لبلواها ورحمها ، ورق بلطفه للطفل الرقيق ، وسلك بفضله طريق التوفيق ، وطلب الرضيع ، فقيل له انه بيع وأضيع ، فان آخذيه باعوه بثمن بخس ، ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق نخس ، فما زال يبعث ويبحث عنه ، ويلوم باذله كيف لم يصنه ، حتى جيء به في قماطه ، وقد كاد يلف في عباءة اغتباطه ، فلما أبصرت واحدها ، ضمت عليه ساعدها ، ودعت وعدت ، وشدت يدها به وشدت ، فاعادها ، وبنواله أفادها ، وبرّد حرها برد روحها ، وأسا ما أساء الاسى من جروحها وقروحها ، وروحها بروحها ، وفرع دوحها ، وأغناها بغنائها للشكر عن نوحها ، وظهر سر سرورها عليها ببوحها ، وشيع معها من أوصلها الى موضعها ، وقد اجتمع شمل المرضعة بمرضعها ، وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه ، وهذه نادرة من جملة أياديه •

﴿ ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية ﴾

لما أصر الفرنج على مضايقة عكاء في كل يوم ، وخطبوا متاع متاعبهم في ابتياعها بكل سوم ، وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعوم ، وداروا حول حمى دارها بكل حوم • ولم يكن بد من ركوب السلطان بالعساكر الهمم في كل بكرة وعشى • وارعاب القوم بكل حد مرهوب وجد مخشى ، وكانت المسافة نائيه ، والآفة دانيه ، انتقل السلطان الى تل العياضيه * بعساكره وأثقاله بالكليه * بالعزائم والصرائم الماضية المضيه • الراضية المرضيه * ولم يكن انتقاله دفعة واحده * بل مهد له قاعده * فان يوم الثلثاء تاسع جمادي الاولى بلغه أن القوم قد عاودوا العوادي * ورفعوا من ضلالهم الهوادي * وضايقوا البلد أشد مضايقه * وعالقوه أجد معالقه * فأمر الجاووش حتى نادي * وباكر العدو بالعساكر وغادي • ووصل بالفارس والراجل الى الخروبة وقوى اليزك * وألزم المقدمين والامراء بحفظ توبهم الدرك * وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين قاتها خرج

بالكثرة *وتورط في العثره• فلم يشتغل بها بالا ولم يلتفت اليها جنانا* بل تصرف على عناده ولم يصرف نحوها عنانا * واشتد على البلد زحفه *وامتد عسفه *فساق السلطان بالعساكر وهجم وترك العدو الحصار واحجم * فلما جاء الظهر رجع العدو الى مخيمه * والسلطان على قصد العدو الى مخيمه •ولما وصل الى تل الخروبه*ونزل في خيمة لطيفة لاجله مضروبه، وصل من اليزك من أخبر ان العدو لما علم انه قد انصرف*عاد الى أشد ما كان فيه وزحف، وانه قد أرعب وأرعف • وأرهق وأرهف * والهى وألهف • وأرهب وأرهج *وأعجز وأزعج* وثار وأثار • وألحم الملحمة بناره وأنار • فبعث السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالخيم فأعادها * واستنهض الى الفريسة آسادها * وأجرى في حلبة الحمية جيادها*ودعاها الى طعن يبرح بالذوابل* وضرب يرنح اعطاف المناصل * وأمرها من الحرب بأمرّها * وأدارها من مري أخلاف الدم بأدرّها * ثم سار آخر ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى الى تل العياضية قبالة العدو * وضرب خيمته بأعلاء ظاهر العلو ، والعدو بالحصر والزحف مصر مضر * وعلى عنائه وعناده مستمر * والسلطان في كل يوم يصابح القوم بالقتال ويماسيهم * ويراوحهم ويغاديهم * ويفاتحهم ويباديهم • بضرب كما اشترطته حدود الظبا * وطعن كما اقترحته كعوب القنا * وفتك كما تمنته المنيه • ورمي كما حنت اليه الحنيه* هذا ومجانيق الكفر على الغي مقيمه *وللرمي مديمه* وبالاحجار متقاطره • وعلى الاقطار حاجره * وللجلاميد للجلاميد قارعه * وللصخور بالصخور قالعه •وتمكن الفرنج بها من الخندق*فدنوا منه دنو المخنق * وشرعوا في هجمه * وأسرعوا الى طمه * وداموا يرمون فيه جثث الاموات، وجيف الخنازير والدواب النافقات *حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم * ويحملون اليه موتاهم * وأصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد اقتسموا فريقين * وافترقوا قسمين ففريق يلقي من الخندق ما ألقي فيه * وفريق يقارع العدو ويلاقيه •

﴿ ذكر وصول ملك الانكتير ﴾

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور * اشاع اشياع الكفر سر السرور•وعقدوا حبا الحبور * ووصل ملك الانكتير * وأظهروا انه في الجمع الكثير والجم الغفير * وكانت معه من الشواني خمس وعشرون قطعه* كل واحدة منها تضاهي تلعة وتوازي قلعه،

وأحدث في القلوب روعه * وأرث في النفوس لوعه * ولمت لنا من خيامهم تلك الليلة نيران زائده. وأنفاس للشرار متصاعده * وألسنة للشعل نضناضـه * واشعة على الجو مفاضه * فكانما أوردت الجحيم اقدوم وارد نارها نارها . وأوصلت لوصول أولئك الشرار شرارها * واورث لهم أوارها * وشاهـدنا تلك البسيطة قد بسطت على أهـل الدياجير الاضواء. وهتكت عنها لهتك ستر ظلام ضلالهم الظلماء * فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم * ولما كانوا من أهل النار ببرهانهم * وأتتهم باتيانهم * واضافتهم في مكانهـم * وملك الملك بأمره امرهم * وأراهم ان بيده نفعهم وضرهم وملأ عين الملاعين. وأطال انتطاولهم اشطان الشياطين * وحفر للمكايد آبارا * وأثر في المكر آثارا * وارث للشر نارا *واثار لنصرة النصرانية ثارا * وتحدث الناس بحادثه وحديثه *وبما تأثرت القلوب به من تأثيره وتأريثه *وارتابوا وارتاعوا * والتاحوا والتاعوا * وغدت الالسنة ترجف والقلوب تجف* وكاد الباسل يجبن * والباطل يخشن . والحق يلين ، والدين يدين والسلطان قوي الجنان . روى الايمان . صاف يقينه ، واف دينه . شاق نصحه . كاف نجحه . مسفر لعين الاسلام صبحه . مسرف في قلب الكفر جرحه . ماض عزمـه . قاض حكمه ، مثبت جيشه بثبات جاشه. عامل لمعاده ، ونصر الحق في معاشه. متأن في تفكره ، متأت في تدبره. متوكل على ربه في نصرة دينه، متوسل اليه في تأييده وتمكينه لا تروعه المخافات ولا تخيفه الرائعات .ولا تزعزع الخطوب طود وقاره . ولا تفض النوائب ختم ذماره . ولا ولا يلين للشدائد . ولا يستكين للروائع الرواعد ، وكم سكن الاسلام بحركاته . واخصبت الايام ببركاته ونام الانام ليقظاته ، وآمنت مصر والشام بنهضاته . فما راعه ما عرا . وما درأ عزمه لما درى . ولا رد وجهه عما قصده . ولا صدف رأيه عما عليه اعتمد. بل ازداد قوة بصيره ، وازدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيره . وعمد الى السماء فاستعار من أنجمها اسنة الذبل . وداف في الارض فوهب تربها للقسطل . وأعلم ملك الانكتير ان جمع كفره للتبتير * وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة أهل التوحيد مولعـة من نحور أهل الاشراك بهتك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في كتائبها . لتحتبي اعناق العدا وطلاها وتتصل بقواطعها وقواضبها * بخيل تأبي الضيم مثل ابائه ونحو مثار النقع ينوب عن لوائه. ووجه كلمع البرق في ضيائه ، وقلب كصدر العضب في مضائه وأقام السلطان على هذه الحاله . سامياً في مطالع الجلاله . لم ينض سلاحه . ولم يخفض

جناحه • ولم يركز رماحه • ولم يردع للروع مراحه •

﴿ ذكر غرق البطسة ﴾

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسه * وزادها من العدد والآلات بسطه • واودعها من كل نوع ميره • وملأها غلةوذخيره • واركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لمكا • من كل من طهر وتزكي • وشكره الاسلام اذ الكفر منه تشكي • فلما توسطت ثبج اللجة • وتورطت على نهج المحجه • صادفها ملك الانكتير • بحكم قضاء الله والتقدير • وأحدقت بها شوانيه • وعدتها عواديه • وقاتلتها نصف نهار • وهي لاتذعن لاقتسار • فا كبّت من العدومراكب • وجبت لهاغوارب • وأحرقت وأغرقت • وهتكت وخرقت وفرقت ومافرقت * وقتل من الفرنج خلق عليها • وما امتدت يد عدوانهم اليها • فلما يئست من سلامتها • وزالت عن استقامتها • وانحلت عرى وثاقها • وانحطت ذرى اعتلائها واعتلاقها • ومالت الى الاستسلام • وجالت على الاصطلام * قال مقدمها • علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل • والشح بالدين احب الينا من البذل • فنزل الى البطسة فخرقها ومانع عنها حتى اغرقها • وسعد أهلها • وأفترقت وسيجتمع فى دار النعيم شملها • ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الأولي * فقلنا الدهر يومان نعمي وبؤسى • وما يزال الان على ذلك حتى يزولا * وكانت هذه الوقعة أولى حادثة للوهن محدثه • وللهم مورثه • ولنار الاسي مؤرثه •

﴿ ذكر حريق الدبابة ﴾

وكان الفرنج قد اتخذوا دبّابة عظيمة هائله * قد أظهرت لها في الشر غائله * ولها أربع طباق * شدّها على الارتباط باق * ولها من الاحكام باس وابلاس * وهى خشب ورصاص وحديد ونحاس * وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس * وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلس * وبلىَ البلد منها بكل بليه * ورُزى بكل رزيه * وكانت هذه الدبّابة على العجَل * ليقربوا بتقريبها أسباب الاجل * فباتت القلوب منها على الوجل * وكاد أصحابنا يطلبون الامان * وخضع كل أبيّ واستكان * فقارعوا عندها أشد قراع • وماصعوا أجد مصاع • وتوالت عليها من مساعير الرهط • قوارير النفط • وهي تضرب في حديد بارد • وتضرب عن كل شيطان مارد • وتنبو عن الاحراق وتنبي عن الاخفاق •

حتى بدرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب • فاخذت الدّبابة وقلوبهم قبل جسومهم في الالتهاب • فعوذناها بسورة والنجم إذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوي • فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب • ومن حرّ أنفاسها برد النفوس • وكشف شعاعها ظلم الكروب • ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبُوس العُبوس • وأنارت نارُها لنا بكل نور • ولهم ببوار قوم بُور • ودبّت شعلها في أضلاع الدبابة وجنوبها • فاحرقها الله احراق أهلها بذنوبها • وكما أضاءت الافاق بنيرانها • اظلمت بدخانها • فجلت لنا بياض النصر في السواد • فكأنه سواد الناظر أو سويداء الفؤاد • بل سواد المداد يأتي من أنواره بالامداد فجلا حريق هذه الدبابة صدأ قلوبنا المغتمة بالبطسة الغريقه • وأحمت نارها في حماية الحق حميـة حماة الحقيقه • فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسه • فكان تشميتاً لتلك العطسه *

﴿ ذكر وقعات في هذا الشهر ﴾

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكاء عند زحف العدو دقّ الكؤس • حتى اذا سمعناه جدنا في الزحف الى العدو بالنفائس والنفوس • ولما أصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته • ونظرنا من جانب العدو مثار غبراته • فعلمنا بزحفه • وعملنا في حتفه • وضرب الكوس السلطاني اصراخا لصراخ ذلك الكوس • فتمايلت أعطاف ذوى الحمية من حميا العزائم لامن حميا الكؤوس • وركب السلطان في كل مشمر للبرد • مضمر للجرد • فضفاض السرد • قضقاض كالاسد الورد • مشتاق الى الطرد • ملتاح من ماء الوريد الى الورد • من الترك والاكاديش والعرب والكرد • يهوي الى الاقران هوي المصلتات الى الرقاب • ويظمأ الى إرواء الاسـل الظماء فيطيـل صدى الخيل العراب • وكل نمل كانه نزيف الحميا • يعيد السماء من الارض بركضه شاحبة المحيا • وكل ضرب تكاد تفيض مضارب اصله من خفة الطرب لولا وقاره * وكل طلاع مع النوب لاينام ثاره • ولا يثبت في الجفن غراره • وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنه • وكل مطرد يعيم السوابح السوابق في بحور الاعنه • وكل رام فروج المازق حتى تفرى بأيدى المذاكي • وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق الشاكي • وكل مصمم مصم درعه غير محقبه * وسهامه غير مجعبه * وسيوفه غير مقروبه * وقبابه لمداومة اجراء

قبه غير مضروبه • وسار السلطان وقداسودت لوقع السنابك جوانب جحفله • وأبيضت بلمع الترائك مذاهب قسطله • وأشتبهت في النقع الوان خيله • وامتدت الى قرار الاقاء أعناق سيله • فكأنما غارت الشمس من شموس شمسه فتوارت بالحجاب ، وعد النقع في وبل النبل من حساب السحاب • وولجت العساكر عليهم في خيامهم • وحملت ليالي القتام الى أيامهم • وغلت الصدور بما فيها • حتى وصلوا الى القدور على أثافيها • وهتكوا وفتكوا • وأدركوا وسفكوا • فتراجع الفرنج وأصطفوا على خنادقهم • ووقفوا بقنطار يّاتهم وطوارقهم • واجتمع عسكرنا لعلهم يحتمون ويحملون ، ويعلون من دمائهم وينهلون • ودخل الظهر • وحمي الحر • فافترق الفريقان • وتراجع الى خيامهم الجمعان •

﴿ وقعة اخري ﴾

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر • ضايق أهل الكفر البلد على الحصر • وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهه • وكانت من أشدها واجدها كريهه . غيرانه في هذه النوبة عرضت نبوه . وكادت تتم كبوه • فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من عسكرنا داخل خنادقهم • فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي سوابقهم • فانتشب الحرب • واشتجر الطعن والضرب • وكثرت الجراحات • وكثرت الاجتراحات • واستشهد ممن عرف من المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان • وقتل من المشركين جماعة أسرع بهم مالك الى النيران •

ومن عجائب هذه الوقعه • أن رجلا من مازَندرَانَ من أهل الرفعه • وصل في تلك الساعة وافدا • واستأذن وقت السلام على السلطان ان يقدم مجاهدا • فحين شهد الوقعة استشهد • فلقي الله بعهده كما عهد

﴿ وقعة أخري ﴾

وفي يوم (السبت) الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا • ورامحا ونابلا • وامتدوا من جانب البحر الى البحر اطلاباً • وتحزبوا في ذلك الفضاء أحزاباً • وركب السلطان من مجالس عادته • الى مجال سعادته • موقنا ان اداء عبادته • في إبارة العدو وإبادته • وتقدمت المقدمة وأقدمت • وجحمت نار اقدامها وما احجمت • وما زالت نجوم النصول تنقض • وختوم النحور تنفض • وعيون العيون ترفض • وديون الذحول

وحقوق الحقود تقتضي وابكار الدروع بحدود الذكور تقتض • في شعواء خضرها التباب الغائب ، ونكباء لها من الذوابل ذوائب • وبحر تسبح فيه السوابح • وشرب بكاس المنية منها المهج غوابق صوابح • وغبراء اساواد نبالها تتواثب عن عقارب القسى • وثعالب لهاذم صعادها تتلاعب في أراقم السمهري • وذباب ظباها اطن في مسامع الذئاب وعقبان راياتها تحلق الى مطالع السحاب ، وغدران سوابغها تفيض عليها جداول القواضب • وغران سوابقها تغيض في غطامط الغياهب . وارواح اغمادها البارية عن الاجسام بريه • وقلوب أسادها الضارية على الردى جريه . حتى دخل على ليل النقع الايل • وجرى من ديمة الدم السيل . والتفت لما التفت بالخيل الخيل . وأفرج المأزق عن قتلى جرى عليها من السوافى الذيل • واستشهد من المسلمين بدوى وكردى . ولكم وقع من المشركين رد ردى • له فى الهاوية هوى ، وعليها من زفير جهنم دوى ، وأسر من العدو فارس بفرسه • ولامته وقونسه وتفرق الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى • وقدعم من الشجب ماشجا

﴿ وقعة اخرى ﴾

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين • وقد أخرج من جانب النهر راجلا في عدد رمل يبرين • بقواطع يبرين * وقواضب يفرين • وطوالع غروب فى الطلى يغربن وبالردى يغرين * وانتشروا ممتدين وامتدوا منتشرين * فلقيهم اليزك بكل من يزكيه عند شهوده مضاء كالقضاء • ويوافقه القضاء في المضاء وكل معتقل للرديني اخف الى الوغى من سنانه ، وكل مشتمل للمشرفي خضيب الغرار ريانه ، وكل ملتثم بعثير حصانه * معتنق لعطف مرانه . وكل صبيح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه مدفونه ، وكل قارح على قارح شرارة عزمه في سكونه مكنونه . وامتد راجلنا امامهم ، واثبتوا قدامهم اقدامهم • وطال القتال • وطارت النبال . وحاضت الذكور • وفاض التامور • وأعمي العثير وعم العثور . واسروا منا واحدا فاحرقوه فصحب نوره بين يديه الى دار القرار * وأسرنا منهم واحدا فاحرقناه فشبثت به تلك النار الى النار • وشاهدنا النارين في حالة واحدة تشتعلان • والصفان واقفان يقتتلان •

وفي يوم السبت الماضى هرب خادمان ذكرا أنهما لاخت ملك الانكتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير • وأخبرا انها زوجة صاحب صقلية فلما هلك • صادقت في الاجتياز

بها أخاها هذا الملك ، فألزمها بان تتبعه واستصحبهامعه ٠وقدراماالنجاة من تلك الفاجره لنجاة الآخرة ، فاكرم السلطان وفادتهما٠واجزل بالاحسان افادتهما٠

﴿ذكر المركيس ومفارقته القوم ووصف السبب في ذلك﴾

وفي الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المرقيس انه هرب الى صور ٠ وانه كشف للجماعة المستور ٠ ونفذوا وراءه قسوساً . وألقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروسا٠ فنبا قبوله . بانقطاع وصوله ٠ وكان سبب نفاره ٠ وموجب استشعاره ٠ ان هنفرى كانت زوجته ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم انه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده ٠ وسواء في هذا الميراث . بين الذكور والاناث . فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى وكان الملك العتيق كي أخذ الملك بسبب زوجته الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليه يد الملكة وبقيت هذه زوجة هنفري٠ فاصبح المركيس عليه يجترى ٠ ويقول لست من أهل الملك لتكون الملكة لك زوجه ٠ولا بدلي من تقويم هذا الامر حتي لاأبقى فيه عوجه ٠ وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروساً ٠وأحضر لنكاحها قسوسا ٠ وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حبالة الحبل *فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل ٠وادعى المركيس ان الملك انتقل بها اليه . وان أمر الفرنج بشرعهم في يديه ٠ فلما جاء ملك الانكتير تظلم اليه٠هنفرى والملك العتيق فانفتح بذلك له الى مؤاخذة المركيس الطريق فاستشعر المركيس منه وما قر ٠ وأخذ معه الملكة وفر *

﴿ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية﴾

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار ٠وقد سد بسواد عديده النهار . وأفاض ببياض حديده الانوار ومقدمه مجاهد الدين برنقش الشهم الشديد ٠ والسهم السديد ٠ والالمعي اللوذعي* والكميش الكمي ٠والنقاب النقي ٠والعف التقي ٠ وهو ذوهمة في الغزو عاليه *وعزمه بالمضاء المضي حاليه .وقيمة في سوم السلطان لقربه غاليه ، وسريرة خالصة صافيـة من الكدر خاليه ٠وأكرمه السلطان في استقباله بنفسه. واقباله عليه بانسه٠ وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مما يلي الذيب* وقد أحسن في عرضه التدبير والترتيب* ثم عاد في خـدمة السلطان مكرما الى جنبه : مقدماًعلى صحبه٠فانزله في

خيمته وخصه بحوا كانه * وتقدم اليه بالنزول في ميسرته وفي(يوم الاربعاء) ثاني جمادى الآخره *وصل جماعة من عسكر مصر والقاهره *بالعدة الوافرة والقوة الظاهره *مثل علم الدين كرجي *الذي يسرع الى لقاء أقرانه ولايرجي * وكسيف الدين سنقر الدووى ذى الزند الورى والسيف الروى وأمثالهما من المماليك الناصريه *والمساعير الاسديه * أسد العرين *الشم العرانين *الغر الميامين * (وفي عصر هذا اليوم) وصل علاء الدين بن صاحب الموصل الى الخروبة ونزل بها *ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في أحسن أهبها* فركب السلطان اليه ولقيه وعاد *وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد* وأصبح يوم الخميس في خميسه *سائراً بآساده في عريسه * مقبلا بكل فارس من جيشه فارس من خيسه * في غاب كانهم أجادل والجياد مراقبها وخيل كانها الظلماء والترائك كواكبها *ونقع كانه الاتي والمقربات قواربه *وبحر تصادم منا كب الآكام مناكبه * وتملأ الوهاد طوالعه وغواربه. عاريات غروبه عاليات غواربه * تقال مذاكيه باعباء عواليه *كانما نهضت لاذكاء نار الهياج حواطبه *وعبرت علينا كتائبه وأعربت عن مناقبه مقانبه * وتلقاه من أولاد السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق،وهو من جملتهم البحر بل الغيداق *والملك المؤيد نجم الدين مسعود،وهو كاسمه مسعود مجدوده وتلقاه الامراء والعظماء والخواص والاولياء *وساق على تعبيته،واجابته دعوة الاسلام وتلبيته ٠الى جانب البحر *ليرعب أهل الكفر *وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ،ولما انفصل السلطان أخـذه معه الى خيمته وأحضر له أسباب تكرمته *وآنسه بانبساطه * ونظمه مع أصحابه في سمط سماطه *وأجلسه الى جنبه *وعقد له حباحبه *وخصه بخلع وثياب* وحصن عراب *وما يليق به من كل باب *وانصرف عنه ونزل على ميمنته *نزوله عام أول في منزلته * (وفي يوم الجمعة) رابع جمادي الآخرة وردت من مصر كتيبة ثانية، صارفة أعنة خيلها الى الجهاد ثانيه * ساطية على الكفر بأسها جانيه *وقد علمت الوقائع انها لثمراتها اليانعة من ورق الحديد الاخضر جانيه، فما نزلت حتى عرضت على العدو مقانبها *وأبرزت لعينه قناها وقواضبها* وأرنت برسل المنية اليه قسيها *ثم جاءت وألقت بمضاربها عصيها *وكانت العساكر تتوارد *والجموع تتوافد

ذكر ضعف البلد

.والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آيست منه * وأسلت القلوب عنـه * والمجانيق قد

رمت شرافاته * وسمت اليها بآفاته * وأعادت جوانبه مهدومه * ونواجزه مهتومه * وانحطت عنه بمقدار قامه * فلم يتمكن أحد من عليه من إقامه * وضعف البلد والجلد • وخلا بالهم عليه الخلد * وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم • ووكلوا بها فيالقهم • ونحن لا نألوا في الجهاد جهداً ولا نترك جدا • ولا نجد من مضايقتهم بكل نوع بدا • وجاء الخبر ان ملك الانكتير قد أشفى من المرض • وأشرف من المضض • حتى حلق رأسه حلق لحيته • واستلقى لانتظار منيته • فتثبط الفرنج وتثبتوا • وسكنوا وسكتوا • إلى أن يركب فيركبوا • ويثب فيثبوا • وكان في هذه الفترة للبلد بقاء رمق • وزوال فرق • وانتعاش عثره • وانجبار كسره • وانطفاء جمره • وانسداد ثغره *

فصل من كتاب الى صاحب الموصل

فى شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجنود الانجاد • ووقف اجتهاده على موقف الجهاد • وما أكرمه قائماً في المقام الكريم • وعظيما خاطباً دفاع الخطب العظيم • ووصل فوصل جناح النجاح * وأنشر الصدور بما صدر بهما من نشر الانشراح • وجاء والكريهة ذاهبة بالارواح • والحرب ساقية طلاء الطلى في صحاف الصفاح • وقد برزت بنات الاغماد الذكور على أكُفّ أكفاء الكفاح • لنكاح الهام بالسفاح • وشارك في الجهاد وشد الازر • وسدد الامر • وآزر وعضد • وظاهر وأسعد • ولا خفاء عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع ملوكهم وكنودهم • وتوافد أمداد حشودهم • وقد استشرى شرهم • واستضري ضرهم • وأعضل خطبهم واستفحل أمرهم • واشتغلوا منذ وصلوا بنصب منجنيقات • وتركيب آلات ودبابات • وزحفوا إلى بلد عكاء بجمعهم * ووقدوا بجمرهم • وأخذوا فيه نقوبا • وحكموا في الاسوار من الاسواء بضرب المجانيق ضروبا * والثغر الآن قد أشرف • والعدو قد أسرف * وكلما زحف إلى الثغر زحفت العساكر الاسلامية اليه • وهجمت عليه • والعدو بخندقه محتجز * ولفرصة الغفلة عنه منتهز * ومن جثوم الموت عليه في مجثمه محترز • ولم يبق إلا أن يتداركه الله الثغر بلطفه • ويجريه على المعروف من عادة نصره وعرفه • والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المهج • ووضح لهم في ثبات جنانهم المنهج • وفي كل يوم يسدون بأشلاء الهاجمين عليهم الثلم • ويجلون

عنهم بما يشبونه من نيران الظبا الظلم • والعدو قد لج • والحديد من قرع الحديد قد ضج • والبلد مشف • والبلاء عليه موف • والمأمول من الله أن يأتي من نصره بما ليس في الحساب * وأن يعيد ما جمح من أمر الاصحاب إلى الاصحاب • ويكفي هـذه النوبة الصعبة فهو كافي النوب الصعاب •

فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت العساكر التي وفت بعدتها الماجده . ووافت بعدتها المنجده • وأقبلت إقبال الآساد في عرين الوشيج • وماجت موج البحار في غـدير الزغف النسيج • واستهلت استهلال الرواعد البوارق * والمت بالعدا إلمام العوادي الطوارق • ولقد جاءت في وقتها منجدة من جده . موجدة للانتقام من الكفر بكل موجده • واستظهر الاسلام بظهورها • وسفرت وجوه النصر بسفورها * فاحجم الكفر باقدامها • وانتظمت أحداق المشركين في عقود سهامها ، وخيست مضارب المضاء بمضارب خيامها • وفض بالفضاء ختام قتامها * وما أشكر الدين والاسـلام لعزائم عماده وغياثه * وأبعث أمداد الظفر لاهتزاز نصل نصره وانبعـاثه *

فصل فى الاستنفار

قد عرف أن العـدو قد احتشد بجميع ملوكه • وغصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه • وهو حديد الشوكه * شديد الشكه * قد لج في حصر الثغر ونصب آلاته * وركب عليه منجنيقاته • ووالى الضروب من الضرب . وأخذ منه مواضع فى النقب • وقد أشفى على خطر عظيم • وخطب جسيم . وإذا لم يصل في هذا الوقت فمتى • ومن أتى فى غير الوقت المحتاج اليه فما أتى • وهذا أوان رفض التواني • ونهوض المسلمين من الاقاصي او الاداني • والوصول بكل ما يقدر عليه من العسكر • والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والجد الاوفر * وهذا يوم الحاجـة وأوان الضروره • والنهوض بعسكره إلى نصرة عساكرنا المنصوره • فلا يجنح إلى عذر فللاعذار أوقات • ولا يلتفت إلى غـير هذا المهم الذي ليس للمسلمين إلى سواه التفات •وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم * ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم *

ذكر خروج رسل الافرنج

كان قد خرج مذ أيام رسول • وسأل أن يكون له إلى السلطان وصول • فاجتمع
به الملكان العادل والافضل • وقالا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل ، وما كل
مقصود عليه يعرض * ليعلم في الاول هل هو مما يقبل أو عنه يعرض * فأعلمهما الحال *
وعرفهما ما سبب الارسال • فأحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يديه • وأوصل تحية
ملك الانكتير اليه • وقال هو يؤثر بك الاجتماع • ولخطابك الاستماع • فان أعطيته
أمانا خرج اليك • وأورد مقصوده عليك • أو شئت كان الاجتماع به في المرج * خاليين
من مقتضيات المرج * وكلا كما عن عسكره منفرد * ولحديثه في الخلوة مورد * فاجابه
السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وأنا لا أفهم بلسانه * ونحيل بالبيان على
ترجماني وترجمانه * فيكون ذلك الترجمان رسولا * فلعله يرد يسول ويصدر سولا • فلما
لج في الطلب * والح في الارب • استقر أن يكون الحديث مع الملك العادل • وإن تنجح
من عنده وسائل الرسائل * ودخل وقد أخذ أمانا • وانقطع بعد ذلك زمانا • فشاع
عندنا ان ملوكهم منعوه • ومن ركوب الخطر فزعوه • فانفذ ملك الانكتير رسوله بعد
أيام • ينكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه وأحكام * وقال الامور مفوضة إلى • وأنا أحكم
ولا يحكم على • وإنما تأخرت بسبب مرض عرض * فأفاتني الغرض • ثم قال الرسول
من عادات الملوك المهاداه * وإن دامت بينهم الحرب والمعاداه • وعند الملك مايصلح للسلطان
فهل تأذنون في حمله وقبوله * وأخذه من يد رسوله * فقال الملك العادل نقبل الهدية
بشرط المجازاه • واستدامة المكافأة للموازاه • فقال عندنا بزاة وجوارح • قد لقيتها
في سفر البحر جوائح • وقد ضعفت فهي طلائح روازح * ونريد طيراً ودجاجا تصلح
لطعمها • فاذا استوت حملناها للهدية على رسمها • فقال العادل لا شك ان الملك مريض
وقد احتاج إلى دجاج وفراريج • ونحن نحمل له منها كل ما اليه احتيج * فلا تجعل
حاجة طعم البزاة في طلبها حجه * وأسلك غير هذه المحجة محجه * وانفصل حديث الرساله
على قول الرسول هل لكم حديث • فقلنا أنتم طلبتمونا لا نحن طلبنا كم وما لنا معكم
حديث قديم ولا حديث • ثم انقطع حديث الرسالة إلى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة
فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم • ومعه أسير مغربي مسلم • وأحضره على سبيل

الهديه • وأوصل إلى السلطان ما حمل من التحيه • فشرفه بخلعته • واعتد له بهديته * ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلثه * وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثه * وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثلجا * ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة نهجا * فأكرمهم السلطان بما سألوا • ووفر لهم منه فحملوا * وسألوا أن يتفرجوا في الاسواق • ففسح لهم فيه على الاطلاق *

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسالات تفتير العزمات * وهم مشتغلون بموالاة الرمي بالمنجنيقات * وتسوية المنصوبات وتعبية الآلات . وتعديل العرادات وتثقيل الحجارات . حتى تخلخل السور وحان انهدامه ، وتخلخل وبان انثلامه • وتزعزعت أركانه • وتضعضعت أبدانه * وكاد يهي ليهوي * ولا يقي ولا يقوى، كي يثوي . وأهل المدينة قد كثر تعبهم لكثرة النوب ولقلة العدد والحجر هاتك • والسهر ناهك * والعمل دائم * والخلل لازم * والقلوب قلقه * والظنون مخفقه * والمتاعب شاقة والمشاق متعبه * والاحوال متصعبه * والاهوال مرهبه * وكانت في البلد منجنيقات تنصب * وتفيض بها قوى الرجال وتنصب * فلما اشتد الزحف * وزاد الضعف * احتاجوا إلى رجال المنجنيق للمقاتله * والتناوب على المنازله * وهناك ظهر إن العدد لا يقي ولا يفي * وإن القليل لا يكف ولا يكفي * وإن خروج من كان في البلد لاجل دخول البدل لم يكن صوابا * وان تقصير النواب ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء اعطابا * ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم الثلثاء * بما عليه البلد من غلبة البلاء * زحف بعسكره ولج حتي ولج خنادقهم * وطرق اليهم بوائقهم * ونهب من خيامهم ما تطرف * وأسرف في إرهاقهم بما أشرف * وحمل الملك العادل بنفسه مرارا * وأجري من الدم أنهارا * وأراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل نهارا * وأمسى السلطان تلك الليلة ساهداً لم يذق طعاما * ولم يستطب مناما * ثم إمر بدق الكوس سحراً حتى عادت العساكر إلى الركوب والقساور إلى الوثوب والفوارس إلى الفرس والانداب إلى الندوب * وأعادت إلى الطلوع غروبها بعد الغروب * بكل من يلقى الجيوش على الجيوش * ويرمي الوحوش على الوحوش * ويرعف الصدور بصدور الرواعف * ويشير بالامن عن مواقف المخاوف * وكل من للضرب في جبينه شامه *

وللطعن فى جبنيه علامه*على خيل كامثال القنا تحمل القنا * وضمر كالحنايا تهوى هوي السهام إلى الوغي

في غداة صباحها في حداد نسجتها أيدى المطهمة القب

وظلام يجلوه بريق اليمانية القضب • فجرى ذلك اليوم من القتال أشد مما كان أمس • واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس •

وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها أن العجز بلغ بهم الى غايته • وانتهى الضعف بهم الى نهايته * ولم يبق الا تسليم البلد ان لم تعملوا شيئاً ولم تجحوا فى الذب عنه سعياً • فضقنا بهذا الكتاب ذرعا وقلنا لا حول ولا قوة الا بالله لا نملك لانفسنا ضراً ولا نفعاً • والسلطان من هذا في أمر عظيم • وهم مقعد مقيم • وهو مجتهد في بذل وسعه • سائل من الله لطف صنعه • معاود الى الحرب في كل صباح • طائر الى اللقاء بجناح كل نجاح • وفي هذا يوم الاربعاء • بعث العساكر على اللقاء • ودخل راجلنا الى خنادقهم وخالطوهم * وتقابضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم • وذكر انه وقف فى ثغرة من تلك الثغر افرنجي •كانه جنى مستشيط للشيطان نجي • وهو يدافع ويمانع • ويكافح على تلك الثغرة ويقارع • قد اتخذ طارقته لجسمه صدفا • وصار لسهام المنيه هدفا *وهو كانه مما نشب فيه النشاب القنفذ • وتلك السهام من لبس الحديد لاتنفذ فلم يزل واقفاً الي أن أحرقه بقارورة النفط زراق • فامسى وهو حراق ، ووقفت أيضاً امرأة بقوس من الخشب ترمي *وتديم اصماءها وتدمي * فلم تزل تقاتل حتي قتلت •والى سقر انتقلت

﴿ ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسيس ﴾

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكاء من جانب •وعروه بكل ناثب •ومل إصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرح * وقلة البدل الذى كان قد اقترح • ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بدنه ، وزادت المخافة فلم يبق معها أمنه ، خرج المشطوب الى ملك الافرنسيس بأمان * وحضر عنده بترجمان • وقال له قد علمتم ما عاملنا كم به عند أخذ بلادكم * من النزول عند طلب أهلها الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم * ومن المسير الى مأمنهم نمكنهم * ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم • واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم • فقال ان أولئك الملوك كانوا عبيدى * وأنتم اليوم مماليكي وعبيدى

فاري فيكم رأبي من وعدى ووعيدي • فقام المشطوب من عنده مغتاظاً ولم يلبث لحظه • وأغلظ له في القول عملا بقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظه * وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل باجمعنا * فيكون مصرعكم قبل مصرعنا • ولا يقتل مناواحد حتي يقتل خمسين، ومتي عرف ان الاسد يسلم العرين •

﴿ ذكر هرب جماعة من الامراء والاجناد من البلد ﴾

ولما عرف رجوع المشطوب * ولم يظفر بالغرض المطلوب • قال جماعة من الامراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء • هذا الامير الكبير • والمستشار والمشير • قد اشتغل باله • فسواه ماباله • وعمروا بركوساً • ورأوا في هربهم رأياً منكوساً • وربحاً في دار البقاء مبخوساً • وذلك ليلة الخميس التاسع • وقربوا عليهم الامر الشاسع * وجاؤا الى العسكر مختفين * ومن رفقائهم في نسب الوفاء والوفاق منتفين • فنمى الى السلطان الخبر بهرب الجماعه • وانهم خرجوا لله وله عن الطاعه • وانهم جبنوا عن بذل الاستطاعه • وخفضوا عنهم صيت الشجاعه • وابدلوا الاضاءة بالظلمة والحفظ بالاضاعه وكان فيهم من الامراء المعروفين • وذوى الشهامة الموصوفين • عز الدين أرسل * وهو الذى كان المثل بشهامته يرسل * وحسام الدين تمرتاش بن جاولى • وهو شاب أول ما توفي والده وجاولى * وسنقر الوشاقي من الاسدية الاكابر • ومقدمي العساكر • وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافر فقطع السلطان إقطاعاتهم وأقطعها • وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها • واستعاذ أرسل بالاسدية ثم بالملك الافضل • المفضل المؤمل • وتوسل ابن جاولى بالملك العادل • وكلهم توسل بفضل الاجل الفاضل فلم تعد معيشتهم • ولم تعذب عيشتهم • وعادوا ممقوتين * بجدود ألسن الذم منحوتين * وبضعف القلب وقوة الخور منعوتين * وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها • فشفع فيه على انه يضمن على نفسه العودة ويلتزمها * فعاد في ليلته . وأسقط عنه المذمة بأوبته • ووقع بعد ذلك في الاسار • واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمائة دينار *

﴿ فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعني ووصف الحال ﴾

قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الاحوال • وما نحن عليه من رجاء النصر الذي هو

متعلق الآمال • وان ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا • ونازلوا الثغر واحتفلوا • والآن فان منجنيقاتهم هدته بكثرة الضرب • وكثرت ثلم السور في مواضع النقب • وعظم الخطب • وأشتدت الحرب • وأشفى البلد وأشرف • وأشتفى العدو بما فيه أسرف • ولما لج العدو في الزحف * وأستسهل في التطرق الى البلد طريق الحتف • ركبنا في عسكرنا اليه • وهجمنا عليه • لكنه بسوره وخندقه محتم • والى مطمحه البعيد من أمره مرتم *ولما عاين أصحابنا بالبلد ماعليه من الخطر • وانهم قد أشفوا على الغرر • فرمن جماعة الامراء من قلّ بالله وُثوقه • وأعمى قلبه فجوره وفسوقه • ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم • وباءوا بوبال غدرهم • وما قوى طمع العدو في البلد الاهربهم • وما ارهب قلوب الباقين من مقاتلته الا رهبهم • والمقيمون من أصحابنا الكرام • قداستحلوا مُرّ الحمام • واجمعوا انهم لايسلمون حتى يقتلوا من الاعداء اضعاف اعدادهم • وانهم يبذلون في صون ثغرهم غاية اجتهادهم • وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم قاشتطوا واشترطوا* فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا أيديهم في القوم وبسطوا • فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقوب • والله تعالى يسهل تنفيس ماهم فيه من الكروب • ونحن وان كنا للقوم مضايقين وبهم محدقين • وعلى جموعهم من الجوانب متفرقين • فانهم يقاتلوننا من وراء جدار • ويعلمون أنهم ان خرجوا الينا فى تبار *والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع • والعسكر على مركزهم متألف مجتمع • ولله قدر لايرد * وقضاء لايصد • وسر لايشارك في علمه • وامر لايغالب في حكمه • وعلى الله قصد السبيل • ونجح التأميل • وتدقيق ألطافه في دفع الخطب الجليل • وما توفيقنا الا بالله وعليه توكلنا وهو نعم الوكيل *

﴿ ذكر ما جري من الحال ﴾

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس • وحمى الوطيس * وتحرك بالضراغم الخيس • واسود الجو • وأنسد الضو • وأنقضت القضب انقضاض الشهب • وأشتبهت الدهم والكمت بالشقر والشهب • واختضبت البيض • وتألق من بوارقها الوميض. ورقصت قدود السمر على غناء الصواهل • وحركت رياح السوابق ذوائب الذوابل • فللدروع من الضرب قعاقع * ولعواصف الالوية زعازع • ولغربان الرماح نعيب • ولغـربان المقربات لتقريب النصر البعيد تقريب • ولحريق الظبا ممممه • ولرحي الحرب الزبون جعجعه •

واللاحقيات سابقة ولاحقه • والسريجيات راعدة وبارقه * وشموس الترائك على بدور الاتراك شارقه • ونبال النبل من عيون أعيان الكفر مارقه • وأيدى الاسنة هاتكة لحرز النحور سارقه • وثمالب الاسل في لبة الأسد ضابحه • ونشاوى اللدان من تجيع الأقران غابقة صابحـه • في رايات يحاذ بها ذراع الفلك فتقود عقبانها العقبان • وصفاح يصافحها شعاع الشمع فيكسو لجينها العقيان • وتقدم السلطان الى الامراء فترجلوا • ونازلوا حين نزلوا * وهجموا على الضراغم في آجامها • واحوجوها بجد الاقدام الى احجامها • ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور الفرنج بيده • ووقف عنـده بجلاده وجلده • ووصل في ذلك اليوم عز الدين جورديك • ومعه من النورية المماليك • فترجل وقاتل وأبلى • وأضرم نار الوغى وأصلى • وما ترك من جهده شيئاً ولا خلى • وبات العسكر تلك الليلة على الخيل تحت الحديد • منتظراً لنجح الأمل البعيد • فقد كنا تواعدنا مع أهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل • ويسرون بأجمعهم على جانب البحر سرى السيل • ويذبون عن أنفسهم بسيوفهم • وينجون بأنفهم وعز أنوفهم • ولو صح هذا الموعد * لنجح المقصد * لكن الفرنج اطلعوا على السر * فاضطلعوا بالشر * وحرسوا الجوانب والابواب * وارتابوا بمـا أراب * وكان سبب علمهم اثنـان من غلمان الهاربين * خرجا الى الملاعين * واخبراهم بجلية الحال * وعزيمة الرجال * وأصبح العسكر يوم الجمعة العاشر * وقد جمع من الخيل والرجـل المعاشر * واقفة على ترتيبه صفوفه * مرهفة على عدوه أسنته وسيوفه * ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفه * ولم يتحرك من القوم ساكن * ولم يظهر من العدو كامن • بل خرج ثلثة من الرسل واجتمعوا بالملك العادل * فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من أقسام الرسائل * وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط • ولاذي مقامه بمقامه محيط * وبتنا على تلك الحالة • وأهل الهـدي مراصدون لاهل الضلاله * وأصبحنا يوم السبت وقد ركبت الافرنجيه وتدرعت • وتحزبت وتجمعت ، حتي ظننا انهـم على عزم اللقاء • فهاجت العزائم منا الى الهيجاء • وخرج من بابهم أربعون فارساً ووقفوا واستوقفوا • واستدعوا ببعض المماليك الناصريه فلما عطف اليهم * عطفوا اليه وأخبروه أن الخارج صاحب صيداء في أصحابه * وهو يستدعي نجيب الدين أبا محمد العدل لخطابه * وهذا العدل من أمناء السلطان • وقد أنس الفرنج به لتردده في الرسالات نحوهم في سالف الازمان * فلما حضر أرسله الى السلطان • ليتحدث في خروج من بمكاء

بأنفسهم بحكم الامان، وطلبوا في مقابلة ذلك مالا يدخل تحت الامكان. وزادوا في الاشتطاط. وتناهوا في الاشتراط. فانفذ السلطان الملكين العادل والافضل. ليفصلا المجمل. ويجملا اذا حزا المفصل، فتردد العدل مراراً. ووجد منهم على الاضرار اصراراً * ولم تحرر قاعده * ولم تظهر فائده. وانفصلوا على غير قرار * وعادوا والامر بغير امرار *

﴿ ذكر جماعة من العسكرية وصلوا ﴾

في يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر. وفي يوم الاربعاء بدر الدين أيوب بن كنان وقد حشد وحشر. وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه وقد أبهج بقدومه العسكر. وفي هذا التاريخ ضعف البلد وعجز من فيه. ضعفا لا يمكن تلافيه. ووقف كرام أصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم. وباشروا الاسنة المشرعة اليهم بنحورهم. وشرعوا في بناء سور يقتطع جانباً. حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا *

﴿ ذكر ماطلبه الفرنج في المصالحة على البلد ﴾

وكانوا اشترطوا اعادة جميع البلاد. واطلاق أساراهم من الاقياد * فبذل لهم تسليم عكاء بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا. وبذل لهم في مقابلة كل شخص أسير فلم يقبلوا. وسمح لهم برد صليب الصلبوت اليهم فانفصلوا عن الامر ولم يفصلوا *

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على عكاء وكيفية دخولها ﴾

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخره. ماجت الفرنج بحور جموعها الزاخره وسالت الى ثغر البلد سيل الاتي الى القرار. وطلعت في السور المهدوم طلوع الاوعال في فرج الاوعار. وانحدر عليهم أصحابنا انحدار الصخور المدهدهة، وفرسوهم فرس الاساد المحرجة المكرهه. وردوهم أقبح رد. وصدوهم أفظع صد. ومازالت الكرات تتناوب والحملات تتعاقب، حتى كلت الرجال. وفلت النصال. وعرفوا ان الفرنج يستولون * وعلى أحد منهم لايبقون. ولا يخلون. فخرج سيف الدين علي ابن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج على أن يخرجوا باموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي ألف دينار وألف وخمسمائة أسير من المجهولين ومائة أسير من المعروفين وصليب الصلبوت وعشرة آلاف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لحجابه فلم نشعر الا بالرايات الفرنجية على عكاء مركوزه، وأعطاف أعلامها مهزوزه * وما عندنا علم بما جرت عليه

الحال • وما أحد منا الا والبال منه قد عراه الوبال • وعم البلاء • وتم القضاء • وعز العزاء وقنط الرجاء • ولوت أعناق المسار اللأواء • ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره الى تقي الدين وماعن له في سفره. فانه مضى على أن يعود باضعاف عسكره . فاشتغل بقصد خلاط. وأثار في ديار بكر الاختباط. والاختلال والاختلاط. وتأخرت عساكرها عن القدوم، فنتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم *وكذلك لم يكن في البلد عدد يفي بصونه . وما كان يضبطه السلطان الي هذه الغاية لولم يكن الله في عونه * ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشفر عم . وأقام بخيمة لطيفة متلهفاً متلهباً على ماتم* ثم انتقل سحرة ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم . صابراً على حكم القضاء المبرم * وحضرنا عنده وهو مغتم * وبالتدبير للمستقبل مهتم *فعزيناه وسليناه * وقلنا هـذه بلدة مما فتحه الله وقد استعادها عـداه *وقلت له ان ذهبت مدينة فما ذهب الدين *ولاضعف في نصر الله اليقين* وما وعكت بعكاء القلوب الا ولكربها يوم النصر على الاعداء تنفيس • ولوحشتها بعد هذه الحادثة الموحشـة تأنيس * ولهذا الدين وان تداعت قواعد بقعة من بقاعه بالعز ليفاعه تأسيس * وخرج في هذا اليوم أقوش * رسولا ندبه بهاء الدين قراقوش . يخبر ماقرروه من القطيعه * ويصف كيفية الملمة الفظيعه . وقال ادركونا بنصف المـال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر . وان تأخر شيء من ذلك بقينا تحت الاسر * ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر . فاحضر السلطان الاكابر وفاوضهم في ذلك وشاور • فقالوا اخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون * وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون • فتقبل السلطان تحصيله • وتعجيله بجملته وتفصيله •

﴿ وأنشأت فى استيلاء الفرنج على عكاء هذه الرسالة وسيرت بها كتبا ﴾

قد عرف امر عكاء وان العدو قصدها ورصدها ونزلها ونازلها • وقابلها وقاتلها . وبرك عليها بكلكله • وحفل عندها بجحفله* وتواصلت اليها جموعه أفواجا • وجلب البحر نحوها على أثباجه امثال امواجه امواجا * وجاءت رابضة أمامها . ضاربة خيامهـا *ملهبة بها غرامها • ملهبـة فيها ضرامها وانتهت المدة الى عاملين كل عام تحمـل مدود البحر من أمدادها بحاراً * وبرد الماء باهل النار مستصحبين من ماء الحديد الجامد ناراً* وتصل مراكبهم كانها الاعلام السود . والامواج ناشرة بيض اعلامها * مائلة جبالها باكامها

مازجة أصباحها بأظلامها * وتتنافس ملوكهم الباغيه * وطواغيتهم الطاغيه * في الورود بنفوسها ونفائسها * والوصول بما نفضت فيه كنائن كنائسها * مستخرجة ضمائر خزائنها * مستفرغة ذخائر مكامنها * موضعة ظمائن ضغائنها * مستبضعة متاع متاعها * مسرعة الى معاطن معاطبها * وترد بقناطير أموالها * وجماهير رجالها * ومساعير مصالها * ومشاهير أبطالها * ويحدقون بها من برها وبحرها * ويجثمون بين سحرها ونحرها * ومازالوا يقاتلون ابراجها بالابراج * ويسومون جدتها بالانهاج * ويرومون علاج كرامها برماة الأعلاج ، ويقارعونها ليلا ونهاراً . ويقلمون أفواه خنادقها أحجاراً * ويناجونها بألسنة المجانيق الطوال ، ويطيرون اليها على حمام الحمام كتب الآجال * ويكافحونها قراعا * ويدبون اليها للمضايقة خطاً وساعا . ويناطحونها بالكباش * ويعاقرونها من حرابهم وحرابهم بكلاب الهراش ، وحيات النهاش . ويرامونها بكل منجنيق عظيم الخلق . كأنه حامل على الطلق * لا تلد إلا أمات الدواهي . ولا تدع الراسخ الراسي إذا قابلته غير الواهن الواهي . ويقتل الله منهم العدد الدهم . والجمع الجم . ويهلك ألوفا . حتى يعودنا فرهم للمنون ألوفا . وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هذه المده . سوى من هلك بالضائقة والشده ، خمسين ألفا قولا لا يتسمح فيه المعبر بالبيان بل يتصفحه المحرر بالعيان إلى هذه السنه . والحالة في في تحقيق قمعهم وتفريق جمعهم جارية على الوتيرة الحسنه ، واشتعلت في قلوب أهل النار نار البواعث . وتحدثوا في الحادث ، وثاروا للثار . وزاروا بالزار ، وانبرى ملكا افرنسيس وانكتير ، وملوك آخرون دبروا أحكامهم وأحكموا التدبير . وجاؤا في مراكب بحرية حربيه * وبطس حمالة فرنجيه ، وأجروا في البحر منها السيول . وجروا من ذوات الشراع عليها الذيول . وحملوا فيها الخيالة والخيول . ووصلت كل قطعة كأنها قلعه * وكل بطسة كأنها تلعه . وكل سفينة فيها مدينته . وكل مجرة على سماء البحر بنجوم الرجوم مزينه * فأحدقت بالثغر من من البر والبحر . وأحاطت بمركز الاسلام دائرة الكفر . وأطافت منها الاسواء بالاسوار . والظلماء بالانوار * ومنعت الداخل والخارج ، وسدت على ناقل الميرة وحامل السلاح . المولج والمناهج * وزاحفوه بكل منجنيق كنيق . وكل برج وثيق . وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقوم عندها القيامه . وكل سلم لا ترجى معه السلامه . وكل آلة آلت ان الفتح منها بالحتف . وأقسمت أنها تقسم سهام سهامها لذوي الحفز بالزحف . هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمق . وسور وخندق ، وتدرع

باسواره وخنادقه . وتستر عن طوارق البــلاء بستائره وطوارقه . فلا يخرج منه الى معاركه . ولا يدخل اليه لضيق مسالكه . وهو متحر متحرس ، متستر مترس . عاص على الهجم . عاس على العجم . لا يقتحم سده . ولا يثلم حده ؛ ولم تزل الحالة تمادى والواقعة وليدهالا ينادي . والمدى يتطاول . والمدد يتواصل ، والقضيه تترامى . والرمية تتقاضى . ومقاتلة الثغر صابرون مصابرون . مكابرون مضابرون . فمن مستشهد عدله الجرح . ومن مستنجد عطله القرح . ومن دام بالجرح رام عنه . ومن نازع في القوس نازع منه ، ومن متعرض للموت خوف عار عارض، ومن ناه عن السلم آمر بالحرب ناهض . ومن ندب فيه ندوب . ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب ، حتى ضج الحديد من قرع الحديد . ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد . هذا وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص ، وظل المصابرة يقلص * والعدم يتمكن من الوجود * والقيام للاثخان في زي القعود * وكاد البقاء يودع الباقين * والمنون تلاقي الملاقين * فلم يشعروا إلا وبعض المقدمين المشهورين قد تأخر وتستر * واستشعر الذعر فتعذر وتحذر * واستبدل الجبن من الشجاعه * واستملى العجز من الاستطاعه * وقدم العصيان على الطاعه * وظن أنه لا نجاح له في العزيمه * ولا نجاة له إلا في الهزيمه * وجنب أمثاله من الجبناء * وجمع إلى أمره جماعة من الامراء * فخرج بهم من الثغر فارّا وذهب على وجهه معهم مارّا * ورهب فهرب * وحسب فتسحب * فاضعف قلوب البقية استشعارا * واعدمهم عــدم قراره قرارا * لكنهم ثابوا إلى صبرهم * وثبتوا على أمرهم * ودفعوا مكر العــدو بمكرهم * وما برحوا على مصابرة ومكابره . ومقارعة ومعاقره * ومكافحة وملافحه * ومواقعة ومواقحة * ومطاحنة ومناطحه * وجلد على الخنادق التي طمت * ورمي في خروقها التراب ورمت * وطرقها العــدو بالسوء إلى السور * وطرق الظلمة إلى النور * وهجم على السني بالديجور * وكشف نقاب عروس البلد بالنقب * وأسعر بمساعيره حر الحرب * حتى ثلم حمى الثغر وكلم حاميه ، وأشرفت مراميه . وكثرت ندوب نقوبه . وكرثت خطاب خطوبه . ودخــل العدو فى النقب فلم يجد لكونه مجدلا أو مجرحا مخرجا ، وتوغل في الباب فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجاً . وكل من اصحابنا قد سد الثغرة بنفسه ولقي الوحشة بأنسه . وفارق لوصال اهل الجنة أهله . وأثبت في مستنقع الموت رجله ولم يزل النقابون يوسعون ويمشون ، ويعلقون ويحشون ويخرقون ويحرقون . ويجمعون ويفرقون . حتى

تساقطت الابدان فمادت تلولا * وتمانقت الاسـياف فزادت فلولا ، وتكشفت الوجوه لقبل الطعان وبردت بحرارة الدم قوائم اليمانية في الايمان وبردت بجالدة أجـلاد الشرك أيمـان أنجاذ الايمـان وأصحابنا لايهولهم الهائل ولا يميلهم الى الحذار الجـدار المائل ، ولا يزعهم الخطب الوازع ، ولا يردعهم الرعب الرادع ، يواصلون بالقواطع ويتواقعون على الوقائع ، ويردون بغربهـم الطالع ، ويقـدون بجدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو نثروه * واذا نهضوا له أقعدوه وعثروه * واذا صعد اليهم حدروه *. واذا بادر اليهم بدروه وندروه *حتى أقاموا منه عوض أبد ان السور أبداناً * وكم تركوا على تلك المصارع من جاثميها جثماناً * وما زالوا يقتلون ويقتلون * وينهلون من ورد التجيع وينهلون * ويصلون ويقطعون * ويشعبون ويصدعون * ويكيلون بصاع المصاع * ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع * ويتناجون بألسنة المناصل *ويتقابلون بوجوه الصواقل ويتشاكون بكلام الـكلام * ويتلاقون بسلام السلام * ويتساقون بصحاف الصـفاح * ويتماشون بمراح الرماح * ويستحلون ضرب الضراب : ويستجلون صفحات الصفائح من قراب الرقاب : الى أن انتقل القتال من السور الى الدور * ومن الستائر الى الستور * ومن الطوارق الى الطرق والسطوح : ومن المضايق الى الفساح. ومن المراقب الى السفوح حتي لم يبق من المجاهدين الا سبائك زحوف * وترائك حتوف : وبقايا طرائح *ورذايا طلائح* ومسوق جرائح : ومشوقو ضرائح : قد فصلتهم المشرفيات : وخاطتهم الخطيات *ورشقتهم القسي القاسية * ورشفتهم الظبا الظامية * لا ينهض قويهم من الـكلول ولا يفرى فريهم من الفلول : وقد شغلوا بسد تلك المضايق * ورد أولئك الخلايق * فما شعروا الا وقد دخلت من أقطارها * وتوغلت من أسوارها . وازدحم العدو في مشارعها وسبلها، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، ولما عرف العدو الداخل * والعادى الواغل، ان القوم مستقتلون وللموت مستقبلون . وانه لاطاقة له بمقاومتهم * ولا قوام له بطاقتهم . وانهم لايسلمون وهم يسلمون* ولا يبقون وهم يبقون . اعطاهم أماناً أخطر من المخافة ودخل على الاغارة باسم الضيافة ، وعز أصحابنا بما بذلوه من الوسع وماهانوا . وما وهنوا لمـا أصابهم في سبيل الله وماضعفوا ومااستكانوا ، ولا مرد لما فيه لله من المراد ، ولا مدفع لحـكمه في البـلاد والعباد ، وان ذهبت مدينة فلم يذهب الدين * وان غاض معين فما غاب المعين . وان ارتاب المبطلون فما فارق الحق اليقين * وان فتح المرتج فما فات المرتجى ، وان أدهلم الديجور فلا بد

ان يسفر عن الصبح الدجي ، ولا يشمت عدو بما جري ، فعند الصباح يحمدالقوم السرى

﴿ فصل من كتاب
الى قطب الدين بن نور الدين بن قرا أرسلان ﴾

قد احاط علم المجلس بما حشده الكفر فيهذه السنة من مدد ملوكه ، وكثر على نهار الاسلام بأظلام ليل الكفر وحلوكه ، فالاسلام ينشد ظهيره ، ويطلب الدين لكشف غمته من ابن نوره نوره . وهذه عكاء التي كنا عنها ندافع ، وعن ثغرها نمانع ونجرى دماء الواردين في البحر لقصدها في بحرها ، ونرد للرد عنها مكايد العداة في نحرها ، قد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واحتاج من أبي اسلامها بعد ان صابر وصبر الى الاسلام ، وكانت مودودة فعادت موودة ، وصارت مغصوبة بعد ان كانت عارية من الكفر مردوده . واذا أفكر من خذلها ، وما أخذ لها وغاب عنها وماحضرها ، علم انها اسيرة اهماله ، واخيذة اغفاله ، وحاشي ان يكون المجلس بالغيبة عنا راضياً ، وعن النجدة عند تحقق الحاجة اليها متغاضياً ، وما بقى للفرنج مع استيلائها على الموضع ، الا زائد قوة فى المطمح والمطمع ، وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل دينه بالنصر ، والمردى بمكره اهل المكر وما هذا اوان الوني بل هو زمان استنجاح المنى ، فان العدو الخادر قد آن اوان ان يصحر ، وليل الهدى قد قرب ان يسفر .

﴿ ومن رسالة اخرى في استدعاء مظفر الدين من اربل
تشتمل على حادثة عكاء ووصف الحال الجارية فيها ﴾

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر ، والطاغية الحاشد الحاشر ، وانه ورد في البحر بكل من للكفر فى البلاد والجزائر . وماقصده الا بيضة الاسلام وحوزته وان الله تعالي هو الذى تكفل بذلة اعدائه عزته ، ولا شك انه عرف ماتم منه على عكاء بعد ذبنا عنها في هاتين السنتين ، والمضايقة للفرنج ممن بعكاء ومنا بين الحصارين وانهم كلما دبروا امراً دمرناه . وكلما حققوا كيدا ابطلناه . وكلماقدموا منجنيقاً ، أخرناه وعطلناه . وكلما ركبوا برجا احرقناه ، وكلما كشفوا حجاباً خرقناه ، وكلما أوقدوا ناراً

للحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لمكرهم مكر ولا لكيد هم مجال ، ولم يتسق في هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم فى عدة دفعات زهاء خمسين الف مقاتل* من فارس وراجل* ولم نشك في استيعابهم بالردى* وان حزب الضلال قد أفناه حزب الهدى ، وحسبنا انهم بائدون ، فاذاهم زائدون ، وظننا انهم هالكون ، فاذاهم في نهج القتال سالكون ، وهم حطب نار الحرب ، وطعم الطعن والضرب ، وكم بذلوا أرواحهم على حب المقبرة ، وحصلوا تحت العجز لزعمهم انهم يأتون بما فوق المقدره ، ولما دخلت هذه السنة أشفقنا على من فى عكاء من الاصحاب والاجناد . وقلنا هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد . ورأينا أن نجدد للبلد البدل . وان نسد ونسدد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه أكثر من عشرة آلاف رجل * من كل ذمر مشيح وكمي بطل ، نخرج هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العده . ولم يكن أيضاً من دخل بذلك الجد وبتلك الشده ، فان البحر قبل استكمالها منع راكبه ، وحمي جانبه ، ووصل العدو وعجل مراكبه . فاكتفى البلد بمن فيه ومن فيه كفايه . واتكل على الله الذى عصمته من كل واقعة وقايه ، وجاءت ملوك الفرنج خلاف كل عام ، في جد واعتزام . وحد واهتمام . وجمع لهام ، ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام . وغرام بالواقعة وعرام ، واحتداد للحادثة واحتدام . وباس واقدام* وناس وأقوام * وجند ملأت به سفنها * وأخلت منه مدنها * ووصل ملكا افرنسيس وانكتير . وقد أحكما التدبير * وأجلبا بخيلهما ورجلهما . واناخا بكلكل كلهما . وبركا بثقلهما * وزحفا بجهدهما وجهلهما ، ووافوا بكل برج ونيق . وكل منجنيق كنيق ، وكل آلة هائله . ودبابة للبلايا حامله . ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقاً على موضع واحد . واهبطوا حجارات السور بكل حجر صاعد . وباشروا الباشورة بالهدم . والخندق بالطم والسور بالنقب والثلم . وخرج من نقابي البلد من ارتد عن الدين . واعان نقابي الملاعين* حتى وقعت ابدان السور وابراجه . وتبادر الى الثلم اعلام الكفر واعلاجه . واصحابنا مع ذلك ثابتون . نا كبون كابتون . قد سدوا تلك الثغر بنفوسهم . وجعلوا لحجارات الفرنج وجراحاتها مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقبل السهام . وتلفعوا من وقع بيضها بحمر اللثام * ترشف شفاه الشفار دماءهم . وتشكر ملائكة السماء سماحهم بالمهج وسخاءهم . كلما انتظموا مع العدو انتثر . وكلما نهضوا لتلقيه عثر . وكلما طلع اليهم ردوه بغربهم . وكلما اجتمع به فرقوه بطعنهم وضربهم . وهم يواقعون ويواقحون . ويكافحون

ويلافحون • وكل قد وقف في موقف الكرام وسل نصله • وأثبت في مستنقع الموت رجله • وودع للجنه في لقاء أهـل النار أهله • نخانهم بعض الامراء الجبناء • وأخذ للحياة بترك الحياء * وفر من البـلاء إلى البلاء • وحسب النجاة في النجاء • وهرب في بركوس قد أعده لذلك اليوم • وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم • واستصحب أمثاله واستتبع • وأبعد في فراره وأبدع • وأضعف بضعف قلبه قلوب الباقين • وأطمع أفاعي الكفر في نهش الراقين • على أن الاصحاب ما آذنوا بالاصحاب • ولم يقابلوا الضراب بالاضراب • وما زالوا يواصلون بالقواطع • ولا يرتاعون للروائع • ولا يريمون مقـام المقامع * ويطالبون من الارواح بالودائع • حتى انتقل القتال من السور إلى الدور ومن القوارع إلى الشوارع • ودخل العدو المدينـة على سلم بالحرب شبيه • وأمن أخوف وأخطر من كريهه • وقطيعة فظيعه • كل منة لها غير مستطيعه . ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الاسباب الموهنه • لم تكن عكاء بالممكنة للعدو ولا المذعنه • وإن ذهبت المدينه فالدين لم يذهب • وإن عطبت فالاسلام لم يعطب • وإن ملكت واحتلت فما احتل الملك • وإن سلكت ووهت فما وهي السلك • وإنما نبه الله بها العزائم الراقده • وأجري مياه الهمم الراكده • وبعث الحميات الناعسه • وحرك النخوات المتنافسه • وكما أظهر عجزنا عن قدرته وقدره • سيظهر عزنا بنصرته وظفره . ونحن إلى الآن كما كنا محـدقون بخنادقهم • آخذون بمخانقهم • نوسعهم الردى في مضايقهم • ونجـذبهم في كل يوم الى مصارعهم • ونكدر بعاق نجيعهم صفو مشاربهم ومشارعهم • فما خرج منهم من دخل وما انقطع إلا من وصل • وما أصحر إلا من ندبه عريسه وعرسـه • وما برز إلا من واراه من بطون الخوامع رمسه • فهم مقيمو لا يريمون مخيمهم • ولا يرومون أن يهجروا مجثمهم • وما أنسوا بمرابض المضـارب . إلا لنفرتهم من مضارب القواضب • وهم مع ذلك يرجفون تارة بالخروج إلى المصاف • وآونة بالنهوض إلى بعض الاطراف • وفي كلا القصدين إن شاء الله دمارهم المعجل • وبوارهم المؤمل • فانا نعترضهم أين واجهوا ونواجههم أين اعترضوا • ونعترهم أين نهضوا . ونثيرهم للموت أين ربضوا • وربمـا غرتهم عكاء فطمحوا وطمعوا • واتفقوا على المصـاف واجتمعوا • ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش * وتعوضوا مصارع أمثالهم والثرى لهم وثير الفراش * فان برز العـدو فالمنون له بارزه * والعزائم له مناجزه • والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزه * والمجلس

أولى من ينتخي ويحتمي * وإلى هذا المرام من قهر الكفر يرتمي وينتمي • ويصل بجمعه اللهام الملتهم * وبجمره الملتهب المضطرم * وبعجره المحتد المحتدم * وبفيلقه الفالق ترائك العدا • السافك السابك في نار الوغي سبائك الظبا • الحاص الحاصد بحدود الشفار سنابل الطلى • وهو لاشك ينهض ويستنهض من وراءه • ويستدعى من إذا ناداه أجابه وجاءه •

﴿ ذكر لطف من الله في حقي خفي ﴾

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكاء بسنه قد عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبته الاصحاب • ليكتب بها اليهم ويعود بها الجواب * فلم يبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي * وخرج حكم عكاء في الكتابة عن شرطي * فقلت لاصحابي ما صرف الله قلمي عن عكاء الاوفى علمه ان الكفر اليها يعود • وان النحوس تحلها وترحل عنها السعود • واستعاذني الله من استعادتها • وردها الى شقاوتها بعد سعادتها • ولقد عصم الله قلمي وكلمي • وعرف شيم مخايل ألطافه من شيمي • وهذا قلم جمعت به أشتات العلوم مدة عمرى • وما أجراه الله الا بأجرى * فالحمد لله الذى صانه • وعظم شأنه • وما ضيع احسانه • وهو للفقه والفتيا * ومصالح الدين في الدنيا • وما صرف الا بعُرف • فاصرف الاعن صرْف * وماسفارته الافي نجح * وما اسفاره الا عن صبح وما تجارته الاالربح فهو يمين الدولة وامينها • ومعين الملة بل معينها • بمداده يستمد امدادها * وبسداده للثغور سدادها * ودواته دواء المعضلات * وبعقده حل المشكلات • وبخطه خط عوادى الخطوب • وبقطه قط هوادي القطوب • وببريه برء الامراض * وبدره در الاعراض • وبدرّه انتظام عقود العقول * وبدراريه ابتسام الاقبال والقبول • وبجريه جرى الجياد للجهاد • وبسعيه سعي الامجاد للانجاد • وبحركته سكون الدهماء • وببركته ركون الرجاء : فما كان الله ليضيعه فى صون مالا يصونه • وعون من لا يعينه • فخفت على عكاء من وقوف قلمي عنها • وكان قد ألهمني الله فانه صانه ولم يصنها • وشكرت الله على هذه اللطيفه • والعارفة الطريفه •

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكاء من الوقائع ﴾

وفي يوم الخميس انسلاخ جمادى الآخره • خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافره • وانتشروا بالمرج الى الآبار التي كان حفرها العسكر • فضرب القوس السلطاني

فثار المعشر وقام المحشر وأنهض السلطان الى السبزك من قواه • وأتبعه بمدد تلاه • وقد طار غراب الغبار • وتبرقعت بالتراب عراب المضمار • وشبت الوغى بكل شبوب تمالع سوي فارسها ركابها • وتعير الشمس من نسج حافرها نقابها • فى غلب كالقواضب يروون القواضب •وطوالع من الغروب يعدن في النوارب غوارب • وحمل على ابطال الباطل حماة الحق • فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق* وهزم الفرنج فجالت العرب دونهم • وحالت بينهم وبين أسوارهم وأحالت عليهم منونهم • وصرعوا زهاء خمسين رجلا • كروا عليهم بكاسات المنون نهلا وعللا *وردوهم الى مراكزهم ولم يبن اقادرهم فضل على عاجزهم • ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمه* كادت تحدث هزيمه • فوقف اصحابنا وثبتوا ثم وثبوا * وأسعروا نار الحديد وألهبوا . ونظموهم بالقنا ونثروهم بالظبا • وفرشوا منهم قتلى على الربا • وا ختبت سيوفهم بالاعناق والطلى وحلت من حياة العدا الحبا • ودخل القوم الى خنادقهم ووقفوا وراءأسوارهم • بأثارة عثيرهم وآثار عثارهم • وانتصف الاسلام من الكفر في ذلك اليوم بعض الا نتصاف. وأخذ يد النصر على المصافاة بمصافحة المصاف • وفي يوم الجمعة ثامن رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقرره • لخلاص الجماعة المستأسره . وأخبروا ان ملك افرانسيس صار الى صور، ورتب الدوك نائبه وولاه الامور • وانه قد عزم على العود إلى بلاده • بعد ما جري الامر بعكاء على مراده • وانه وكل المركيس في قبض نصيبه ، ورضي بتدبيره وترتيبه • فانهض اليه السلطان وراءه رسولا بتحف تليق به • يستخرج ضمائره فيما هو من أربه * ونقل خيمته يوم السبت العاشر الى تل بازاء شفرعم وراء التل الذى كان عليه نازلا * وحلّى الموضع الذي حَلّه وَخَلّى الذي أخلاه عاطلا * وما زالت الرسل تتردد* والرسالات تجدد ، والآراء والآراب تجتمع وتتبدد • حتى أحضر مائة الف دينار والاساري المطلوبين وصليب الصلبوت • ليوصل ذلك كله الى الفرنج في الاجل المضروب والوقت الموقوت* ووقع الخلف في كيفية التسليم والتسلم • وكيف يحصل الوثوق بالكفار مع تحمل هذا المغرم • فقال السلطان اسلمه اليكم على أن تطلقوا أصحابنا اجمعين • وتأخذوا بباقي المال على سبيل الرهن قوما معينين • فابوا إلا أخذ الجميع • في الزمان السريع * والوثوق بأمانهم وأمانتهم • والتفويض في اصحابنا إلى خيرتهم • فقلنا لهم تضمنكم الداوية فما دخلوا في الضمان • وساء فيهم ظن السلطان . وقال إذا سلم اليهم من غير شرط

الاحتياط عليهم * كان فيه على الاسلام غبن عظيم * وعار إلى الابد مقيم • فلوا أيقنا خلاص أصحابنا * وعرفنا نجاتهم انتظام أسبابنا * سمحنالهم في الحال ، بصليب الصلبوت والاسارى والمال • وبقى الامر واقفاً إلى أن إنقضي الاجل • وإنتهي الترم الاول . وجاء الرسل وأبصروا الاساري حضورا * والمال موزوناً موفورا • وظنوا إن صليب الصلبوت قد أرسل إلى دار الخلافة فليس له وجود • فسألوا إحضاره وهم شهود • فلما أحضر خروا له ساجدين * وأقروا به شاهدين • وعرفوا أن الشرط بالوفاء مقرون ، وان الاداء بخلاص أسار انا مرهون • وظهرت علامات مكرهم * ولاحت أمارات غدرهم * وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب أخرج الفرنج الى ظاهر المرج خياما ضربوها • وقبابا نصبوها • وخرج ملك الانكتير الى خيمته • ومعه خلق من خيالته ورجالته *

﴿ ذكر غدوملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بعكاء ﴾

وفي عصر يوم الثلثاء سادس عشر رجب ركبت الفرنجية باسرها * وخرجت من مستقرها * وسارت بخيلها ورجلها • وجحفلها وحفلها • وجاءت الى المرج الذي بين تل العياضية وتل كيسان * ونفذ اليزك وأخبر السلطان • وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقه * وشامت صوارم صادقة وعزائم صادقه • وكان الملاعين قد أحضروا أساري المسلمين • في الحبال واقفين • وحملوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم • وألقوهم على مصرعهم • فحمل عليهم العسكر وهاجهم • وضرب بامواجه أمواجهم • وقتل منهم خلقاً * وأوسع فيهم خرقا * واستشهد منا كردي حميدي وبدوى • وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي • فلما انصرف العدو الى خيامه ، وركد الروع بعثار قتامه • شوهد المستشهدون بالعراء عريا . وانما عروا ليكتسوا من حلل الجنان التى أكرمهم الله بها وشيا * ومضي الناس اليهم فعرفوا معارفهم • ووصفوا في سبيل الله مواقفهم • وما أكرمهم رجالا • وأحسنهم في الشهادة والسعادة حالا * ولما غدر الفرنج بسفك الدماء • وهتك ستر الوفاء • تصرف السلطان فى ذلك المال • وبسط فيه يد النوال • وأعاد أسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى أربابها • وترجع الى أيدى أصحابها • فانهم كانوا جمعوا من أهل البلد للحاجة اليهم * فلما استغنى عنهم ردوا عليهم وأعيد صليب الصلبوت الى الخزانه * لا للاعزاز بل للاهانه * فان غيظ الكفار بحفظنا * لصليب

شديد * والمصاب به عندهم على مر الجديدين جديد * وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا * وأنفذوا بعد رسول رسولا * فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا *

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر * وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام * وأنبتت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الآجام * فقيل للسلطان * ما حركة القوم الا لقصد عسقلان * فجاشت همومه وعب عبابه * واجتمع بناديه لاجالة قداح الرأي اصحابه * وسح سحابه * وصح حسابه * وحكم فأحكم * وبري فابرم * واشتشار وأشار * واستثار وآثار * وأستوري زناد الآراء * وامترى مراد الامراء * وقال هذا العدو طني واستكبر * وأصحي له الافق وأفاق واصحر * وقد تحرك بعد سكونه * وظهر بعد كمونه * وغرته عكاء فطمع في عسقلان * واسترق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان * وهذه جموعه بارزه * وكعوبه راكزه * وعوراته باديه * وثوراته عاديه * ونكراته معروفه * وغـدراته موصوفه . وكنا نقول اذا برز نبارزه * واذا خرج نناجزه * واذا فارق مكانه تمكن من تفريقه * واذا ركب الطريق نركب الى طريقه * واذا توجه الى موضع أوضعنا الى مواجهته * وأغرينا ألسنة الاسنة بمشافهته ومسافهته . والآن ألان الله لنا الشديد . وأدني علينا البعيد . وأخرج العدو من الضيق الى السعه . وأبرزه من وراء الاسوار والخنادق الممتنعه . وان لم نلقه في طريق مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصار لنا منها شغل عكاء وأصعب . وحينئذ نتعب . وصدعنا بها لا يشعب . فقالوا هو يسير بالبحر محتمياً . وعن النهج منثنياً . ويقصد الساحل الساحل . ويقتصر المراحل . والذى يلي الساحل في الطرق اما أجام وغياض غلقه متأشبه . واما رمال وتلال ضيقه متكثبه . وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق . ومواقعته بالعوائق * فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر . وأمير من أهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج . ومشاهدة مالها من المخارج والموالج . وكشف المواضع التي يلقى فيها العدو . ويؤمل بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو . فسارا ينفضان تلك المسالك ويكشفان الاماكن التي تكون معارك . وتتخذها لمبار المرام مبارك . ولمدار المراد مدارك . وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع وعينا على أماكن ومكامن . ومواطئ ومواطن . ووقع الاجماع على الاجتماع على اللقاء والقراع . في مذاهب تعينت . ومسارب تبينت * وسهول عرفت . ومروت وصفت . وصمم العزم على أن الفرنج اذا ساروا سرنا على

مراضهم * واستقمنا على جدد الجد في اعترائهم واعتراضهم *

﴿ ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا للقاهم ﴾

وفي سحرة الاحد غرة شعبان • أضرم الفرنج في منازلهم النيران • وأصبحوا على الرحيل • والاصوات مختلطة بالصهيل • والارض مضطربه • والسماء محتجبه • والقباب تقوض • والعياب تنفض • والجعاب تثل • والهضاب تنقل * والذئاب تعسل • والزغف يفاض • والحتف يخاض • والخيل تسرج • والسيل يمرج • وذوائب الذوابل تنشر * واشبات النوائب تكشر * ولواء اللاواء يعقد • وضرام الضراء يوقد • والبيارق تختفق • والبوارق تأتلق • والدو دو • والجو جو • وللحديد تبوج * وللعديد تموج • وقد ثارت الجواء * وفارت الجأواء • ودجت الاضواء • ورجت الضوضاء • وسال الوادى • وعدت العوادى * وسار الاعادى * وعلم السلطان تدبيرهم • وعرف مسيرهم • فرعدت كوساته • وغردت بوقاته • وصاحت طبوله • وساحت سيوله • وانسحبت ذيوله * واصطخبت خيوله * وبرقت لوامعه * وأشرقت طوالعه • ومضت عزائمه • وومضت صوارمه * وحلقت العقبان الى مطار مطارده • وتألقت الخرصان في معاقل معاقده * وسار وأرضه جرد الضوامر • وسماؤه نسج الحوافر * في بحار سوابح يموج على شكائمها اللعاب * وغدران سوابغ كالزلال لمعه الحباب * ومجر ملتهب الجوانب * مشتعل القواضب * وقبّ معقودة السبائب * مقودة الجنائب • * معصوبة الهوادى هادية العصائب • وعرب ملوية العمائم بالشهب ملوثة البرود بالقضب * وترك كالأقمار في هالات التروك * ومماليك في حالات الملوك * عتاق الوجوه على الوجيهيات العتاق • قد خلقوا للثبات مع قلق الاخلاق • وأعاجم على العراب • هضاب على هضاب * وكرد بحصون الدروح محتمين * وبقباب اليلب مستعصمين • في مسرودة الحلق * مسدودة الحدق • تقهقر عنها اللهاذم • وتقهقه اذا فلت بها الصوارم • وجيش يصيب العدو ولا يصاب • ويعيب الاقران ولا يعاب • من كل ناصر للحق على ضامر للسبق * خارق للنقع راقع للخرق • فاتق للرتق راتق للفتق * معنق الى الضرب ضارب للعنق • وفياق همه فلق الهام • وجحفل ملتهم للجحفل اللهام * يحوي كل أغلب عبل الزراع • وأشم رحب الباع • خواض الكتائب • فياض القواضب • رواض الرهان • نضناض السنان * موار العنان • فوار الجنان * قائد الخيل زائد السيل *

وأند الليل * وهاجت العساكر وماجت الزواخر * فزأرت القساوروأزهرت الزواهر *
وتناوحت جذبات الحديد وعذبات الحرير * واشتبه سهك الماذى بعبيق العبير * وكانت نوبة
اليزك فى ذلك اليوم الملك الافضل * وهو في نخبة الجحفل بدور ليل القسطل وشموس
يوم المحفل . فوقف لهم وقفاً أثرهم وألهبهم بنيران النصال وأسعرهم وقطع طريقهم .
وقصد تفريقهم . وسطا على أوساطهم . ونادي بايراء زناد إراطهم * فانقطعت أواخرهم
عن أوائلهم * وسدد سهام المنون الى مقاتلهم وأرهق اليهم الاجل . وأحرق عليهم العجل .
وطرق نحوهم الوجل * وانهزم من تقدم ولحق الاول وتعكس من تأخر والخذل والخزل .
وأوقد ناراً على أهلها مشعله * وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشغله * ونفـذ
إلى والده يستنجده * حتى يسرع اليه مدده * ويقول إن أمـددت بالف ما أبقيت من
هؤلاء واحداً * ومتى يتفق مثل هذه الفرصه لو أري لي مساعداً * وترددت إلى السلطان
رسل استنجاده واستمداده * وهو متحقق أنه لو ساعده القدر بالقدرة لمري در النصر
على مراده * فسار من كان حاضراً من العسكر على عزم إنجـاده وإسعاده * ثم قيل
للسلطان ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحله * والناس قدسبقوا إلى المنزله * وهناك
عند قيسارية الحرب أمكن * والقلب إلى انتهاز الفرصة أسكن * وأبطأوا عن الاصراخ *
فآذن روع الفرنج بالافراخ * وعرف ملك الانكتير بما تم على ساقته * وإن الذي وراءه
في عاقته * فصرف عنـانه وصرف عناده * وعاد عاديا بجماته * فحمي بسدده أمداده *
والملك الافضل قد بذل وسعه * وأوضح في الجد شرعه * وقتل من وصلت اليه يده *
ولقد كان يضعف عـدد الاعداء لو تضاعف عدده * وبقي يتلهف على مافاته من الفرصه *
وأعوزه من حصة تلك الحصه * فقد انهاض بانتهاضه جناح الكفر * وكاد يفتح لارتجاته
رتاج النجاح في النصر * ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص الامراء والمماليك *
سيف الدين يازكوج وعز الدين جرديك . واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر .
وتبدد نظمه وتبتر . وانه لو اتصل بهم مدد . لم يبق من الاعداء أحد . ونزلنا تلك الليلة
بالقيمون . في الوقت الميمون . وعلى الساقة المنصورة لحفظ الاثقال لتؤمن على ماتخاف
فيها من العدو الغاره . علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره . ورحلنا يوم الاثنين ثاني
شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين وبتنا بمنزلة يقال لها عيون الاساود . وأمر السلطان
للمشورة بحضور أوليائه وأمرائه الاماجد الاجاود . والفرنج لمـا وصلوا الي حيفا وقد

وصل اليهم الحيف * وساق ساقتهم السيف • وخلصوا من نواجذ النصال • وأنياب النبال • أقاموا بها حتي يندمل جريحهم • ويستريح طليحهم • وتهب بعد الركود ريحهم وركب السلطان الى الملاحة وهى بعد حيفا منزلة القوم • وكشف ماحولها بالحوم • وعرف هل عليهم منها مدخل * وهل يصاب منهم فيها مقتل • ثم عاد الى منزلته وأقام بها يوم الثلثاء • وسير الأثقال الي مجدل ياباليلة الاربعاء • وأصبح راحلا * فماحل حباه بأرض الا أحيا ماحلا • ونزل على النهر الذى يجرى الى قيساريه * وعسكره قد طبق تلك البريه * وكان العدو قد تحول الى الملاحه • ومكث بها للاستراحه • وأقام السلطان بتلك الناحية يتحول من رابية الى رابيه • ويرهف للقاء الفرنج بحضه وحثه كل عزيمة نابيه • وأتي مرارا بأساري خطفوا من مواقفهم وقطفوا من منابتهم ، وطرق الانكدار الى ثواقب ثوابتهم • فامر باراقة دمهم • واطاحة رممهم * وأخبره بعض الاسارى • انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى ، وطرح منهم وجرح كثير ، سوى من أخذ فهو الآن أسير * وهلكت بين عكاء وحيفا أربعمائة فرس • ونجوا منكم بأنفسهم علي آخر نفس • ولو انكم كبستم كسبتم • وأعريتموهم من الحياة لو انكم بهم التبستم •

*فصل من كتاب الي مظفر الدين

بذكر ماجرى بعد الرحيل من عكاء الي هذه الغاية لاستدعائه*

ولما فرغ العدو من شغل عكاء حسب ان كل بيضاء شحمه • وان كل سوداء فحمه • فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه • باحثا عن حتفه بظلفه . زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده وزعمه . وهو حاصل منا علي صده ورغمه • وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكتير قائدهم الى البوار . ووافد أهل النار الى النار • ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار * وقد رحلنا فى عراضهم لاعتراضهم * وتعثيرهم في طريق انتهاضهم • ولقوا يوم رحيلهم من اليزكية الزكية كل نكاية فيهم شديده * وكل روعة لهم مبيده * فانهم قطعوا ساقة العدو عن اللحاق بمقدمته • وفلوا عن الحدة في الحركة حد عزمته . وقتلوا خيلا وخياله. وفوارس ورجاله . وقدروا وتمكنوا • وجرحوا فأثخنوا * ونهبوا وسلبوا وأخذوا رؤوسا قطعوها • ووقذوا نفوسا قلعوها *

وغنموا أقمشة وأسلحة • وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحه • ونزلوا على نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف • وتحكم في فلهم السيف فاقاموا الى هذه الغاية لمداواة جريحهم ومواراة طريحهم • واراحة طليحهم . واثارة ماركد من ريحهم • وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم • عازمين على تبديدهم وتفريقهم • وتشتيتهم أيدى سبا وتمزيقهم • فقد تمكنت بتأييد الله أيدى الايد من سبيهم وقتلهم . والله يجمع شملنا لتفريق شملهم . وما يجدده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطه • ولاعدائنا من عبطه • الا ونبادر ببشراه الى المجلس لتقوى في نصرتنا عزيمته • وتشيم بارق التوفيق في مواقفنا شيمته • وتروض مواحل الآمال مع أوان الديمة الربيعية ديمته • ويغلوا في سوق رواجه من الدين ماظن انه رخصت قيمته * وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بثار الاسـلام وقد سبيت من عكاء كريمته * واذا تأمل عرف ان الخطب عظيم وما لدفعه الا العظيم • والهم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقعد المقيم * وسيقتضى دين هذا الدين الغريم الزعيم

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان . جاء من اخبر برحيل الفرنج السلطان • وانهم سائرون ثائرون * وعلى أجنحة الجرد طائرون * وحول رجالتهم بخيلهم دائرون *وهم في جمع لهام * وقد انقسموا ثلثة أقسام * كل قسم راجله • بخيله محفوظ * وبأعين القسمين الآخرين من خلفه وقدامه ملحوظ * وكان السلطان تقدم من الليل * بركوب الخيل* فركب في كل خواض للغمرات* فياض بالعزمات* رواض للجامحات* نهاض بالجانحات * ملتثم مع اللثم بالنقع والدجى * ملتحف لولا الروع بالحلم والحجا . مقتحم في حومة الوغى* مضطرم بجمرة الظبا * على نزائع ينقلن الردى على صهواتها * وصواهل يقذفن الحمام من لهواتها * ويكشفن الظلام بجبهاتها • ويبارين الصفاح بصفحاتها * وتعاسـل الرماح باعناقها وطلاتهـا • وفيهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق إلى المنون على سابق * وكل تائق إلى المازق مازق • وكل طائر في الغبار على سابح • وكل غابق بالتجبيع صابح • في عراب متمطية بالعراب • ورقاق متخطية إلى الرقاب • وسار العدو وسرنا نبريه ونباريه* ونجتري عليه ونجاريه • والجاليشيه ترمي وتدمي • وتصمم وتصمي ، وطيور السهام تقصد من الاحداق أوكارها • والاوتار تنشد بالارنان أوتارها • وهم في لباس حديد سد على

السهام النافذ • واشتك النشاب فيهم فاشبهوا قنافذ • وكانت هناك بركة كبيره • ومياهها غزيره • وهم على عزم ورودها • والاحاطة بحدودها • فحلأناهم عنها • وأبعدناهم منها • وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا إلى الفضاء • فيدخلوا من تمكننا منهم تحت حكم القضاء • لكنهم ارتابوا وارتاعوا • وطلبوا النزول بها فما استطاعوا • فانحرفوا إلى الساحل * وانصرفوا بالفارس والراجل • واجتمعوا سائرين • وساروا مجتمعين • وما زلنا نلزهم ونهزهم • ونحفزهم ونحزهم • حتى تمت مرحلتهم • وعمت مقتلتهم • وتثلمت الصفاح • وتحطمت الرماح • وأجرت الانهار الجراح • وجري بالارواح السماح • وحضر السلطان مع الجاليشيه • ناجح الارادة نافذ المشيه • ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب * وقد انصبوا إلى النصب • وما كانوا يرجون • وما كادوا ينجون • ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل نزلوا • وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انعزلوا •

مقتل أياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام * الاسد الضرغام • الطاعن الضارب • الباسل السالب * الغضنفر الهرماس • الفارس الفراس * أياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهاده • وأقدم إقدام الساعي إلى السعاده • وكان إلى الصريخ أسمع متنصت • ولعطاس النقع أسرع مشمت • وإلى ضيف الحمام أسبق متلفت • ولسيف الاقدام أرشق مصلت . لا يروعه الروع إذا حفزته عزمته • ولا يهوله الهول إذ همت به همته • وهو أول من يركب وآخر من ينزل • ويدبر سواه وهو يقبل • ويسابق إلى المضار ولا يمهل • وهو أبداً يدعو إلى المبارزه • ويعدو على المناجزه • ويقف بين الصفين على صافنه • ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كنائنه إلى مقاتل المقاتلين ظعائن ضغائنه • فما برز اليه إلا من برزت اليه منونه . وفاضت بالدم من عيونه عيونه • فكم كف للكفر كفها • وبكر للنصر زفها • وأنف للشرك جدعه . وذى أنف للفتك صرعه • وله للغضنفر ضبحت لثعالب رماحه • وطلية للمتغشمر طنت فيها أذبة صفاحه • وأجفان للاقران نبتت فيها أهداب سهامه • ووجوه للشجعان تفصلت في حساب حسامه • فلما جاءه الاجل ما أجل • ولكن إلى الجنة به عجل • فان حصانه • خانه وما صانه • فعثر به في حالة الاقدام • وجلا قمره في هالة الحمام • ولم يخف لثقل الحديد للقيام • وطعن وضرب • وأتاه من الكوثر

سلسبيله فشرب • ولما أدركه الاصحاب ألفوه وقد فات • ورافق في عليين الاحياء في سبيل الله لا الاموات • ونزلنا نحن بعدانقضاءالحرب على البركه • شديدي الشوكة حديدي الشكه • ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في أوله • وهو الذى نزل العدو في أسفله • وتقاربت ما بيننا تلك الليلة المسافه • وعندنا الامن وعندالعدوالمخافه • ولماأصبح السلطان يوم الثلثاء مكث على الثبات والهدو • ينتظر ما يكون من خبر العدو • وأقام الفرنج على حالهم • لتعبهم وكلالهم • ولاسباب منها جراحاتهم • عدموا منها منهاج راحاتهم • وكذلك ما ملكهم من رعب الهلاك • والابتراك في الارتباك *

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقة اليزك • مستيقظاً للحفظ والدرك • فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين • ركبوا بغير عدة مسترسلين • ولاخبار عسكرنا مستشرفين • وهم مما تم عليهم غير متخوفين • فعبر اليهم النهر من ورائهم • واستظهر عليهم في لقائهم • فقتل منهم عده • ولقوا منه شده • وأسر تلثه • قبل أن ينالوا إغاثه • ثم ركب الفرنج اليه • وحملوا عليه • وكانت وقعةعظيمه • جلبت لنا غنيمةوعليهم هزيمه • وأحضر الاسارى عند السلطان * بخزام الذل والهوان • فاخبروا أنه جرح بالامس منهم الف • وسرى فيهم وهن وضعف • وقد جرى عليهم أمرعظيم • وبلاءمقعد مقيم • ورحلناوقت الظهر • وعبرنا شعراء أرسوف في الطريق الوعر • ونزلنا وقت غروب الشمس بعدالخروج من تلك المذاهب • على قرية يقال لها دير الراهب • ومضي السلطان جريدة إلى قرب أرسوف • وأطال هناك الوقوف • حتى رأى أرضاً في طريق العدو تصلح للقائه * والاحداق به من أمامه وورائه • وأقام يوم الاربعاء في ذلك المنزل * والعدو في منزله الاول *

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكتير

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر • قد ظهر فيه واستظهر * فراسله العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به * وينزل على أربه ويعرب عن مطلبه * فاجتمعا يوم الخميس * على التأسيس * ثم تحدثنا في الحوادث * وعوادي الحروب العوائث * وإن السلم متعينه • والسلام فيها متبينه * والمصالحة مصلحة • والفائدة مترجحه • قال وما جئنا إلا لاصراخ أهل الساحل • فوقعنا في الشغل الشاغل * فان اصلحتموهم واصطلحتم •

استرحنا واسترحتم * فقال له الملك العادل • ماالذى فيه تحاور وله تحاول * فقال رد البلاء برد البلاد • وسلوك مسلك الاسعاف والاسعاد * فقال العادل هذا لامطمع فيه • وهذا رسم باطل حقنا معفيه • ودون حدود البلاد حدود الحداد • وخلط القتام وخرط القتاد • وصرف عنان صرف العناء إلى المتصرفين بالعناد • وأدركه حكم الحمية والحفيظه • وغلى مرجل غيرته في الكلمات الكالمات الغليظه • وكان الترجمان بينهم اهنفرى بن هنفري فلما سمع ملك الانكتير ما راعه • ما استطاع سماعه • وثار ثورة الحنق المحرق . وآل اجتماعهمــا إلى التفرق *

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ماجرى بينه وبين ذلك الطاغيه • وانه مصر على تلك المباغى الباغيه * جمع يوم الجمعة وقت الاصباح الاصحاب * واستحضر من أسد غابه من غاب * وأمر برحيل الاثقال * وأقام في رعيل الرجال . وركب في عجم أنجاب • وعرب على عراب * وكرد على جرد • وكل سابق ورد على سابق ورد • على خيل من سماتها آثار الطعن * وعلى جبهاتها أنوار اليمن • با كباد غلاظ على العدا . ورقاق حداد على الطلى • ونبال مصمية لبان المصمم . ورماح لدن لدنها ضغم الضيغم المعلم • فاقام العــدو بسواد قومه بياض يومه • وبات وقد فارق جفنيه غرارا نصله ونومه • فلما أسفر صباح السبت رابع عشر شعبان • ركب العدو على صوب أرسوف وقد ضم الرجال والفرسان • وهو سائر في ليل حالك • وسيل سالك * وخيل هالك * وحزب الشيطان وحرب الايمان * وأصحاب الجحيم • وأقطاب الضــلال البهيم * وخطاب الخطوب * وإنداب الندوب • وكفاة الكفاح * وصفاة الصــفاح *وأجناس الكفار * وإنجــاس الداوية وأرجاس الاسبتار * وكل غيران غيروان *وأفعوان معتقل أفعوان * وكل أرقم في جلد أرقم * وكل أزرق أشقر على أدهم • فاحدقت به أحلاف عساكرنا إحداق النار بالحلفاء * ونقلت بنسور ضوامرها الارض الى السماء *وخاضت الغمرات * وأفاضت الجمرات * وأفاظت المهجات * وشبت نيران الهنديات * وأهبت رياح العربيات * وألهبت شعل اليمانيــه * وألهت بها مقل الفرنجيه • وجال عليهم في الجاليش * الترك على الا كاديش * وأحدقت سهامها كالاهداب بالاحداق *وبرزت بيضها لمعانقة الاعناق • ولمع شرار النصال في دخان

العجاج * وخرقت بنات الحنايا الحرق حجاب الحجاج * وأفضي فيض ينابيع النبع إلى إعجال الاعلاج * فان الفرنج أغذوا في سيرهم وجدوا * واحتدموا واحتدوا وامتدوا* وقربت منهم الاطلاب * واختلط بهم الاصحاب * وتعانقت الرقاق والرقاب * وأحرج القوم وتقطعت بهم الاسباب * وقربوا من أرسوف * وقد لاقوامنا الحتوف والخسوف • وضاق خناقهم * وحاق بهم إرهاقهم * ونشبت الجاليشـية فيهم بالنشاب * وشبت نيران المرهفةفي أولئك الاوشاب ،فاحتملوافى جلودهم الجرح،ومن أجلادهم الطرح.ووجدواالموت الغالي مسترخصا،وأيقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا*وعرفوا أن البلايا عليهم متصلةغير منفصله•وان قواهم لما فوق مالقوه من النكاية غير محتمله* فحملوا على الاطلاب المنصورة حملة واحدة زحزحتها عن مواضعها * وكادت تحلها شوارع القنطاريات عن مشارعها * لكنها تحيزت الى القلب المنصور * وفازت من وجوه النصر بالصفور * واستشهد في تلك الفورة الثائره * والثورة الفائره * سعداء إستقبلوا بالاسنة الاسنه * وأجابوا دعوة الله بان لهم الجنه • فما صرعوا حتى صرعوا • ولما أشرعت اليهم الرماح أشرعوا * ثم كرت عليهـم نخب الرجال كرة اردتهم وردتهم * وصدقتهم عن الاستنان في جدد تلك الحملة وصدتهم * وفرست منهم فوارس * واتعست معاطس * وفرشت بالعراء لهم أشلاء * وأثخنوهم طعانا ورماءا * فنزلوا في أرسوف وقد كسروا وخسروا * وقتـل قوم منهم وأسروا * وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين * وحمل في أصحابه أسد العرين* وسدد إلى نحورهم الشوارع ، وقلع منهم قلائع * وثبت عسكر الموصـل • وكذلك قايمـاز النجمي في موضعه الاول • وكانت العسا كر فى شعراء أشبه • وشجراء منتشبه * فلما رأي العدو اندفاع المسلمين قدامهم • لم يأمن رجعتهم وإقدامهم * فعاد وعبر أرسوف ونزل قر أ من الماء • وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء•وأقام العدويوم الاحد فى موضعه • منكوبا بتعب تبعه • ثم رحل يوم الاثنين سائراً إلى يافا • ليستدرك بهـا رطه ويتلافى • ونازلتهم العسا كر بالنوازل إلى أن نزلوا•وقطعواطرقاتهم حتى وصلوا •

فصل من كتاب السلطان الي الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من عكاء

روا في ،واضع ما لليزك عليهم فيها سبيل • ولا لقداح القراع في مجالها مجيل • وعسا كرنا

تضايقهم في كل مضيق . وتطرقهم بالبلاء بل المنايا في كل طريق . وهم على البحر لايفارقونه . ومن المورد الى المورد في كل مرحلة لايتجاوزونه . فان المياه قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافة مابين المنهلين . واذا نزلوا لم يبعدوا بين المنزلتين * وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعه . وقعه . وفي كل مرحله . مقتله * وفي كل منزله . منازله . وأوردناهم الردى في كل مورد . وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد وسبلنا حماهم للحمام في كل سبيل . وساء صباحهم منا في كل مغدي ومقيل . وطريقهم على البحر كلها مضايق وأجم ورمال . ومواضع لايتسع فيها مجال ولا يتهيأ قتال . وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم . وأرهفنا حدود العزائم والصوارم وأرهقناهم . وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يبور . ودائرة السوء على أهله بنا تدور . وماء أهل النار بفيض بأسنا عليهم يغور . ولولا ان الله تعالى قد أخر موعده في نصر أوليائه . وقهر أعدائه . لوقع الفراغ من شغلهم . وشملت نعمته لنا بتبديد شملهم * فمنها يوم رحيلهم عن عكاء أرهقتهم اليزكية الزكيه * ونكأت فيها منهم الرمية بل المنيه . وكان الولد الافضل يومئذ متولى اليزك . فتولي أسعار لهب المعترك . ووقف لهم في المضيق على الطريق * وباشر جمعهم بالتفريق . وقطع آخرهم عن أولهم * وعاق الساقة عن الوصول الى منزلهم . وبتر وبتك . وفتك وهتك . وقتل وسفك . وطلب وأدرك . وعبر الفرنج نهر حيفا لما دهمهم من الامر * واحتموا بالمنزل الوعر * ووصل عسكرنا وقد تمنعوا بالنزول . وتجمعوا في الوعور عن السهول . ولم يبق اليهم نهج للوصول * وأقام الفرنج في تلك المنزله أياما * وقد نالت معاطسهم ارغاما . حتي استجدوا عددا . واستنجدوا مددا . واستجدوا ممن وراءهم عددا * وأحكموا التدبير . واستأنفوا المسير * ومنها يوم انفصالهم عن قيسارية . بارتهم الرماة وبرتهم بالمبريه . وأنفذت اليهم رسل المنيه . وقتلت منهم مقتلة جيده . ولم تزل السهام الى مقاتلهم مصوبة مسدده * الى ان احتموا بالنزول وحلوا عقد تلك البلية عنهم بالحلول . وقد قتلت من خيلهم عدة ألف رأس . لم ينفصل راكبها الا وهو من ثوب التجبيع كاس . ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل * والمسافات غير متباعدة المنازل . فاذا نزلوا بالمنازله . ارتزوا الى المنزله . ولاذوا وهم أهل النار بالماء * وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء . ثم استقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر بعادتهم وعاديهم . شاكين في منعتهم ممتنعين بشوكتهم وشكيتهم .

والخيل تجرى بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل ، والعساكر الاسلامية جائلة في صراضهم ، مائلة الى اعتراضهم • موفقة في مرامها • مفوقة لسهامها • محرقة أهـل الجحيم بضرامها ، ولما نشب فيهم النشاب واعجزهم وازعجهم واخرجهـم بكثرة النكاية فيهم وارهجهم • كابروا وصابروا الى ان وصلوا ارسوف • وقد شارفوا الخسوف وقاربوا الحتوف • فحملوا بجملتهم حملة واحدة ، وجاؤا كالسحاب بارقة وراعده • واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ، ولم تثبت قدامها • حتي ابعدوا بجملتهم في حملتهم • وتفردوا بحركتهم في معركتهم ، وظنها السلطان هزيمة • وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة فان القلب المنصور ثبت فئة للمتحيز ، وموئلا للمتفزز المتحرز • ووقف الاخ العادل ثابتاً قلبه • ثابتاً طلبه • وكر عليهم في حزبه ذوي الحمية • والانف والابيـه ، والهمم العلية ، كرة ردتهم واردتهم • وصدقتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم ، فاستدركت مافرط فى النوبة من النبوة • واستمسكت بما استأنفته في العزمـة من القوة • وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا * وعاد نظيم هامهم بالعراء نثيرا * ونزلوا بارسوف ، وراغمي الانوف قد فل جندهم • وقتل كندهم . وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين • كان مطاع اولئك الملاعين • وابليس تلك الشياطين . والمعروف بسير جاك • واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك • وتحت حكمه عدة كثيرة من القوامص والبارونية • ونفذ امره على الداوية والاسبتارية • وكان من عظم شانه • وفخامة مكانه • انه يوم صرع قاتل دونه جماعة من المقدمين المحتشمين فما قتل حتي قتلوا • ولا بذل روحه حتى بذلوا * وجزع ملك الانكتير لمصرعه • وفزع من ورود مشرعه • ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهو بعيد من مخيم الكفار * وخيمت عليه بحكم الاضطرار ، ثم رحلوا وقصدهم العسكر فصادفهم بقرب يافا • وكل منهم استدرك بقصده إياها تلفه وتلافى • فجـال دونهم لقدح منونهم مجيلا • ومن جمعهم بقمعهم مديلا • وعلى قومهم بوقمهم محيلا • حتى باسطهم في ميادينها • وخالطهم في بساتينها ورابطهم بالاسود في عرينها • وأسري الحين إلى سراحينها • فما وصلوا المدينة إلا وقد تخطفوا من حولها • واستولى الرعب على قلوبهـم من بأس الحرب وهولها • وخافوا من فريضة مسألة النكاية وعولها ، وما صدقوا كيف نجوا وأفلتوا • وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا * وعلموا أنهم إن خرجوا أخرجوا وإن سلكوا هلكوا • وزعموا أنهم إذا صبروا ملكوا *

ذكر مااعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرمله · واجتمعت الأثقال كلها به في تلك الرحله · ورحل ليلا وأصبح على يبنى · وجاوزها إلى نهر أمر أن الخيام به تبنى · وزرنا بيبني قبر أبي هريرة رضوان الله عليه · وتبادر الناس للتيمن به اليه * ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر · وشرع فيما عزم عليه من الامر ·

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة أحضر عنده أخاه العادل وأكابر الامراء · وشاور في أمر عسقلان ذوى الآراء · فاشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها * للعجز عن حفظها على ما بها · ووافقه الجماعه · وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعه · فان هذه يافاوقد نزلوا بها وسكنوا فيها مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل إلى حفظ المدينتين · ولا تفي الحال بحماية البلدين · فان كل واحد منهما يحتاج في حفظه إلى عشرين الف مقاتل · وإلى الاستكثار لاجل ذخائره من كل حاصل · فانظر إلى أصوب الرأيين فقدمه * وأبصر أخطر الداءين فاحسمه · واعمد إلى أشرف الموضعين فحصنه وأحكمه · وتيقن أن عسقلان إذا وصلوا اليها وهي سالمة تسلموها · واستظهروا بها وأحكموها * وتقووا بها على سواها · وبلغوا من بغيتهم وبغيهم إلى منتهاها * واقتضت الآراء* اقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشرة من الامراء · حتى إذا تحرك العدو كانوا منه على علم · ومن قصده على عزم · ووصل السلطان إلى عسقلان *وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان · ولو حفظت لكان حفظها متيقنا · وصونها ممكنا * لكن وجد كل له متجنبا متجنبا · وقد راعهم نوبة عكاء وحفظها ثلاث سنين · وعادت بعدذلك بعضرة المسلمين · وقال من تعلل واعتذر عن دخولها · وحل عقد عزمه عن حلولها · تدخلها أنت أو أحد أولادك · فندخلها اتباعا لمرادك · فحينئذ لم يجد بداً من نقض أسوارها · وغض أنوارها * وفض سوارها * وتعفية آثارها *وتطفية نارها * ولو كان وقع الاعتناء بابتنائها * مذ يوم فتحها واقتنائها * لما تطرق إلى أيدها خلل * ولا إلى يدها شلل * ول إلى حدها فلل * ولا إلى ودها ملل * وقد كنت ركبت اليها وطفتها* واستحسنتها واستلطفتها · ورأيت سورها قبل فصم سواره · ونورها قبل ذبول نواره · فما رأيت

أحسن منها ولا أحصن • ولا أحكم من مكانها ولا أمكن • وسكانها كانوا في رفاهيه • فانتقلوا منها على كراهيه • وباعوا أنفس الاعلاق بابخس الاثمان • وجموا بالاوطار والاوطان • وساءت اسواؤها • ونأت انواؤها • وأناخت لأ واؤها • وباخت أضواؤها • وسمع غناء المعاول في مغانيها المعوله • ورثيت دائرة الزلزال في دورها المتزلزله • وناحت تلك النواحي • ومسحتها المساحي • وجرفتها المجارف • وأخافتها المخاوف • ونكرتها المعارف • وبهرجتها الصيارف • ولعبتها النواعب • ونابتها النوائب • ونزلتها النوازل • وغالتها الغوائل • وسفتها السوافي • وعفتها العوافي • وخلت مدارس آياتها من التلاوه • وتخلت مجالس مكرماتها عن الطلاوه • وصوحت مجاني مبانيها • وطوحت معاني مغانيها • ودجت مجالى معالمها • وعادت مقاوى مقاريها • ووقفت على طلولها واستوقفت • وأسيت عليها وأسفت • وتلهبت وتلهفت • وشاهدتها وقد حسرت وحفيت • ومحى سنا محاسنها وخفيت • وبكيت تلك الربوع • وأهديت لسقياها الدموع • فلقد أصيب الاسلام بعروسها • وعبست الوجوه لعبوسها • حين ثار نقع بوسها • فلما خلت مما كنها من سكانها • وتخلف بالبيوت رماد نيرانها • رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يبني • بعد أن ترك سور عسقلان وقد تعذر أن يبني • ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرمله • وتفضيل جيله باد على التفصيل والجمله • وامر بتخريب حصنها وتخريب لد • وبذل كل في ذلك الجهد • وركب جريدة إلى البيت المقدس وأتاه يوم الخميس • وأعاد اليه رسم التأنيس • وخرج منه يوم الأثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبه • وقد نال بما رتبه من مصالح القدس المثوبه • وعاد إلى المخيم يوم الثلثاء ضحوه • وقد أكمل من كل ما رامه حظوه • وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل صاحب ملطية معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان • ملتجئا من أخيه وأبيه إلى السلطان • فتلقاه الملك العادل • وجاءته منه الفواضل • وأقام في الخدمة السلطانية مده * واستجد بها جده • وقوة وشده • واستظهر بالمصاهره • وقوى منها بالمضافره • فانه تزوج بابنة العادل • وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة ناجح الوسائل . *

وفي هذا التاريخ وهو الأثنين خرج ملك الانكتير في خيالته متنكرا • ليكون لحشاشة لهم وحطابة مخفرا • فخرج عليه الكمين • ونشب به اللعين • وجرى قتال عظيم • وكان لاصحابنا موقف كريم • وكاد الملك يؤخذ ويوقذ • والطعن في لبته ينفذ •

ففداه فارس من أصحابه بنفسه • وشغل طاعنه بما عليه من حسن لبسه • فاشتغل به وأسره • وأفلت اللعين وأخفى أثره ، وقتل وأسر من خيالته جماعـه • وانهزموا من أمر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعه ، وجرت أيضاً بوم الجمعـة ثاني عشر الشهر • حرب بين اليزكية وبين أهل الكفر سفرت لنا بها وجوه النصر * وقتل مقدم لهم معروف • بالشجاعة موصوف • ورحـل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل حال عنـد النطرون • وهي قلعة منيعة محجبة للظنون والعيون • فامر بهدها وهدمها • وفل غربها وثلمها. وأشاع بها الاقامه • وأفاض فيها على العسكر الكرم والكرامه • وتمكن الناس هنـاك من الاحتياط على الاثقال • وإنفاذ الجمال لنقـل الازواد والغلال *

﴿ فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح ﴾

قد نهك العسكر طول البيكار * وإنضاه قتال الكفار بالليل والنهار * لاسيا في هذه السنين الاربع • فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة الكروب على مصيف ولا مربع • ولا شتا ولا صاف • إلا حيث صف العدو وصاف • وقد تكررت عليه الزحوف • وتعثرت به الحتوف • وتفللت منـه السيوف • وتحلحلت به الصفوف • وتمخضت بآحاده الالوف • وتمحضت لجنى بيضه وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف • حتى سئم ومل • وضجر وكل • وكم عقد عزمه وحل • وأنهل نصله من دم الكفار وعل • وأمل النصر فقال عسي ولعل • وأما خيوله فقد أجهدها الجهاد • وأنضاها الطراد • وفرى جلودها الجلاد • وعزت منها لكثرة الجراح الجياد • وأعادت شهبها كمتا حدود البيض الحداد • وحيث داخلها الرعب من خروج الجروح للجروح • وتفريق السهام منها بين الجسم والروح • صارت تنفر من رنة الحنيه • وانة المبرية • كان عندها للاوتار أوتارا • ولطائرات النصال في لباتها أوكارا * أو كانها لما رأت انها تباريها في المطار * وتجاريها في المضمار * ثارت لادراك الثار * وهـذا سبب ما حدث من النفار • وما عادت الآن تدخل على راجل الكفار * وأما العدد فقد فقدت بالكلية وعدمت • وتكسرت وتحطمت * وتقصفت وتقصبت وتقصمت * وقتلت قبل المقاتل

بها وفى يد من استشهد استشهدت * وأما النشاب فانه قد فني * بعد أن اتخذ من أخشابه جميع ما وجد واقتني * وقد عدمت أشجاره فى منابتها * واعوزت أخشابه من مناحتها * ونفضت الكنائن * وانفضت منه ومن كل ما يذخر الخزائن * وما تبرح الصناع في الممالك بمصر والشام * وما يجرى معها من بلاد الاسلام * يبرون ويريشون * وينصلون ويعملون • ويكلمون ويحملون * واحتيج في هذه السنين التى استمر فيها القتال * إلى أحمال كثيرة لا يفى بها الصناع ولا يرفعها العمال • وحسبها ان نصولها أعدمت من حديدها المعادن * وخلت من دخائرها الاماكن * هذا والخادم قائم باداء هذا الفرض وحده * مسترهف في قطع دابر المشركين غرب عزمه وحده • ومااستمر على مساعدته * وموازرته ومعاقدته • إلا صاحب الموصل وسنجار • وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ما جار * فهو يحضر تارة بنفسه وآونة بولده • ويستمر من جد الموازرة على جدده * ويواظب بعدده وعدده • ومدده في مطاولة مدده *

* ذكر ما تجدد لملك الانكتير من المراسلة والرغبة فى المواصله *

وصلت رسل ملك الانكتير الى العادل بالمصالحة على المصافاه * والموآتاة في الموافاه * وموالاة الاستمرار على الموالاه * والاخذ بالمهاداه * والترك للمعاداه * والمظاهره * بالمصاهره * وترددت الرسل أياما * وقصد التئاما * وكادت تحدث انتظاماً * وأستقر تزوج الملك العادل بأخت ملك الانكتير * وان يعول عليهما من الجانبين في التدبير * على أن يحكم العادل في البلاد * ويجرى فيها الامر على السداد * وتكون الامرأة في القدس مقيمة مع زوجها * وشمسها من قبوله في أوجها * ويرضي العادل مقدمي الفرنج والداوية والاسبتار ببعض القرى * ولا يمكنهم من الحصون التي في الذرا * ولا يقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان * ولهم منا أمان وإحسان * واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد * وجماعة من الامراء من أهل الرأى والسداد • وهم علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة وقال لنا تمضون الى السلطان * وتخبرونه عن هذا الشان * وتسألونه أن يحكمني في هذه البلاد • وانا ابذل فيها ما في وسع الاجتهاد • فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب * وما أخر الجواب * وشهدنا عليه بالرضا * وحسبنا انه كمل الغرض وانقضي • وذلك في يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد

الرسول الى ملك الانكتير لفصل أمر الوصله • واراحة الجملة وازاحة العله * واعتقدنا ان هذا أمر قد تم • وانشر انضم * وصلاح عم * وصلح أذم * وحكم مضي * واستحكم به الرضا * وإن الانثى تميل إلى الذكر * وتزيل وساوس الفكر * وإن ركوب الفحل * النزول عن الذحل * وإن الشكر يجلب الشكر * ويبدل بالعرف النكر * وإن الوقاع يؤمن من الوقائع * وإن القراع ينقضي بانقضاض القارح القارع • وإن الحرب بكسر الحاء وحذف الباء سلم * وان غرم العرس في العسر يسر وغنم * وإن هذا الاخ لتلك الاخت كفو * وان هذا العقد للخرق المتسع رفو * وان الكدر يعقبه صفو * وان التزويج ترويج * وتقويم لما فيه تعويج * وشاع الذكر * وضاع النشر * وذاع السر * وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم • فقصوه على قسوسهم • وعسروا على عروسهم * فجبهوها بالعذل واللذع * ونجهوها بالقدع والقذع • وقالوا لها كيف تفجئنا بافجع ملم مؤلم * وتسلمين بضعك لمباضعة مسلم * فان تنصر تبصر * وان تسرع فما تعسر • وان أبي أبيناه • وان أتى أتيناه • وان خالف خالفناه • وان حالف حالفناه • وأي وجه ههنا للائتلاف ، ونحن لاختلاف الدين ندين بالخلاف • فرهبت بعد مارغبت • وبطلت بعد ما طلبت • وسلت بعد ماسألت • ونزت بعد مانزلت • وكرهت وكانت شرهت • وكانت كتحلت فودت أنها مرهت ، فأرسلت الى الرسول • وأقبلت عليه بالقبول • ثم تصلبت في القسم وأقسمت بالصليب ، أنها مجيبة الى التقريب والتقريب • وانها مسارعة الى التمكين ، لكن بشرط الموافقة في الدين • فأنف العادل وعدل عن استئناف الحديث * وأبي الله أن يجمع بين الطيب والخبيث • واعتذر الملك بامتناع أخته ، وانه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته ، وكان قد استقر مع تمام العهد • وانتظام العقد ، مفاداة كل أسير بأسير • كبير بكبير وصغير بصغير • وبشر أولياء الطاغوت بصليب الصابوت * فبطل التدبير • وعطل التقدير • وذلك ثاني يوم العيد •

وفي يوم العيد وهو الثلاثاء أعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى سارت اليهم بكره ، وأحدث بحسن احتبائه لكل عين وقلب قرة ومسرة ، ثم استدعاهم الى سماطه * ونشر لهم بساط نشاطه • وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان عن يمينه * وأعزه بتقريبه وتمكينه • ويليه حسام الدين خضر أخو صاحب الموصل • ولسمو منزلته دنو المنزل • وعلاء الدين ابن تابك الموصل عن يساره • وهو يؤثره باختصاصه

ويخصه بايثاره • ومجاهد الدين برنقش مقدم عسكر سنجار جالس • والاكابر كلهم هناك في منزلته منافس * ثم تفرق الناس بأنس جامع * وعرف شائع • وعرف ضائع •

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو وموافقته له في كل يوم

تواتر الخبر بأن الفرنج على عزم الخروج * وانهم على الاجتماع في تلك المروج • فسار يوم الاثنين سابع شوال • وقد اركب العسكر للقتال • فلما بلغ قبلي كنيسة الرملة جبل الحال حالي الجملة • خيم وبات • ونوى البيات والثبات * وجاء الخبر في غد • بأنه خرج العدو الى يازور في أوفر مدد • وتسارع العسكر اليهم * وتكاثروا عليهم • وقربوا من خيامهم • وأخذوا عليهم من ورائهم وأمامهم • وناشبوهم بالنشاب * وكاثروهم بالاوباش والاوشاب * فركب الفرنج اليهم ركبه * أوجبت رهبه • وحملوا على الناس حملة واحدة • وحلت عجاجة عليهم عاقدة • فاندفعوا بين أيديهم • فادركوا ضعافا طمعوا فيهم • وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة • وكانت مسماتهم الى السعادة • وكذلك في كل يوم يركب السلطان مايخلو من وقعه • ولا بد للكفار فيها من صرعه •

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة • بأن يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة • فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا • وخرجت الفرنج للاحتشاش • وباشروا عثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش • ولقيتهم اعراب على عراب • بصوارم في ايمانهم كأنها بروق في سحاب * فركبت اليها من الخيام • ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام • فاندفعت العرب امامها • وحققت انهزامها * وما قدرت على قصد موضع الكمين • لانسداد الطريق بالآساد الشم العرانين دون العرين * فرت العرب في جانب والكمين في جانب * والخيل تركض بسالب من سالب وناهب من ناهب * ونجا العرب * وفاتهم الطلب • وحضروا بأسارى ونهاب * وافراس واسلاب * فأما اصحابنا في الكمين فانهم ابصروا الفرنج ناهضين وفي المعترك راكضين * فخرجوا على ظن انهم على قصدهم • فلما بصروا بهم نشبوا بردهم عن وردهم * وركضوا اليهم على بعد • فاتعبوا الخيل بما جدوا فيه من احضار وشد • ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت • والقوى قد نزحت * فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار • وقتلوا

جماعة من كفاة الكفار . واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار . وهم اياز المهراني وجاولي الفيدي وصارو * وسروا في جنات النعيم بما اليه صاروا * واسر من الفرنج فارسان معروفان . واحضرا عند السلطان * وانفصلت الحرب وقت الظهر * وعاد حزب الاسلام عن حزب الكفر *وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه *والخيل تقاد اليه * والاسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس * وكلاهما لأخيه مؤانس*

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام * واعد فيها كل مايراد من فاكهة وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة * ودامت المثافنة والمنافثه * ثم افترقا عن موافقة اظهراها ومصادقة قرراها * ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادلي المعروف بالصنيعة ليتفقد الاسارى الذين بيافا * ويتدارك امرهم ويتلافي * وكان قدوصل صاحب صيداء من صور برسالة المركيس * وانه يرغب في سلوك نهج التأنيس . وان يكون للسلطان مصالحاً * وله على الطاعة مصافحاً * حتى يقوى يده على ملك الانكتير . ويتفرد هو بالملك والتدبير * وعرف ملك الانكتير بالحال * فوصل رسوله أيضاً بالاحفاء بالسؤال . ومضي العدل مع صاحب صيداء إلى المركيس على شرائط قررت . ونسخ أيمان حررت . وأمامراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود . ولم يجر من تلونه الا على المعهود . وكلما أبرم عهداً نقضه ونكثه . وكلما قوم أمراً عكسه وعلثه . وكلما قال قولا رجع عنه . وكلما استودع سراً لم يصنه . وكلما قلنا يفي خان . وإذا خلنا أنه يزين شان . وعن كل خزى أبان . وفي يوم الاحد سابع عشر شوال عاد السلطان إلى المخيم بالنطرون . وأقام على الثبات والسكون . وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج ارسلان صاحب ملطيه مودعا . وركب السلطان وسار معه مشيعا * وعقد له على ابنة الملك العادل بصداق مائة ألف دينار . ومضى وقد حصل على ذخائر من استبشار وافتخار* واستبصار واستنصار *ويسر ويسار

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها* وخيموا في أقطارها وسهوبها . ولم اشك في أنهم على قصد القدس . بأهل الرجز والرجس .

وأقام السلطان وفي كل يوم له سرايا * للكفر منها رزايا • ولنا في كل يوم وقعة شديده وفتكة بالكفر مبيده • وما يخلو يوم من أسرى تقاد* وغنائم تستفاد * ثم توالت الامطار • وتوعرت السهول • وتوحلت الاوعار * فعزم على الرحيل • وأمر بالتحويل *

﴿ ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذى القعدة ﴾

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل • والنصر شامل • وفضل الله متواصل • ونحن معه سائرون • ومن بركة الجهاد الى بركة القدس صائرون • والقاضي بهاء الدين ابن شداد يسايرني • وفي مسألة من الخلاف يباحثني ويناظرني • حتى وصلنا إلى القدس قبل العصر • وقد نشر للسلطان لواء النصر • ونزل بدار الاقساء المجاورة لكنيسة قمامه* ونوي بها الاقامه • وشرع في تحصين المدينه * لتحصيل السكينه* وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة فى قبة الصخرء * وضجت الالسنة في الدعاء له بالنصره *

وفي يوم الاحد ثالث ذى الحجة وصل حسام الدين أبو الهيجاء من مصر • بعسكر مجر * وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية ووصل الخبر بنزول الفرنج بالنطرون * وآذن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم الظنون وتزايل السكون * وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعه * تم على العدو بها صرعه * فان السلطان نفذ تلك الليلة الى اليزك قريب بيت نوبه* عـدة من الفرسان مجرة لم يستصحبوا إلا حصنهم المجنوبه * فوقعوا على سرية للفرنج فاستأصلوها • وأسروها وقتلوها • ووصلوا بزهاء خمسين اسير الى القدس * وعاد ذلك منا ببرد القلب وطيب النفس * وكانت بشرى عظيمة * ولعي كريعه * وحسنى عميمه * وكذلك سابق الدين صاحب شيزر * ومن معه من العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر أربعه • وترك بالمعركة منهم مصرعه • وكسب منهم خيـلا * وكسبهم ويلا •

﴿ يوم عيد الاضحى بالقدس ﴾

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة • وتضاعفت للحجيج الحسنة على الحسنه* غير أن العيد بالقدس كان يوم الاحد * فلم ير ليلة الخميس الهلال أحد • ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاة الخاص • وصلى الناس في القبة العيد وملأ واحوالها العراص • ثم انصرف السلطان وقد بر عمله * ودر أمله • ووفر أجره • وأسفر فجره •

﴿ وقعــة ﴾

في يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة اغار على طريق الفرنج بالرملة سيف الدين ياز كوج وعلم الدين قيصر • وكلاهما يجد في الجهاد ولا يقصر . وأخذ غنائم وأموالا • وساقا خيلا وبغالا • وكسبا احمالا وأثقالا • وأسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين • ووقفوا بين يدي السلطان على ركب الذل جاثين • وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب • وكسرت وكثرت منهم الكسوب • واستمرت فيهم الحروب • وزادت الكروب • وضاقت عليهم الارض • واستولى على عقود عزائمهم النقض • ورأوا أنهم قهروا فقهقروا • وأحاط بهم البلاء من الجوانب فما صبروا • ورحلوا الى الرملة عائذين • وبالسهول من الحزون عائذين • فان الثلوج دامت على أولئك العلوج • وصدتهم عن الدخول والخروج • ونزلت بهم النوازل في تلك المنازل • فنفروا راحلين الى السواحل • وذلك في يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجه • فطابت قلوبنا بما وضح في النصر من المحجه • وثبت للحق على الباطل من الحجه *

﴿ ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه وتجديد سوره واعادة رونقه ﴾

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين • وعدتهم خمسون رجلا • اذا اجتمعوا قطعوا جبلا • وقد سيرهم صاحب الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتعميق الحفر • والقطع في الصخر • وقد سفرهم بنفقه • وجعلهم من الاحسان على ثقه • واصحبهم بعض حجابه • ونداهم بندى سحابه • وسير مع المندوب مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر • ويتعاهدهم في كل يوم بتفقد بر • فاقاموا نصف سنه • وأتوا في صنعتهم بكل حسنه • وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق • وانشاء سور وثيق • واحضر من اسارى الفرنج قريب الفين • ورتبهم في العمارتين • وجدد أبراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب • وانفق عليها من المال ما خرج عن الحساب • وبناها بالاحجار الكبار الثقال • فجاءت أرسى وأرسخ من الجبال • وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بناء السور • واذا تكملت العمارة على ما رتبه للقدس المعمور * كان آمناً من قصد العدو المدحور • وفي عصمة الله من المخوف المحذور • وقسم بناء السور

في مواضعه على أولاده وأخيه الملك العادل وأمرائه • وصار يركب كل يوم ويحض على بنائه * ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر الى مواضع البناء * ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواصه والامراء * ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفيه * وحواشي العسكر والاتباع والرعية والسوقيه * وكنت أركب في غلماني وأتباعي * واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر وأراعي ، فبني في أقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين * وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين *

﴿ ذكر من توفى من الاكابر والمعروفين في هذه السنة ﴾

وفاة تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ابن أخي السلطان * يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان • وهو على حصار ميلاز كرد من عمل ارمينية وقدسبق ذكر مسيره الى بلادالجزيره • لاستمدادالأمدادالكثيره *واستجنادالأنجاده والاستنجاد بالاجناد • والجمع من جميع الجهات للجهاد * والعود سريعاً بالحشود الجامعة والجموع الحاشده * والجيوش المترادفةالمترافده * والجنودالمتوافرةالمتوافده * والقواضب القاصله • والمواضب الهاطله • والمصالحين بالصفاح • والمختالين في اعطاف المراح باطراف الرماح: والحاملين الجبال على الرياح * والمتعطشين الى انجاع النجيع لارواء الارواح • ومكث السلطان على انتظاره • متوجساً لاخباره • مستوحشاً من ابطائه • متعطشاً الى انبائه * منتظراً لوفائه ، فلما أخذ الفرنج عكاء نسب ذلك اليه • واحتسب الله عليه *

فاما تقي الدين فانه عن له أن يمضي الى ميافارقين * واستصحب اليها عسكر ماردين * ونفذ الى السويداء وانتزعها من أيدى أصحابها * واستحوذ على جميع مابها • وحاصر مدينة حاني فتملكها * وكانت له مقاصد في ديار بكر فادركها * واقتطع بلاداً من ولاية ابن قرا ارسلان وأقطعها * وأرعب القلوب بما ابتدأ به وابتدعه وروعها * وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر ديار بكر * وحصلت منه على عذر وذعر * وراعت هيبته * وهبت روعته • ودبت الى الخواطر مخافة اخطاره * وشبت في القلوب لوافح ناره * وارتجت تلك الآجام من زاره * وازورت من مزاره * وبليت تلك البلاد ببلائه * وهابت الاعداء هبة اعدائه * وزلت الاقدام لاقدامه * وانخفضت الاعلام لاعلاء أعلامه • ولقي

عدله من جيلجور جبلة الجور * وأذهب بذهابه اليها فوران الفتنة على الفور * ودخل قلب قلب * وحكم في عداتها الغاب القضب * وقصد عسكره عسكر بكتمر فكسره * ثم سرح بالاحسان واطلق من أسره * فغار بكتمر واشتمل بنار الانف أنفه * واعتلق باذن الشنف شنفه * وانتخت حميته . وحميت نخوته * وغيرته غيرته * وعيرته رعيته * وأودعته الهم همته * وحركته عزمته * فاجتمعت جماعته وأمته أمته * وما أرجأ له نجح رجائه رجاله * وما أبطأ له عن اعانته ابطاله * واجتناه ثمر الطاعة اجناده * وانجاه بجهد الاستطاعة انجاده * وجر عسكراً مجراً * وساق الى الحرب بحراً * واوقد بالجمع جمرا * وجلب بيضا وسمرا * ودهما وشقرا * وصوارم بترا * وصواهل ضمرا * وانهض كمته وكماته * وحشد رعيته ورعاته * وذوي حميته وحماته * وساكني ولايته وولاته * ونسوره وبغاثه * وسمانه وغثاثه * ومتانه ورثاثه * وشباعه وغرثاه * وجاء في سواد اسود منه الجو * وانسد بظلامه الضوء * وتحلى بنجومه ليل العجاج * وتجلى بسفوره صبح الهياج * وابرق وارعد * وتحدر وتصعد * وسار بين الآكام بالآكام * وضاهي الاعلام بالاعلام * واذكي مذاكيه الجياد * واجرى ضوامره وهواديها قد ملأت الوهاد * وأدني الى الآساد الآساد * وأغرى بالجلاد الاجلاد * وجذب الجماح عرانه * وجلب الكفاح رعانه * وأشرع المراح رماحه * وأطلع في سني الصباح صفاحه * وماجت غدران دروعه * وهاجت غران جموعه * ومالت المران * وجالت الاقران * وسال المرت * ومرت السيول * وتسهلت الوعور * وتوعرت السهول * وانفض الفضاء * وانقض القضاء * واشتكت الارض من الحوافر الحوافر وقعا * فأثارت لفرط تألمها على شرط تظلمها الى السماء نقعاً * وحثت في وجه الفلك تراباً * وحثت الاتراب الاتراب طعاناً وضراباً * وخاف على خلاط واختلط من المخافة * فقصر الى الملك المظفر طول المسافة * فلما عرف اصحار خادره * وانتشار بوادره * وانتهاض قوادمه * وارتكاض صلادمه * وانقضاض شهب قواضبه * وانفضاض دهم سلاهبه * اصطفى له من اصطفاه من الانجاد الانجاب * وفض على الفضاء سحاب الصحاب * وبسط على البسيطة رداء الردي . وأعدي بعلوه على العدا * وركب في كل ضرب يعد الضرب ضرباً من الضرب * وكل بطل لحق المبطل محق الطلب * وكل باسل سالب من كباش الاقران القرون . وكل عاسل بعاسل يمين بالمنى ويمون المنون * وكل شجاع أشاجعه وصائل القواطع * وكل مقدام قوادمه عوائق الوقائع * وكل طائر بأجنحة

السوابق * زائر بأسلحة البوائق * محلق بخوافي الخوافق * مطرق لطوارئ الطوارق *
وكل ذمر مشيح ، بالذمار شحيح * وكل قاس قوسه عاطف * وكل راع لصله راعف ،
وكل صاد عزمه صادق * وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامق * وأيد رجاء الرجال
بأياديه ، وقوى عزائم أوليائه لاضعاف أعاديه ، ورغب بالرغائب وأملى ضيوف الآمال ،
بفيوض أمواه المواهب * ونخى المنتخين * وانتخب المنتخبين ، وأقدم في كل مقدم مقدام ،
وضيغم ضرغام * وهمام همام * ومعتقل أسمر يرشف ظلم القلوب * ومشتمل أبيض يكشف
ظلم الحروب * وكل من يخال الطعن ضرب القداح والضرب بحد السوام * وكل من
ينال اعتزاز الجد بجد الاعتزام * وكل من يميد أقاحي البيض شقائق ، ويصل بها اذا
فارقت أغمادها المرافق * وكل من عنانه في يمين الجماح ، وسنانه مرود عيون الجراح ،
وكل من ذبال سمهريه يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب ، ووجوه صوارمه تبكي
وتضحك * وعيون لهاذمه تفتك وتبتك * ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه ترمى *
وسواعد سيوفه من أيدي الابد تمد وتدمى * وكل أشمث الهامة ذي همة ، تشعب صدع
كل ملمة * وكل شهم شيظمي ، أباء حمي * مجرب محرب * مقرب على مقرب * مطهر
على مطهم * جار بمرجم * بار بمخذم * ضار بارقم * جواد حليم * تحمد في الوغى
جهلاته * على جواد كريم * تدعو الى الردي صهلاته * وكل بحر مستلئم بغدير ، وكل
من عنده اذا لبس الحديد انه لابس حرير ، فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط
ود لو استدرك الغلط . وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتعاش ، وولى هزيماً .
ولوى هشيما . وأغنم العسكر التقوى سلاحه وخيله ، وجر على تراب الذلة ذيله ، وظفر
الملك المظفر بالملك ، وأسلم العدا الى الهلك ، وقيد اليه أمراء أسروا ، وأصحاء كسروا .
فأطلق سراحهم ، وانهض بتشريفاته جناحهم ، ثم رحل من صحراء موش ، وساق الى
خلاط الجيوش . ثم بدا له من حصارها ، فأقرها بسلب قرارها . وعرج على قلعة
شميران فتشمر لها ، وفتح مقفلها ، وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوساً ،
ومن حياته يؤوساً . فخلصه واستخلصه ، وكسر حتى طار منه قفصه ، وانه لمن أعجب
القصص لو شرحت قصصه ، ثم راح الى ميلاز كرد وناوزها بالتضييق ، وقاتلها بالمنجنيق
وحشد اليها الامداد ، وأورى فيها من عزائمه الزناد ، وجاءته عساكر ارز الروم منجدة
من جده ، موجدة لما لها من موجدة ، تقدمها الملكة ماما خاتون بنت سلدق ، كأنها في

الاهبة والابهة من ملوك سلجق . ووفد الى تقي الدين الجنود، ووافقته السعود، وخافته في غاباتها الاسود . وغربت به العقول وعلقت به العقود . وتوطدت له البلاد وتوطأت . وتهيت وتهيأت . واستدنته الممالك القاصيه . وأطاعته المقاصد العاصيه . وتشنفت له مسامع الاقطار بأقراط السمع والطاعة . وعم الامحال تلك المحال ففض بما أفاضه من فواضله مجاعة الجماعة . ورجي وخشي . واعتفي وغشي . وامتلأت الطرق بالوفود والجنود . وتوالت اليه أمداد البأس والجود . فبينا هو في غفلة من القدر . وغفوة من الكدر . وغرة من الغير ، وقد ألهاه حديث الدنيا عن الحدث الداني ، وجني الحياة عن الموت الجاني . وزيادة الامل . عن زيارة الاجل ونزل المني عن نوازل المنون ، وسكن الاتراب عن التراب المسكون . ظهر له سر الغيب المكتوم . وأدركه القضاء المحتوم . ومرض أياما ثم قضى . وانقرض عهده وانقضى . وكتم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته ، الى أن خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته . وفتحت ميلاز كردبابها . وسلم الرب أربابها . وخرج ولد تقي الدين بعسكره وماله سالماً . وجد في مقام والده باظهار شعاره قائماً . وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بلاد أبيه بيده . حتى يبقى مستمراً على جدده . وطلب من السلطان الميثاق له بأغلظ الايمان . فلم يقبل الشرط واشتط فشط . وجلب له الشطط السخط . وأقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول ما منه فرط . ونسبوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في أسباب الحرمان * حتى انتخى له الملك العادل فمضى لاحضاره . وجرى الامر على ايثاره . وسيأتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن أخت السلطان

توفى بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان بابن أخيه وأخته في يوم واحد . وكلاهما له أقوى ساعد وأوقي مساعد، فيالله من حسام أغمد . وهمام ألحد . وركن وهن . وكنز دفن ، وبحر غاض . وورز هاض . وصبح كسف ، وبدر خسف . لقد غامت الايام لغمه . وثكلته الدولة ثكل أمه . فانه كان واحدها . وعضدها ومعاضدها . وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه .

وأبقى فيها من سنن العدل ماشرعه ، وقد سبق في الكرماء ذكره * وذكر في المكارم سبقه وقرظ حذقه . ووصفت مقاماته . وقمت بصفاته . فان له مواقف في الجهاد مشكوره . ومقاطف لجني النصر مشهوره ، فقطع الاجل عليه طريق الامل . وأعاد حلية الزمان به الى العطل . وأوهن عقد شبابه الطري وحله . وثلم حد شباه الطرير وفله . وما زال في غزواته مثيراً للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه . وطالبه الثرى بحق خلقه معه فاسترهنه * وغارت عليه الارض باطلاق سموه الى السماء فاعتقلته . ووجدته في أوج الفلك في النيرات فنقلته ، وما كان أذكاه وأذكاه ، وأصحه وأصحاه . وأبهجه وأبهاه . وأضوعه وأضواه . وأوعاه للفضائل وأحواه . ولقد فجعت به صديقاً صدوقا . وشقيقا شفيقا . ورفيقاً رفيقا . فلهفي عليه من شهم توطن التراب . وسهم أصيب بعد ما أصاب . وجواد بلا حساب لم يخطر بالبال من رزئه حساب . لكل اجل كتاب .

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته * ومواقفه ومقاماته * وكان في الخدمة مقيما * والسلطان الى الانس به مستنيما * فمرض له مرض استأذن لاجله في العود الى وطنه بحلب . وسمح له السلطان بجميع ما طلب . وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجه . واستقام على المحجه * وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب . وستر التراب منه المناقب * ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشري الشهر *

وفي هذه السنة فتك بأتابك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلدكز في همذان ليلة الاحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف بهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت ارادته * ورجحت سعادته * وصلحت عاداته * وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه * وهو ابن أخيه لامه * وله اسم السلطنة ولقزل حكمها * وله سموها ووسمها * فانف السلطان من كونه تحت حجره . وبحكم نهيه وأمره . فانه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من عنده . ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقده : فهرب وحده تحت الليل * واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل : ودام غائباً في نواحي دامغان مده . واشتد مصابه وأصاب شده . فاتصل به عدة من مماليك بهلوان الخواص * وسلكوا معه نهج الاخلاص * وأعادوه الى سرير ملكه * وانتسق أمره في سلكه * وقويت يده

وتأيدت قوته * واجتمعت كلمته * وتكلمت في الامر والنهي جماعته * ورهبه قزل ارسلان ولازم ذعره * وأخذ منه حذره • وتنافس الامراء ومماليك بهلوان الذين تبعوه * وأعلوا شأنه ورفعوه • وسعي بعضهم ببعض * وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض * وقالوا له هؤلاء البهلوانية يغتالونك * وبالسوء ينالونك * فابطش بهم قبل أن يبطشوا * وعثرهم قبل أن ينتعشوا * فسمع مقالهم * وتبع محالهم * وقتلهم بحضرته وهم غارون * وساءهم باغتيالهم وهم بالمغالاة فيه سارون * فنفر منهم كل آنس • وحفظ نفسه كل منافس * وزال بشره وبقي بوجه عابس * وفارقه بنو البهلوان بجنايته على مماليك أبيهم * ولقوه بتأبيهم • وقصده قزل أرسلان فأزعجه • وأخرجه من دار ملكه وأحرجه * وأجلس سلطاناً آخر موضعه * وكدر عليه بالشوائب والنوائب مشرعه * وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه وأطعمه وأطمعه * وأرضاه بالاسم * واجراه على الرسم * وكاتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد * وانتظمت بينهما اسباب الاتحاد • وكان السلطان طغرل اذا خلت همذان من قزل أرسلان يعود اليها * ويستولي عليها * ثم اذا عرف قربه بعد * واذا علم بعده قعد * وشرع يقتل أصحابه بالتهم * ويشتد في النهب لشدة النهم * فقتل فخر الدين رئيس همذان * وبث العدوان * وقتل وزيره العزيز بن رضى الدين المستوفي لامر توهمه * ولخاطر لم يكشف مبهمه * فالجأ الزمان الى الوصول الى الامير حسن بن قفجاق * وشكا اليه من اهله وأصحابه الشقاق * فخرج معه وآزره وضافره * وظاهره بعد أن صاهره * وزوج أخته منه * وحمى جانبه وذب عنه * وراسل سلطاننا قزل ارسلان حتى يصالحه * ويصافحه على الوفاء ويسامحه * وكاد أن يتم الصلح • ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح * فلما تقاربا للمصالحة تحاربا * واتهم كل واحد منهما الآخر فتواثبا * وأوقع قزل أرسلان به وبالتركمان * وعادت الفتن ملتهبة النيران • وساق السلطان طغرل الى همذان * فمضى وراءه قزل أرسلان * فخرج اليه ثقة بما سبق من الايمان • فصرف عنانه * وقبضه واعرض عنه واعترضه * وحبسه في بعض القلاع * وأبعد عينه وأثره عن الابصار والاسماع * فاتسقت له المملكة * واستقر منه السكون والحركة * وكانت أصفهان منذ توفي البهلوان قد اضطربت واحتربت * واقتربت الساعة بها وخربت * وقتل في ثلاث اربع سنين منها في محاربة العوام الوف * وتوالت بها حتوف وزحوف • وكانت الشحنة من جانب قزل على الشافعية * وقووا أيدى الترابية في تخريب المدرسة

النظاميه * فأحوجت الضرورة الى ان اصحابنا دعوا بشعار السلطان * ووجدوا القوة به امام قوته والامكان * فلما اعتقل طغرل * واستمر امر قزل * مضي الى اصفهان فأخذ رؤساء الاصحاب في المحال * وأجرى عليهم القتل والاغتيال * ثم عاد الى همذان وقد قوى وروي . ونال ماهوى . ونشر من امره ما كان طوى . وجلس على سرير الملك وضرب النوب الخمس . ووجد بعدم من يوحشه الانس . ولها ولعب . وشرب وطرب . وغفل عن القضاء المشتبه . ونام عن القدر المنتبه . واغتر بالعيش الرفه وحلم عن الخطب السفه . وبات في قصره . وقد غاب في سكره . وهو بين خدمه وحشمه . وعسسه . وحرسه . وعتقائه وارقائه ومستخصيه . ومستخلصيه . فوجد على فراشه وهو قتيل . ولم يذكر كيف قتل ولم يكن عليه سبيل . فنسب قتله الى الاسماعيلية تارة والى الخاتون الاينانجية اخري . والله اعلم بما به حكمه اجرى . ولما أ. بحوا قتلوا صاحب بابه . وحل العقاب به دون اربابه . وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه وجمع له ملكه ومنعه . ومضى اخوه نصرة الدين ابو بكر الى اذربيجان وارانيه سائقاً اليها واستولى عليها . واما السلطان فانه أيس منه . وسلا من كان يواليه عنه . فتعصبت له امرأة متولي القلعة ودبرت في خلاصه . وهونت على زوجها أمر استصعابه واعتياصه . واستمالت بمن أمانها . وأعلت باعلاء شأنه شأنها . ولما برز دخل مدينة تبريز . وكانما الكير اخرج الابريزه * ثم جمع ومضى على سمت همذان * فالتقى قتلغ اينانج وعسكره بين أوه وزنجان * فكسره وهزمه * وفل حده وثلمه * ومضى الى همذان * وجلس على سرير ملكه وذلك في سنة ثمان * وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله *

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من أصحاب السلطان صفي الدين أبو الفتح ابن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا . وبالحمد حريا * وفي حلبة المكارم جريا * ومن الخيانة في ولايته بريا * ومن العار عريا * ولم يزل زند مضائه وريا * وكانت له سياسة ورياسه * ونفس ونفاسه * ورأى وفراسه * وفطنة وكياسه . ومروة وفتوه . وثبات جنان وقوه . وكان قد خدم السلطان ايام عدمه . وهو في كفالة ابيه وعمه . فلما ملك مصر امر جه في اموالها . وحكمه في اعمالها حتى نال المنى . ووجد الغنى . فقال له قد اكتفيت واستغنيت . وان صرفت الآن ما باليت . فاصرفني عن العمل . فقد نلت غاية الامل . فعاش غنياً . ومات جشريا . وورث السلطان بعض ماله .

وذلك مافضل عن افضاله، فانه فرّق على مماليكه املاكه وماله • واختفى بعد وفاته بما بذله حاله •

وفي هذه السنة في شهر ربيع الاول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعاً ظريفاً • لطيفاً عفيفاً • وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام • ونال اسباب الاحترام • وتقدم عند السلطان • وما شانه كبر وهو كبير الشان • وكانت له دراية ودراسه • وذكاء وفراسه • ولم يزل متلطفاً في طبه • متعطفا بحبه • متحبباً الى القلوب • متقلباً من قبوله في المحبوب * صبيح البهجة فصيح اللهجة • صحيح الحجة بوضوح المحجه • ولم يزل له عند السلطان وذوى الجاه جاه • ولجده انتباه • ولمداواته بالشفاء شفاه • حتي حان أجله • وخان امله وبان عنه حلى حاله وبان عطاله • وكانت له عندى يد أذكرها وأشكرها • وعارفة اعرفها ولا أنكرها • وذلك انى في ذى القعدة سنة ثمانين كنت متوجهاً في خدمة السلطان وفي صحبته متولياً للانشاء منفرداً بمرتبته • فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشكا جوهرى العرض • وانتهي اليه بدمشق ما ألم بي من الالم • فتقسم فكره من خبر السقم • وركب ووصل فى يومه حتي ادركني • ومرضني وما تركني ودواني حتي أبللت • وازال الله انحراف مزاجي بطبه فاعتدلت • وصحبنى الى دمشق وسبق الي أوليائي بالبشرى وشكرت الله على النعمي • وكذلك كان يطلب مرضاتي * في جميع مرضاتى • فلما مرض الطبيب لم ينجع في مرضه الطب * وتوفاه الرب *

وفي آخر هذه السنة توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الخبوشانى بمصر وهو الذي بني المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه وأحيا شعار التوحيد * وبنى أمره على التشديد والتسديد * وحفظ شمل الشافعية من التبديد • وكان السلطان مجيباً له الى كل مايستدعيه * ويقضي له من الحوائج مايقتضيه * ووقف على المدرسة التي بناها وقوفا وأعطاه فى بنائها الوفا • فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء • فلقوا بالاباء • ثم شفع الملك العادل في صدر الدين على بن حمويه وهو شيخ الشيوخ • ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ • فكتب بها له • ورتب بوقفها وتدريسها استقلاله ، وذلك في آواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ، وبدلت الوحشة من الانسه :

﴿ فصل كتب الى بعض الاكابر فى الدخول الى القدس ﴾

اتفق دخول الشتاء ، وتواتر الانداء ! وتوافر الانواء ! وشح الارض وسح السماء ؟

وانقطاع الجلب واتصال الغــلاء • وبعد الراحة لقرب الاعداء *وملل العساكر لدوام الهيجاء • والمقارعة والالقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة اولعدة والذخيرة ورأيناها من حسن المدن وأحصنها وأحكمها وأوجدنا بها جدتها بعد عــدمها ورتبنا بناء سوارها على جوانب اودية وسفوح • متى تم لم يبق فيها لطامع من طموح * وهذا أمر لله وفي طاعته ولحفظ بيته ولنصرة دينه ولاعلاء كلمته * ولحماية امته * وما لنا فيه الا السمسره • وما رجاؤنا الا الاجر والمغفره * وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجدين* والمؤمنين المعدين للدين * فما أسعد من ساعد فيه • ووفي باسعاف عافيه • هــذا والكفر قد اناخ بكلكله * وحفــل بجحفله * وبرز الى الاسلام بكليته * وعراه ببليته • وقامت قيامته لقيامته • وثار لثار قمامته *ورمى مهجته على الموت لمقبرته * والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه * وعصمه كما عصم وحرم حرمه • مقام الانبياء المرسلين • ومقر الاولياء والصديقين • وموضع معراج سيد المرسلين ورسول رب العالمين • وفيه نزل جبريل بالبراق * وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم • الى السبع الطباق • واهــدى الله ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيــه الاشراق الى الافاق • وهؤلاء الملاعين قد أغذوا لقصده • وأعدوا لورود ورده • وقدفرض في هذا الاوان رفض التواني * واستدعاء ذوى الحمية من الاقاصى والاداني • وان لم يتساعدوا في الربيع القابل • على انهاض الجحافل * صعب الامر واشتد • واحتدم الخطب واحتد *

﴿ فصل في شكر صاحب الموصل على انفاذ الجصاصين لحفر الخندق ﴾

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح • ويعرف عن فضيلة منجده ويفصح • فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح ارجاءه * الحامون بحفر خندقه ارجاءه * ومافيهم الا من ابان عن جده * وابان بجده والان الشديد بشده * وثلم الحديد بثلم الصخر وهده * وهذه لاشك مقدمة لما وراءها من نتائج النجدات * وجدوى سابقة للواحق في مناهج الجدات * وعارفة معرفة فى قمع العداة باجراء العادات في انجاز العدات * وللعدو انتظار لنجدات بحرية وارتقاب * وومضات جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها التهاب * والهمة السامية لاتفتقر في هذا الباعث الى باعث * وعند عزائمه حديث كل حادث •

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين سياروخ

النجمي بولاية القدس

وكانت ولاية القدس مذ يسر الله فتحه * وحقق للامل فيه نجحه * وأطلع لليل النصر صبحه • الى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضه • وصاب أعماله وشباب أحواله بنضرة آرائه ونصرة آلائه مروضه •وقد استناب فيــه اخاه الظهير ظهيرا * ولم يزل رواؤه وبهاؤه به شهيا شهيرا الى أن استشهد في شعبان سنة خمس وثمانين • وتوفى الفقيه عيسى في ذى القعدة منها وانتقل الى عليين • فابقى السلطان نوابه من بعده • محافظة على عهده • وكان الامير سياروخ بالقدس مقيما • وللنظر في مصالحه منتديا * ويضم من أمره مايراه منشوراً • وكتبت له في التاريخ المذكور باستقلاله منشوراً * « الحمد لله الذى أقصى من المسجد الاقصى من داناه من الكفر ودنسه • ونزه البيت المقــدس من رجس اعدائه المشركين بايدى أوليائه الموحدين وطهره وقدسه • وانطق محرابه ومنبره بتلاوة الذكر المبين وأسكت الناقوس وأخرسه • نحمده على ماعصمه من الحوزة وحرسه • وفرجه من الشدة ونفسه • ونسأله أن يصلى على نبيه محمد المصطفى الذى شرع الدين وشرحه ومهد الشرع وأسسه • وبطل الكفر وعطله وارغم الشرك واتعسه • وعلى آله واصحــابه الذين أعلى الله بهم منار الحق واضفى ملبسه • واصفى مورده وازكى مغرسه • وبعد فانا مذ فتح الله لنا بيته المقدس وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس * وكسا بأيامن أيامنا وجه الدين البشر من بعد ما كان تعبس • وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا به الحظ الاجزل الافضل الاكرم الانفس • ما نزال نطلب ولياً لله يكون له واليا * ويعود عاطله بتأثير احسانه وحسن آثاره وايثاره حاليا • ويرجع بنظره الشافي وتدبيره الكافي ما انخفض من منار الهدى عاليا • ولا يزال على بال منا أن نحيي به من رسوم الايمان ونجــدد من معالمه ما ظل بمقام اهل الضلال فيه دارساً باليا • وقد اختبرنا الامير حسام الدين فألفيناه لاهلية هــذه الولاية جامعاً • والى مضمار السبق فى هــذه المكرمة مسارعا • ووجدناه بأعباء الامانة ناهضا • ولزبد النصيحة والصحة فيه ماخضاً ماحضا • فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس وأعمالها • وعذقنا برأيه الراجح وسعيه الناجح مهام اشغالها • وحكمناه في تحصيل مصالحها • وتسهيل مناججها • وسداد ثغرها • وســداد امرها • ورعاية أمورها ؛ وعمارة حريمها وسورها • وتطويل باع ساكنها * وتأهيل رباع اماكنها • واسكان مواطنهــا • وتوطين مساكنها • وتطهــيرها من أدناس أدني

الناس • وتمميرها بالعدة والعدة والشدة والقوة والباس • فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قويه * ورويه مبصرة وبصيرة رويه • وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم • وتتوفر منها المحامد وتكمل المكارم * جاريا على مقتضى الشرع في كل ما يحله ويعقده • ويقدره ويمهده • ويصدره ويورده * والله عز وجل يوفقه ويسعده ويعضده •

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في دار الاقساء جوار قمامه * واظهر بها لتقوية البلد الاقامه • وقد قسم سور البلد على أولاده * واخيه وأجناده * فشرعوا في انشاء سور جديد * محدق به مديد * وكان يركب كل يوم مصبح * مشمس مضح * فينقل الصخر على قربوس سرجه * فيستن الا كابر والامراء في نقل الحجارات بنهجه * فلو رأيته وهو يحمل حجراً في حجره * لعرفت ان له قلباً كم حمل جبلا في فكره * ولقد جد في حماية الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور * وانشرح صدره لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه بها الصدور * وما تغلو دار يبنيها في الجنة بنقل حجارتها * ليكون ملكا فى دارها وقمراً في دارتها * وكل بناء قلت حجارته * ووقفت عمارته * ركب وبكر اليه * وجمع الحجر بنفسه وأجناده عليه * فاذا اكتفى انتقل الى موضع آخر ونقل اليه الحجر * ولقد بني به في غرفات الجنات الحجر * وأثر رواة سيرته الحسنة منه الاثر * وما أعمر احسانه واحسن ما عمر * وداوم البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم للشحوب * والتزم الامر التزام الوجوب * ولان له الصخر لين الحديد لداود * وجد فى فض جدته وافاض الجود * وكان حجر الخندق صلداً لا يتأتي قطعه * ولا يتهيأ بكل آلة صدعه * فاتخذ من الفولاذ قطاعات * واخترع على الحدادين آلات * فأمكن الصلد • ووهن الجلد • وتيسر الصعب • ولان الصلب • وصرخ الصخر • لما حاف الحفر • وضج الحديد لجلد الجلمود * وصفا قلب الصفا لاصاخة الصيخود * وأعولت المعاول * وجدلت الجنادل • وسمعت الصماء صوت السطو • وخرج جرح الاساءة اليها عن الاسو • وفلقت القطع وقطعت الفلق • واتسع الضيق وتعمق الخندق • وطاب العمل وطال الامل • وحز الحزم وحزن الحزن • وركنت القوة وقوي الركن • فلا ترى الاسوراً يعلو وخندقا يسفل • وبناء يسمو وحفراً ينزل • وبرجا يسقف • وبدنا يشرف • وحجارة تبني • وعمارة تني • وكلسا يحرق • وأسا يوثق * وطاقا يعقد • ورواقا يمهد • وطلاقات تطلق • ومرامي تخرق • وستائر تحجر * وحفائر تقعر •

ومصاعد تهندس • وقواعد تؤسس • ومعارج تسفخ • ومخارج تفسح • ومواج تسرب ومسدارج ترقب • حتى أحكم المكان بكل مافي الامكان • واتصلت الابراج بالابدان مشيدة الاركان • والسلطان يشرف في كل يوم • على عمل قوم • فيمدحهم باحسانهم ويجازيهم باحسانه • ويعير جنان المتولي من قوة جنانه • ويدركه بما يستأنفه من عمله • ويحلي بالفضل مايبدو له من عطله • وكان ذلك دأبه مدة إقامته • وقد جد غرامه بغرامته بل يرى أن كل مال ينفقه ذخر باق • وانه انفاق كريم فبانفاق ، وما عنده خشية إملاق بل يده جارية باطلاق جوائز وأرزاق . وانه تجلى له أعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق ، وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء السور • بقى بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور • ولا يبقى عليه لمسلم فزع . ولا فيه لكافر طمع . ولو عاش بخت نصر لعرف عجزه . وسلب عز الاسلام عزه • ورأى من المعجزات ماحيره • وقهقر عن البأس الذى إن ثبت له قهره . فسبحان الذى أقدر السلطان على ما أعجز عنه الملوك وهداه من الفضل الى نهج ضلوا فيه السلوك •

﴿ ذكر الحوادث مع الفرنج فى هذه السنة ﴾

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان ونزلوا يوم الاربعاء بظاهرها . وتشاوروا في اعادة عمارها ، وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسدية نازلين في بعض أعمالها ، مجدين في نقل غلالها ، وركب ملك الانكتير عصر يوم الخميس ، ومعه حزبه من جند إبليس ، فشاهد دخاناً على البعد ، وما عرف ماعنده من العسكر المعد ، فساق متوجهاً الى تلك الجهة وجد ، وتبعه عسكره وامتد ، فما شعر أصحابنا الا بالكبسة وقد بغتت ، فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت ، وذلك وقت المغرب وهم مجتمعون على الأفطار • فارغة الافكار من شغل الكفار ، وكانوا نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو الا أحد القسمين فقصده بحزبه ، وأطلق عنانه لحربه ، فعرف القسم الآخر هجوم العدو ، فهجروا مهاد الهدو ، وركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم المقصودون ، واجتمعوا وهم المسعودون ، وردوا العدو شوطاً . وصبوا عليه من عذاب القراع سوطاً ، ثم تكاثر الفرنج عليهم ، وتواصلوا وسبقوا اليهم ، فاندفعوا من بين أيديهم ، والفرنج تباريهم ، وساقوا أثقالهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على

الاقدام أقدامهم . وما فقد من أصحابنا ممن عرف الا أربعه ؛ ونجا الباقون وخواطرهم لأجل أولئك متوزعه ، وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرها ، وهون ضررها ،
وبتارخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة ، والجد في العمارة ، ومعه الملوك أولاده والأمراء . والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد والاولياء * وخرج كل من بالبلد . وجاء المدد بعد المدد * وهو قد حمل على سرجه . واستوي في نهجه . والناس ينقلون معه على خيولهم . في قفافهم وذيولهم . ولما دخل الظهر نزل فى خيمة ضربها ولده الملك الظافر بالصحراء . واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامراء . فحضر على ذلك السماط . واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك البساط . وكنت قد مضيت فردني * وبتقريبه امدني * فلما فرغ وفرغنا * وبلغ مراده وبلغنا . صلى هناك الظهر وركب عائدا الى داره * آيبا بايثاره وحسن آثاره * فائزا بسرور أسراره وخير اختياره *

﴿ ذكر ثلث سرايا سرت وبرت وبرت ﴾

كان عز الدين جرديك تجرد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي الغلول من الغل بريه . فاغارت يوم الاربعاء الحادى عشر من المحرم على يبنى * وفيها الفرنج بنية السكني * فغنمت اثنى عشر اسيرا . وخيلا ودواب واثاثا كثيراً *

وفي يوم الثلثاء ثاني صفر اغارت السرية وفيها جرديك . وعسكر القدس وجماعة من المماليك . على ظاهر عسقلان . واوفدت يتناصرها على الكفر الخذلان . وغنمت ثلاثين اسيرا قيدت فى الاغلال . سوى ما كسبته من الخيل والبغال .

﴿ سرية فارس الدين ميمون القصري ﴾

باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر . بتل الجزر . وسرت حتى اصبحت على يبني وكمنت . وصبرت الى أن استرسلت الفرنج الى الطريق وأمنت . ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت * فكبست وكسبت * وكسرت وأسرت * وأخذتها بأسرها مع رجالها * وبغالها واحمالها واثقالها * ثم أغارت على يافا فقتلت وفتكت * وسفكت دماء وهتكت ، وعادت بالغنيمة والسبايا ، واستغنت بنقودها عن النسايا ، وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم ، وأوجب ذلك للباقين في المسير اعناقهم ، وعادت سالمة سالبه ، غانمة غالبه *

﴿ ذكر خروج سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب من الاسر ﴾

قرر على نفسه قطيعة خمسين ألف دينار فأدى منها ثلثين *وأعطى رهائن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر *فقام اليه واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر، واقطعه نابلس واعمالها، وحلى باياته لها أحوالها، وعاش الى آخر شوال من هذه السنة، وتوفي الى رحمة الله باعماله الحسنه، فمن السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس . وتشييد ركن سوره المؤسس ، وابقى باقيها على ولده * وتركه في تصرفه ويده ،

﴿ نكتة ﴾

لما خرج المشطوب من الاسر *تلقاه ولده روي السرى قوي الأزر *فوجده على زى أولاد الاتراك مضفور الشعر *فبدأ منه الانكار والاكبار* وقال ما للاكراد في شعورهم هذا الشعار *فقطع ضفيرته ، وقصر وفرته ، فتطير الناس من قطع شعره على أبيه ، وقالوا هذا دليل مصابه الذى يأتيه*

﴿ هلاك المركيس بصور ﴾

اضافة الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فاستوفى رزقه لموافاة اجله، ووصل الى الباب قاطع أمله، وقد دعى الى جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والجحيم في ترقبه ، والدرك الاسفل من النار فى تلهبه، والسعير فى تسعره، ولظى فى تلظيها لتنظاره ، وقد قرب أن تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في إيقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه ، وقد فتحت النار له أبوابها السبعة : وهى جائعة الى التهامه وهو ملته بالاكل يستوفي الشبعه ، فاكل وتغدى ، وما دري أنه يتردى ، وأكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فوثب عليه رجلان ؟ بل ذئبان أمعطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين ، وهرب أحدهما ودخل الكنيسة ، وقد أخرج النفس الخسيسه ، وقال المركيس وهو مجروح ؟ وفيه بقية روح ، احملوني الى الكنيسة فحملوه ، وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه ، فلما أبصره أحد الجارحين ؟ وثب اليه للحين ، وزاده جرحا على جرح ؟ وقرحا على قرح ، فأخذ الفرنج الرفيقين ، فألفوهما من الفداوية الاسماعيلية مرتدين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير . فقالا ملك الانكتير ، وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة أشهر ، ودخلا في ترهب وتطهر : ولزما

البيع : والتزما الورع . وخدم أحدهما ابن بارزان والآخر صاحب صيداء لقربهما من المركيس . واستحكما بملازمتهما أسباب التأنيس ، ثم علقا بركابه ، وفتكا به ؟ فقتلا شر قتله ! وجهل عليهما أشد جهله ! فيالله من كافرين سفكا دم كافر ! وفاجرين فتكا بفاجر ! فلما ظل المركيس مركسا ! وفي جهنم منكبا منكسا ؟ تحكم ملك الانكتير في صور ؟ وولاها الكندهري وعذق به الامور ! ودخل بالملكة زوجة المركيس في ليلته ! وادعي انه أحق *بزوجته وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها ، وذلك أفظع من سفاحها ، فقلت لبعض رسلهم الى من ينسب الولد فقال يكون ولد الملكة ، فانظر الى استباحة هذه الطائفة المشركة ولم يعجبنا قتل المركيس فى هذه الحالة *وان كان من طواغيت الضلاله *لانه كان عدو ملك الانكتير ، ومنازعه ، على الملك والسرير ، ومنافسه في القليل والكثير ، وهو يراسلنا حتى اساعده عليه ، وتنزع ما أخذه من يديه وكلما سمع ملك الانكتير ان رسول المركيس عند السلطان ، مال الي المراسله بالاستكانة والاذعان ، وأعاد الحديث في قرار الصلح ، وطمع في ليل ضلاله بأسفار الصبح ، فلما قتل المركيس سكن روعه وروعه ، وذهب ضوره وضوعه ، وطاب قلبه ، وآب لبه ، واستوى أمره ، واستشرى شره ، وكان قد تعصب لمضادة المركيس للملك العتيق * فأظهر له ود الشفيق الشقيق * وولاه جزيرة قبرس وأعمالها وسدد بسداده اختلالها *فلما هلك المركيس عرف انه قد اخطأ في تقويته * وخشى انه لا يسلم من عاديته * ولا يأمن من غائلته * فلما عدم عدوه . وجد هدوّه * وآب سكونه * وثاب جنونه * وغاض غيظه . وحضه حظه * وفاض من منبع الشرك فظه * ومع هذا لم يقطع محادثته * ولم يحدث مقاطعته * ومرى رسل مراسلته ورمى سهم مخادعته ومخاتلته * ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته * وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبق لنا بمدينته وقلعته *سوى كنيستهم المعروفه بقمامه * فانهم يعتقدونها لتهم الدعامه * فأبي السلطان أن يقبل هذا القرار *وأبدى لهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان *ويأخذوا على ما يبقي فى أيديهم الآمان *

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم ﴾

وهذه قلعة الداروم على حد مصر * وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر فلما فتحت حفظت وتركت وأبقيت *وبالميره والذخائر والرجال مليت *وخربت عسقلان

وغزة دونها * وتسلمها علم الدين قيصر على أن يصونها . فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان ترددوا مراراً اليها * وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها * وشد بالنجدة قلوب أربابها * ثم نزل الفرنج عليها بقضهم وقضيضهم * وسمرهم وبيضهم * وفارسهم وراجلهم * وصارمهم وذابلهم * ورامحهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها * ونهوضهم اليها * عشية السبت تاسع جمادي الأولى بعد ان أخذوا فيها نقباً وخرقوه * وحشوه وأحرقوه * وطلب أهلها الامان فلم يجدوا * وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم ينجدوا. ولما عرف الوالي أنهم مأخوذون * وانهم موقومون موقوذون * عمد الى الخيل والجمال والدواب فعرقبها؟ والى الذخائر فأضرمها وألهبها . وفتحوها بالسيف . وعرضوا أهلها على الحيف، وأسروا منهم عدة يسيرة . وكانت هذه النوبة على الاسلام كبيرة * ثم لم يلبثوا بها ولم يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء يقال له الحسى . وقد طاش بهم الغي والبغي * وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر . وقد أنسوا بما ظنوه من أسباب الغلبة والقهر . ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب * فخرجت عليهم أسد اليزكية المكمنة من الغاب . فقاتلتهم قتالا شديداً * وتركتهم بحد الحديد بديداً . وغادرت حبل قصدهم الجديد جديداً . وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم ترديداً ، وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير . وآتاهم من مباريها لهم مبير . وعادوا مفلولين مثلومين . مخذولين مهزومين . مذلولين مهضومين . ثم رحل الفرنج من الحسى يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فتقدم السلطان الى العساكر والامراء بأن يكونوا لهم مبارين . وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافيه ، بجموعهم الوافرة الوافيه. ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون . فأرجفت الالسنة بأنهم على قصد القدس على حسب تراجم الظنون * ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبه . واجتلينا نيرانهم المشبوبه . وسرت منا اليهم السرايا * وتوالت عليهم البلايا * وأظهر السلطان مقامه بالقدس ، لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس . وفرق الابراج والابدان على الامراء والاجناد * وذوي القوة والاستعداد * وأمرهم بنقل الازواد* ثم زال الرعب . وطاب القلب * وخرج الناس الى خيامهم يخطفونهم . ويسفونهم

ويخيفونهم * وجرت وقعة بعد وقعه . وكبسناهم دفعة بعد دفعه . ومن ذلك أن بدر الدين دلدرم كان في اليزك ليلة الجمعة التاسع والعشرين . فبعث من أصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج . مستقيمون على النهج . فخرجوا عليهم وقتلوا وأسروا . وفازوا ونصروا . وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهم * وألهبوهم بضرامهم ، وركب العدو وساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين . ثم عاد بأشد الشأن بادي الشين . وعساكرنا قد ركبت أكتافه . وهي تقطع أطرافه . وتهز أعطاف البيض لتحز أعطافه . وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخره ، خرج كميننا في طريق يافا على السابلة العابره . فظفروا وفازوا . وحووا وحازوا . وكسروا . وأسروا .

﴿ ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل ﴾

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله * ويدعوه نجدة لاهل القدس على الكفر وأهله ، فضرب العسكر خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمع الرفاق . وتهيأ لمن تأخر عن السابق الالحاق * وانضم اليهم التجار * وحصل لهم بكثرتهم الاغترار * وللعدو لقدومهم الانتظار * وعنده بجواسيسه الاخبار * فجاء الخبر من اليزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى الآخرة ان العدو ملك الانكتير ركب في سبعمائة فارس وألف تركبول ومعه ألف راجل * وسار عصر يوم الاحد سير مخادع مخاتل . ولا يدري أي جانب قصد . ولاي نائب رصد . فجرد السلطان أمير آخر أسلم * خوفا على الواصل ليسلم . وندب معه الطنبة وعدة من العادليه . وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق البريه . فعبروا على ماء الحسى . قبل وصول العدو اليه . واتصلوا بالقوم وأخبروهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحد عليه * وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين اخو العادل ولم يسأل عن المراحل والمنازل . وقصد أقرب الترك * وغفل عما يعرو من الفرق والفرق . وترك الاحمال على ترك اخرى سائره . ورأى الامنة ظاهرة واوجه السلامة سافره . وجاء ونزل على ماء يعرف بالخويلفه . والاماني تغره بالمواعيد المخالفه . ونادى تلك الليلة انا جزنا مظان المخافه * وفزنا بالسلامة من الآفه * فلا رحيل الى الصباح * فاغتر الناس بالنداء الصراح . وناموا مسترسلين . وباتوا متغفلين * فصبحهم

العدو عند انشقاق الصبح بالصدمة الشاقة والحـدمة الحاقه • وعاق ابن ذكاه باذكاه بنت الداهية العاقه • فجاءهم فجاءه . والصبح لم يبد اضاءه • والخيط الابيض من الخيط الاسود لم يتبين • وهبوب الاعين من هبوة الغفوة لم يتعين • وكل غرار في جفنه قار • وكل قلب بأمنه سار • وكل جنب على فراش • وكل عاش له النعاس غاش • فلما بغتوا بهتوا • وطلبوا أن يفلتوا فما التفتوا • وركب كل منهم على وجهه • وربما كر بكرهه • وفيهم من ركب بغير عدة حصانه • وأسلم اخوانه وغلمانه • وانهزموا نحو الاثقال • فاوقعوا العدو وهو وراءهم على الجمال والاحمال • فوقع العدو في سوابقها • واشتغل بها عن لواحقها • فتفرقت في البريه • وعاد معظمها الى الديار المصريه • ومنهـم من عاج الى طريق الكرك • فلم يقع في الشرك • ولم يحصل في الدرك • فأخذ الكفار جمالا لا تعد • واحمالا لا تحد • وكانت هـذه نكبة عظيمه • ونائبة عميمه • ونوبة ذات نبوه • وكبة ذات كبوه • ووقعة ذات روعه • وعولة ذات لوعه • فظنت الظنون • وأرجف المرجفون • وقالوا قد حصل للفرنج من الظهر مايحملهم وينهضهم • ومن المال مايبطرهم ويحرضهم • ومن الآن يقابلهم • وبأي عسكر وعدة نقاتلهم • ووصل الجند مسلوبين • منكوبين منهوبين • فسلاهم السلطان عن أموالهم • بما قوى من آمالهم • وحضهم على الحظ من الآخذ بثارهم • والجد في دمار القوم وبوارهم • ولها الملاعين بما ملأ العين من المال • عن القيل والقال والقتل والقتال • وحلا لهم ماحاولوه من الحال • وجرى هذا كله والملك الافضل والملك العادل غائبان • وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر متباطئة في الاتيان •

﴿ ذكر سبب غيبة العادل والافضل وما جرى لهما من الاول ﴾

كان الملك الافضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات • ونزل عن جميع ماله من الولايات • وانه اذا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلدان • وعنا له من بها من ملوك الاطراف ودان • ورحل من القدس في ثالث صفر وقد أزمع السفر • ووجه عزمه الماضي المضيء قد سفر • وأقام في دمشق حتى استعد • واستجدى من أبيه ماكمل به الخزانة واستجد • وأطلق له السلطان عشرين الف دينار • سوى ما أصحبه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب ومصوغات نضار • ثم سار في مجر مجر سيل خيله جار ذيل نقعه على المجره • شاغل بالسير والسرى أسرار ذوي الاسره • بادية على صفحات

صفاحه لنصره النصره * ووصل الى حلب * وقد سرى أفاويق التوفيق وحلب * واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه * وقام له بسنن الكرم ورسومه * ورحب للترحيب بصدره وجنابه * وسحب على روضه سحابه * وأصحب فيض فضله سحابه * ووقف لخدمته ماثلا * وهز عطف الابتهاج اليه مائلا * وأحضر له مفاتيح بلده * وقدم له كل ما في يده * ولم يبق من الجميل شيئاً الا عمله * ولا نوعا من الفضيلة الا كمله * وعرض عليه الحصن العراب * والتحف والثياب * وخلع على خواص أصحابه وعوام أجناده * وخصهم وعمهم من الجود بامداده * وعول أن يسير معه الى الجهة التي يقصدها * ويساعده على الضالة التي ينشدها * وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما أقلقه * ودفع منه الى ما ارهجه وأرهقه * ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله * راجياً لفضله * لائذا بجنابه. عائذا ببابه * مستجيراً بارعائه * مستجيباً لدعائه * مفوضاً ما حل به الى أنوار آرائه * مروضاً ما حل بانواء آلائه . فاحتمى له واحتمله . وقوى على تقويته أمله * وخاطب السلطان في حقه واستعطفه * وشفع في أمره واستشفعه . وقال انا امضي اليه وأستحضره. وأؤمنه مما يحذره . وتبقى هذه السنة عليه حران والرها . وتشد من رجائه بذلك ماوهى . وتعطيه في السنة الأخري حماة والمعره . وتكفى المضرة والمعره . ثم قرر السلطان مع أخيه العادل ان يأخذ تلك البلاد ويحويها . ويمالك حوزتها ويحميها . ويكشف عنها ويكفيها . واستقر ان ينزل عن اقطاعاته بمصر ولصف خاصه . واذا أخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في استخلاصه . فابدي على الرضا بذلك وجه كراهيته واعتياصه . واستزاد قلعة جعبر . فتمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر من أبيه بأضعافها واستظهر . وتقرر مسير الملك العادل في العشر الاول من جمادي الاولى وكتب السلطان بعود الملك الافضل فجاء هذا راجعاً . وذهب ذاك مسارعا . ووصل الى حران والرها . ففاز من تدبيره بالنجح المشتهى . وبلغ من مراده الى أمد الامل المنتهى . وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقي الدين . ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل علاء الدين وصاحب آمد ابن قرا ارسلان قطب الدين وعسكر صاحب سنجار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش ؟ واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام يأنس والكفر يستوحش ؟ وأقامت تنظر مسير الملك العادل لتسير في خدمته * وتجلى راياتها في مطالع رايته .

﴿ ذكر رحيل ملك الانكتير صوب عكاء مظهرا انه على قصد ثغر بيروت ﴾

لما تعذر على الفرنج قصد القدس، وعرفوا أن مرضهم به في النكس، ورأوا ان ثغر بيروت قد براهم، ومراهم من القوة ما منه مراهم. وانه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه. وقد فجعوا بعصائبه ونوائبه فقالوا أخذ هذا البلد هين • وقصده متعين، واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من جهة كتائبه وجمرة مضاربه • فنبادر اليه من يافا وعسقلان • من يجد في تملكه الامكان • فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من القصد• ودبروه من الكيد، أمر الملك الافضل بمباراة القوم في الرحيل • وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل • وسبقهم الى مرج عيون * حتى اذا تيقن من قصدهم المظنون • سبقت العساكر الى بيروت ودخلتها، ونكت الفرنج ونكبتها وحولتها، وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا مع ولده وان يضموا أمدادهم الى مدده • ونزل بمرج عيون والفرنج بعكاء بعد، تجاوز ولم تعد *

﴿ ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها ﴾

ولما رحل ملك الانكتير وسار • وخلى وراءه الديار • ترك في مدينتي يافا وعسقلان، جمعاً من منتخبي الرجال والفرسان، ووصاهم بالجد * في حماية البلد * فانتهز السلطان فرصة الغيبة • وأوفد الى مساغ رجائهم غصة الخيبة * ونهض بعسكره الحاضر * ولم يتمهل لانتظار العساكر، ووافي يافا ووفاها بكيل المنجنيق احجاراً * واراق دماء وساق دماراً • وزحف الناس * وحفز الباس، وفرعت المدينة * ورفعت منها السكينة * وقتل من بها ومسح، وأخذ ما بها وكسح * ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت وحملت؟ وعلت الايدى والسيوف من الدماء والاموال ونهلت * ونفضت كنائن، ولفظت خزائن • واستخرجت دفائن * وولجت مكامن • وحصل استمتاعنا بأمتعة * وانتفاعنا بكل منفعة، وامتلأ البلد الكافر بالمسلمين * وبقيت القلعة وطلب حماتها الامان ليكونوا لها مسلمين، وكان الناس قد سبقوا اليها * وقرب ان يستولوا عليها، وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب * وقد شارف من فيها الشجب، فلما طلب الآمان رد الناس وكفوا فظن ان الغنيمة اصفوا، فانه خرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين الأكابر * على ان يدخلوا تحت حكم الاسار ويسلموا جميع المال والعدة والذخائر، على أن يطلق كل واحد منهم

بأسير، ويفدي صغير بصغير، وكبير بكبير. وشرعوا في الخروج آحادا وعشرات * وعصبا متفرقات في ساعات، حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح * وطلبوا واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ماعينوه من الاقتراح * وما زال يخرج منهم من يستدعي زيادة التوثقه، وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرهقة * حتي وصل ملك الانكتير في البحر * في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر * ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر، فاكتفينا منهم بمن حصل في الاسر. وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم * ولا نفع بعد فوات الفرصة للندم * ولو أن السلطان توقف في تأمينهم * واستمر على توهينهم، لقلعت آساس تلك القلعه، ونفضت رقعة تلك البقعه * ولقد كان ذلك فتحاً عظيما، وفضلا من الله عميا * فقد امتلأت الايدي بغنائم المدينه * ووهت اسباب قواهم المتينه * واستعيد ما نهبوه من الكبسة المصريه * وفزنا بالغنائم السنيه * وقتل من أقام بالبلد وأسر * وكشط جلد تلك المدرة وبشر * وحصل في اليد من مقدمى القلعة نيف وسبعون، وتركوا وهم بالثبور يدعون. وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت * وخشي على فرصة حفظها ان تفوت، فمن الله تعالى بحصول المقصود * وفزنا بجني الجهاد بغير بذل المجهود، وجرى الامر على الوجه المحمود * وانما وقع التندم، كيف لم يقع في أخذ القلعة التسرع والتقدم، فتعاصت بعد الاذعان، وتعذرت بعد الامكان، وجمحت بعد الاصحاب * وجنحت بعد الاكثاب * وأفلتت وقد وقعت في الحباله * واستقلت بعد العثرة والاستقاله * وضعف الفرنج من تلك الكره * وآذن نشاطهم بالفتره * وماانتعشوا ولا انجبروا من تلك العثرة والكسره * وعاد السلطان وخيم على النطرون * والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء اليه الملك الافضل ولده والملك العادل أخوه * واسفرت بالمسار الوجوه، وكان ولده الملك الظاهر أيضاً قد وصل * وفي هذه الغزاة خضر وبينها حصل * وكذلك كان قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا ارسلان حاضراً * وأخذ من السعادة حظاًوافراً، وحصل بيده جرح يئس ان يؤسى * وظن تلك النعمة بؤسى * ثم اندمل جرحه * وفازت قداحه وحاز السني قدحه وأقام السلطان حتي اجتمعت العساكر ولحقت أوائلها الأواخر * ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقيه • في بيضه وسمره ومشرفيه وسمهريه * هذا والملك العادل متأخر في المخيم ؟ بسبب عارض السقم وملم الألم . ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من اهله بجمع الشمل،

والفضاء قد امتلأ . والقضاء قد أجترأ ، والقدر قد أسعد والسعيد قد قدر • والنصر قد أبدي الصفو واذهب الكدر • وتلك البريه قد حوت البريه •وجمت العسكرية والكمت الجارية والكماة الجريه • والاعراب والعـراب•والمحارب والحراب، والاجاود والجياد * والاساود والآساد * والبياض والسواد * والعدد والاعداد *

﴿ فصل في وصف الحال من كتاب الى الديوان العزيز ﴾

الخادم حاله على ماانهاه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمره •وأفاويق النصر على حفولها تارة وبكئها أخرى مستدره • والحرب سجال •وللاسلام في مضمار الظفر مجال • وقد تجاوزت القصة عن حد الانهاء •وكلما اشارفت القضية الانتهاء، عادت الى الابتداء ، والحادثة متصلة والواقعة مستقبله • والنعمة من الله في اجراء أوليائه على أجمل عاداته بانجاذ عداته في قمع عداته مؤمله ،وما ينقضي يوم الا عن نصرة تجدد ،وادمة تمهد • وجمع للعدو يتبدد* وجمر لنكاية فيه يتوقد* وخد للسيف من حده بدم الشرك يتورد *وفتح بكر من الحرب العوان بلقاح البيض الذكور يتولد * وآخر ماتم في هذه الايام * من مرجحات الكفر ومبهجات الاسلام * حظوة حلوه •ونوبة مالها نبوه، وهي أن الفرنج لما أعجزهم قصد البيت المقدس، ولم يستقم لهم ما سولوه في الانفس• عكسوا زعمهم ، ونكسوا عزمهم • وعادوا خائبين * ونكصوا هائبين • واستأنفوا مكيدة أخرى * وشرعوا فى شرخلاف الشرك به يجرى ، واجمعوا على قصد مدينة بيروت، وتآمر على الانجاد نحوها اعداء الله اولياء الطاغوت * فسارت العساكر الاسلامية على مباراتهم • لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم، وتجرد الخادم في خواصه ووافي يافا *موقناً من الله تعالى ان مدد نصره اليه يتوافى• وحمل اليها من معتقلي نبات الاسل ومشتملي بنات الخلل الاسـد والعرين * فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ، فأخذها بالسيف عنوه ، وأعاد ضرام النيران بها جنح الليل ضحوه، وأتي القتل والنهب على من وجـد فيها من الكفار * واستخرج مابها من الاموال والعـدد والاذخار • وخلص من المسلمين من كان بها فى الاسار ، وأضحت الفرنج فيهـا تبارى بالتبار • وطلب من بالقلعـة الامان على أن يسلموا من القتل ويستسلموا للأسر • ونزل البطرق والقسطلان والمرشان وجماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر • فبيناهم مشتغلون بالنزول . ومنقطعون الى الوصول * جاءهم الغوث في البحر *وظهرت

منهم أمارة الغدر * ورجع العدو عن مقصده ورده الله وخذله * و نصر الاسلام وأخذ له، وسره بما يسره له وأجذله * ونال سيف الدمار من سيب دمائهم علهِ ونهله * وكان المقصود ردهم عن موردهم وصدهم عن مقصدهم ، فاربي ماقيضه الله من فتح الهدى وحتف العدا على الارب ،واهتزت أعطاف البيض والسمر المنتشية من كأس نجيعها الاطرب . والقوم الآن قداشتغلوا بعصابهم ،واجتمعوا لضم ما انتشر من أسبابهم ، وراسلوا في الصلح على ان نخلي لهم عسقلان فما اجيبوا * وعلموا بجهلهم أنهم ماأصابوا فيما دبروه ولادبارهم فأصيبوا ؟ والعساكر الاسلامية اليوم عليهم مجتمعه ، ومسالك المهالك لضائقهم ومضايقهم متسعه . وقد آن ان تحل معاقد معاقلهم التي هي ممتنعه ؟ وكل مايجدده الله من علو يظهر . وعدو يقهر . ونصر يزهر . و أصل بالظفر يشهر ، فهو ببركات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الامامية الناصرية وبحمد الله ويمن أيامها وفضل انعامها دلائل النصر ظاهره ، وأسباب الظهور متناصره . ووجوه الآمال بنشر نجاحها ويسر مافي اقتراحها سافره *

﴿ ذكر الهدنة العامة ﴾

لما عرف ملك الانكتير ان العساكر قد اجتمع . والخرق عليه قد اتسع ؟ وان القدس قد امتنع .وان العذاب به وقع . خضع وخشع . وقصر الطمع . وعلم أنه لاقبل له بمن أقبل ، ولا ثبات مع الجحفل وقدحفل ، فاظهر انه أن لم يهادن أقام واستقتل . وللشر استقبل ، وانه عازم على العودة الى بلاده . لامور مردها يعود الى مراده ، والبحر قد آن ان يمنع راكبه ، ويسم بالامواج غواربه ، فان هادنتم وطاوعتم تبعت هواي ، وان حاربتم وعصيتم القيت ههنا عصاي واستقرت نواي ، وقد كل الفريقان ، ومل الرفيقان ، وقد نزلت عن القدس وأنزل عن عسقلان ، ولا تغتروا بهذه العساكر المجتمعة من الجهات . فان جمعها في الشتاء الى الشتات ، ونحن اذا أقمنا على الشقاق والشقاء ، رمينا أنفسنا على البلاء ، فاجيبوا رغبتي ، وأصيبوا محبتي ، وأودعوني العهد ودعوني . وودعوني ووادعوني ، فاحضر السلطان امراءه المشاورين وشاورهم في الأمر ، وأظهرهم على السر ، واستطلع ماعندهم من الرأي ، وسرد لهم الحديث من المبادئ الى الغاي ، وقال لهم نحن بحمد الله في قوه ، وفي ترقب نصرة مرجوه ، فأنصارنا المهاجرون الينا ذوو دين وكرم ومروه ، وقد ألفنا الجهاد ، وألفينا به المراد ، والفطام عن المألوف

صعب ، وماتصدع الى اليوم بتأييد الله لنا شعب ، وما لنا شغل ولا مغزي الا الغزو ، وما نحن ممن يشوقه اللعب ويسوقه اللهو ، واذا تركنا هذا العمل فما العمل ، واذا صرفنا عنهم الأمل ففيم الامل ، وأخشى ان يأتيني في حالة بطالتي الاجل ، ومن الف الحلية كيف يألفه العطل، ورأيي ان أخلف رأي الهدنة ورائي، وأقدم بتقديم الجهاد اعتزازي واليه اعتزائي * وما أنا بطالب البطالة * فارغب عن استحالة هذه الحالة * وقد رزقت من هذا الشيء فأنا ألزمه * ولي بتأييد الله من الامر أجزمه وأحزمه . فقالوا له الامر على ماتذكره . والتدبير ما تراه والرأي ما تدبره *ولا يستمر الا ماتمره من الامر *ولا يستقر الا ما تقرره . وان التوفيق معك في كل ماتعقده وتحله وتورده وتصدره * غير انك لظرت في حق نفسك من عادة السعادة * وارادة العبادة *واقتناء الفضيلة الراجحه * والاعتناء بالوسيلة الناجحه * والانف من العطله * والعزوف للعزله * وانك تجد من نفسك القوة والاستمساك . ويقينك يعرفك بالاماني الادراك * فانظر الي أحوال البلاد فانها خربت وتشعثت * والرعايا فانها تمكست وتعلثت . والاجناد فانها اصيبت ووصبت * والجياد فانها عطلت وعطبت * وقد أعوزت المألوفات * وعزت الاقوات ، وبعدت عنا العمارات * وغلت الغلات * ولا جلب الا من الديار المصريه * مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية *وهذا الاجتماع مظنة التفريق* ولا يدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد منقطعه* والجواد ممتنعه . والمترب قد ترب . والمعدم قد عطب * والتبن اعز من التبر،والشعير ليته وجد وان كان غالي السعر * وهؤلاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استفراغ المكنة واستنفاد المنه * وصبروا على المنية في طريق الامنيه * وأبوا في الاقبال على دينهم قبول الدنيه * والصواب ان نقبل من الله الآية التي أنزلها وهي قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها * وحينئذ تعود الى البلاد سكانها وعمارها* وتكثر في مدة الهدنة غلاتها واثمارها * وتستجد الاجناد عدتها . وتستريح زمان السلم ومدتها فاذا عادت أيام الحرب عدنا . وقد استظهرنا وزدنا * ووجدنا القوت والعلف *وعدمنا المشاق والكلف * ففي أيام السلم نستعد للحرب * ونستجد أدوات الطعن والضرب* وليس ذلك تركا للعباده * وانما هو للاستجداد والاستجداد والاستجاده * على ان الفرنج لايفون * وعلى عهدهم لايقفون *فأعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا ويتفرقوا *وقد شقوا بما لقوا * وما يقيم لهم بالساحل من يقدر على المقاومه ، ويستقل بالملازمه . وما

زال الجماعة بالسلطان حتى رضي * وأجاب الى ما اقتضى • وكانت قد بقيت بين العسكرين منزلة واحده * والمحاجات على الطلائع متعاقده * فلو رحلنا رحلناهم * وعلى الهلاك أحللناهم * لكن مراد الله غلب * وأجيب ملك الانكتير من الصلح الى ما طلب * فحضرت لانشاء عقد الهدنه وكنت نسختها، وعينت مدتها وبينت قضيتها، وذلك في يوم الثلثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لاول ايلول لمدة ثلث سنين وثمانية أشهر، وحسبوا أن وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر، وتتصل أمدادهم على الحشد والحشر، وعقدت هدنة عامة في البر والبحر • والسهل والوعر والبدو والحضر • وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكاء الى صور • وأبدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور • وأدخلوا في الصلح طرابلس وانطاكيه • والاعمال الدانية والنائيه •

﴿ فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا ﴾
﴿ ثم إفضاء الامر الى عقد الهدنة ﴾

قد سبقت مطالعة الخادم بانهاء حاله • وما هو لايزال مستمراً عليه من جهاد العدو وقتاله • وما كان عليه الكفر من الجمع الملتم والجمر الملتهب • والحشر والحشد المضطرم المضطرب • وانهم قد اجتمعوا على قصد البيت المقدس • وعزموا على بذل المصونين من النفائس والانفس • وسلكوا في القصد كل طريق • وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق • ودنوا على ظن ان جنى الفتح لهم دان، وان شبا الحتف عنهم وان • ولما قربوا عرفوا أن المرمى بعيد المرام • وانهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام • فنكصوا على اعقابهم • ونكسوا ماضربوه من آرائهم وآرابهم • وعلموا عقبى ما جهلوه • وقطعوا من أسباب العزم ما وصلوه • ونكثوا من عقد القصد ما ابرموه • وشرعوا في امر آخر توهموه • ومضوا واستأنفوا الاستعداد • واستنهضوا الامداد، وحصنوا بلادهم • وجمعوا فيها طرافهم وتلادهم • وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعه • والعدة النافعه، والشوكة الرادعه • والشكة القاطعه • واستظهروا فيهما بكل ماقدروا عليه من المنعة الحاميه • ورجال الصبر على النار الحاميه * ثم ساروا بحشودهم المجموعة وجموعهم المحشوده • وظلال الضلال الممدوده • وصلال الصلادم المقوده • مستمطرى شآبيب الانابيب • مستنفرى سراحين السراحيب، وتوجهوا على سمت ثغر بيروت بنية الحصر • وغفلوا عما اجراه

الله لاوليائه على أعدائه من عوائد النصر * ولما نمى خبرهم • وطار شررهم • وخيف ضررهم . أنهض الخادم العساكر المنصورة الى مقابلتهم . ومباراتهم ومقاتلتهم • ونزل في مماليكه وخواصه * ورجال الاقدام ذوى استخلاصه • على مدينة يافا فاخذها بالسيف عنوه • وجب بها من سنام الكفر ذروه * وحل منه بغزوته الهاء عروه * واستكمل للاسلام . بتملكها حظوه * وقتل كل من حوته وسبى * وناب المشركين بما بني مجده ومضى حده فيه وما نبا * وغنم من أموالها المسلمون ما خف ونقل * وأسر من وجد فيها وقتل * ونهب من آلات الحصر ما خرج عن الحصر . وابتذل كل ماصين من الغلال والعدد والمال الدثر للذخر * وطلب أهل القلعة الامان من القتل خاصة دون الاسر * وشرطوا انهم لايمكنون من الدخول اليهم من جاءهم للنجدة من البحر * وأخرجوا على سبيل الرهينة مائة رجل من محتشميهم * وكنودهم ومقدميهم * مثل البطرك الكبير والقسطلان والمرشان ومن يجرى مجراهم من الفرسان * فلما أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر فغدروا * وامتنعوا بعد انقيادهم للعجز حين قدروا * وخيم العدو هناك في جموعه * وندب الى عسكره من يأمره برجوعه * ووافت في البر جحافله حافله * وتواردت في الاسراع الى الصريخ ظلمانا جافله * فأجرى الخادم على الرهائن حكم الاسترقاق * وسيرهم الى دمشق في أقياد الوثاق * ورجع الى القوم فهزمهم وردهم الى عكا * بعد مانكى فيهم وأضحك من دمائهم البيض وابكى * وعاد الى العدو ونزل عليه * وكدر الموارد لديه حين زحف اليه * واجتمعت من أهل الاسلام العساكر • واتسعت على المشركين في المضايقة الدوائر * ورجا المؤمن وخاب الكافر * وجالت بأوجالها الضمائر لما جالت عليهم الضوامر * وعاينوا العذاب الواقع * وعدموا الدافع * وشاهدوا المصارع * فمازالت رسلهم تتردد بالضراعه • وبذل الطاعه * والنزول عن الاشتطاط * والدخول تحت الاشتراط * والغبطة بما هز له الاسلام عطف الاغتباط . * واحتوى عليه بيد الاحتياط . * وكانوا لايجابون الا بالاباء * ولاتلقى رسلهم الا بتصميم عزم اللقاء * حتى حضر أكابر الدولة وامراؤها • واولياء الطاعة وألباؤها * واشاروا بعقد الهدنه * والانتهاز فيها لفرصة الممكنه * واستقرت المهادنة على ماأعزه للاسلام الانوف وأذل من الكفر الرقاب * ورجح وأنجح من أهل الايمان الآراء والآراب * بعد ان نزلوا عن البلاد والمعاقل التى تملكوها * وبعدوا عن الطرق التي سلكوها * وسألوا الامان على الاماني التي استدركوها وما أدركوها *

وسلموا عسقلان وغزة والداروم ويبنى ولد وتل الصافيه • وغير ذلك من الاعمال والاماكن الوافرة الوافيه • واقتنعوا بيافا وعكاء وصور • واستبدلوا من تطاولهم وقدرتهم العجز والقصور • ورأوا عزهم في ذلهم • وصونهم في بذلهم * وسلامتهم في سلمهم • وغناهم في عدمهم • ولانوا بعد الاشتداد * ودانوا للانقياد • وهانوا بعد الاعتزاز وهابوا بعد الاغترار • وأقروا بعدالانكارلتعود جفونهم الى الغرار • وأمورهم الى القرار • وخلوا ديارهم وأخلوها * وما سألوا عن حب الاوطان والاوطار وسلوها * ومدة الهدنة التي أخذوا بها اليد وأعطوا اليمين • ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول أيلول يوم الثلثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين * ووضعت الحرب أوزارها * ورحضت بماء السلم أوضارها * وأخذت من أهل النار ثارها • وقصدت الفرنج من وراء البحر ديارها • ولا شك أنهم يستعدون في هذه المدة * ويستمدون مايستطيعونه من القوة والعدة * ويستجدون عزمة الموده * وقدشرع الخادم في تحصين الثغور * وامرار الامور * وإبرام معاقد المعاقل * واحكام قواعد الحق بتعفية آثار الباطل * وإتمام اسوار القدس وخنادقه * حتى يبقى على الدهر آمنا من طروق العدو وطوارقه * واعادة الاعمال والاحوال الى عادة عمارتها * وحلية نضارتها * وإجمام العساكر واراحتها * ليوم تعبها الذى هو عين راحتها * ولقد كان الخادم للسلم متكرها * ولايرى أن يكون كشيمة ملوك العصر عن الغزو مترفها * لكنه أجمع من عنده من الامراء وذوي الآراء على أن المصلحة في المصالحة راجحه * وان صفقة الكفر فيها خاسرة وصفقة الاسلام رابحه * وان في اطفاء هذه الجمرة وقد وقدت سكونا عاما * وأمنا تاما * وتفريقاً لجمع الكفار اشمل النصر عليهم ضاما * فهى سلم أنكى من الحرب فيهم * وانها تقصيهم من هذه الديار بل تنفيهم * والى متى تجتمع هذه الاعداد الهائلة لهؤلاء الاعداء * وتتفق هذه الامداد المتواصلة من أهل النار في الماء * وما صح لهم هذا الجمع على التكسير الا في خمس سنين * وما وافي اليهم مددهم من ألوفه سوى مئين • وكل ما كان لهم من أموالهم في بلادهم نقلوه وانفقوه • وأيقنوا ان مرامهم صعب وتحققوه • فمتى أنفضوا انفضوا وقد آن ان يرفضوا ويرفضوا • والى ان يتفق مثل هذه الجموع • ويعزم ذاهبهم على الرجوع • يكون الاسلام قد استظهر بقوته • واستكثر من نجدته ومن جدته • فرأى موافقة الاجماع • وقبل مناصحة الاشياع • وتفرق جمع الكفر وباخ جمره • وأمن

نكره ومكره • وانشرح صدر الاسلام وتضوع نشره • وتوضح بسنى النصر فجره •

﴿ذكر ماجرى بعد الصلح﴾

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته • واشتغل باتمام السور والخندق وتكميل عمارته* وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامه *فجاؤا ووجـدوا الامن والسلامه* وزاروا وراز وا *ولما عجزوا أن يحتازوا سألوا أن يجتازوا* ففسح لفريق من بعد فريق *وتوافوا في طريق وراء طريق، وقالوا انما كنا نقاتل على هذا الذى وجدناه مع الصلح ومازلنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا الى الصبح •وكان ملك الانكتير راسل السلطان وسأل منع الفرنج من الزيارة الا لمن وصل معه كتابه أو رسوله *ورغب في أن يجاب سؤاله في ذلك ويصاب سوله*فقيل مقصوده أنهم يرجعون الى بلادهم على حسرة الزيارة • فيبقون على الاستنفار والاستثاره *ومن زار برد قلبه *وتنفس كربه *ولم يبق له في مشقة العود أرب •ولم يتصل له بهذه الديار سبب * فكان الامر كما حسب، فاعتذر اليه في الجواب الذى كتب • وقيل له انت أولى بمنعهم •وردهم بردعهم *فانهم يصلون الينا وافدين *ولزيارة الكنيسة قاصدين • وما يقتضى كرمنا ان نرد الوفود * ولا نبلغ من بقصدنا المقصود * ومرض •لك الانكتير مرضاً ألهاه عما اشتهاه •ولم يبلغ في هـذا الغرض الى منتهاه • وركب البحر وأقلع * وعجل في مفارقته وأسرع *وسلم الامر الى من يليه * وهو الكند هرى ابن أخيه من أمه وهو ابن أخت ملك أفرنسيس من أبيه وتبعه فرنج الجزائر*ولم يقف الاول منهم على الآخر *

﴿ذكر ماعزم عليه السلطان﴾

عزم على الحج وصمم •وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم*وأمر بان يحمل له في المراكب كل مايحتاج اليه من الازواد والنفقات *والثياب والكسوات •فقيل له لو كتبت الى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته بنهجك • حتى لايظن بك أمر أنت منه برىء ويعلم أن قصدك في المضي مضىء •والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الآفاق • ثم هذه البلاد اذ تركتها على مابها من الشعث • لم تبرم مرر حبلها المنتكث • وهذه المعاقل التي في الثغور، حفظها من أهم الامور *ولا يغتر بعقد الهدنه، فان القوم على ترقب المكنه*والغدر دأبهم • وملء البغي اهابهم * فمازال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ماعقده •وأطفأوا من

ثار جده فيه ماأوقده ؛ فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته * وتهذيب عمله ومعاملته * وكان الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ * وهو تركي يقتدى به في زهادته وحسن سيرته الشيوخ • وكان فيه دين ولين • وحبله في الخير متين • ولم يزل مستوفياً لحق الامانه ؛ مستعفياً من الولاية لطلب الصيانه • فانصرف حميداً أثره ، كريماً مورده ومصدره ؟ وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جرديك • وقال تهديك في الامور يغنيك عن ان نهديك • وانما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والشهامة والديانة فيك • فتول آخذاً بالحزم في تثبتك وتأنيك ؛ وترويك وتأنيك • وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما والاها ؛ فخرج اليها وتولاها ، وامر بنقل الغلات من البلقاء لتقوية الفلاحين • واعانة المقطعين ، وكذلك امر بنقل الغلات من مصر الى اعمال عسقلان • ليعيد اليها الزراعة والعمران • وسأل الصوفية عن احوالهم وآذن سؤاله عنها باجابة سؤلهم وسؤالهم • فانه كان وقف دار البطرك مجاورة قمامه لهم رباطاً وجعل لهم كل يوم فيه سماطا * وزاد في الوقوف • وحكمهم في الانفاق بالمعروف • وكان قد جعل كنيسة صندحنا عند باب الاسباط للفقهاء الشافعية مدرسه * وردها بنية على التقوي مؤسسه * وزاد في أوقافها ! ووفر مواد تلادها وطرافها * وأمر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة بيمار ستانا للمرضى * واتخذ فيها بيوتاً فيها حاجات اصحاب الامراض على اختلافها تقضي ، ووقف مواضع عليها • وسير أدوية وعقاقير عزيزة الوجود اليها * وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بهاء الدين يوسف ابن رافع بن تميم * وعول منه على امين كريم *

﴿ ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون ﴾

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال . وقد دبر الاحوال • واقام بعدله الاعتدال • وافاض الفضل والافضال ، وجاوز ناحية البيره • وقد جلا جلاله سفي راياته المنيره • وبات على بركة للداويه • بالهمة الروية والعزمة القويه • ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعه ؛ وجمع شتات مصالحها المتوزعه • وكثرت الاستغاثات على سيف الدين على المشطوب صاحبها • وانه قد طرق الرنق الى مشاربها • وزاد في رسومها ونوائبها • فاقام بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف مظالمها • واضحك بالعدل والاحسان مباسمها ،

واسقط رسومها الجائره • وامات سنتها الضائره • واصفى بهـا شرعة الشريعه • واضفى ظلال الرعاية للرعية في مراعيها المريعه • ورحلنا بعد الظهر • وبتنا ليلة الاحد عند عقبة ظهر حمار بموضع يعرف بالفريديسه • ورتعنا في مروجها الانيسه • واصبحنا راحلين • ونزلنا ضحوة على جينين • وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد • فانه انتقل بعد أيام الى رحمة الواحد الصمد • وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال • ورحلنا يوم الاثنين وجئنا ضحوة الى بيسان. وازال حلول السلطان عنها البؤس واشاع الاحسان • وصعد الى قلعتها المهجورة الخاليه • فابصر قللها العاليه • وقال هذه اذا عمرت دامت في حضانة الحصانه • وكان جبلها لوثوقه مستودع الامانه • والصواب بناء هذه وتخريب قلعة كوكب • ولم يزل حتى بين كيفية بنائها ورتب • ووعد باحكامها • واعلاء اعلامها • ثم ظهر ظهراً وبات على قلعة كوكب : وشاهـدها وصعد لنظر رأيه فيها وصوب • ورحل عنها ضحوة الثلثاء • ونزل بظاهر طبرية وقت العشاء • وهناك لقينا بهاء الدين أقراقوش وقد خرج من الاسر • وتلقيناه بالبشر والبر • واقمنا بهـا يوم الاربعاء لتوافر الانداء • وتواتر الانواء • ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل • وصـعد السلطان اليها وامر بتسديد مافيها من الخلل • ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيعة يقال لها الجش • وهى عامرة محتوية على سكانها • كانها العش • وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين • وبتنا بأحوال قلعتها معتنين • واصبح السلطان حوالى حيطانها باحوالها محيطا • ممتطياً قرا قلعتها ولاسباب اختلالها مميطا • ووصى الوالى بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته منوطة وسـدادها بسداده منوطا • ثم رحلنا بكرة السبت وجزنا على قلعة هونين • ونزلنا من الجبل • وبتنا على عين الذهب واجتمعنا بالثقل • ورحلنا يوم الاحد وخيمنا بمرج عيون • وجلس السلطان على عادته معنا في تدبير الممالك تلك الليلة وسهرت العيون • ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى • وقطعنا في الطريق الوعر الوهاد والذرا • وعبرنا بين عمل صيداء يسرة وعمل وادى التيم يمنة على الضياع والقرى • وعرسنا على مرج تلفياثا مقابل مرج القنعبه • ودفعنا الى سلوك المسالك الصعبه • ثم اصبحنا يوم الثلثاء على الرحيل الى البقاع من تلفياثا فخيمنا على جسر كامد • والسلطان مشغول في طريقه من تقرير العمارات وتحرير سنن الحسنات باقتناء المحامد • ثم غدونا يوم الاربعاء وخيمنا بناحية قب الياس وقد اصحرنا الى الفضاء • وأقمنا ذلك النهار راتعين

من الفواضل السلطانية في النعماء . ولما جن الليل جمعتنا بالحضرة السلطانيـة الانوار . وسرت اسماعنا منه اسماء رجال الفضل والكرم وسنتهم لا الاسمار . ودخل السلطان يوم الخميس الى بيروت . وانجز بالوصول اليها وعـده الموقوت . ونزلت الاثقال على مرج قلميطية بالبقاع . واقامت خمسة ايام على الاستراحة والايداع *

﴿ ذكر وصول السلطان الى بيروت ودخول بيمند الابرنس صاحب انطاكية عليه والاستجارة به وذكر أسامة ﴾

ولما وصل السلطان الى بيروت تلقاه واليها عز الدين أسامـه * بكل ماتوفرت به الـكرامه * واستقبل الاصحاب بصدر رحيب وظل خصيب * وسماحة اريب وسجاحة لبيب * وفتحت الامراء على غلاء الغلات بالثغر ورفع أغلاقها * وسبلها وما قيدا طلاقها وقرى وأضاف * وأدني القطاف * وأصفى العطاف * وتلطف في الهدايا واهـدي الالطاف * وفرق على الصغير والكبير التحف *وأحضر للسلطان ولكل من معه للطرف . واغني واقنى . واعدم في الجود الموجود وافنى * واعطي الخيل والمماليك والجوارى والملابس ، وبذل النفائس * وزف على أكفاء المحامـد من أبكار المناقب العرائس . واظهر في مكان الشـدة الرخاء . وفي مظنة الضن السخاء . واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء ، واحضر كل ما عنده مما كسبه في الغنيمه ، جريا على كرم الشيمه . من الجوخ الافرنجية والثياب البندقيه . والمنابات الفضية والاكواب اللجينيه . والسروج واللجم*والاكسية والحزم . والمهاميز والملاليط والغفافير . والعروض والدراهم والدنانير . ففرق من ذلك ما جمعه ؟ وزفع الي كل منه ما اسمي قدره ورفعه . وما انفصل عنه الا كل مواصـل بشكره . مساجل امثاله بذكره . مضوع كل ناد للكرام بنشره . وقام بالسلطان وبكل من صحبه مدة مقامه ، واعجب واعجز ما صدق من اهتمامه *

﴿ ذكر وصول الابرنس بيمند ودخوله على السلطان ﴾

ولما أراد السلطان عن بيروت الانفصال * وذلك في يوم السبت الحادى والعشرين من شوال . قيل له أن الابرنس الانطاكي قد وصـل الى الخدمه . مستمسكا بحمل العصمه . داخـلا حكم الذمه . فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل . واذن للابرنس في

الدخول • وشرفه في حضرته بالمثول • وقربه وآنسه • ورفع مجلسه • وأظهر له البشاشة والهشاشه • وسكن من روع روعه الحشاشه • وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر بارونيا • ووهب كلا منهم تشريفا سريا • وأجزل له ولهم العطاء • وابدى بهم الاعتناء • وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة بمبلغ عشرين ألف دينار • وخص أصحابه بمبار • واعجبه استرساله اليه ودخوله عليه بغير امان • فلا جرم تلقاه بكل أحسان • وودعه يوم الاحد وفارقه • ووافق مراد السلطان انه بمراده وافقه • وانصرف المذكور مسروراً • بين امرته مذكوراً * محبوا بالمنح والمنن محبوراً *

﴿ ذكر وصول السلطان الى دمشق ﴾

لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم على البقاع • واحضرنا تلك الليلة في نادي فضله للمؤانسة والامتاع • وتجاذبنا اطراف الآراء • وهززنا منه اعطاف الآلاء • واستدنينا قطاف النعماء * وقد قرب الدخول الى البلد • والوصول الى الاهل والولد • وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا • ويظهر الى سكنه ومسكنه ارتياحا والتياحا • فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج يبوس • وقد شرح الله الصدر واطاب النفوس • ووصل الينا من اعيان دمشق من سبق للتلقي والاستقبال • واظهروا بقدومنا اسباب الاحتفاء والاحتفال • وجاءتنا فواكه دمشق واطايبها • واغتصت بالواصلين الينا مسالكها ومذاهبها • ورحلنا يوم الثلثاء وبتنا بالعراده • وجري المتاقون في التحفي بالتحف على العاده * واصبحنا يوم الاربعاء ودخلنا الى دمشق وقد أخرجت أثقالها • وابرزت نساءها ورجالها • وكان يوم الزينه • وخرج كل من بالمدينه • وحشر الناس ضحي • واشاعوا استبشارا وفرحا • وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت • فاهتزت بقدومه واختالت • وقرت بغمائله الاعين • واقرت بفواضله الالسن • وذاعت اسرار السرور * ورقت حبرات الحبور * وطابت الانفس * وغابت الابؤس * وانجلت المكاره • وتجلت المكارم * وافترت المباسم وهنيت بوسمه المواسم * وتهوديت التهاني * وهديت الاماني * وغنت المغاني * ولذت المجاني * وسفرت المجالي * وظفرت المعالي * وتحلت الاحوال * وتمت الآمال * وراج الرجاء * وارجت الارجاء * وفاض الجود * واستفاضت السعود * وعم العدل * وتم الفضل * واشرقت الآفاق * وافاق الاشراق * وكرم الفضلاء * وفضل الكرماء •

وحل في القلعة حلول الشمس في برجها * وقد جلت أوجه السعود بأوجها * واخذت بحار سماحه في موجها * وسلكت المناجح في نهجها * وجاءت المنائح في فجها بفوجها * وصفت شرعة الشرع لواردها * وضفت حلة الكرامة على وافدها * وفتحت مرتجات ابواب الآلاء لمرتجيها * واستجدت عادات انجاز عدات الجوائز لمستجديها * ويسر اليسار لاسعاف العافي، ونمت على ألسن الانام أوصاف الصافي * وجلس السلطان في دار العدل فأعدى المستعدى * وولي المستدعي * وأجاب وأجار * وأنال وأنار ،وجاد وأجاد * وبدأ وأعاد *

وفي هذا الشهر * خلص بهاء الدين قراقوش من الاسر * وأجتمع بنا يوم وصلنا الى طبريه * ولقى من السلطان الالطاف الخفيه * ووصل معه الى دمشق وأقام الى أن خلص أصحابه من الاسر * وتوجه الى مصر * وقد صان نفسه ببذل ماله * وأخرج ثروته ودخل في إقلاله * وخرجت السنة والسلطان في أسنى سنائه * وأبهى جلاله وأجلى بهائه * والناس راتعون في رياض نعمائه وريسل المماليك الغربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه * وينتظرون عزمه ويرقبونه * وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره * وابتسام ثغر الربيع وافتراره * والتهاب زهر ازهاره * وانتهاب سرح اسحاره * وانتباه عيون بهاره * واندلاق غرار عراره وائتلاق انواء نواره ، وانطباق نواظر ثماره ، واصطفاق اوراق اشجاره ، وانفتاق كمامه واتساق نظامه وانتثار منظومه وانتظام منثوره * وانفجار صبح اسفاره وانفراج وجه سفوره * واجتماع لفيف اعشابه * واستماع حفيف اقصابه * والتماع بريق سحابه * واتساع طريق صحابه . وانشقاق شقائقه * وانعقاق عقائقه * واشتمال شمائله * واقتبال قبائله ، وتأرج صباصباحه * وتبلج صباصباحه ، وتورد وجنات جناته * وتوقد جمرات ثمراته * وتبسم ثغور أقحوانه * وتنسم ضمير ضيمرانه * وتصور خدود تفاحه * وتدور نهود رمانه * واخضرار آس عذاره * واحمرار خد جلناره * وتشنف أقطار النادي باقراط قطار الندى * وتفوف حافات الوادي بالوشي الوشيع من حوك الرباب حول الربا * فاذا طاب النسيم ولسم الطيب * ودعا البلبل ولبى العندليب * وامطر عبير الربيع * وتصور الشقيق كانه تخمر من تجمير التجبيع * ووافق مراد المرعي من المراد المريع * وحلا الجني الاجنى وحلى النضير النضاري * وبقل العذار البنفسجي واشتعل الخد الجلناري الناري * ونجم في الروض النجم السماني المائي * وابتسم الثغر الاقاحي * وتنسم الضوع الصباحي * وتحرك العرف السحري الشجري * وتأرج النشر الروضي * وتبلج البشر الوضي * وانتشى النشأ الشمالي الشمولي *

وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب * وقابلت القبول خطيبة الفضل بفصل الخطاب * وصبت الصبا في محل خطيئة المحل بصوب الصواب * فحينئذ آل جماح الاصحاب الى الاصحاب * وصرفت أشاجيع الشجعان وايمان أهل الايمان كل مواج العنان رواج السنان * ونزعت النزائع الى الحلاب * ورشفت القواطع بشفاه الشفار ضرب الضراب * واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع * وسرت الطلائع وسر الطلوع * ونهض أهل الجد وجد النهوض * وفاضت المنابع ونبعت الفيوض * وضرب السرادق السلطاني حيث النصر ينزل • والسعد يقبل • واليمن يشمل • والنجح يسهل * والظفر يمثل * والامر يمتثل • والجد يسمن والهزل يهزل * والعزم يولي والوني يعزل • ويعم العدل مع اعتدال الزمان كل مكان • ولايتنفس الا بحديث الطاعة من يحدث نفسه بعصيان * واقمنا على هذا العزم الى آخر السنه • والاجفان مغضوضة على طيب السنه • وظل البرد الشديد مديد • والجلد واه والهواء جليد • وحد الشتاء في التشتيت جديد • والجبال قد اشتعلت رؤسها شيبا • والثلوج قد زرت على أعناق اطوادها جيبا • والجو في لظم ونثر • والثرى من الثرات مثر • والمتون ناكب ناكت • والهتوف ساكن ساكت • والمزن مزين • والحزن حزين * وللسماء سماط • وللنشاص نشاط • وللسحاب حساب • وللبرق والرعد انتحاء وانتحاب • وللبرد من ثلجه برد • وللمطر في نهجه طرد • وللغيث عيث • وللوحل ريث • وكانون قد اكن الرباه وشباط قد شب الشبا • والنار محبوبة مشبوبه • وخدود النكب مذروبه • وخدود الترب مضروبه • والسلطان مشغول بالصيد والقنص • منتهز في العمر للفرص * مبتز بالبزاة والصقور • حشاشات الوحوش والطيور • بكل جار جارح • وطائر طارح • يدنى أجل الحجل وحمام الحمام • كانه غريم لها لاهى الغرام • وكل شهم ينقض انقضاض السهم * ويبط بطن البط بالحزم • وأكثر الجلوس بدمشق في دار العدل • واغزر لمنتجعيه در الفضل • وحكم وقضى • واسخط بالحق وارضى • ووقف وأمضى • ومامنع بل أعطى • واصاب وما أخطا • وجاد وأجاد • وأبدى وأعاد • وأوفد وافاد • واحسن وزاد . وأغني واقني واجدى واسدى . واولى وولى • وأجار واجاز * وحاز وفاز • وقرب العلماء • واكرم الفضلاء * وفضل الكرماء * وتكلموا عنده في المسائل الشرعيه • وظفروا من جوده بالوسائل المرعيه * وما كان أحسن الى الحق اصغاءه • واسرع للباطل إلغاءه • ولكل ذى فضل منه حظ • ولكل ذى حفظ منه حفظ • ولكل محروم منه رزق * ولكل مرزوق

الى حده سبق * ولكل فهم عنده سوق * ولكل سهم عنده فوق * ولكل أدب لديه داب * ولكل عاتب عدم من جوده اعتاب * ولكل مكرمة عنده باب * ولكل دعوة عاف من أسعافه جواب * ولكل مستجد اجداء * ولكل مستهد اهداء * ولكل سائل نائل * ولكل ماحل وابل * ولكل ظام ري * ولكل حائم ورد هنى * فما أسمح مزنه * وما أصح وزنه * وما أسمح يده * وما أوضح جدده * وما أعلى جده وما أجد علاه * وما أجدى كفه وما اكفى جدواه * وما أكثر حياءه وأغزر حياه * وآرج رياه وأبلج محياه *

وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج أرسلان بن مسعود بن قليج ارسلان * وكانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان

كان له عشرة من البنين فولى كلا منهم اقليما * وقصد به لمناد أمر ذلك الجانب تقويماً * فقوى كل منهم في ثغره * واستقل بأمره * ودب في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد * ومد عينه الى مافى يد صاحبه من البلاد * وكان أكبر بنيه قطب الدين ملكشاه قد استحكمت قواه واستطال هواه * وهو حينئذ متولي سيواس * فأطاع في التملك على أبيه ملكه الوسواس * وسعى الى ان أبعد من عند والده اختيار الدين حسن ابن عفراس * وصور له انه يريد ان يستولي على الملك * وينفرد بانتهاج المسلك وانتظام السلك * وساعده صاحب أرزنكان وأمن اختيار الدين الى المذكور واختاره * واستأذن السلطان ان يقصد دياره * ويقيم عنده الي ان يصلح أمره مع أولاده * ويأذن له في العود الى بلاده * فاستصحبه صاحب أرزنكان * وأوقع عليه في الطريق التركمان * فقتلوه شر قتله * ومثلوا به وبولده أقبح مثله * فلما عرف ملكشاه ان وجه والده خلا * وانه عن حسن بن عفراس سلا * ساق اليه * وأخنى عليه * ودخل قونية دار مملكته * واستبد بحوز حوزته * وقوى بعزته * وعز بقوته * وقال لوالده انا بين يديك * أشفق عليك * وانفذ أوامرك * واوفر مآثرك * وقتل أمراء كانوا لابيه * وألزم خدمته من لا يشتهيه * فبقى معه كالمعتقل * يظن حالياً وهو فى العطل * واستكتبه انه ولى عهده * والقائم بالسلطنة معه ومن بعده * وتصرف فى خزانته وملك أقسرا * وفرع وفرى * وقرع وقرا * وقطع وبرى * وقد مضى حديث ملك الالمان * في ذلك الاوان * وكيف وصل وعبر الى الشام * وكيف قوى بهم في وهن الاسلام * واستصحب معه والده الى قيسارية لقسر أخيه نور الدين سلطانشاه وحصره * واظهر انه بأمر والده وانه شاد ظهره *

وخرج عسكر البلد وصف * ووقف وكف * ورأى قليج ارسلان * أن ولده عنه مشغول • وان عقد حراسته له محلول • فخرج من الصف مفارقا للولد • وساق ودخل الى البلد * فأضافه الولد الآخر واكرمه * وبره واحترمه • وانفصل ملكشاه الى قونية وملك تلك الامكنه • وقد استبد بالسلطنه • وبقي قليج ارسلان يتردد في بلاده • وفي ضيافة أولاده • ينتقل من بلد الى بلد * ومن ولد الى ولد * وكلهم يضجر منه • ويعرض عنه • حتي حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو فتوا• وآزره• وضافره، وظاهره • وجمع وحشد له • وأخذله وما خذله وجاء به الى قونية فدخلها * وحلى به عطلها ، وخرج ليأخذ أقسرا فتعذرت وتمنعت عليه وتعسرت • واسترغب الاوجيه • وجمع العسكريه * فمرض فجاء به وقد توفي الى قونيا في محفه * ونزل يمشي قدامها ويظهر انه من المرض الثقيل في خفه • حتى دخل المدينة وقلعتها • واحتازها واحتاز مملكتها * واستدعى الاعيان * فاستحلفهم * واستمالهم وتألفهم * ثم أظهر لهم وفاة أبيه وانه وارث ملكه ومتوليه • وقوي على قطب الدين ملكشاه أخيه *

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفرّاش كان من أهل الفضل • والرياسة والنبل * وهو قاضي العسكر الحاكم المحكم • والكريم المكرم * والسلطان يعول عليه في المهام * وفي الامور العظام • ويؤهله للرسائل وأخذ المواثيق والعهود • وتولى الولايات والعقود • ولما أخذ شهرزور سلمها اليه * وعول فيها عليه * وما برح بها حتى أنعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضي شمس الدين فأرسله السلطان الى قليج ارسلان وأولاده • ليصلح بينهم ويعيد أمرهم الى سداده، فتردد بينهم سنه * ولم تزل مساعيه مستنجحة مستحسنه * وعاد ووصل الى ملطيه • وقد استكمل من عمره لله العطيه • وتوفي بها في شهر ربيع الآخر من السنه • وانتقل الى الله باعماله الحسنه •

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره • وممالك الآفاق في انتظاره * والايام مشرقة بمطالع أنواره * والليالي مترقبة صباحها لاسفاره * ورسل الامصار مجتمعون على بابه * منتظرون لجوابه * والوافدون قاطفو جني جنابه • والضيوف في فيوض العامه عائمون وبفروض حقوقه قائمون * والفقراء في رياض صدقاته راتعون * وفي كلاءِ كلاءته راعون وادعون ، ودار العدل بالفضل داره • واسرار المنى بالمنائح ساره • والسلطان

يجلس في كل يوم وليلة لاسداء الجود ، وابداء الود ، وبث المكارم ، وكشف المظالم . وتنفيذ المراسم وامضاء العزائم ، وتشييد الدعائم ، وتقرير المظائم ، والاهتمام بمصالح الاسلام ، ومناجح الأنام ، والاغتمام للمسلمين بما يتم في بلادهم من الخطوب ، وينم من الكروب ، وبمجالسه العلماء * ومساجلة الفضلاء ، وموالاة الاولياء ، ومصافاة الاصفياء ، واعداء الملهوف ، واسداء المعروف ، ومل ملازمة البلد ، وخرج عن حكم الجلد ، وبرز الى الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة عشر يوما ، واوسع من لم يوافقه على الخروج لوما ، واستصحب معه اخاه العادل وأبعدوا في البريه ، وظهروا عن ضمير ضمير الى الجهة الشرقيه ، وطابت له الفرص . ووافق مراده القنص ، ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ، ووجه بشره قد سفر ، ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج للتاقي ، وسعاداته في الترقي ، ولما اقى الحجاج استعبرت عيناه ، كيف فاته من الحج ما تمناه ، وسألهم عن أحوال مكة وامرائها واهلها ، وخصبها ومحلها * وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها * وعن المجاورين والفقراء ورواتبها وادراراتها * وسر بسلامة الحاج * ووضوح ذلك المنهاج * ووصل من اليمن ولد اخيه سيف الاسلام * فتلقاه بالاكرام وانزله في كنف الاهتمام *

* ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق *

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عادته * ومجلى سعادته * ونحن عنده في اتم اغتباط * واتم نشاط * حتى مضى من الليل ثلثه * وهو يحدثنا ونحن نحدثه * ثم صلى به وبنا امامه * وحان قيامه * وانفصلنا باحسانه مغتبطين * وبامتنانه مرتبطين * واصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان * ننتظر خروجه لوضع الخوان * فخرج بعض بعض الخدام * وأمر الملك الافضل ان يجلس موضعه على الطعام * فجاء وتصدر وتربع في دسته * وجلس بسمته وسمته * وتطيرنا من تلك الحال وتفللنا بحد ذلك الفال * ودخلنا اليه ليلة الاحد للعياده * ومرضه في الزياده * وتوفي بكرة الاربعاء السابع والعشرين * ونقله الله في دسته العالي الى اعلى عليين * ومات بموته رجاء الرجال * واظلم بغروب شمسه فضاء الافضال * وغاضت الايادي * وفاضت الاعادي * وانقطعت الارزاق * وادلهمت الآفاق * وخاب الراجون ، وغاب اللاجون * وخاف الآمن وخاب الآمل ، وقنط السائل وشحط النائل ، وطردت الضيوف ، ونكر المعروف ، ودفن بالقلعة في

داره • ونجم الزمان بانواره • وعدمت الايام صباحها • والآمال نجاحها • ودفن معه الكرم • وغاب بعد وجوده وجوده العدم والعدم • وبقيت تلك الايام لاأفرق بين الدجى والضحى * ولا أجد قلبي من سقم الهم وسكره صح ولاصحا • وحالت حالي • وزال ادلالي • وزاد بلبالي • وبطل حقي • واتسع خرقي • وتنازل جاهي • وتنازق أشباهي • وأعضلت ادواء الدواهي • وبقيت المعارف متنكره • والمطالع مكفهره • والعيون شاخصه • والظلال قالصه • والايدي يابسه • والوجوه عابسه • وعادت أبكار خواطري عانسه • ونجوم قرائحي وشواردها الآنسة خانسة كانسه • وبقي باب كل مرتجى مرتجا • ومنهج كل معروف منهجاً * وظن الغنى عنى • واختلف في ضن الاخلاف بي ظني * حتى تولى الملك الافضل بدمشق مقام أبيه * وقام بالامر بهزم تأتيه وحزم تأتيه وعز تأبيه • فعرف افتقاره الى معرفتي وفقري • والى عطل الملك وحلاه من غزارة حاب دري ونضارة حلي دري • فكتبت له * وحليت من الملك عطله * ووشيت الكتب ووشعتها * وجليت الرتب ووسعتها * وهززت البراعه • وأغزرت البراعه * وهجرت الجماعه * ولزمت القناعه •

﴿ ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده ﴾

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة • وأبقى له مآثر أثيرة ومحاسن كثيرة • ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما * فانه كان باخراج مايدخل من الاموال في المكرمات والغرامات مغرما • وكان يجود بالمال قبل الحصول • ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول • فاذا عرف بوصول حمل وقع عليه باضعافه * وخص الآحاد من ذوي الغناء في الجهاد بآلافه • ولا جبه أحدا بالرد اذا سأله • بل يلطف له كأنه استمهله * فانه يقول ماعندنا شيء الساعة ومفهومه أنه يعطي وان كان يبطي • وانه يصيبه بالنوال ولا يخطي • وكان ولي عهده بالشام الملك الافضل نور الدين علي * وانه كاسمه سام علي • ونور فضله كسمته جلي * وهو الذى حضر وفاته * وفاز بملكه فما يقال حضر وفاته * وقام بسنة العزاء * وفرض الاقتداء بأبيه في ايلاء الآلاء وادناء الاولياء * وخلع على الاماثل والامراء والافاضل والعلماء • وكان بالباب رسل ووفود وملوك • ورجال لهم في مسالك

الرجاء سلوك • نخابوا وغابوا وذهبوا وما آبوا

﴿ ذكر من تولى ممالكه بعده من أهله ﴾

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان مصروجميع أعمالها. وابقاها على اعتدالها ، ونقاها من شوائب اختلالها واعتلالها . واحيا سنن الجود والباس . • وثبت القواعد من حسن السياسة على الاساس ؟ وأطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاه . وضاعف ما كان يطلق برسم العفاه • وجادوأجاد ، وأبدى الكرم وأعاد. • وبسط وقبض . وأبرم ونقض ، وحل وعقد ، وبر وافتقد . ووضع ورفع ، ومنح ومنع ، وأبصر وسمع وضر ونفع ، وقطع واقطع • وأصل وفرع * ووعد وانجز * وأومن بغى من أعوز • وبرز وأبرز ، وجاهد وجهز * وعرض الكتائب * وفرض المواهب * واجرى الصدقات * وتصدق بالجرايات * وأدر وأدار * وأجاز وأجار * وأغنى واسعد * وادنى وأبعد • وقدم أمر بيت الله المقدس • واعتمد في اعتماد الاشوس الاسوس * وعجل له بعشرة آلاف دينار مصريه • لتصرف في وجوه ضروريه * ثم امده بالحمل * وأفاض عليه من الفضل • وقرر واليه عز الدين جرديك على ولايته * وقوى يده برعايته ووالي حمل الغلات من مصر الى القدس وابدل وحشته بوفاة السلطان من وفائه بالانس * وجلس في دار العدل ففصل ووصل * واحسن وعدل • وقضى وحكم ، وأمضى واحكم * واحضر نواب ديوانه فى ايوانه * واستعرض منهم قوانين سلطانه * واستقرى الضياع والاقطاع • وعمم الاصطفاء والاصطناع * وحل اقطاع من اقام بالشام • والزم جند مصر بالخدمة والمقام • وما ابقى الا ما في يدى من الضياع * وصان حقوقى من الضياع * وامر بتخليده * وأجد جدى بتجديده * فجاءنى كتابه الكريم بكل كرم مكتوب * ومحبوبه من الرفد محبوب • ورعي في عهد الوالد * واضاف الطارف عندى من العرف الى التالد * هذا وانا غائب * وبرأيي راتب * ولسواه كاتب ونائب * وما احوجني في النوال الى السؤال * وأغناني استرساله في اغنائي عن الارسال * ولم تفتقر مقاصدى ووسائلى الى تسيير القصائد والرسائل * وما اغرب بدار فواضله الحلول بدار الافاضل * ثم اشفق من غدر الفرنج في فسخ الهدنه * فأتي من تجهيز العساكر الى البيت المقدس بكل مافي المكنه • ثم سمع بحركة المواصلة ومن بايعهم * وتابعهم

وشايعهم ، قدخرجوا في أيمانهم حانثين * ولعقدأيمانهم ناكثين * نخيم ببركة الجب ، واستشار امراءه أهل الرأي واللب * وجهز جيشا جائشا ، وبعثاً لمثار الدولة ناعشا * في كل مقدم مقدام ، وهمام همام * وضيغم ضرغام * وقرم قمقام ، فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم ، وهز منهم أعطاف الاستكانة له بمدهزمهم * فرأى أن الحمد أعود ، والعود أحمد ، وسيأتي ذكر ذلك في مكانه ، عند ذكر الملك العادل وما رفع الله من شأنه *

﴿ ذكر دمشق وما يجرى معها ومن تولاها ﴾

وتولى الملك الافضل نور الدين أبو الحسن على ولد السلطان دمشق والساحل وما يجرى مع ذلك من البلاد ونفذت في البلاد أوامره * ونفدت في الرجال ذخائره ، ورتب الأمور أجمل ترتيب ، وهذب الشؤون أكمل تهذيب * وجلا السرير السلطاني بنوره ، وأسفر صباح الاقبال باقبال سفوره ، وهدى وهدأ * وملأ بالبشر المتبلج والنشر المتأرج الملا * وهذب واذهب ، ورغب وأرهب ، ورتب وربت * وأصلى وأصلت ، واثر وارث ، ولم الشمث * وأبهى وابهج ، واجد المنهج المنهج ، ورجح وانجح ، ومن ومنح ، وأرسى وأرسخ ، وبذ وبذخ ، ووعد وأوعد ، وجدد الجدد ، واذاع بحميته سر حمايته وأعاذ ، ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ ، وأمر وأمر ، ونضر ونظر * وعز وأعز ، وحاز وحز ، وساس وراس ، وملك الباس والناس ، وأشاع البر وأماش ، وأشبع الجياع وروى العطاش ، واستخلص ذوى الاختصاص ، وأختص أهل الاخلاص ، ونهض واستنهض * وعرض واستعرض ، وربط عزمه الرباط ، واحاط علمه وحاط ، وحفظ أولى الحفائظ ، ولاحظ العرف وعرف انه لا حظ لغير اللاحظ ، وصنع واصطنع ، وابدى وأبدع ، ومد الظل واسبغ ، وسوى الفضل وسوغ ، وأهمي العوارف ، وأمهى الرواعف ، وحقق الحقوق ، ورتق الفتوق ، وضم الملك ، ونظم السلك ، وجلس في في دار العدل ، وأتى بالحكم الفصل ، وحزم وجزم ، وعزم والتزم ، وزاد وزان ، واغاث وأعان ، وأبر أرباب الهوي ، وأمر من أرباب التقوى القوي ، وحمي النسابه ، ومحا المكاره ، وفاض بغزارة العطايا ، واستفاض بطهارة السجايا ، وآوي اليه اخوته ، وضم جماعته ، وجهز آخاه الملك الظافر مظفر الدين خضرا ، واصحبه عسكرا مجرا ، وانهضه لانجاد عمه الملك العادل ، فانار في فضاء الفضائل ، وسار بجحفله الي الجحفل الحافل ،

فالتزم الشروع ، وهزم الجموع ، وقارع القروم ، وكان الهازم والعدو المهزوم ٠

وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة الافضلية داخله ، وأمداد طاعات الولاة والاولياء بها متواصله . وصاحب حمص والرحبة الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن ابن عم السلطان ، وهو أثير الشان أثيل المكان ، فوصل الى دمشق مطيعا ، ولسر صدقه ونشر صداقته مذيعا مشيعا ، فأحلى له الملك الافضل جنى شهياً واحله جنابا وسيماه ، وعقد له حبا الحب ، وحباه بكل ماسفر عن سفور مودة القلب ووفور مواد القرب ،

وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب طائعاً ، وللامر الافضلي تابعاً ، فادناه واجتباه ، وأحبه وحباه ، وأسناه وأسماه ، وآوه وآساه ، فتأكدت بينهم القرابة المتشجه ، وتشبكت اللحمة المنتسجه ، وتمهدت الآصرة الممتزجه ، وتفتحت ابواب الالفة المرتجه ، وتوافوا على التوافق ، وتصادقوا على التصادق ، وتعاضدوا على الآخذ بالتساعد ، وتعاقدوا على ترك التقاعد ،

﴿ ذكر حلب وما يجرى معها ﴾

وتولى حلب واعمالها وحصونها ومعاقلها ، وكرائم البلاد وعقائلها ، الملك الظاهر غياث الدين ابو الفتح غازي . وهو برجاحته وسماحته للطود والجود الموازن الموازى ، وتلك مملكة اقطارها واسعه ، وامصارها شاسعه ، فحواها وحماها ، وبماء العدل رواها وقواها ، واعز رجال الرجاء ، وهز اعطاف العطاء ، ورحب لوراده وروادة رحابه ، وسحب بحيا الاحياء سحابه ، وابرت مبراته ، واثرت مأثراته ، وسح وصح غيثه وغياثه ، ورعى رعيته فشبعت ورويت ظماؤه وغرائه ، وزخرت امواجه ، وزهرت بشواقب المناقب ابراجه ، وصابت سماء سماحه ، وطابت صبا صباحه ، وعزت بسيرته كتب التواريخ ، وعزى قلمه وسيفه الي عطارد والمريخ ، وسعدت وفوده ، ووفدت سعوده ، وأثر من امره النفاذ ، وكثر بظله اللياذ ، وادنى الابرار ، واقصى الاشرار ، وخص الاعزة الخواص بالاعزاز . واوعز بما يعود به الى نضارة الغني العود الذي ذوي لذوي الاعواز ، وتمهد لسلطانه الاساس ، واطرد لاحسانه القياس ، ووجد من عثر من ايده الانتعاش ، وعشا الى جدواه المجتدي وعاش ، وفرض الفرص ، ورفض الرخص .

وادي الفروض ، وقضى القروض ، واستدني من المناجح شاحطها • واستدرك من المصالح فارطها ! وملك خلق التحفظ ! وسلك طرق التيقظ ، وفرق وجمع • وخرق ورقع • وغلب وبلغ • ودمر أهل الكفر والنفاق ودمغ • وشفى واشتفى • وكفي واكتفى • وراع وراق • وفات وفاق • وطلب وادرك • وأخذ وترك • وفاض بالفضل • وراض بالعدل • وقدم الحزم ، وصمم العزم ، وأحيا السنن • واولى المنن * ولها بالجد عن اللهو ، وانتهى بالعدو الى اليأس المر وبالولي الى النائل الحلو . وأمر ونهى ، وأوهن معاقد ذوي المكايد وأوهي * ووفي للوفي * وصفا للصفي * وأقر البـيرة وأعمالها وما يجرى معها على أخيه الملك الزاهر مجير الدين داود * ولم يزل مقبولا أمره غير مردود * ودخـل في أمره صاحب حماه * وأعزه وحماه ، وهو ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين واتسع الملك ، واتسق السلك ، وكاتب الجوانب وراسل ، وفارق من رأي وواصـل * وطال باعه ، وأطاع أشياعه * وهمت همته بالزياده ، وسمت لسمت السيادة *

﴿ذكر الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أخي السلطان وماجري له بعد وفاة أخيه﴾

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته ، وكان موافقه ومرافقه في مقتنصاته ، فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضي الى حصنه بالكرك للاستراحه * غير مطلع على سر الغيب في الأقضـية المتاحه ، فنابه النائب ، ولم يحضر وقت احتضاره الاخ الغائب ، فلما عرف وصل الى دمشق بعـد أيام ، ولم يقم لتنفيس كرب الحادث ولم يحـدث نفسه بمقام ، ولم يرم ثلاثا ؟ ولم يرم ليانا ، ورحل طالباً لبلاده بالجزيره ، حذراً عليها من أهل الجزيره ، وكان السلطان جعل له كل مافي شرقي الفرات * من البلاد والولايات ، ومضى كما ومض بارق ، وتخوف أن يطرق بلده طارق • فلما وصل الى الفرات ، وجـد مما خافه دلائل الفترات ، فأقام بقلعة جعبر • ولم يحشد ولم يستحضر العسكر ، رغبة في السلم والسلامه ، ومحبة للدعة المستدامة ، وسير الى الولايات الولاه * ووصي برعاياه الرعاه • واستناب في ميا فارقين وحاني وسميساط وحران والرها * وشحنها بالشحن واسـتقام أمرها ، وحسب أن الاعداء اذا سمعوا بسمه * جمعوا الجمعه وتدافعوا لدفعه * وسكن وسكت * وتبين وتثبت • وعلم العـدا أنه في خف نخفوا ، وعرضوا وصـفوا * وما

كفاهم ماهم فيه فهموا وما كفوا ، وسافوا تراب الطمع وأسفوا * فجرت حركتهم هلكتهم * وأذهب الله عند مجيئهم بركتهم •

﴿ ذكر أهل الشمات وما قدر الله لجمعهم من الشتات ﴾

كان الامير بكتمر صاحب خلاط • قد هجر الاحتياط ووصل النشاط * وضرب البشائر لرزء صلاح الدين • وظهر في النوب الخمس بشعار السلاطين * وتلقب بالملك الناصر * وحدث أمله بجر العساكر * وراسل صاحبي الموصل وسنجار • وطير اليهم كتب الاستنفار * وضم اليه من ماردين ، ماردين ، وطار وطاش •وارتاش وانتاش• وخلط من خلاط الأوشاب والأوباش • فبيناه هو في أتم غرور * وأتم سرور *وأحب حبور • وأشب سفور * وأرقد عين ، وأركد عين * وأغفل قلب • وأذهل لب * وأطول أمل في أقصر أمد ، وأكثر مدد في أقل مدد • وقد خرج من الحمام * ولم يدر أنه داخل الى مغتسل الحمام ، استشهد على أيدي الاسماعيلية * ولعل الله غفر له ونقله بشهادته الى جنته العليه ، وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر جمادي الأولى من هذه السنة *وكان أيامه كانت أحلاما رأيت في السنة *وأول بادئ بالخروج متولى ماردين فانه مرد* وحشد المدد ، ونزل على حصن الموزر ، بالعزم المزور والجد المزور *وهذا الحصن كان السلطان اقتطعه عن اعمال ماردين • حين كان أهله عليه ماردين *فلما صالحهم استبقاه واستثناه *واضافه الي نائبه بالرها واعطاه * ثم تحرك عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل * وخرج في الجحفل الحفل *واضافه أخوه عماد الدين زنكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجيبين * وقدموا الرسل الي الملك العادل سيف الدين * وقالوا نخرج من بلادنا * وندخل في مرادنا * فكتب الى بني أخيه يستنجدهم ويستنفرهم ، ويستصرخهم ويستنصرهم * فانجدوه بالامداد * وامدوه بالانجاد * فجاؤه من كل فج ووافوه فوجا بعد فوج * وكان انجاد حلب أقرب * ولدر الاسعاف أحلب * ولما عرف الملك الافضل اغتم واهتم * وجمع عسكره وضم * وخص وعم * وكتب الي صاحبي حمص وبعلبك * واستدعى عسكرها الترك *فسار أخوه الملك الظافر مظفر الدين خضر • وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر * والملك العادل لقدومه منتظر * واما المواصلة فانهم ماأسرعوا بل ابطأوا ،وما أصابوا بل أخطأوا ،وسمعوا ان الامداد العادلية

الوافية متوافيه ، وان فئته كافة كافيه مكافيه * فتجنبوا وتجنبوا وكانوا قد وصلوا الى رأس عين فاقاموا وسكنوا . والملك العادل مخيم بظاهر حران في جموعه وجنوده * واعلامه وبنوده * ومساعديه وسعوده . وعزمه على اللقاء مصمم ، وقلبه بحب الظفر متيم * وجده غالب . وحده سالب . وجده لظباء النصر حالب ، ولطيب الذكر جالب . وسيف سيف الدين باتر واتر . ولحظ الشمس من غبار خيله الساتر فاتر . وتقارب العسكران حتى ان الطلائع تتواجه وتتجابه . ورجال اليزك تتناجي وتتناجه . وكان من قضاء الله المحتوم ، وسر قدره المكتوم . تفليل غروب القوم وتقليلهم . وحار تأملهم وخار تأميلهم . وجفل رألهم ورتع رعيلهم . وذلك بما قدره الله من مرض أتابك صاحب الموصل . ولم يطق الاقامة بالمنزل . واشفى على الخطر . وأشرف صفو حياته على الكدر . فعاد الى الموصل في محفه . ورجا أن يتبدل ما ألم به من ثقل ألم بخفه . وتقهقر عماد الدين راجعاً ولمن وثق به من اشياعه فاجعاً . وتضرع صاحب ماردين وتذرع ، وتشفع بالامراء والاكابر وخضع . حتى وقع عنه الرضا . وصفح له عما مضى . وأجرى على القاعدة السلطانية معه . وكان قد ضاق به الفضاء الرحب لولا العفو عنه وما وسعه . ورأي عماد الدين أن القوم خانوا واستكانوا * وما رعوا له العهد كما كانوا . فاضطر الى الانكفاء . وكف عن اللقاء ، فخلا الجو . وجلا الضو * وعلا النو * وأتى الملك العادل الخبر بوصول ابن أخيه الملك الظافر الى الفرات ، في عسكر دمشق أهل الثبات * فكاتبه بمنازلة سروج وهي من أعمال عماد الدين . وأمده بابن تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليث العرين . فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه واستولوا على البلد وأماكنه ومواضعه . ورحل الملك العادل منتصف رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين منه . وكانت اليد البيضاء فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه . ثم رحل وتملك بلد الخابور جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجاء الى نصيبين ونزل بظاهرها * وشرع في ضم ذخائرها . فجاءت الرسل العمادية في طلب الصلح . واسفر ليل الحرب بسنى السلم عن الصبح . ورحل ونزل دارا . وكان صاحبه دار مع القوم وما دارى . فبسط عذره . وقبض ذعره * وأتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده من بعده . الى نور الدين رسلان شاه ولده * وجرى بينه وبينهم صلح . وكان له في كل سفرة تجارة وربح * وكتب الينا ان اهل خلاط كاتبوه . وعلى تأخره عنهم عاتبوه . وان كل صاحب حصن قد ضبط موضعه . وانتظر

مطالعه • فانه تولاهم بعد بكتمر المعروف بالهزارد يناري . فلم يرضوا بايالته لخلاط ولم يروه كفوا لتلك الهدي * ثم أشرف العادل على خلاط • فوجد أهلها قد كملوا الاحتياط • ورأى ان البرد يشتد • وامد الحصر يمتد . فعاد الى حران والرها * واعرض عن مخالطة خلاط وتأخر الى الربيع امرها .

﴿ فصل في المعنى
أنشأته الى الديوان العزيز في آخر رجب عن الملك الافضل ﴾

لاشك في احاطة العلم الاشرف بحال الذين حالوا عن الاتصاف بالانصاف ومردوا ومروا اخلاف الخلاف • وعادوا عن خلق التلافي الي الائتلاف • وبددوا بالانتظام في سلك الغدو شمل الائتلاف • ونكثوا بعد ايمانهم • حتى قيل كفروا بعد ايمانهم • وباءوا في بغيهم بغيهم • وابدوا قوتهم في وهمهم وزعموا انهم اذا عزموا نالوا فرصة • ووجدوا اذا جدوا في العزيمة رخصة • وجاؤا الى البلاد التى للخدم من انعام امير المؤمنين صلوات الله عليه. ليتملكوها • واستسهلوا سبل الضلالة بعد الهدى فسلكوها • واغتروا بأعتزازهم واعتزوا باغترارهم . واصيبوا اذلم يصيبوا ببصائرهم وابصارهم . ودخلوا في دائرة السوء وخرجوا من ديارهم . واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب ماردين وحسدوا وحشدوا وماالظن بشر الحاسدين الحاشدين • ووعدهم الشيطان وأحزابه فصدقوا كذب الواعدين، وكان العم الملك العادل سيف الدين قد توجه الى تلك البلاد؛ لابقاء أمورها على السداد • واثقاً منهم بالمواثيق ؛ محتفلا بالوفاق الحافل الافاويق . وهو في خواصه • وذوي استخلاصه . لم ينتظم عسكره • ولم ينضم اليه معشره . ولم يصف لدفع الشوائب وردع النوائب مورده ومصدره * فلما عرف نكرهم * وعلم في مكرهم مكرهم • توافت اليه الجموع • وحنت على قلبه الضلوع * وحنت الى أصله الفروع • وتوافد اليه بنو أخيه في الجنود * وتوافوا نجدة ساعدت بالسعود * وأمد الأخ الملك الظاهر من حلب بالامداد المتظاهره • والانصار المتناصره * وندب الخادم أخاه الظافر خضراً وأنهضه • وسار معه عسكره الذي بدمشق عرضه • وسمع الأخ الملك العزيز خبر القوم • وانهم من حول ورد الردي على الحوم • فأخرج المضارب وأبرزها • وأنفق في العساكر وجهزها • وذكر عدة النجدة فأنجزها * واهتبل فرصة الفريضة وانتهزها • وأقبل على ذخيرة الفضيلة فأحرزها * وتحركت

السواكن . وثارت الكوامن . وهاجت الاقطار . وماجت البحار ، وشابت الاكدار ، وأصابت الأقدار . وأظهر الله قبل الاجتماع معجز آياته فى أهل الشمات . وخص جمعهم بالشتات وحبلهم بالبتات ، وحص من تلك الثبات أجنحة الثبات . وشغل كلا منهم بوباله ووباله ، وحطه من يفاع اعتلائه الى حضيض اعتلاله . وأعادهم على أعقابهم ناكصين ، وبعقابهم ناكسين ، وفي آرائهم وآرابهم ناقصين . وأظهر الله في كل واحد من أعداد الاعداء آية للعادة خارقه . وقدرة لاقدار الاولياء للسعادة خالقه . وقتلهم وما قاتلوا ، وقابلهم وما قابلوا . وغادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتفكرين . وعلم صاحب ماردين انه أخطأ وما أصاب ، فأبان عن ندمه وأناب ، وتعرض للعفو عنه وتضرع ، وتشفع بالامراء في أمره وتذرع ، فأبديت له صفحة الصفح ، وعادت له بعد عادية الخسر عادة الربح ، وأجرى على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه ، فرضوا بما فرضوه من الطاعة وثابوا اليه ، وكان الأخ الملك الظافر خضر قد وصل الى الفرات ، حين حكم الله لجموع أولئك بالشتات ، فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب ، وقلب العدو من الفتح الذى وجب وجب ، وفتحها يوم الاحد نحوه ، وجاءت هذه المنحة من الله حظوه . ورحل الملك العادل بالعساكر الى الرقه ، لاسترجاع وديعتها المستحقه * وهذه ببركات استمرار العبيد على طاعة المواقف المقدسة وبمين الائتمار بأوامرها * وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها * وما السعادة الا لمن شملته سعودها ، وما الجد الا لمن وصله جودها ، وما الكرامة الا لمن كرمت عنده بالوفاء عهودها ، وما العصمة الا لمن لزمت في حمده النعماء عقودها ،

﴿ ذكر سيف الاسلام باليمن ﴾

وإقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخى السلطان ، وهو هناك سلطان عظيم الشان ، مستول على جميع البلدان * مختص فى مكانه بالامكان * وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاة السلطان بأيام * فلم يظفر بمرام * ووصل كتابه الى أخيه * وهو غير عالم بتوفيه * فلما استقر الملك الافضل على سرير أبيه كاتب عمه سيف الاسلام بنعمه * وهم في كتابه بما كتب الله من همه ، والكتاب بانشائي عن الملك الافضل يشتمل على شرح ما ألم ، وخص به الرزء وعم *

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتبته جميعه وهو صدرت هـذه المكاتبة معربة عن النبأ العظيم * والخطب الجسيم * والرزء العميم • والحادث الاليم * والكارث المقعد المقيم * والنائب الباغت • والمصاب الساحت * والفجيعة الفاجيه * والنكبة الناكيه * والطارقة الطاريه • والملمة المؤلمة والبلية الباريه * والواقعة الرائعه • والصدمة الصادعه • والحدمة اللافحه * والروعة الفادحه * والغمة التي غامت بها الايام • وغم لها الانام • واعتل منها الاسلام * واختل النظام * فقد عدمت المطالع ضياءها • والمشارع صفاءها والثغور سدادها * والأمور سدادها • والعيون قرتها والنفوس قرارها *والقلوب ثباتها والجفون غرارها * • والأيدي أيدها والوجوه سفورها * والصدور انشراحها * والاسرار سرورها * فقد فقدت الدنيا بهجتها * وضلت العلياء محجتها * واهتدى الضلال الى المدى * وأقوى نادي الندى * وأقفرت مغاني الغنى • وا كفهرت مجالي السني * وأمرت مجاني المني * وخفيت مناهج المناجح ، وعطلت مناهل المنائح * وعميت مذاهب المواهب • وأظلمت مطالع المطالب • وارتجت أبواب الفتوح ، ودجت أضواء الوضوح ودرست معالم المعالى *وطمست زواهر الليالي *واضطربت الدهماء ، واضطرمت الدهياء• وبطلت مواسم الحق • وأبهمت مظالم الخلق *وانقطعت مسالك الجهاد • وتفجعت ممالك البلاد* وأخلفت عدات الاعداء على الاعداء ، وانكسفت أنوار آمال الاولياء • وذلك بما اجراه الله من قضائه المحتوم • واظهره من سر قدره المكتوم • بمصاب مولانا الملك الناصر روح الله روحه • وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه • فقد عظم الخطب وجل • وحل عرى الجلد حين حل • وثلم غرب الصبر وفل * وأجرى غرب الدموع • وأزكي كرب الضلوع * وبت حبل اللاجين * وشت شمل الراجين • وأعلمنا أن الدنيا الدنية حبالها رثاث * وحباؤها غثاث • وعقودها انكاث • وسهولها أوعاث • وقصورها أجداث • وسرورها غرور ومواهبها احداث • وسكونها قلق • وأمنها فرق • وصحتها سقم • وأملها الم * وغبطتها ندم * ووجودها عدم * وبقاؤها فناء * وامنها بلاء * وراحتها عناء * وملكها هلك *وسترها هتك * وأخذها ترك * وسلمها حرب وصلحها فتك * ووفاؤها غدر * ووفاقها مكر * وعرفها نكر * ووصلها هجر * وخيرها شر * ونفعها ضر * وجبرها كسر * ومتاعها قليل * وباعها في التطاول طويل * ومالعثارها مقيل * ولا في ظلها مقيل * ولا ارب فيها لاريب * ولا الباب فيها للبيب * فان ظلها

قالص * وفضلها ناقص * وعمرها قصير * وغنيها فقير * وريها جرع * وزيها خدع * وحليها عطل * وسعيها زلل * واجداؤها اجداب * واعطاؤها اعطاب * واصباحها اظلام * وارغابها ارغام * وسماحتها بخل * وسجاحتها ختل * وعقدها مفسوخ * وعهدها منسوخ * وربحها خسار * وجرحها جبار * ويسارها اعسار*وخصبها المحال* وحبها محال * وعمارتها شعث * وشيمتها عيث وعبث * وترابها تراث*ولا لمسكنها اساس ولا لساكنها أثاث *ولا كيدها في كيدها يد • ولالمكرها في جد مكرها جدد* والسعيد من استمد في معاشه للمعاد * واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفرالآخرة من الازواد* ومن نظر اليها بعين القلى * وعرف انها دار البلاء والبلى * وتقوى فيها بالتقوي* وجد في الاعراض عن جدواها للفوز يوم العرض بالجدوى * ولقد كان السلطان السعيد قدس الله روحه بحقيقتها عارفا* واطريقتها عازفا * ولزخرفها عائفا * ومن ملكها آنفا * وعن مالها متعففا * فاشتغل عن الدنيا بالدين * وخصه الله بتأييده في علم اليقين*واقتدى بسنة النبي صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغي * (ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)* ووقف حياته على احياء معالم الهدى * والاعلان بشعار التقى * واعلاء منار الجهاد * واشاعة سنن العدل والاحسان في البلاد والعباد . وافاضة سجال الفضل والافضال * حتي كفل جوده بفيض الارزاق ووفي بنجح الامال * واخلص لله عمله * ولا ملك ملكا ولا تمول مالا الا في سبيل الله أنفقه وبذله • وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان لله كان الله له) فلا جرم اذلّ الله له الملوك الاعزة * ووهب لاعطاف الدولة للتباهي بملكه الهزه * وملكه الاقاليم والامصار * وأجرى باقداره الاقدار * فازال عن مشارع الشريعة الاكدار * وعطل البدعة بمصر واليمن والشام * وقمع أعداء الاسلام * ومد الله في عمره حتى بلغ المراد * وفتح البلاد * ووفى في حق الجهاد الجد والاجتهاد * وقدر على ما أعجز عنه الملوك *ونهج في نصرة الدين نهجا أعوز من قبله فيه السلوك * واخرج الفرنج عن الساحل وابادها * وملك عليها ديارها وبلادها * وأوهى على الكفرة معاقد معاقلها • وطال بحقه على باطلها * واقصى عن المسجد الاقصى مدنسيه * وأزال عنه أيدى غاصبيه * وأضرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الارجاس • وأبعد عنها اجناس الانجاس * وقهر الكفر وخذله * ونصر الايمان وأخذ له *وأحيا للكرم كل سنة حسنه ، واستمرت محاسن أيامه

سنة بعد سنه • وتعدلت بعدله الجوانح * وتذللت ببأسه الجوامح * ودانت ودنت له الممالك القاصيه • وأذعنت لحكمه الاماني العاصيه * وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبته • وعمت الخواص والعوام عارفته وعاطفته * ونفذت في الشرق والغرب مراسمه • وقامت بالحمد والشكر مواسمه * ووفت بأمل الداني والقاصي والطائع والعاصي مكارمه * وأسعده الله وأمهله * حتى حقق في ذويه أمله • وولى في كل أقاليم من يعمل لله في العدل والاحسان عمله * ثم توفاه حميد الاثر * كريم الورد والصدر • ظافر الرجاء رائح الظفر * صالح العمل * ناجح الامل * طاهر الفطره * ظاهر النصره * كاسياً من الفخار * عارياً من العار * مرتدياً بثوب الثواب * مرتوياً من صوب الصواب * مبتهجاً بنضرة النعيم * متأرجا بعرف نسيم التسنيم * وما كان ابهج الايام بأيامنه * والاعصار بعزائمه * والامصار بمحاسنه * والاسلام بسلطانه * والآفاق بسني إحسانه • وما كان أسعدنا بجدوده * وأجدنا بسعوده * وأغنانا بعدله وجوده • فقد فقد الصباح فلا سني * ودفن السماح فلا جدى ولا جني * وغاض البحر فلا غنى * وهو الطود فلا ثبات * وذوي الروض فلا نبات • ووهى الركن فلا سند ، وانتهي اليمن فلا جدد * وغلب الكمد فلا جلد * وعز العزاء فلا عز • ولا قوة ولا عضد • انا لله وانا اليه راجعون * ولامره تابعون ولحكمه طائعون • لاراد لارادته . ولا صاد لمشيئته • ولا صادف لمصادف قضائه • ولا صارف لصرف بلائه ولقد كادت الانوار تغرب • والانواء تعزب • والمنابع تغور • والصنائع تبور * والاحوال تحول * والاهوال تهول * وأضواء المعارف لاتضيء * وأفياء العواطف لا تفيء * وزهر السماء لا تشرق * وأزهار الروض لا تؤنق * ومعاقد الاسلام تهى * وميامن الايام تنتهي * لولا أن الله تدارك الارماق بألطافه • وتلافي الآمال باسعافه * وجلا وجه النعمى من خلال البوءس * واهدى البشر بعد العبوس ، وأنزل السكينة عند الزلزال • على النفوس * وأجري الدولة على أحسن العوائد * وأرشد المقاصد وأثبت القواعد * من استمرارها على الالتئام * واستقرارها في النظام • واستدرارها بأفاويق الوفاق * وإهلال بدورها غب المحاق • وطلوع شموسها من الآفاق • وارتفاع فروعها في سماء السمو * وامتداد أصولها في منابت النمو * وانفتاح احداقها النواظر عن نور الابصار * وانفتاق حدائقها النواضر عن نوار الازهار * حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة واتحدت * وانتظمت الالفة المتبددة وتأكدت • وسكنت القلوب الراجفة وأنست * وسكتت الالسنة المرجفة وخرست ،

وأثارت الخواطر المظلمه * وافاقت الظنون الراجمة والافكار المتقسمه *وزاد الرونق * وزال الرنق * وانجلى الغسق • وتجلى الفلق •واستقامت الامور*واستنامت الى حفظها الثغور ، ووصلت الكتب العزيزية والظاهرية من مصر وحلب • بكل ماأنجح الارب ووصل السبب ومرى در النصر وحلب • وبكل ماأظهر القوة وقوى الظهر * وشد الازر • وامر الامر ، وسر السر * ونصر الحق وحقق النصر * من الموافقة والموافاه * والموالاة القاضية من الجدة المنجدة بالموالاه • والمتابعة والمشايعة في كل أمر يبرم * وكل حكم يحكم • وكل عزم في قمع العدا يصمم • وكل عقد في نصر الهدى يلزم ويتم * ووصل المولى الملك العادل فتولى أمر المملوك بكل ماوافق إيثاره ، وأشاع على عادة الوالد رحمه الله تعالى شعاره ورفع مناره * وأخلى من كل شاغل باله ووفه أسراره * وأراح أفكاره* وما في الجماعة الا من خطب الجمية وخطب في الجمع ، وأعرض عن الهوى للحق المتبع • فالكلمة متحدة وان كانت الا نفس متعدده ، وما أخلقت هذه الدولة بل استمرت على تجدد الايام متجدده * وانما أشفقت فى حال الصدمة الأولى وبدء الرزية الطولى على بيت الله المقدس ، ومن غدر الفرنج بقصدها فان الغدر شيمة لهم في الانفس • فوقى الله شرهم * ودفع مكرهم * وأوهي أمرهم ؛ ولم يزل من قلوبهم الرعب * ولم يؤثروا على الصلح الحرب * بل طابوا بقاء السلامة بابقاء السلم • وخطبوا إجراءهم في الوفاء بعقد الهدنة على الرسم * وبركات نية المرحوم شملت ، ووصاياه نفذت وكملت •وتوجه الملك العادل الى بلاده الجزرية • شرقى الفرات لاصلاح تلك الولايات • واخراس شقاشق الهادرين بالارجاف من أهل الشمات • ليؤذن بهيبة الأسد جمع النقاد بالشتات • وليعيد الى الأ اس شارد الولى الراشد • ويرد بالبأس مكايد الحاسد الحاشد * والحمد لله الذي أجد الأمن وقد عرت المخافه • وأنزل الرآفة وقد فجأت الآفه * وأبقى الاسلام بعزه والكفر بذله • وثبت قواعد الملك الناصرى بجمع شمل أهله • وأحيا بهم سنتي احسانه وعدله • وشيمتي افضاله وفضله • وفي دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم • ولظام أحوالهم • وسبوغ ظلالهم * وبلوغ آمالهم •

﴿ ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة المعظمة وانفاذ رسوله بعدة والده مع هدايا وتحف سنايا ﴾

لمـا استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده . وشـفع طارف ملكه بتالده * وأضاف موروث الفضل الى مكتسبه * وأكرم نسبه بكرم حسبه . بدأ بالاهم الافرض ، والاتم الامحض * فقدم الى الديوان العزيز النبوي مجابين بالكتب * وأنهى الحال فيما ألم من الخطب . ثم ندب ضياء الدين القاسم ابن الشهرزوري في الرساله ، الى منزل الرسالة وموقف الجلالة * وأصحبه عدة والده في الغزاه أوان لقاء العداه . وسيفه ودرعه وحصانه وأضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب ما استنفد وسعه وامكانه فما تهيأ مسـير الرسول الا في أواخر جمادي الآخره . حتى حصل كل ما اراده من الهـدايا الفاخره * وحتى كاتب مصر وحلب وأعلم بمسير رسوله . حتى لا يظن انه انفرد بسوله . وقصد مدارة اخوته . وفضـل بفضل نخوته . وذلك بعدان جدد نقش الدينار والدرهم بسمتي أمـير المؤمنين . وولي العهد عـدة الدين * وأمرني بانشاء الكتب وتحريرها . وتقريب المقاصد فيها وتقريرها *

﴿ فصل من الـكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء ﴾

اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء . وقلبه معمور بالصفاء . ويده مرفوعة الى السماء للابتهال بالدعاء * ولسانه ناطق بشكر النعماء . وجنانه ثابت من المهابة والمحبة عن الخوف والرجاء . وطرفه مغض من الحياء . ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجداء * وهمته في العبودية قارعة ذروة العلاء * وهو للارض مقبل ، وللفرض متقبل * وبالطاعة ماثل * وللاستطاعة باذل . وللجهد والاخـلاص . عارض ضارع . وفجر فخره من الصحة والمناصحة صادق صادع . وهو يمت بما قدمه من المواة . وأسلفه من الخدمات وذخره ذخر الاقوات لهذه الاوقات . واتخـذه عصمة من النائبات . وعوذة من الطارقات . وعدة عند الملمات . وعمدة لدي الخطوب الـكارثات ومصرفا لصروف الحادثات . ومؤلفاً للشمل عند شمول الشتات وعروة للاعتصام بها في أزمن الازمات وسلوة من الاسى وأسوا لجراح المصيبات . ولا خفاء بما أخافه . وفاض له من بحـر البرح وضافه . وأغاض الطافه . وعاق أوان رجاء جـني النجاح قطافه . لولا أن الله تداركه بفضله وأولاه ألطافه . فانه دهمه ما هدمه وفجأه ما فجعه . وبغته من الرزء ما صدع عنه العيش وصدعه . ونابه ما رابه . وجرعه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله

ما كدر صفو الحياه • ومحا عن صفحة صبحه آية الآياه وألم بالم الامل • وأحال الحلى الي المطل • وحلاء عن النهل والعلل • واذهب بهجة الايام • وأشمت الكفر بالاسلام وسر الشرك منه ماساء التوحيد * وقرب من اشفاق القلوب واشفاء الكروب البعيد . وعطل الجهاد وأراح الحديد • وشب حقود العداة على انها ما شبت الا لتخمد • وشام حدود العتاة على انها ماشيمت الا لتغمد • وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه * وآثاروا كوامن الثار وحركوا سواكن الاوتار بتأثيره وتأريثه • وأخرج أهل النفاق رؤسهم من كل نفق • وعاد ثبات ثباتهم الى نفار وقلق • ومن كان مستمسكا من ولاء الدار العزيزة بالعروة الوثقى . مستلئما من عدد أيامها ومدد انعامها بالدرع الاقوى الاوقى • فانه لا يحتفل بحفول أخلاق أهل الخلاف • ولا يتخلخل طود حجاه الراسي وحصاه الراسخ لعواصف ذوي الاحجاف * وقد أحاطت العلوم الشريفة مجددها الله بأن الوالد السعيد * الشديد السديد * المبير للشرك المبيد ، لم يزل أيام حياته • والى ساعة وفاته . مستقيما على جدد الجد • مستنيبا • في صون فريضة الجهاد الي بذل الجهد • مستنفداً في كل ما يحوز به المراضي الشريفة وسعه • مستفرغا طاقته في الشغل الديني الذي يهدى بصره وسمعه * فكم قبض يداً بسطتها بالفتنة الفئة العادية . وكم فرض سنة أعلت سناها للمجتلين وأحلت جناها للمجتذين الدعوة الهاديه ، ولكم أخرس دعاة الادعياء وحرس ولاية الاولياء وكانت بكتائبه وكتبه سيوفه واقلامه للاقاليم أقاليد * ولم تزل جنود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك بمماليك الدار العزيزة وعبيدها عباديد وأمطر بلاد الكفر من دماء أهلها شآبيب وأقام بها منار الاسلام ومنابره لما آتاب عن اعوادها أنابيب وأسرها من كماة الوغى وحماة الورى بمساعير وانجدها بضوامره ضوامن الظفر بضامير وهذه فتوحه تفوح بنشر النصر وتضوع * وعقوده تروق في سلك الملك وتروع ومصر بل الامصار باجتهاده في الجهاد شاهده والانجاد والاغوار في نظر عزمه واحده والبيت المقدس من فتوحاته * والملك العقيم من نتائج عزماته • وتوفره على العبودية لمالك رقه سيدنا امير المؤمنين اوفر حسناته • وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته ، وما زال ظاهراً على العدا • ناصراً للهدي ، مملياً معالم العلى ، محيياً مواسم التقى ، مسنياً سنن الشرع وفروضه ، مديماً باعباء الطاعة بقدر الطاقة نهوضه ؟ وهو الذى ملك ملوك الشرك وغل اعناقها ، واسر طواغيت الكفر وشد وثاقها ؟ وقمع عبدة الصلبان وقصم اصلابها ، وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها *

ونظم اسبابها وسد الثغور ، وسدد الامور ، واذل للدار العزيزة كل عدو ، واخذ لها على يد كل ذي عتو ، واستمرت على الايام مساعيه في الخدمة ناجحه ، ومعانيه على موازين الموازين راجحه ، وسيرته حسنة وحسناته سائرة ، ومحاسنه ظاهره ، وسريرته طاهره ، وختم الله له بالسعاده ، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعباده . وقضي وقد قضى من آرائه آرابه وقدم بين يديه اعماله الصالحة ووفاه حسابه ، وقبض وعدله مبسوط ، وامره محوط ؟ ووزره محطوط ، وعمله بالصلاح منوط ، وأمله بالنجاح مشروط ، وملكه بحفظ الله وكلاءته مضبوط * والمذاهب مهذبة والمراتب مرتبه * والاسباب محكمة والاحكام مسببه ، والاحوال حاليه ، والاعمال راضيه ، والمصالح مصونه ، والمناجح مضمونه ، والرعية مرعيه ، والعوائد مرضيه ، والقواعد متأثله ، والمقاصد متحصله ، والثغور مسدوده ، والخطوب مصدوده ، واصول الدولة ثابته ، وفروع الدوحة نابته ، وما ترك أمرا بعده غير مستقيم ولا نهجا غير قويم ، ولا خلف لمن خلفه مايحتاج الي تقريبه وتقريره ، ولا أبقى لمن بقي له مايفتقر الى ترتيبه وتدبيره ، وماخرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل ، وبمتجرها الرابح الى دار المقامة راحل ، ولم تكن له وصية الابالاستمرار على جادتها ، والاستكثار من مادتها ، والاستسعاد بسعادتها ، والاستعداد لعبادتها ، والاستجارة بظلالها والاستنارة بجلالها * والاستعاذة بفضلها والاستزادة من افضالها ، ومابنيت القواعد الاعلى أساس وصاياه ، ولا امضيت العوائد الاعلى قياس سجاياه ، ولا أبرم الاماعقده * ولا أحكم الا ما أكده * واقتفيت آثاره ، واجتليت انواره ، واتبع ايثاره ، وأتمرت في ائتمار الاوامر الشريفة اوامره ، ومن كان في نصرة الدولة الامامية الناصرية فان الله ناصره * وما يفتخر العبد الا بماورثه في ولائها من الفخار * وبما له من آلائها الغزار * ونعشه برفعه من العثار ، وعرفه بعرفه المبر المبار * ولا يتسم بالملك الا من يتسامي بانه لها مملوك * ولا يوصل الى السعادة الابدية الامسلك الى رضاها مسلوك * ولئن مضى الوالد على طاعة امامه * فالمماليك اولاده واخوه في مقامه * والامر في كل مكان بالامن والسكون جار على انظامه * والكفر مفلول الغرب ، مخذول الحزب ، مجبول على الرعب * مغلول بقيد السلم عن الحرب فان الله أجرى المشركين مع كثرتهم علي حكم القله ، وخصهم لابقاء عزة الثغور الاسلامية بالذله ! وقد استمرت الحال الى الان علي الهدنه ، وهم لايؤمنون اذا احسوا بالمكنه فان الغدر في طباعهم مركوز * والسوء في غرائزهم مغروز * والعبد آخذ بالحزم *

عائذ بتأييد الله في العزم متيقظ لخوف غدرهم . متحفظ من مكر مكرهم . مستعد بكل امكان * مستجد كل مايفتقر اليه من نجدة وقوة بكل مكان * مستظهر بما تأكد له من مظاهرة المواقف المقدسة فى أموره * مستبشر وجه وجاهتـه منها بسفوره * ظاهر بقوته من أيدها وأياديها قوى بظهوره * مدل بما له من الموات الاكيده * والسوابق الحميـده * والشوافع المقبوله * والذرائع الموصوله * موقن ان الرعاية تدركه * وان العناية تملكه * وان اختصاصه بفضيلة المائة القـديمة يجد له فضل الاختصاص * وان فاتحة الحمد منـه والاخلاص تفتح له باب الاحماد والاستخلاص * ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول * وانه يزداد بما يزدان به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة والحول * عول على القاضى ضياء الدين في المثول بالخدمة الشريفة وانهاء حاله * والانهاء الى مناجح آماله * والسفارة فيما يسفر عن صبح المراشد * ونجح المقاصد ونصح العـقائد * وشرح الاحوال فى المصادر والموارد * وان بلاغته وفية بالابلاغ * ملية باشباع القول في اعتفاء الطول الملى بالاسباغ * وقد فاوضه فيما فوضه اليه ، واعتمد في استنجازه واستنجاحـه عليـه ، لازالت أيادى الدار العزيزة دارة غزيره ، سارة أولياءها وباحياء موات مواتها جديره * أن شاء الله تعالى

* ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله *

كان مشـغوفا في سبيل الله بالانفاق ، موقوفا عزمه في الاعداء بادناء الآجال وفي الاولياء باجراء الارزاق ، وما عقر في سبيل الله فرس أوجرح الا وعوض مالكه بمثله ، وزاده من فضله . وحسب ماوهبه من الخيل العراب والاكاديش الجياد ، للحضرين معه في صف الجهاد ، مدة ثلث سنين ، مذ نزل الفرنج على عكاء في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين ، فكان تقديره اثني عشر الف رأس من حصان وحجر ، واكديش طمر وذلك غير ماأطلقه من المال ، في اثمان الخيل المصابة في القتال ، ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه ، وما حضر اللقاء الا استعار فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده ، فكلهم يركب خيله ، ويطلب خيره . وهو يستعير جوادا ، ويستمر في الجهاد اجتهاداً ، اجتهادا ، وكان لايلبس الا مايحل لبسه ، وتطيب به نفسه ، كالكتان والقطن والصوف ،

وكسوته يخرجها في اسداء المروة * وكانت محاضره مصونة من الحظر • وخلواته مقدسة بالطهر • ومجالسه منزهة من الهزء والهزل • ومحافله حافلة أهلة باهل الفضل • وما سمعت له قط كلمة تسقط • ولا لفظة فظة تسخط ، يغلظ على الكافرين الفاجرين ، ويلين للمؤمنين المتقين ، ويؤثر سماع الحديث بالاسانيد ، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد ، وكان لمداومة الكلام مع الفقهاء ، ومشاركة القضاة في القضاء ، اعلم منهم بالاحكام الشرعيه ، والاسباب المرضية والادلة المرعيه ، وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان ، بل يعتقد انه جليس اخ من الاخوان . وكان حليما مقيلا للعثرات ، متجاوزا عن الهفوات ، تقياً نقيا ، وفيا صفياً ، يغضي ولا يغضب ، ويبشر ولا يتقطب ، مارد سائلا ولاصد نائلا ، ولا اخجل قائلا ، ولا خيب آملا

ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سفراته ، الامير أيوب بن كنان مشتغلا بمهماته ، فلما وصل سأله عن سبب تخلفه ، وما الذي وقفه عن موقفه ، فذكر ان غرماءه لجوا والحوا ، وضنوا باطلاقه وشحوا ، فاحضر واغرماءه وتقبل بالدين وتكفل بالمين * وأمرني بان أحيلهم على مصر بحسبتها وهي اثنا عشر ألف دينار مصرية وكسر • فقدم نوابه وفاءها على الحمل لما عرفوا فيه من بغض صون المال وحب البذل للفضل

ولما كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة بن منقذ من مصر وهو بها نائبه • وقد وضحت في الكفاية مذاهبه ان • واحداً ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها ألفي دينار وتسحب • وربما وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكذب • فجاء الى السلطان من أخبره أن الرجل على الباب وخال انه اليه يتقرب • فقال قل له ان ابن منقذ يطلبك فأجهد أن لا تقع في عينه • فعجبنا من حلمه وكرمه بعد أن قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه • ومما أذكره له في أول سفري معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين • ووردت بها من فضله العذب المعين • انه حوسب صاحب ديوانه • عما تولاه في زمانه • فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار باقية عليه فاطلبها ولا ذكرها • وأراه كانه ماعرفها على ان صاحب الديوان ماأنكرها • وكان يرضى من الاعمال بما يحمل عفواً صفواً • ويحصل عذباً حلواً • وكله يخرج في الجود والجهاد • ورعاية الوفاد والقصاد • ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطله • ولم ير انزواءه في بيت العزله فولاه ديوان جيشه وأولاه مادنت له به مجاني جاهه وعيشه

ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصدقاته الفقراء والمساكين وكتب

الى نوابه في الولايات • باخراج الصدقات • وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية • فقلت له الذهب الذي عنده مصري قال فيتصدق بخمسة آلاف مصرية • واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما * ويرتكب في كسب الاجر آثاما • فسمح ومنح وتاجر الله وربح • وسمعت بعد ذلك الصفي * وكان في الخير مجلي كل مضمار * يقول قد احصيت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا ستمائة فاطلقت لهم ستمائة دينار

ولما عزم على الرحيل من حران * أفاض بها الفضل وبث الاحسان • وقال لي يوم الرحيل أنظر كم بقي بالباب من الوافدين أبناء السبيل • وهذه ثلثمائة دينار أقسمها عليهم بالقلم • وفضل على اقدارهم في القسم • وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشره • ولم تجده بيسره • فعينت لكل اسم قسما • وعنيت بهم خلقاً مني ورسما • فبلغ اربعمائة دينار ثم وقفت أفكر • واردد النظر اليه وأكرره • فسألني ماالذي عملت • وهل قسمت المبلغ وكملت • فقلت جري قلمي بقسمة أربعمائة دينار فهل أنقص من كل اسم ربعاً • فقال أجرى ماجرى به القلم واحسن صنعاً •

وكان رحمه الله اذا أطلق لعارف عارفه • وقلت له هذه ماتكفيه ردها مضاعفه • وكان أصحاب المظالم وأرباب المطالب • والراغبون في الرغائب • والذاهبون في المذاهب • يحضرون عندي • ويعرفون في انجاز أمرهم وانجاح قصدهم بذل جهدي • فاكتب لهم توقيعات بعتو قماتهم • وانتهي في الاملاء بنهاية مأمولاتهم • فيجريها ويمضيها • ويضع علاماته فيها ويرتضيها • واذا أتى توقيعا بخطي علم فيه • ولم يقف بنشره على سر مطاويه * إلفاً بما ألفه من صحبتي ومناصحتي • وكفاء للملمات وكفاية للمهمات بكفايتي • وكان يأمرني بأجابة كتب الملوك وأصحاب الاطراف عن كتبهم • في حالتي سلمهم وحربهم • وهي تشتمل على أسباب متنوعه وآراب متفرعه • بحسب الحوادث المتجددة • والبواعث المتمهدة • فاذاقلت له بماذا أكتب وما الذي اخطب • فيقول أنت أعرف • وبحسب ماتعلم من حالنا تتصرف • فاكتب من عندي بالاجابه • وتوافق منه الاصابه • فقد كنت مطلعاً على سره • مضطلعاً بأمره • مايخفى عني مراده • وأنا أتيقن لمن ولاؤه ووداده • فآتي بمداناة الاغراض • ومداواة الامراض وموازنة الجواهر والاعراض • والتمييز بين أهل القبول وأهل الاعراض • فكم أصلح قلمي بينه وبين من عاداه * وراض الجامح من سخطه وقاده الى مدى رضاه *

وكان يغضب للكبائر * ولا يغضى عن الصغائر * ويرشد الي الهدى ويهدي الي الرشاد • ويسدد الامر ويأمر بالسداد • فكان مماليكه وخواصه بل امراؤه وأجناده أعف

من الزهاد والعباد . ورأي يوما لي دواه .بالفضة محلاه * فأنكر حل الحليه * وادعى حظر القنيه . فقلت على سبيل المدافعه . وطريق المناظرة والممانعه . أوليس تحل حلية السلاح . واستصحابه في الكفاح . فدواء دواتي أنجع . ومدد مدادي أنفع . وبراع براعتي القصير أطول . وسلاح قلمي أجذ وأحد وأفتك وأقتل . وما اجتمعت هذه العساكر الاسلامية الا بقلمي . ولا تفرقت جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي . فقال ماهذا بدليل ولا يعيد تحريماً الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ ابا محمد والد الامام أبي المعالي قد ذكر وجهاً في جوازه ونحن نتبعه فلا وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه . ثم لم أكتب بعدها عنده الا من دواة الشبه . وتجنبت طرق الشبه وتركت المحلاة مخلاه . وعادت الشبهية مجتباة مجتناه . وكان محافظاً على الصلوات الخمس في آوائل أوقاتها . مواظباً على أداء مفروضاتها ومسنوناتها * فما رأيته صلى الا في جماعه ولم يؤخر له صلاة من ساعة الى ساعه .

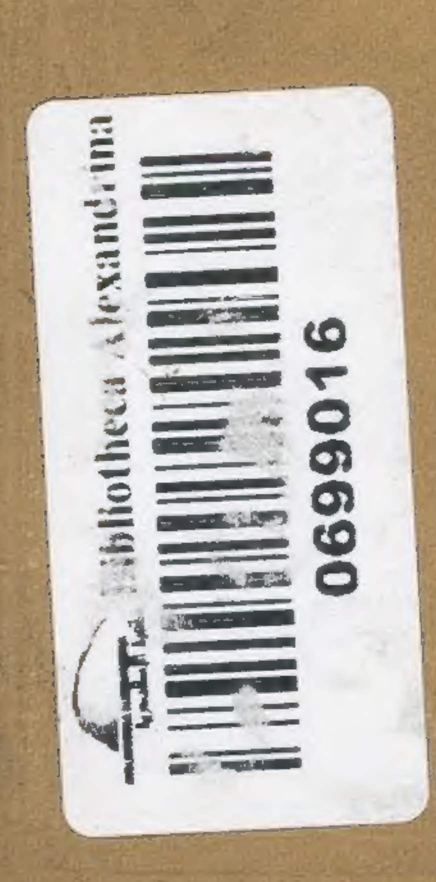
وكان له امام راتب ملازم مواظب . فان غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم * اذا عرفه متقياً متجنباً للاثم * وكنت لملازمتي اياه يقدمني اماماً في الصلوات * ومستشاراً في المشورات * وكان يأخذ بالشرع ويعطي به * وينفق من حل المال وطيبه . ويجود بالموجود وبالمعدوم في الحال رجاء الوجود * فما تجدد جدة الا ويستوعبها انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجم مصغياً . ولم يزل لقوله ملغياً . فما عنده منجاً لمن جاء بمين المنجمين . ولا قبول لمنطق المنطقيين * فلا يفضل يوما على يوم ولا زماناً على زمان الا بتفضيل الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعيف ولا يتطير ولا يمين وقتاً ولا يتخير * بل اذا عزم توكل على الله * واقبل على محكم أمره وأعرض عن مظان الاشتباه . فكم فل سفه ذي الفلسفه . ودل بمعروفه على المعرفه . وما زال ناصراً للتوحيد . قاهراً جمع أهل البدع بالتبديد . مستجلياً سنى السنه . مستحلياً جنى الجنه * شافعي المذهب أصولا وفروعا . معتقداً له معقولا ومسموعا . يدني أهل التنزيه * ويقصي أهل التشبيه * ويديم استفادة فقه الفقيه . واستزادة نباهة النبيه . ووجاهة الوجيه فالعالمون في عدله . والعالمون في فضله * والبلاد في أمنه * والعباد في منه * والبرية في برسعيه * والاسلام في حماية حميته * والدين في ادالة دولته . وشرعة الشريعة صافية بصفائه * ومادة المودة له وافية بوفائه * وقامت بعده طريرة طريه . من العار عريه . وبيبر البرية من

الشائبات والشائنات بريه * وبالحرية حريه * وبسرور السر
سريه * فقد عزت وفضلت وظهرت بعزيزها وأفضلها
وظاهرها ونخرت بمفاخرها * ورويت برواتهم آثار
مآثرها*وتبلجت الآفاق وتارجت بحسن تباشيرها
وطيب بشائرها . وبرزت الارض في أزهارها
والسماء في زواهرها والحمد لله مجري
الاقدار ومصفي الاكدار * ومدير
الليل والنهار * ومدبر الايراد
والاصدار * وسلم
تسليما كثيراً
آمين
تم

تم الفتح القدسي بحمد الله وعونه نسخ في تاسع عشر من صفر سنة احدى وستمائه والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد نبيه وآله وصحبه وأزواجه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين

وكان تمام طبعه على ذمة مصطفى أفندي فهمي الكتبي بمطبعة الموسوعات وذلك في شهر ذي الحجه سنة ١٣٢١ هجريه




Bibliotheca Alexandrina
06999016